المجمع الجزائري للغة العربية

أعمال الملتقى العلمي

جهود علماء الجزائر القدامى في خدمة اللغة العربية

قراءة في المنجز اللساني

10 و11 ديسمبر 2025

مجموعة من الأساتذة والباحثين

منشورات المجمع الجزائري للغة العربية

** تخضع أي أسماء تجارية وأسماء منتجات مذكورة في هذا الكتاب إلى علامات تجارية أو ملكية فكرية أو حماية براءة اختراع، وهي علامات تجارية أو ملكية فكرية مسجلة لأصحابها المعنيين أو وصف المنتج وما إلى ذلك...، حتى في حالة عدم وضع علامة معينة في هذا العمل، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقصد بذلك أن هذه الأسماء قد تعتبر غير مقيدة فيما يتعلق بتشريعات حماية الملكية الفكرية والعلامات التجارية، وبالتالي يمكن لأي شخص استخدامها.

**تصميم غلاف الكتاب: حمزة سعادي - المجمع الجزائري للغة العربية/ 2025.

**الإيداع القانوني: نوفمبر 2025.

ISBN : 978-9969-9858-8-7

**حقوق الطبع محفوظة

© منشورات المجمع الجزائري للغة العربية /2025.

06 شارع العقيد محمد بوقرة – الأبيار– الجزائر.

*** الوصف الببليوغرافي

أعمال الملتقى العلمي: جهود علماء الجزائر القدامى في خدمة اللغة العربية: «قراءة في المنجز اللساني (10–11 ديسمبر 2025؛ الجزائر) / مجموعة من الأساتذة والباحثين. –الجزائر: منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2025.– 444 ص ؛16×24 سم.

ردمك:7–8–9858–9969–978

اللغة العربية– أعمال الملتقى– تاريخ، خدمة اللغة العربية، علماء الجزائر القدامى، المنجز اللساني، الدراسات اللسانية التراثية.

ديوي العشري:9.410

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المقالات لا تعبر إلا عن آراء أصحابها

فهرس المحتويات

1- جهود علماء الجزائر في خدمة اللّغة العربيّة في القرن الحادي عشر - قراءة في المنجز النّحويّ والصّرفي

- **سالم شرابي**..... **9**

2- المصنفات اللغوية لعلماء تلمسان ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين - دراسة في مضامينها المعرفية-

- **بلعربي خالد**..... **41**

3- الإنتاج اللغوي لعلماء الجزائر ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م قراءة من خلال كتب الطبقات والتراجم والسير

- **فهيمة حناش**..... **65**

4- المُنْجَزُ اللُّغَوِي لِعُلَمَاءِ الجَزَائِرِ القُدَامَى مِنْ مَنْظُورِ لِسَانِيَّاتِ التُّرَاثِ

- **حنان غياط**..... **87**

5- مسألة غموض المعنى وتعدّده في بنية النّصّ مقاربة دلالية في مصطلح "الظاهر" لدى الإمام الشّريف التلمساني (ت771هـ)

- **مختار درقاوي**..... **125**

6- مسارات الدرس العروضي الجزائري

- **مراد مزعاش**..... **145**

7- التوجيه اللغوي للمعاني القرآنية في تفسير هود بن محكم الهواري الجزائري

- **أبوبكر بوقرين**..... **187**

8- منهج الإمام الثعالبي في تفسيره " الجواهر الحسان في تفسير القرآن" دراسة وصفية

- **سليمة عياض**..... **207**

9- الدرس اللغوي في كتاب الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز: لعبد الرحمن الثعالبي دراسة في التعالق بين المستوسات اللسانية
- **سارة بوفامة**.....223

10- الإعراب مدخلاً للتفسير القرآني قراءة نحوية في كتاب "تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن " للثعالبي ت875هـ
- **نسيمة شمام** 243

11- جهود علماء الجزائر القدامى في الدرس النحوي، وأثر ابن مالك وابن آجروم فيها تعليما وتأليفا
- **عبد القادر تواتي**.....283

12- منهج ابن أُبَّ المزمري في تيسير القواعد النحوية في نظم الآجرُّمية
- **صفية مطهري**.....335

13- السّمات المنهجيّة في شرح المنظومات النّحويّة " النفحة الرندية في شرح التحفة الوردية" لابن أبّ المزمري الجزائري أنموذجا
- **عبد الله زيتوني** 357

14- قراءة في كتاب الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب: لأبي عبد الله بن قاسم الرصاع (ت 894هـ)
- **عبد الكريم عوفي**.....399

15- شرح السمرقندية للحسين الشريف الورتلاني قراءة في المنهج والأبعاد
- **محمد زمري**.....423

برنامج الملتقى العلمي
جهود علماء الجزائر القدامى في خدمة اللغة العربية
"قراءة في المنجز اللساني"

جهود علماء الجزائر في خدمة اللّغة العربيّة في القرن الحادي عشر- قراءة في المنجز النّحويّ والصّرفي

أد/ سالم شرابي -جامعة البليدة 2-

abouwidad1976@gmail.com

الملخص:

لقد كان لعلماء الجزائر دور بارزٌ في التّراث اللّغويّ العربيّ، فقد اهتمّوا على مرّ العصور باللّغة العربيّة وعلومها اهتماما بالغًا تعلُّما وتعليمًا.

ومن القرون المتأخّرة الّتي برز فيها علماء الجزائر في علوم اللّغة- خاصّة ما تعلّق بالدّراسات النّحويّة والصرفيّة- القرن الحادي عشر من الهجرة، فقد ظهر فيه كثير من العلماء الّذين بلغت شهرتهم الآفاق شرقا وغربًا، ونال علم النّحو عندهم قدرا من الاهتمام تدريسًا، وتأليفًا، ومن أبرز هؤلاء محمد التّواتيّ، وأبو القاسم البجائيّ، وسعيد قدورة، وعلي بن عبد الواحد السّجلماسيّ، وعبد الكريم الفكّون، ويحيى الشّاويّ، وأحمد المقّري وغيرهم كثير.

تناولت في هذه المداخلة الجهود النّحويّة الصّرفية لعلماء الجزائر في القرن الحادي عشر من خلال استعراض ما أمكنني الوقوف عليه من هذه المؤلّفات منسوبة لأصحابها، مع إشارة مختصرة لمحتواها.

وختمتها بذكر أهمّ النتائج الّتي خرجنا بها من خلال هذه الورقة البحثية، مع ذكر توصيّات للعمل على إبراز هذه الجهود وإخراجها إلى عالم المطبوع لينتفع بها.

بسم الله الرحمن الرّحيم

أولا: تمهيد

الحمد لله الّذي زين الإنسان بزينة اللّسان، وحلّاه بحلية البيان، والصّلاة والسّلام على أشرف إنسان، محمد بن عبد الله الّذي أوتي جوامع الكلم، وعلى أصحابه الفصحاء الكرام.

وبعد فإنّ علمي النّحو والصرف لم يلقيا اهتماما كثيرًا عند علماء الجزائر في القرون الأولى، ويدلّك على ذلك أنّك لا تكاد تسمع بمن اشتغل منهم بالعلوم اللّغويّة عموما فضلا عن علمي النّحو والصّرف إلّا الفرد والفردين، فلم تسعفنا كتب التّراجم وكتب التّاريخ بالإشارة إلى نحاة جزائريّين متقدّمين من أجيال القرون الأربعة أو الخمسة الأولى، وهذا لا يعني أنّ النّحو لم يكن ضمن العلوم الّتي تدرّس في هذه البلاد خلال تلك الفترة، ولكن ذلك يعني أنّه لم يكن فيها من يشار إليه بالبنان في هذا العلم، كما برز غيرهم في علوم أخرى كالأدب، والشّعر، والقراءات وغيره؛ إذ لم تشر المصادر إلى مؤلّفات في هذين العلمين لعلماء جزائريّين، وهذا ربّما لأنّ الاهتمام في ذاك الوقت كان منصبًّا على علوم الشّريعة أكثر من غيرها من العلوم، أو لأن الاهتمام بالنّحو والصّرف كان وسيلة لا غاية، حبيس الدّروس ولم يتعدّى للتّأليف فيه.

إنّ تتبّع تراجم النّحاة الجزائريّين في كتب التّاجم يحيلنا على حقيقة مفادها أنّ كثيرا من علماء الجزائر اهتمّوا بالنّحو اهتماما بالغًا من خلال تدريسه وشرح كتب النّحو في مجالسهم، غير أنّ التّأليف فيه عندهم بدأ متأخّرا، فممّن اشتهر بتدريس النّحو وكان ممن يشار إليه فيه الْحسن بن مُحَمَّد التَّمِيمِي التّاهرتيّ ويعرف بابن الزّبيب (ت:420هـ)[1]، ومنهم الْحسن بن عَليّ بن طريف التاهرتي النَّحْوِيّ (ت:501هـ)[2]، ولعلّه أكثر من اعتنى بالنّحو من سابقيه الجزائريّين، ومنهم **أَبو الْقَاسِمِ عَبْد الرَّحْمَنِ بْن يَمَنِ بْنِ عَطِيَّةَ التَّاهَرْتِيَّ** (ت:536 هـ)[3]، وغيرهم من علماء الأقطار الجزائريّة كعلماء بجاية وتلمسان.

ولعلّ أولى المؤلّفات الّتي وصلتنا كانت في أواخر القرن السّادس فقد ألّف محمّد بن عبد الحقّ التّلمسانيّ (ت:625ه) له كتاب مستقلّ في النّحو وهو كتاب (لباب الإعراب)[4] وهو كتاب في عداد المفقودات، وألّفت كتب لها علاقة بالنّحو ككتاب (الاقتضاب في شرح غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب) لمحمّد بن عبد الحقّ التّلمسانيّ وهو مطبوع، وكتاب (تهذيب شرح السّبع المعلّقات وإعرابها) لعلي بن عبد الله بن ناشر الوهرانيّ (ت:615ه)[5]؛ والكتابان كما يظهر ليسا في النّحو الخالص، فالأوّل فيه مزج بين علم الحديث، وعلم الغريب، وعلم النّحو، والثّاني في (الأدب)، واللّغة، والنّحو.

أمّا القرن السّابع فيعدّ البداية الفعليّة للمؤلّفات النّحويّة الجزائريّة، إذ ظهرت في هذه الفترة كثير من المؤلّفات النّحويّة وكانت الانطلاقة مع ابن معطٍ الزّواويّ (ت:628ه)، إذ يعدّ أكثر من ألّف في النّحو من الجزائريّين في هذه الفترة، وقد نالت مؤلّفاته اهتماما كبيرًا خاصّة (الدّرة الألفيّة) الّتي تعدّ من أوائل الألفيّات في النّحو، فنسخت كثيرًا، واهتكّ بها علماء مشهورون، فشرحت شروحات عديدة كثير منها[6]، وله أيضا (الفصول الخمسون)، وهو أيضا من كتب النّحو المشهورة الّتي لقيت اهتماا بالشّرح[7]، ومنهم محمّد بن الحسن التّميميّ القلعيّ (ت:673ه) فألّف (الموشّح في النّحو)، و(نشر الخفيّ من مشكلات الإيضاح لأبي عليّ)[8]، وممّن اشتهر بتدريسه مع عدم التّأليف جمال الدّين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر التّلمسانيّ المعروف بحافي رأسه النّحويّ (ت:680ه) – وكان معاصرا لابن مالك- لكنّه لم يخلّف تأليفًا فيه مع كثرة تدريسه له[9].

كما عرف القرن الثّامن جمعا من العلماء الجزائريّين الّذين اشتغلوا واشتهروا بالنّحو نذكر منهم ابن جابر الهوّاريّ (ت:780ه) الّذي شرح ألفية ابن مالك، وهو شرح مشهور محقّق[10]، وله (المنحة في اختصار الملحة)، وله (عمة المتلفّظ في نظم كفاية المتحفّظ)، وله (نظم في النّحو)، وشهاب الدّين أحمد بن محمّد العنّابي (ت:776ه) وكان من تلاميذ أبي حيّان الأندلسيّ[11] له شرح على كتاب سيبويه[12]، وشرح على التّسهيل[13]، وشرح تقريب المقرب لشيخه أبي حيّان، والحلل في الكلام

على الجمل، ورسالة التّبيان في معرفة عطف البيان وهو مطبوع، ورسالة في مسوّغات الابتداء بالنّكرة[14]، وممّد بن يحيى البباهليّ البجائيّ الرهوني (ت:743ه) شارح لامية الأفعال لابن مالك

ومن القرن التّاسع نجد كوكبة من علماء النّحو والصّرف منهم ابن مرزوق الحفيد (ت: 842ه)، فينسب له شرح للألفيّة (إيضاح المسالك شرح ألفيّة ابن مالك)، وله كتاب (الاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب)، و(شرح على التّسهيل)، ومنهم أحمد بن علي بن منصور البجائيّ (ت:837ه) شارح الأجرّوميّة، ومحمّد بن العبّاس التّلمسانيّ (ت:871ه) صاحب (تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال)، وأحمد بن العبّاس يت محمذّد بن أبس هذيل الوهرانيّ (ت:) له (شرح لامية الأفعال)، وأحمد بن محمّد المقّريّ (ت:841ه) صاحب كتاي (التّحفة المكّيّة في شرح الأرجوزة الألفيّة)[15]، ومنه أبو العبّاس الشّمنيّ (ت:872ه) له (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام).

أمّا القرن العاشر فهو أيضا لم يخلُ من علماء جزائريّين اهتمّوا بالنّحو من أمثال أبي سليمان داود الثّلاثيّ الإباضي (ت:967ه) له (شرح الأجروميّة)، ومحمّد الصّغير بن محمّد بن عامر الأخضريّ البسكريّ له (تقييد على ألفية ابن مالك)، وأبي مهدي عيسى بن إسماعيل النائليّ (ت:971ه) له (إعراب على كلمة الشّهادة)، ومحمّد الصّبّاغ القلعيّ (ت:995 ه) له (الدّرّة الصّباغيّة في شرح الجروميّة)[16].

ثانيًا: الدّرس النّجويّ في القرن الحادي عشر الهجريّ:

إذا جئنا للقرن الحادي عشر وجدنا أنّ علم النّحو والصّرف نال اهتماما عند علماء الجزائر تدريسًا وتأليفًا، فقد انتشرت كثير من المدارس والزّوايا شرقا وغربا، شمالا وجنوبًا، فاشتهرت بعض هذه المدارس في الدّراسات النّحويّة والصّرفيّة حتّى غدت محطّ رحلة لكثير من العلماء والطّلبة، فقد اشتهرت في الشّرق الجزائريّ مدرسة آل الفكّون، وفي الوسط المدرسة الّتي أنشأها سعيد قدورة في الجامع الكبير، ومدرسة آل أبهلول في دلّس، ومدارس قبائل زواوة، ومدرسة المجّاجيّ في تنس،

ومدرسة آل الأخضريّ في بسكرة، وحاضرة تلمسان الّتي كانت محطّ رحلة لكثير من العماء، وغيرها من المدارس.

وكما هو شأن العلماء قديما الرّحلة في طلب العلم، فإنّه في هذه المرحلة عرفت هذه المدارس والزّوايا استقطابًا للعلماء، فوفد إليها كثيرون من خارج بلاد الجزائر، فقد وفد إليها محمّد التّواتيّ من المغرب – وكان سيبويه زمانه – فاستقرّ به المقام بقسنطينة سنين طويلة، وكان مرجعا في النّحو يفد إليه الطّلبة بل والعلماء من مختلف الجهات للجلوس بين يديه، ووفد أيضًا من المغرب عليّ بن عبد الواحد الأنصاريّ السّجلماسيّ فاستقرّ به المقام في مدينة الجزائر رفقة سعيد بن إبراهيم قدورة التّونسيّ الأصل، وكانا من أشهر تلامذة التّواتيّ، ومن الشّيوخ المبرّزين بعده، وقد استفاد علماء الجزائر من هؤلاء الثّلاثة، وجاء إلى قسنطينة طلبًا للنّحو الفقيه إبراهيم بن إسحاق الفلاريّ من تونس، وكان الفكّون يشير إلى أنّ ممّن كان يحضر مجالس النّحو عنده طلبة مغاربة.[17]

وعلى العكس من ذلك وجدما كثيرًا من علماء الجزائر في هذا القرن - على غرار علماء القرون الأخرى – رحلوا عن بلادهم واستقرّ بهم المقام في بلدان أخرى، كما فعل أحمد المقّريّ، وعاشور القسنطينيّ، وعيسى الثّعالبيّ، ويحيى الشّاويّ وغيرهم.

وما يميّز أغلب علماء هذا القرن اتّصال بعضهم ببعض في سلسلة العلم، فهم يمثّلون الشّيوخ، وتلاميذهم، وتلاميذ تلاميذهم[18]، فإنّ من أبرز نلاميذ التّواتيّ وأحمد المقّريّ: سعيد قدّورة، وعليّ الأنصاريّ، والفكّون، ومحمّد لن راشد الزّواويّ، والفكيرين، وعاشور القسنطينيّ، ومن أبرز تلاميذ قدورة والأنصاريّ: عيسى الثّعالبيّ، ويحيى الشّاويّ، ومن أبرز تلاميذ الفكّون بركات بن باديس، ومن أبرز تلاميذ يحيى الشّاويّ من الجزائر أحمد بن قاسم البونيّ.

أمّا التّأليف في علم النّحو أو الصّرف فإنّ منهم من اشتهر في تدريس النّحو من غير تأليف، فقد كان جلّ اهتمامهم هو التّدريس دون التّأليف[19] مع أنّهم كانوا ممّن يشار إليه ويعتمد عليه في ذلك كأمثال محمّد السّعديّ أبهلول، وزميله محمّد العربيّ الزّواويّ، وعاشور القسنطينيّ، والفكيرين الوالد وابنه، وعثمان بن زيان الصنهاجيّ

(ق11هـ)، ومنهم من جمع بين التّدريس والتّأليف، بين مقلّ في التّأليف، ومكثر له، ومن أمثالهم[20]:

- **الحسن بن يوسف الزّيّانيّ التّلمسانيّ** (ت 1023هـ): شرح لامية المجراديّ/ حاشية على شرح المكوديّ/ حاشية على توضيح ابن هشام/ حاشية على شرح المكلّاتي على لامية الأفعال/ حاشية على شرح الشّريف على الآجروميّة.
- **محمّد التّواتيّ** (ت:1032هـ): شرح شواهد سيبويه/ الشواهد الشّعريّة لمن أراد التّفرّس في العربيّة/ شرح لامية الأفعال لابن مالك/ طرر على المراديّ/ حاشية على جمع التّكسير للمراديّ.
- **أحمد بابا بن أقد السّودانيّ التّنبكتيّ** (ت:1032هـ أو 1036هـ): الفتوح القيّوميّة في شرح الآجروميّة/ النّكت الوفيّة بشرح الألفيّة/ النّكن الزّكيّة يشرح الألفيّة/ غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة.
- **أبو الحسن علي بن قاسم البطّيويّ** (ت:1039هـ): المباحث الفاسيّة على شرح المكوديّ للألفيّة.
- **أحمد بن محمّد المقّريّ** (ت:1041هـ): إعراب بيت لمجنون ليلى/ تعقيب على رسالة في إعراب كلمة التوحيد/ إتحاف أهل السّيادة بضوابط حروف الزّيادة.
- **أبو القاسم بن محمد البجائيّ** (ت بعد 1047هـ): شرح شواهد شذور الذّهب (صغير، ومتوسّط وكبير)/ شرح شواهد قطر النّدى/ شرح شواعد القواعد الصغرى/ إعراب آيات شذور الذهب/حاشية على شرح شذور الذهب/
- **عليّ بن عبد الواحد الأنصاريّ** (ت:1057هـ): منحة القيوم في شرح ابن آجروم/ نظم في الصّرف/ نظم في النّحو.
- **سعيد بن إبراهيم قدّورة** (ت:1066هـ): رقم الأيادي على تصنيف المراديّ/ نظم في قيود أهملها ابن مالك في لاميته.
- **عبد الكريم بن محمد الفكون** (ت:1073هـ): فتح المولى في شرح شواهد الشّريف ابن يعلى/ فتح اللّطيف على أرجوزة المكودي في التّصريف/ فتح الهادي في شرح جمل المجراديّ/ فتح المالك في شرح لامية ابن مالك.

- **محمد بن محمد بن سعيد الطنجي المستغانميّ** (حيّ سنة 1085هـ): الكوكب الجوال في شرح لامية الأفعال.
- **يحيى بن محمّد الشّاويّ** (ت:1096هـ): كتب كثيرة.
- **عيسى بن يحيى الشّاويّ** (ت:1096 أو بداية 1097هـ): حاشية على ارتقاء السيادة/ شرح نظم في الضّرورات الشّعريّة.
- **بركات بن عبد الرحمن بن باديس** (ت:1101هـ): بغية السّالك إلى ألفية ابن مالك/ قيد الشوارد في شرح الشواهد/ التّنقيح ببعض أحوال رجال طالعة التّصريح على التّوضيح (تراجم النّحاة)/ درع الحجاب في جمع بعض ما خفي في الظاهر عن الجواب (الألغاز)
- **بحبى بن أبي القاسم المصعبيّ الغرداويّ** (ت:1106هـ): شرح الآجروميّة.
- **أحمد بن قاسم البونيّ** (ت: 1139هـ): نظم الآجروميّة/ شرح نظمه على الآجروميّة/ شرح الآجروميّة/ شرح لامية الأفعال/ نظم قطر النّدى/ إتحاف أهل السّيادة في ضوابط حروف الزّيادة.

ثالثا: استعراض المؤلّفات النّحويّة في القرن الحادي عشر:

سيكون الحديث عنها مقتضبًا عامّا لضيق المقام عن التّوسّع في الحديث عنها، وبيان منهج كلّ كتاب مع الإشارة إلى المحقّق منها والمخطوط، وقد قسّمت هذه المؤلّفات إلى ماكان شرحا على متن، أو حاشية، أو نظما لمتن نحويّ، أو تأليفًا مستقلّا، فبدأت بما تعلّق بكتب الصّرف، ثمّ كتب النّحو.

أ- شروح المتون النحوية والحواشي:

- **علم الصّرف:**

1- شرح لامية الأفعال لمحمّد التّواتيّ (1032هـ): وهو شرح متوسّط على لامية الأفعال لابن مالك، وقد ذكر المؤلّف أنّ سبب تأليفه هو طلب بعض إخوانه أن يكتب على اللّامية إملاءً يقتصر على تفسيرها، يحلّ ألفاظها، وإن كانت على ذلك زيادة ممّا لا غناء عنه فلا بأس[21].

وقد سلك التواتي منهجا قام على ما ذكره في مقدّمته، فعمد إلى ألفاظ النّظم تفسيرا وشرحا، واهتمّ بإعراب ألفاظ مقدّمة النظم، دون أن ينسى الاعتماد على التّمثيل، أمّا الشواهد فقد كانت قليلة، لأنّ طبيعة الموو وهو الصرف، وموضوع النّظم وهو أبنية المفردات العربيّة في الغالب تعتمد على الألفاظ المفردة والتّمثيل عليها، ولا شكّ أن هذه الألفاظ فصيحة ثابتة في كلام العرب، وإذا رأى أن الموضع يحتاج إلى تنبيه أو استدراك وتتمّة فلا يفوّت الفرصة حرصًا على إفادة الطّلاب ومن يطّلع على شرحه.

وأحبّ أن أشير إلى أنّ التّواتي كان يشير في مواضع من شرحه إلى ما جاء في نسخ أخرى للنّظم، كما اطّلع على شروح أخرى للّامية، فينقل عنها نقل الموافق أو نقل المناقش.

2- **فتح المالك شرح لامية ابن مالك للفكّون** : شرح الفكون لامية الأفعال لابن مالك شرحا مطوّلا مقارنة بشرح شيخه التّواتيّ أو شرح بدر الدّين ابن النّاظم.

أشار الفكّون إلى أنّ هذا التّأليف جاء بعد فترة عانى غيها من المرض، وأنّه أراد أن يعاود مجالس البحث والمذاكرة بتقييد ينفع به الطّلبة، فرأى أن يكتب شرحا على لامية الأفعال لحرص الطّلبة على قراءتها.[22]

اعتمد فيه كثيرًا على الشّواهد الفصيحة من قرآن وحديث وشعر، كما نقل كثيرًا عن شرّاح اللّامية كشرح ابن النّاظم، وشرح شيخه التّواتي، وكان في أحيان يناقش بعض الآراء التي جاءت في هذه الشّروح، زأطال النّفس في المباحثة في مواضع كثيرة منها، كما ضمّن شرحه كثيرا من التّنبيهات والفوائد.

والكتاب حقّق على نسخة وحيدة من المكتبة الوطنية التونسيّة، وهي الوحيدة المعروفة لحدّ الآن، حققّ صالح بن خالد بن حمد الشبل جزءًا منها من بدايتها إلى نهاية باب أبنية الفعل المجرّد وتصاريفه) بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة (1430هـ)،

3- **الكوكب الجوال في شرح لامية الأفعال لمحمّد بن محمّد الطّنجيّ المستغانميّ (حي:1085هـ)**[23]: وهو شرح أيضًا مطوّل على اللّامية، ألّفه صاحبه استجابة لأمر

من يرى أمر لازم، وقد ذكر المؤلّف أنّه شرح مفرداتها واضحة كانت أو غير واضحة، ووذكر توجيه إعرابها الظّاهرة وغير الظّاهرة، وقد يكرّر العبارة في غير موضع طلبًا للفائدة، ولم يُخلِ شرحه من الإشارات البلاغية والبيانيّة الّتي اشتمل عليها النّظم من استعارات، أو كنتيات، أو مجاز عند الحاجة غلى تبيانها ، وذكر أنّ هذا الشّرح إنّما وضعه نفعًا لنفسه وللمبتدئين، وتذكرة لأولي العلم لمنتهين.[24]

4- **شرح لامية الأفعال لأحمد بن قاسم البونيّ** لم أقف عليه.

5- **فتح اللّطيف على أرجوزة المكودي في التّصريف للفكّون**: وهو الكتاب الثّاني من كتب الصّرف الّتي ألّفها الفكّون بعد فتح المالك، هو شرح لأرجوزة المكوديّ (ت:807هـ) في التّصريف المسمّى (البسط والتّعريف في نظم ما جلّ في التّصريف)[25]، وقد قال عنه عيسى الثّعالبيّ (ت:1080هـ): (وقد أجاد فيه غاية الإجادة، وأحسن كلّ الإحسان، وأعطى التّقل والبحث فيه حقّهما، ولم يهمل شيئًا ممّا يقتضيه لفظ المشروح ومعناه إلّا تكلّم فيه وأجاد فيه كما هو شأنه.)[26]

ألّفه الفكّون استجابة لطلب بعض الطّلبة في شرح النّظم، فاستجاب لهم بشرح يحلّ لفظه، ويعين على فهم حفّاظها.[27]

والكتاب حقّق أكثر من مرّة فقد حقّقه بشير سعيد عبد العاطي من جامعة قاريونس بليبيا سنة 2004م، وحقّقه ابن إبراهيم السّعيد من جامعة الجزائر سنة 2005م.

- **علم النّحو:**

1.شرح لاميّة المجراديّ للزّياتيّ: لامية المجراديّ تسمّى جمل المجراديّ[28] هو نظم نحويّ للجمل الّتي لها محل من الإعراب والّتي لا محلّ لها، وأشباه الجمل، وإعرابها، وهو نظم شبيه في موضوعه بكتاب ابن هشام الإعراب عن قواعد الإعراب، وقد لقي هذا النّظم اهتمام كثير من العلماء بالشّرح والبيان خاصّة المغاربة.

وهذا الشّرح متوسّط، شرح فيه الزّياتيّ جمل المجراديّ، فاهتم بشرح تراكيبها، وإيضاح أساليبها، ولم يُخلها من مناقشات وفوائد وتنبيهات. [29]

2. **فتح الهادي شرح لامية المجراديّ للفكّون**: هو واحد من شروح الفكّون النّحويّة، وقد ذكر في مقدّمة أنّ تأليفه كان استجابة لطلب بعض أصحابه في تقييد شرح على جمل المجراديّ، وبيّن أنّع ألّفه في وقت من انشغال الفكر والذّهن وتأهّبٍ للسّفر للحجّ.[30]

شرح الفكون ألفاظ النّظم، وبيّن ما اشتمل عليه من أحكام، كما اهتمّ بإعرابه، وقد صدرت محقّقة عن دار ابن الجوزيّ سنة 2024م بتحقيق أبي بكر بلقاسم ضيف.

3. **منحة القيوم على مقدّمة ابن آجروم لعلي بن عبد الواحد الأنصاريّ السِّجلماسيّ (ت:1057ه)**: وهو شرح ألّفه لابنه، وهذا يدلّ على طبيعته التّعليميّة، والكتاب حقّق أكثر من مرّة، فقد حقّقه مصطفى الدّاي في أطروحة دكتوراه بجامعة البليدة 02 عام 2016، وأعاد تحقيقها محمد شايب شريف وصدر عن دار ابن الجوزيّ 2018.

4. **شرح الآجرومية لأبي القاسم بن يحيى بن أبي القاسم المصعبيّ/ الغرداويّ (ت:1102ه)**: صرّح الشّارح في أوّل كتابه أنّ الشّرح موجّه للطلبة المبتدئين، وهو شرح يمتزج فيه المتن بالشّرح، كما اهتمّ المصعبيّ بالحدود اللّغويّة والاصطلاحية في كلّ باب نحويّ من أبواب الآجروميّة، واعتمد على أسلوب يتلاءم مع الغرض التعليميّ للشّرح، فتارة يعتمد أسلوب السّؤال والجواب (أسلوب الفنقلة)، والضّمير المخاطب استحضارا للمتعلّم في الذّهن، وقد اعتمد في شرح الأحكام النّحويّة على الشّواهد الفصيحة من قرآن وكلام العرب الفصحاء، وعلى الأمثلة المصنوعة.[31]

5. **الفتوح القيّوميّة في شرح الآجروميّة** لأحمد بن بابا بن آقد السّودانيّ (1036ه)، حقّقها بن شماني محمّد في جامعة الشّلف في رسالة ماجستير (2007م/2008م).

وهذا الشّرح قال عنه المؤلّف: إنّه حواشٍ على الأجروميّة، وذكر أنّه لم يُخله من فوائد مهمّة، وتنبيهات، وفوائد يحتاج إليها.[32]

إعراب الآجرومية لسعيد بن إبراهيم قدورة: نسب هذا الكتاب للسعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن وفي جامع الشّروح والحواشي: لعلّه قدورة[33] ، وقد وقفت على إحدى النّسختين غير أنّني حين اطّلعت عليه تبيّن أنّه ليس لسعيد قدورة، فقد جاء في قيد الختم أنّ المؤلّف نقل الكتاب إلى البياض في 1210هـ، وذكر النّاسخ أنّه نقل نسخته عن تسخة المؤلّف سنة 1220هـ.

6. **تقييد على المقدّمة الأجروميّة لعبد العزيز بن الحسن بن يوسف الزّيّاتيّ (ت:1055هـ):** لم أطّلع عليه، توجد نسخة منه في الخزانة الحسنيّة.
7. **شرح الآجرومية لأحمد بن القاسم البونيّ**[34]، وهو شرح مطوّل على الآجروميّة، وهو شرح قيّم اشتمل على كثير من الفوائد.
8. **النّكت الوفيّة بشرح الألفيّة، والنّكت الزّكيّة** لأحمد بابا السّودانيّ وهما تعاليق على الألفيّة ولم يكملا.[35]
9. **بغية السّالك إلى ألفية ابن مالك لبركات بن باديس**[36]: وهو شرح مطوّل على الألفيّة، وقد ذكر الشّارح أنّه شرحه جاء بعد استخارة «الله تعالى مرارًا، ليلا ونهارا في وضعه"، فهو شرح تقصّد تأليفه من غير طلب طالب، ولذلك جاء شرحا موسّعًا اعتمد فيه كما ورد في المقدّمة على كثير من شروح الألفيّة كشرح ابن النّاظم، والمراديّ، وابن عقيل، والهوّاريّ، والمكوديّ، والسّيوطيّ، والأسمونيّ، والشّيخ يسن، وغيرها من الحواشي، والتّعاليق، دون أن يغفل الكلام على الشّواهد.[37]
10. **فتح المنان فِي الأجوبة الثّمان ليحيى الشّاويّ**: وهو شرح لنظم فرج بن قاسم بن لبّ الغرناطيّ (ت:783هـ)، وهي أربع وخمسون بيتًا متعلّقة بالمواضع الثّمانيّة الّتي يكون الجواب فعلا مضارعًا مجزومًا إذا تجرّد من الفاء، فإذا اقترن بها نصب الفعل، والكتاب محقّق، حقّقه فتح المنّن سعد محمّد عبد الرّزّاق أبو نور، ونشر في مجلّة الدّراسات الإسلامية بمركز الملك فيصل بالمملكة العربيّة السّعوديّة، مجلد 18، ج4 عن نسختين مخطوطتين، والكتاب له نسخ عديدة فات المحقّق الوقوف عليها، منها نسخة بخط أحد تلاميذ الشّاويّ.

11. **شرح التّسهيل ليحيى الشّاويّ:** وقد ذكره المحبّيّ في خلاصة الأثر[38]، وأبو المواهب الحنبليّ في مشيخته[39]، وقد وقفت في حاشيته على المراديّ ما يدلّ على أنّه كان له درس خاصّ في تسهيل ابن مالك، يقول في سرد قصّة أحد شروح التّسهيل: « ثمّ إنّي تحيّلت عليه حتّى ملكت الكتاب منه، وطالعته وأحضرته في **درسنا في التّسهيل**..»[40].
12. **شرح الدّر النضيد في إعراب كلمة التوحيد ليحيى الشّاويّ:** وهو شرح على نظمه في إعراب كلمة التّوحيد، وقد استقصى فيه مذاهب النّحاة في وجوه إعرابها مناقشا وموجّها ومستدلًا لتلك الوجوه، ومصوّبًا ما يراه صوابًا، ومخطّئًا وجوها ضعيفة قيلت في ذلك.[41]
13. **إِزَالَةُ العَنَا عَنْ رِسَالَةِ البِنَا ليحيى الشّاويّ:** ذكره العجيميُّ أيضًا في مؤلَّفات الشَّاويِّ، وقال إنَّها شرحٌ لرسالة الزَّركشيِّ (تَأْصِيلُ البُنَى في تَعْلِيلِ البِنَا). [42]
14. **شرح نظم في الضّرورات الشّعريّة لعيسى بن يحيى الشّاويّ:** وهو شرح لنظمه في الضّرائر الشّعريّة، وعندي منه نسخة مخطوطة يسّر الله تحقيقها وإخراجها.
15. **شرح الدّرر المضيّة بنظم الآجروميّة لأحمد بن قاسم البونيّ (ت:1139هـ)**[43]: هو نظم مختصر يقع في أكثر من تسعين بيتا، نظم به المقدّمة الآجروميّة.

ب- الحواشي على شروح الألفية:

1. **حاشية على شرح المكودي للزّياتيّ:** هي طرر جمعت من تعليقاته على عبارات المكوديّ، وبعض عبارات ابن مالك في ألفيّته، وجمعها يدلّ على أنّها لم تكن مقصودة بالتّأليف، ولذلك كانت تقييدات مقتصبة في معظمها.[44]
2. **حاشية على شرح المكلّاتي على لامية الأفعال للحسن بن يوسف الزّيّاتيّ**[45]: هي حاشية على شرح يعقوب بن سعيد المكلّاتيّ لتّلمسانيّ (ت:853هـ) على لامية الأفعال[46]، وقد ذكر الزّيّاتيّ سبب هذه الحواشيّ وهو ما وقف عليه من صعوبات تحول أحيانا دون الفهم والاستيعاب لمضامينه. ولذلك فالحاشية هي إيضاحات، وانتقادات، وتصويبات على شرح المكلاتيّ المختصر.[47]

3. **حاشية على شرح الشّريف على الآجروميّة للحسن بن يوسف الزّيّاتيّ:** وهي حاشية على شرح الشّريف ابن أبي يعلى على الآجرومية المسمّى الدّرّة النّحويّة.[48]
4. **حاشية على التّوضيح لابن هشام للزّيّاتيّ:** هي حاشية على أوضح المسالك لابن هشام الأنصاري، توجد من نسخة مخطوطة بخزانة تمكروت بالمغرب، تقع في جزأين، الجزء الأوّل منها مبتور الطّرفين.
5. **طرر على المراديّ للتّواتيّ:** هي تقييدات على شرح المرادّ على الألفية كان يمليها محمّد التّواتي على طلبته في درسه، وقد قيّد هذه الطّرر أحد تلاميذه، وفيها تعليقات على بعض ألفاظ الشّرح، رأى التواتي أنّها تحتاج إلى بيان وإيضاح تتميما للفائدة. [49]
6. **حاشية على جمع التّكسير للمراديّ للتّواتيّ:** ذكرها الفكّون في منشور الهداية[50]، ولست أدري هل هي جزء من الطّرر أم تأليف مستقلّ يخصّ جمع التّكسير فقط.
7. **حاشية على شرح شذور الذهب لأبي القاسم البجائيّ:** وهذا الكتاب أشار إليه تلميذ البجائيّ إبراهيم بن سعيد المحجوز في قيد فراغه على شرح شواهد الشّذور الكبير، لكنيّ لم أقف عليه[51]، ويمثّل الكتاب صورة من صور خدمة البجائي لكتب ابن هشام خاصّة الشّذور.[52]
8. **رقم الأيادي على تصنيف المراديّ لسعيد قدورة[53]:** هي حاشية لسعيد قدورة على شرح المراديّ على الألفيّة، والّذي يظهر من اطّلاعي على الموجود منها أنّها حاشية مطوّلة عليه اشتملت على كثير من الفوائد، بدأها بترجمة للمراديّ. وقد رمز للمراديّ بالحرف (د)، يورد قوله أو بعضه، قم يتبعه بالتّعليق عليه، معتمدا على نقول عن غيره.
9. **المباحث الفاسيّة على شرح المكوديّ للألفيّة لأبي الحسن علي بن قاسم بن علي البّطيويّ (ت:1039هـ):** وهي حاشية مطوّله علّق فيه البطّيويّ على كثير من أقوال المكوديّ، إمّا شارحا قوله شرحا مختصرا أو يشرح لفظا يرى الحاجة إلى بيان معناه اللّغويّ، أو الاصطلاحيّ، أو متعقّبا له.[54]

10. **حاشية الشّاوي على المراديّ:** من أوسع الحواشيّ على المراديّ، ومن أوطول كتب الشّاويّ النّحويّة، تميّز بالتّوسّع في المباحثات، والإكثار من النّقول عن علماء سابقين ومعاصرين خاصّة من المغاربة، ومناقشة بعض ما خالفهم فيه، ولم يقتصر تعليقه على عبارات المراديّ بل كثيرًا ما يعلّق على نظم الألفيّة،

وممّا يميّز حاشية الشّاوي كثرة استطراداته، وخروجه عن الحاشية إلى الاسترسال في مسائل نحويّة، أو قصص وقعت له مع بعض معاصريه، ومن استطراداته توسّعه في الكلام على الفرق بين اسم الجني وعلم الجنس، فخصّص لها خمس عشرة ورقة كاملة، وختمها بالإشارة إلى أنّه ينبغي أن تفرد في رسالة، وكذلك فعل مع (أيّ) المشدّدة [55] غير أنّ هذه الحاشية غير تامّة، وصل فيها إلى أفعل التّفضيل [56]

11. **حاشية على شرح الدماميني للتسهيل للشّاويّ:** كما قال النّخليّ في فهرسته[57]، وهو حاشية على شرح الدّماميّ لتسهيل ابن مالك، وقد ذكر الشّاوي في كتابه المحاكمة أنّ له تعاليق على شرح الدّماميّ[58]، وصرّح في حاشيته على شرح المراديّ بذاك فقال: (وقد نقلناها وشرحناها في حاشية لنا على الدّماميّ على التّسهيل)[59] غير أنّ هذه الحاشية أو الشّرح كامل لكنّه في عداد المفقود[60].
12. **حاشية على شرح قطر الندى ليحيى الشّاويّ:** رأيته مذكورًا في فهارس إحدى مكتبات المخطوطات في ليبيا.
13. **حاشية على ألفية ابن مالك:** ذكره تلميذه النّخليّ في بغية الطّالبين.[61]
14. **حاشية على ارتقاء السيادة ليحيى الشّاويّ:** هذه الحاشية كتبها عيسى بن يحيى الشّاوي بخط يده على نسخة من نسخ ارتقاء السّيادة، وهي نسخة هارفارد، وفي آخرها تعليق ليحيى الشّاويّ بخطّه يمتدح فيها ابنه، والظّاهر أنّ هذا التّعليق هو تعليق اطّلاع وقراءة لتلك الحواشي.
15. **حاشية على شرح عصام لكافية ابن الحاجب:** أشار إليه عبد الرحمن الجيلاليّ. [62]

16. **حاشية على شرح الشّريف على الآجروميّة** أشار إليه عبد الرحمن الجيلاليّ[63]، وقد أكثر من النقل عنه في حاشيته على المراديّ، ولعلَّه ما ذكره العجيميُّ بعنوان: (**إزَالَةُ الإلْباس عَنْ عَالِمِ فَاس**)، وهي حاشيةٌ كبيرةٌ على حاشية اليقدوميُّ (لعلَّه القَدُّوميّ) على شرح الآجروميَّة للشَّريف ابنِ يعلى).[64]
17. **حاشية على فتح المولى في شرح شواهد بن يعلى لبركات بن باديس**: ذكر هذا الكتاب في كتابه قيد الشّوارد [65]، وهو حاشية على قتح المولى لشيخه الفكّون.

ج- شروح الشّواهد الشّعريّة:

1. **شرح شواهد شذور الذّهب (متوسّط وكبير) لأبي القاسم البجائيّ (ت: بعد 1047هـ)**[66]: شرح البجائي شواهد الشّذور شرحين أحدهما متوسّط، والآخر مطوّل، أمّا صلب المادّة المتّصلة بالموضوع أي ما تعلّق بشرح الشّواهد فهي تقريبًا نفسها في الكتابين، والفرق بينهما أنّ المطوّل توسّع فيه الشّارح في شرح ألفاظ الأبيات والاستشهاد لها، والخروج إلى فوائد لغويّة أو أدبيّة ليس لها علاقة بالشّاهد، وقد جاء في آخر الشّرح المطوّل قول البجائيّ: (هذا أطول من الأول وأكثر أبحاثا وقد فرغت من تأليفه أوائل شوال عام 1025هـ)

وقد ذكر المؤلّف أنّ سبب تأليفه للشّرح الكبير أنّه لم يرَ من شرح شواهد الشّذور، فدفعه ذلك لشرحها، كما نبّه في مقدّمة الشّرحين إلى أهم المصادر الّتي اعتمد عليها في شرح الشّواهد.[67]

2. **إعراب آيات شذور الذهب لأبي القاسم البجائيّ (ت: بعد 1047هـ):** وهو كتاب آخر اعتنى فيه البجائيّ بإعراب الآيات القرآنية الّتي استشهد بها ابن هشام في الشّذور، وقد ذكر في مقدّمته سبب تأليفه الكتاب وهو أنّ ابن هشام اقتضب الكلام على هذه الآيات من جهة الإعراب والمعنى، فأراد أن يزيد على ذلك قصد الفائدة [68]

وقد سلك البجائيّ في هذا الكتاب منهجا عامّا تمثّل في وضع عناوين أوّل ذكر الآيات على حسب مواضع الاستشهاد بها في الغالب، (شواهد كذا)، فيورد الآية برواية

نافع في الغالب، إلّا إذا كانت القراءة مخالفة لغيرها من المشهور فيشير إلى ذلك، معتمدا في كثير من الأحيان على نقول من مصادر من التّفاسير أو كتب أعاريب القرآن أو كتب النّحو في بيان المعنى، أو الإعراب، ويختم الكلام بذكر موضع الشّاهد في الآية، كما استشهد بها ابن هشام.

3. **شرح شواهد قطر النّدى لأبي القاسم (بلقاسم) البجائيّ (ت: بعد 1047هـ)**: من الشّروح المتوسّطة التّي ألّفها البجائيّ على كتب ابن هشام، فهو شرح لشواهد قطر النّدى ألّفع سنة (1028هـ)، وسلك فيه مسلكا مشابها للشرح المتوسّط من شواهد الشّذور إذ يورد الشّاهد تحت الباب المستشهد به، وينبعه بذكر القائل إن كان معروفًا، وموضع الشّاعد، ومعنى البيت وإعرابه، وقد يذكر أبياتا من القصيدة الّتي منها البيت الشّاهد.

والكتاب حقّقه مولود قاني كأطروحة دكتوراه بجامعة المسيلة سنة 2022م[69].

4. **شرح شواهد القواعد الصغرى لأبي القاسم البجائيّ (ت: بعد 1047هـ):** هو شرح بشواعد كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام، وقد استهلّه بنفس مقدّمة شرح شواهد الشّذور، وسلك فيه نفس منهجه في شرح الشّواهد، غير أنّه كان أقلّ اختصارا فيه من غيره.
5. **شرح شواهد الكتاب للتّواتيّ:** هو استحضار لشواهد كتاب سيبويه أوردها مرتّبة على حسب ترتيب أبواب الكتاب، والغاية من ذلك كما قال المؤلّف ليكون ذلك داعيًا إلى حفظها والاستشهاد بها.

ومنهج التّواتي في هذا المؤلّف أن يورد الباب كما في كتاب سيبويه ثم يردفه بذكر الشّواهد الّتي استشهد بها سيبويه في الباب، فيذكر في كثير ن الأحيان القائل، ويتبعه بوجه الاستشهاد، وفي كثير من الأحيان يورد فوائد تتعلّق بالشّاهد كبيان جهة استشهاد أخرى في الشّاهد.

6. **الشواهد الشّعريّة لمن أراد التّفرس في العربيّة للتّواتيّ (ت:1032هـ):** هو ثاني كتب التّواتيّ في الشّواهد النّحويّة، وهو أوسع من الأوّل إذ ضمّنه شواهد النّحو كرتّبة على حسب ألفية ابن مالك، وتسهيله، مع التّوسّع في بحث هذه الشّواهد والتّعليق عليها، وقد جاء في مقدّمته قوله: (هذا كتاب الشّواهد الشّعريّة لمن أراد

التّفرّس في العربيّة رتّبته على مقتضى الألفيّة وما يشاكلها من شواهد التّسهيل.)[70]

والظّاهر أنّه كان يأتي بالشّواهد الشّعريّة الّتي استشهد بها ابن مالك في شرحه على التّسهيل، ويذكرها في ما يناسبها من ألفية ابن مالك، فقد كان يأتسي بلفظ من نظم الألفيّة ثم يذكر شواهده معلّقا على هذه الشّواهد، ولو قلت إنّه تقييد أو تعليق أو حاشية على الألفيّة لكان صوابا.[71]

7. **فتح المولى في شرح شواهد الشريف ابن يعلى للفكّون (ت:1073ه):** شرح فيه الفكّون الشّواهد الّتي استشهد بها الشّريف بن يعلى في شرحه على الآجروميّة، وقد فاقت المائة شاهد.

وسلك فيها الفكّون مسلك المتوسّع قليلا، وألزم نفسه أن يختم الكلام على كلّ شاهد بذكر حديث نبويّ

8. **قيد الشّوارد بشرح الشّواهد لبركات بن عبد الرحمن بن باديس (ت:1107ه):** وهو شرح مختصر لشواهد المكوديّ على الألفيّة، اعتمد فيه ابن باديس بشكل أساسيّ على مختصر شرح الشّواهد للعينيّ، لكنه لم يخله من نقول عن كتب أخرى.

طبع بالمكتبة الأهلية بتونس سنة 1928م، وحقّق في رسالة ماجستير بجامعة مولود معمريّ بتزي وزو.[72]

د- النّظم النّحويّ:

1- نظم في قيود أهملها ابن مالك في لاميته للتّواتيّ[73]: وهو نظم على حرف اللّام يقع في أحد عشر بيتًا ذكر فيها بعض القيود الّتي أهمل ابن مالك ذكرها في لامية الأفعال ممّا يتّصل بوزن (مَفْعَل) و(مَفْعِل)، فذكر في لاميته ألفاظا بوجه واحد، فتح العين أو كسرها، فذكر قدورة في هذا النّظم أنّها جاءت بالوجهين، قال في أوّل نظمه:

وَجْهَانِ فِي الْمَصْدَرِ الْمَطْلَعِ مَحْمَدَه ... مَظْلَمَةٌ وَاسْمُ حَقٍّ عَمْرُهُمْ جُعِلا [74]

2- نظم في الصّرف ونظم في النّحو لعلي بن عبد الواحد الأنصاريّ لم أقف عليهما.

3- **نظم في إعراب كلمة التوحيد للشّاويّ:** وهو نظم نظمه في ساعة بين العشاءين محادثة مع بعض أصحابه[75]، يقع في تسعة وثمانون بيتًا، جمع فيها أقاويل النّحويّين. [76]

4- **نظم في الضّرورات الشّعريّة لعيسى بن يحيى الشّاويّ**، يتحدّث فيها عن الضّرائر الشّعريّة.[77]

5- **الدّرر المضيّة بنظم الآجروميّة لأحمد بن قاسم البونيّ (ت:1036ه):** هو نظم يقع في أكثر ن تسعين بيتا نظم فيه المقدّمة الأجروميّة نظما مختصرا، بدأه كالعادة بحمد الله تعالى والصّلاة على نبيّة، وختمه بذكر عدد أبيات النّظم على طريقة حساب الجمّل.[78]

6- **نظم قطر النّدى لأحمد بن قاسم البونيّ (ت:1036ه):** ولم أقف على هذا النّظم.

ه- كتب ورسائل نحويّة:

1. **ارتقاء السّيادة في علم أصول النّحو (ارتقاء السّيادة لحضرة شاه زادة) ليحيى الشّاويّ**، وهو كتاب في أصول النّحو أشبه ما يكون بالاقتراح للسّيوطيّ، بيّضه قبل رحلته الأولى إلى بلاد الرّوم، وجعله باسم السّلطان محمّد، وكان قد جمع مادّته في شبابه، ولم يتيسّر له تبييضه إلى أن وجد سدّة في وقته، وقد حقّقه الدّكتور عبد الرّزّاق عبد الرّحمن السّعديّ، وطبع أكثر من مرّة.
2. **إعراب آيات شذور الذهب**، أبو القاسم بن محمّد البجائيّ، تح: سعد بن محمّد بن عبد الله الرّشيد، (أطروحة دكتوراه)، الجامعة الإسلاميّة بالمديمة النوّرة، السّنة الجامعيّة (1411ه).
3. **إلحاق العيّ بفهم معاني (أيّ) ليحيى الشّاويّ:** ذكره بهذا العنوان عبد الرحمن الجيلالي[79]، وذكره قبله العجيميّ بعنوان: **(إزَالَةُ العَيِّ عَنْ مسألة أيّ)**، وتوجد رسالتان مخطوطتان في الكلام على (أيّ) في المكتبة الظَّاهريَّة ضمن مجموعَيْنِ، الأُولى برقم:4872، والثَّانية برقم: 6867، نُسِبَتْ إحداهما ليحيى بن محمَّد المغربيّ، وذكر المفهرس أنّه المتوفى في (685ه)، والأصحُّ أنَّها ليحيى الشَّاويِّ، لورودها ضِمْنَ بعضِ رسائِله، وناسخُها أحدُ تلاميذِه نسخها في حياتِه (1091ه)،

وأتبعها في إحدى النُّسخ برسالةٍ أخرى ابتدأَها بقوله: (وقال سلَّمهُ الله). وقد أطال النّفس في الحديث لفظ (أيُّ) في حاشيته على المرادي من آخر اللّوحة (134/ب) إلى اوّل اللّوحة (141/أ)، ناقلًا أقوال العلماء معلّقا عليها تأييدًا وردًّا، مستدلًّا في المسألة بالقرآن والشّعر الفصيح.

4. **رِسَالَةُ فِي الفَرْقِ بَيْنَ عَلَمِ الجِنْسِ وَاسْمِ الجِنْسِ ليحيى الشّاويّ:** نسبت إليه في خزانة التُّراثِ، وإلى يحيى بن محمّد بن أحمد الفهريّ المغربيّ (ت: 685هـ) في الظَّاهريَّة في إحدى نسختَيْهَا برقم:6867، وفي أخرى برقم: 4872 مجهولة المؤلِّفِ. وقد وقفتُ على النُّسخة الأخيرةِ منَ الظَّاهريَّةِ وهي ضمن المجموع السَّابقِ الذِّكر، ممّا يدلّ على أنّها له، وهي منسوخة في حياته، وهي رسالة مختصرة وفيها نقل عن ابنِ مرزوقٍ (ت:842هـ) ممَّا يدلُّ على أنَّها للشَّاويّ لا للفهريّ، وقد أطال الشَّاويُّ النَّفَسَ في حاشيته على المراديّ في بيان الفرق بين اسم الجنس وعَلَمِ الجنس، فاستغرق ذلك مِنْ (101/أ) إلى (115/أ)، وقد ختم ذلك الاستطراد بقوله: « وقد كفَيْتُكَ التَّعَبَ في جمع شيءٍ لا أظنُّ أنَّك تجدُه مجموعًا في كتابٍ، فأخلصْ مِنْ دُعائك واللّه الموفِّقُ، ويصحُّ أنْ يُفْرَدَ هذا المحلُّ مِنْ هذه الحاشيةِ، ويُجْعَلَ رسالةً مُستقلَّةً وتَسُمَّى: (رَفْعَ الإِلْبَاسِ عَنْ أَعْلَامِ الأَجْنَاسِ)، واللّهُ الموفِّقُ بمنّهِ.» [80]

5. **مَدُّ البَاعِ فِي إِعْرَابِ (إِلَّا ذِرَاع) ليحيى الشّاويّ:** مِنْهُ نُسختانِ مخطوطتان إحداهما في المكتبة الوطنيَّة بتونس برقم15089، ونسخةٌ تركيَّةٌ في رشيد أفندي برقم: (1006)، والرِّسالة نسبت في نسخة تونس إلى ابنِ عظُّوم لوجودها ضمن مجموعٍ له[81]، أمَّا العجيميُّ فأوردها بعنوان: **(قَطْعُ النِّزَاعِ مِنْ قَوْلِ صَاحبِ الهِدَايَةِ[82]: (وَلَا يَجُوزُ فِيمَا بِيعَ إِلَّا ذِرَاع)**، أوردَه صاحب الوقاية يبالنَّصبِ (ذراعًا)، وقال المنلا خسرو في (دُرَرِ الحُكَّامِ شَرْحِ غُرَرِ الأَحْكَامِ)[83] : (مَا وَقَعَ فِي الْوِقَايَةِ مِنْ قَوْلِهِ إِلَّا ذِرَاعًا بِالنَّصْبِ كَأَنَّهُ سَهْوٌ مِنْ النَّاسِخِ.)، فوقع الخلاف في صحَّة النَّصب من عدمها وتباينت أقوالهم فيها، فألَّف الشَّاويُّ هذه الرِّسالةَ مبديًا رأيه فيها. والرِّسالة مخطوطةٌ في مجموع للشَّاويّ (رشيد أفندي 1006)، وناسخها

أحد تلاميذه وعليها خطُّه، نسخها وقابلها على نسخة المؤلِّف، وألَّفها لشيخ الإسلام مصطفى أفندي.

6. **إِتْحَافُ المَعَانِي فِي المُحَاكَمَةِ بَيْنَ الدَّمَامِينِي وَالبَنْبَانِيّ ليحيى الشّاويّ:** ذكره العجيميُّ أيضًا[84]، وهو محاكمة في اعتراضات البنيانيّ على الدَّماميّ في بناء الاسم الأوَّل منْ مثل: (محمَّدَ شاه)، و(مُظَفَّرَ شاه)، وردَّ الدَّماميُّ على تلك الاعتراضات في (الفتحِ الرَّبَّانيّ في الردِّ على البنبانيّ).[85]
7. **تَقْيِيدٌ عَلَى بَيْتٍ لابْنِ مَالِكٍ فِي الأَلْفِيَّةِ ليحيى الشّاويّ:** مخطوطٌ ضمن مجموعٍ بالأزهريّة، نقلَهُ عنه أحدُ تلاميذه بمعناه، والظَّاهر أنَّ النَّقلَ كان منْ درسِ الشَّيخِ وتعليقاته على الألفيَّة. والبيت الَّذي عليه التَّقييدُ هو قوله:

كَـــذَاكَ ذُو التَّشْـــبِيهِ بَعْـــدَ جُمْلَـــهْ ... كَـــ«لِـــي بُكـــاً بُكَـــاءَ ذَاتِ عُضْـــلَهْ

8. **درع الحجاب في جمع بعض ما خفي في الظاهر عن الجواب (الألغاز) لبركات بن باديس القسنطينيّ**، وهو كتاب اشتمل على ألغاز .
9. **النُّكت المستجادة في اتّحاد الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة لأحمد بابا**، توجد نسخة منه في الخزانة الحسنية بالمغرب وقد تمَّ نشر الكتاب بتحقيق أحمد فتحي البشير ونشرته دار درة الغواص لنشر مكنون العلم ومصونه سنة 2021م.
10. **إعراب بيت لمجنون ليلى لأحمد المقّريّ[86]:** هو جواب سؤال عن إعراب شطر بيت لمجنون ليلى وهو قوله:

أَتُوْب إِلَيْك يَا رَحْمَانُ مِمَّا ... جَنَيْتُ فَقَدْ تَكَاثَرَتِ الذُّنُوْبُ

وَأَمَّا مِنْ هَوَى لَيْلَى وَتَرْكِي ... زِيَارَتَهَا فَإِنِّي لَا أَتُوْبُ

وموضع الإشكال في البيت هو عطف قوله (**تَرْكِي زِيارَتَها**) على قوله (**مِنْ هَوَى لَيْلَى**)، إذ يصير المعنى أتوب من هوى ليلى وأتوب من ترك زيارتها وهو فاسد المعنى.
فذكر المقّريّ روايات البيت، وتوجيعات بعض النّحويّين له، وما يراه هو من تخريج.

11. **إتحاف أهل السّيادة في ضوابط حروف الزّيادة لأحمد بن قاسم البّونيّ**: لم أقف على هذه الرّسالة وقد ذكرها منسوبة إليه، وهو فيما يظهر رسالة تتناول حروف الزّيادة في الألفاظ العربيّة وطرق معرفتها.

و- تراجم النّحاة:

1- **التّنقيح ببعض أحوال رجال طالعة التّصريح على التّوضيح (تراجم النّحاة):** ومن عنوانه يظهر أنّه ترجمة لبعض النّحاة الّذين ورد ذكرهم على التّصريح على التّوضيح لخالد الأزهريّ، ويبدو أنّه ترجمات مختصرة.

2- **فتح المعين لذكر من اشتهر من النّحاة واللّغويّين لأحمد بن قاسم البّونيّ**: لم أقف على هذا الكتاب وقد ذكر منسوبًا إليه في تعريف الخلف برجال السّلف.[87]

نتائج البحث:

بعد هذه الجولة في استعراض أهمّ المؤلّفات الجزائريّة النّحويّة والصّرفيّة في القرن الحادي عشر نستخلص ما يلي:

1- يمكن اعتبار تلك المؤلّفات وموضوعاتها امتداد لما عرف عن علماء جزائريّين في القرون السّابقة لهم، فقد اهتمّوا بكتب نحويّة نالت اهتمام السّابقين شرحا وتحشية.

2- أغلب تلك الشّروح والحواشي كانت حول كتب أصحابها إمّا مغاربة أو أندلسيّين كابن مالك، والآجروميّ، والمجراديّ، والمكوديّ، والمراديّ.

3- أغلب تلك المؤلّفات كانت دوافعها تعليميّة، فقد كانت استجابة لطلبات بعض التّلاميذ، والقصد منها تذييل بعض ما غمض من الكتب الّتي كانت محلّ دراسة عند الطّلبة.

4- تعدّدت طريقة التّأليف في هذا القرن ففيها الكتب أو الرّسائل المستقلّة الّتي ألّفها أصحابها ابتداءً نثرًا ونظمًا، والنّظم المرتبط بكتاب نثريّ كنظم الآجروميّة، وشروح الكتب، أو الحواشي على الشّروح، ومنها ما تناول شرح الشّواهد الشّعريّة، ومنها ما كان في باب تراجم النّحاة واللّغويّين.

5- نالت كتب النّحو الاهتمام الأكبر مقارنة بكتب الصّرف، وكانت أغلب كتب الصّرف شروحًا للامية الأفعال لابن مالك، وشرحا واحدًا لكتاب المرادي في التّصريف.

6- عدد المؤلّفات الّتي استطعت الوقوف على عناوينها وصل إلى ثلاث وستّين (63) عنوانًا منها واحدٌ وعشرون (20) شرحًا، وستّ عشرة (16) حاشية، وثماني (8) شروح للشّواهد النّحويّة، وستّ (6) منظوماتٍ، وعشر (10) كتب ورسائل، وكتابان (2) في تراجم النّحاة.

7- كان أغلب الشّروح والحواشي على كتب المغاربة والأندلسيّين، كألفيّة ابن مالك، ولاميّته، والآجروميّة، ولاميّة المجرادي، وشرح المرادي على الألفيّة، وشرح المكوديّ، أمّا كتب المشارقة فكتاب شذور الذّهب والقطر، وكذا قواعد الإعراب لابن هشام، وشرح الأشمونيّ.

8- تنوّعت المؤلّفات النّحويّة والصّرفيّة الجزائريّة في القرن الحادي عشر بين نظم ومنثور، واختلفت أيضا بين شروح، وحواشي على كتب أو منظومات، وبين كتب مستقلّة غير مرتبطة بمتن معيّن.

9- اهتمّ بعض العلماء بالشّواهد الشّعريّة الواردة في بعض كتب النّحو شرحا أو إعرابًا.

10- لقيت بعض هذه المؤلّفات اهتماما من جهة التّحقيق، فحقّق بعضها في رسائل أكاديميّة بقيت حبيسة رفوف الجامعات، وبعضها طبع ونشر، فيما بقي كثير منها ينتظر إقبال المحقّقين عليه وإخراجه إلى الدّارسين والقرّاء.

11- بعض المؤلّفات النّحويّة عرفت فقط من خلال تراجم أصحابها، لكنّها في حكم المفقود، عسى أن ينفض عنها الغبار وتظهر إلى العلن.

وأختم هذه المداخلة بذكر بعض التّوصيّات المتعلّقة بهذه المخطوطات وغيرها من تراثنا المخطوط:

b. ينبغي أن توجد هيئة رسميّة تعنى بالمخطوطات الجزائريّة عموما استرجاعًا من أماكن تواجدها ولو تصويرا، وصيانتها، ورقمنتها، وحفظها، وفهرستها.

c. يحتاج التّراث اللّغويّ عموما والنّحويّ الصّرفيّ على وجه الخصوص إلى مزيد اهتمام من المتخصّصين من خلال جمعه، وتحقيقه ونشره.
d. العمل على إبراز هذا التّراث وقيمته من خلال عقد ملتقيات أخرى تخصّص لكلّ قرن أو لفترات زمنيّة محدّدة من أجل تركيز الجهود على تلك الفترات وإبراز ما هو مبعثر في بطون الكتب أو الوقوف على مختلف النسخ المخطوطة المنتشرة في مكتبات العالم.
e. شماني محمّد، (رسالة ماجستير)، جامعة الشّلف، (2007م/2008م).
f. **قيد الشّوارد بشرح الشّواهد**، بركات بن عبد الرحمن بن باديس، تح: رابح شلوش، (ماجستير)، جامعة مولود معمريّ، تيزي وزو، الجزائر، (2009-2010م).

الإحالات:

(1) – بغية الوعاة:525/1. وقد كانت شهرته أكثر في الأدب وعلم الخبر والنّسب.

(2) – ينظر: بغية الوعاة:513/1.

(3) – يقول: (كَانَتْ وَالِدَتِي تَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَكِتَابَ الْجُمَلِ فِي النَّحْوِ لِلزَّجَّاجِيِّ وَكَتَبَتِ الْمُدَوَّنَةَ بِخَطِّهَا.)
ينظر: معجم السّفر لأبي طاهرالسّلفيّ:172.

(4) – الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة:210/5.

(5) – وله نسختان مخطوطتان إحداهما ببرلين نسخت سنة (595هـ) مقروءة على مؤلّفها، وأخرى بكلكتا بالهند متأخّرة عنها.

(6) – من أشهر شروحها شرح ابن الخبّاز (الغرّة المخفية)، وشرح الشّريشيّ، وشرح ابن القوّاس، ينظر: عنوان اة

(7) – من أشهر شروحه شرح ابن إياز (ت:) المسمّى: (المحصول في شرح الفصول).

(8) – ينظر: عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغِبْرِيني، تح: عادل نويهض:70.

(9) – ينظر: الوافي بالوفيات:289/3.

(10) – ربما يحتاج إلى إعادة تحقيق ونشر خاصّة مع ظهور نسخ مخطوطة منسوخة في حياته أو قريبة من عهده.

(11) – للأسف أغلب كتبه في حكم المفقود.

(12) – ينظر: ذيل ابن العراقي على العبر:392/2، وكشف الظنون:1428/2.

(13) – ينظر: غاية النهاية في طبقات القرّاء:128/1.

(14) – هذه الرّسائل الثّلاث محقّقة.

(15) – نسب هذا الشّرح لأحمد بن محمّد المقّريّ المتوفى (101هـ) والنّسبة إليه خاطئة ولا شكّ أن تشابه الأسماء هو السّبب.

(16) – ينظر في معرفة المؤلّفات النّحويّة الجزائريّة في كتاب (فهرسة معلمة التّراث الجزائريّ) لبشير ضيف، وكتاب (المصنّفات اللّغويّة للأعلام الجزائريّة عبر القرون) للمختار بوعناني.

(17) – ينظر: منشور الهداية:109/94/93.

(18) – المقصود بعلماء القرن الحادي عشر في هذا البحث من عاش جزءًا من القرن العاشر، وجزءًا من القرن الحادي عشر، أو من عاش خلال القرن الحادي عشر، أو ولد في آخر ثلاثين سنة القرن الحادي عشر يمكن فيه أن يكون فيها في فترة العطاء والتّأليف.

(19) – لا يعني ذلك القطع بأنّهم لم يؤلّفوا شيئًا، غاية ما هنالك أنّ كتب التّراجم لم تشر إلى أيّ من مؤلّفاتهم النّحويّة والصّرفيّة.

(20) – سيأتي استعراض مؤلّفاتهم والكلام عليها باختصار لضيق المقام.

(21) – ينظر مقدمة المؤلّف على شرحه على اللّامية، نسخة المكتبة الوطنية التّونسية برقم:2936 (1/أ)

(22) – مقدّمة فتح المالك على لامية ابن مالك، تح: صالح الشّبل؛ ص:81.

(23) – توجد من الكتاب نسختان مخطوطتان إحداهما بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة ناقصة الآخر تقع في 239 ورقة، والأخرى بدار الكتب المصريّة.

(24) – تنظر مقدّمة الشّارح في مخطوط (الكوكب الجوال) نسخة المكتبة الوطنيّة الجزائريّة (برقم3 /201).

(25) – تقع الأرجوة في أربعة مائة بيت وتسعة أبيات، وقد شرحها غير واحد، ومن أشهر شروحها شرح الدّقّون المسمّى (بداية التّعريف في شرح البسط والتّصريف).

(26) – ينظر: وتعريف الخلف برجال السّلف:194/1. ولم أجد النّصّ في كنز الرّواة.

(27) – تنظر مقدّمة فتح اللّطيف (أطروحة دكتوراه)، تح: ابن إبراهيم السّعيد، جامعة الجزائر (200-2005م)، ص:86-87.

(28) – هو أبو عبد الله محمّد السّلاوي ابن المجراد المغربيّ (ت:776هـ).

(29) – للشّرح نسخ مخطوطة كثيرة، ولم أقف على تحقيق لها.

(30) – ينظر: فتح الهادي شرح جمل المجراديّ (مخطوط)، دار الكتب المصريّة (360 مجاميع تيمور)، الكتاب الأوّل ضمن المجموع.

(31) – ينظر: شرح الآجرومية للمصعبيّ الغرداويّ، تحقيق: يوسف خنفر، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، (2009-2010).

(32) – تنظر مقدّمة المؤلّف من **الفتوح القيّوميّة في شرح الآجروميّة**، أحمد بن بابا بن آقد السّودانيّ، تح: بن شماني محمّد، (رسالة ماجستير)، جامعة الشّلف، (2007م/2008م).

(33) – ينظر جامع الشّروح والحواشي، عبد الله محمّد الحبشي:33/1.

(34) – وقد وقفت على نسختين مخطوطتين من شرح الآجروميّة نسبت إحداهما إلى أحمد البونيّ دون تفصيل، ونسخت سنة 1039هـ أي في السّنة الّتي توفي فيها أحمد بن قاسم البونيّ، الظّاهر أنّها منسوخة في حياته، والأخرى ناقصة الآخر.

(35) – خلاصة الأثر:171/1، وهدية العارفين:156/1.

(36) – وقفت للمخطوط عليه نسختين مخطوطتين تمثّلان النّصف الأوّل من الكتاب فقط، تنتهي النّسخ التونسية عند باب التّعجّب، أما النسخة السّعوديّة فتنتهي عند المفعول المطلق. وفيه نسختان أخريان في المكتبة التونسية ونسخة في إحدة خزائن ولاية أدرار بالجزائر، ولم أطّلع عليهما.

(37) – ينظر: مقدّمة بغية السّالك على ألفية ابن مالك، مخطوط، المكتبة التونسية، رقم 7915، (1/ب). والجزء الأوّل قيد التّحقيق في جامعة

(38) – خلاصة الأثر:235/3، وهديّة العارفين:533/2.

(39) – مشيخة أبي المواهب الحنبليّ:92.

(40) - مخطوط حاشية الشّاوي على شرح المراديّ: (78/أ).

(41) – صدر الشّرح بتحقيقيّ، وقد وقفت على سبع نسخ منه، منها نسختان فيهما من الزّوائد ما ليس في الأخرى.

(42) – خبايا الزّوايا: 444.

(43) – تاريخ الجزائر العام:180/3.

(44) – ينظر: تقارير على نظم الخلاصة وشرحها المكوديّ للزّيّاتيّ (مخطوط) المكتبة الوطنية لجزائريّة (2188).

(45) – توجد نسخة منه في مكتبة الاسكوريال، وأخرى بالخزانة الحسنية.

(46) – شرح المكلّاتيّ هو اختصار لشرح محمّد بن العبّاس التّلمسانيّ للّاميّة المسمّى (تحقيق المقال وتسهيل المنال). ينظر: شرح مختصر على لامية الأفعال في علم الصّرف للمكلّاتي، تح: محمّد الناصيريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى: (2016م)، ص: 4-6.

(47) – ينظر المرجع السّابق: ص: 6-7.

(48) – توجد نسخة منه في الخزانة الحسنية.

(49) – ينظر طرر على شرح المراديّ، محمّد التواتي، مخطوط بمكتبة الموهوب ألحبيب ببجاية، ولعلّها النّسخة الوحيدة المعروفة لحدّ الآن.

(50) – منشور الهداية:59.

(51) – في فهرس المكتبة الوطنيّة التّونسيّة مخطوط بعنوان (حاشية على شواهد شذور الذّهب) منسوب للبجائيّ، وهو يختلف عن (شرحي شواهد الشّذور) فلعلّه هو، لكن ينغّص عليه ما في قيد الفراغ من قوله: **هذا ما أردت تقييده أواخر ربيع الأول من مولده صلى الله**

عليه وسلم من عام 1068هـ. فإن المعلوم أنّع قد توفي قبل ذلك، يدلّ عليه وجود مختصر لهذه الشواهد منسوب للفيشيّ المتوفّى (1061هـ) وفيه التّرحم عليه.

(52) – ينظر: مخطوط شرح شواهد شذور الذّهب، نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم 7476. (قيد الفراغ)

(53) – توجد نسخة وحيدة منه في مكتبة وزارة الشّؤون الدينيّة الجزائريّة وهي نسخة غير تامّة، تنتهي عند الكلام على حروف الجرّ.تقع في 157 ورقة.

(54) – نسخ المخطوط فيما وقفت عليه قليلة، منها نسخة شبه تامّة تقع في ثلاثة أجزاء في السّعوديّة (الجزء الأوّل اقص من أوّله)، ونسخة في الجزائر وأخرى في تونس وكلاهما ناقصتان.

(55) – تجدر الإشارة إلى أنّ للشاوي رسالتين في هذين الموضوعين، لكنهما مختصران مقارنة بما في الحاشية.

(56) – وقد حقّقت بالمملكة العربيّة السّعوديّة في جامعة طيبة وجاامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، وفي جمهوريّة مصر في الأزهر وجامعة الزّقازيق.

(57) – بغية الطالبين لبيان المشائخ المحقّقين المعتمدين، أحمد النّخليّ المكيّ:41.

(58) – ينظر المحاكمات بين أبي حيان والزمخشريّ وابن عطية، تح: محمّد عثمان:47/1.

(59) – حاشية الشّاوي على شرح المراديّ على الخلاصة:131/أ.

(60) – قلت: وهذا التّصريح يدلّ على أنّ يحيى الشّاويّ قد أكمل الحاشية على شرح الدّماميّ على التّسهيل، وهو عكس ما قاله عبد الرحمن الجيلالي من أنّه لم يكتمل. ينظر: تاريخ الجزائر العام:176/1.

(61) – بغية الطالبين للنّخليّ:41.

(62) - تاريخ الجزائر العام:176/3.

(63) – ينظر: تاريخ الجزائر العام:176/3.

(64) – خبايا الزّوايا للعجيميّ: 444.

(65) – ينظر: قيد الشّوارد بشرح الشّواهد، بركات بن عبد الرحمن بن باديس، تح: رابح شلوش، (ماجستير)، جامعة مولود معمريّ، تيزي وزو، الجزائر، ص:، والحلل السندسية في الأخبار التونسيّة، محمّد بن محمّد الوزير السّرّاج الأندلسيّ، تح:محمّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، الطّبعة الأولى: (1985م)، ج:1، ص:147.

(66) – توجد نسخ مخطوطة عديدة بعنوان (وشرح شواهد شذور الذّهب للبجائي) خاصّة في المكتبة الوطنية التّونسية، لكن دون تمييز بين المتوسّط والكبير، وقد وقفت على نسخة

تمثّل الشّرح المتوسّط، وعلى نسختين من الشّرح الكبير صرّح في أحدهما النّاسخ المحجوز - وهو تلميذ المؤلّف- أن تلك النّسخة تمثّل الشّرح الكبير منهّا إلى وجود شرح صغير وآخر متوسّط وثالث كبير لشواهد الشّذور)، والّذي يغلب على ظنّي أنّه بعد كتابه (إعراب آيات شذور الذّهب) منها، يدلّ على ذلك أنّ تارسخ نسخه لتلك النّسخة هو (1049ه) وقد ألف البجائيّ إعراب الآيات سنة (1047ه).

(67) – حقق الدّكنور بن لقريشيّ عمار أحد الشّرحين ولم يبيّن أيهما في رسالته للدكتوراه بجامعة الجزائر سنة 2013م.

(68) – إعراب آيات شذور الذهب، أبو القاسم بن محمّد البجائيّ، ج1، ص:92.

(69) – للأسف شوّه المحقّق تحقيقه في قسم الدّراسة تشويها كثيرًا مخالفًا الأمانة العلميّة، واعتمد كما ذكر على نسختين اثنتين فقط - مع التّحفّظ – تونسيّة وجزائريّة، لذلك إعادة تحقيق الكتاب مع وفرة النّسخ يعدّ أمرا محمودًا.

(70) – فرغ المؤلّف منه سنة (1030ه).

(71) – لم أر من تصدّى إلى تحقيق الكتاب وهو جدير بالاهتمام، توجد منه نسخة في المكتبة التونسيّة.

(72) – للكتاب نسخة بالمكتبة التونسية وأخرى بمكتبة في غرداية.

(73) – توجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة المسجد النّبويّ.

(74) – جاءت هذه الألفاظ: (المطلع، والمحمدة، والمظلمة) بفتح العين وكسرها.

(75) – ذكر ذلك يحيى الشّاويّ في مقدّمة شرح الدّر النّضيد (مخطوط)، والمحبّي في خلاصة الأثر:235/3.

(76) – وقفت على نسخة وحيدة من النّظم في الظّاهريّة، وقد كتب النّاسخ النّظم كلّه في ورقة واحدة.

(77) – عندي منه نسخة مخطوطة.

(78) – وقفت على نسخة مخطوطة منه، وهي نسخة قيّمة قابل متملّكها النّظم على عدّة نسخ منها نسخة بخطّ المؤلّف، وأثبت الفروق بين تلك النّسخ على الحواشي.

(79) - تاريخ الجزائر العام:176/3.

(80) – حاشية الشّاويّ على شرح المراديّ للخلاصة:115/أ.

(81) – ينظر كتاب: (يحيى الشّاويّ حياته، وأسفاره وآثاره) لإسماعيل زيّان:124-125

(82) – لعلّ الصّواب: (الوقاية) كما صرّح بذلك الشّاويُّ في رسالته، ومنلا خسرو في درر الحكام.

(83) – ينظر: درر الحكام شرح غرر الأحكام، منلا خسرو الحنفيّ، (وبهامشه حاشية: (غنية ذوي الأحكام في بغية درر الأحكام)، لأبي الإخلاص حسن بن عمار بن عليٍّ الوفائيّ الشُّرنبلاليّ الحنفيّ ، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط. د. ت:214/2.

(84) – خبايا الزَّوايا: 444.

(85) – وقفت له على نسخٍ مخطوطةٍ.

(86) – وقفت على نسختين مخطوطتين منه.

(87) – تاريخ الجزائر لعبد الرحمن الجيلالي:181/3.

المصادروالمراجع:

المخطوطات:

- **بغية السّالك على ألفية ابن مالك**، مخطوط، المكتبة التونسية، رقم 7915.
- **حاشية الشّاويّ على شرح المراديّ للخلاصة**، يحي الشّاويّ، مكتبة لالة لي، 3246.
- **حاشية على نظم الخلاصة وشرحها المكوديّ**، الحسن بن بوسف الزّيّاتيّ، المكتبة الوطنية لجزائريّة (2188).
- **خبايا الزّوايا**، حسين بن عليّ العجيميّ، دار الكتب المصريّة:2410 تاريخ/ الحرم المكيّ:2804.
- **طررعلى شرح المراديّ**، محمّد التواتي، مخطوط بمكتبة الموهوب ألحبيب ببجاية برقم:
- **شرح شواهد شذور الذّهب**، بلقاسم بن محمّد البجائيّ، نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم 7476.
- **شرح لامية الأفعال**، محمّد التّواتيّ، نسخة المكتبة الوطنية التّونسية برقم: 2639 .
- **فتح الهادي شرح جمل المجراديّ**، عبد الكريم الفكّون، دار الكتب المصريّة (360 مجاميع تيمور) .
- **الكوكب الجوال شرح لامية الأفعال**، محمّد بن مجمّد المستغانميّ، نسخة المكتبة الوطنيّة الجزائريّة (برقم3 /201).

الكتب :

- **بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة**، جلال الدّين السّيوطيّ، تح: محمّد إبراهيم أبو الفضل، المكتبة العصريّة، لبنان، ط. د ت.
- **بغية الطالبين لبيان المشائخ المحقّقين المعتمدين**، أحمد النّخليّ المكيّ، ذائرة العارف النظاميّة، حيدر أباد، باكستان، الطبعة الأولى: (1328ه).
- **تاريخ الجزائر العام**، عبد الرّحمن الجيلاليّ، الدّيوان الوطني للمطبوعات الجامعيّة، بن كنون، الطّبعة السّابعة، الجزء الثّالث، (1415ه-1994م).
- **تعريف الخلف برجال السّلف**، أبو القاسم الحفناويّ، مطبعة بيير فونتانة الشّرقيّة، الجزائر، 1334ه-1906م.
- **الحلل السندسية في الأخبار التونسيّة**، محمّد بن محمّد الوزير السّرّاج الأندلسيّ، تح:محمّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، الطّبعة الأولى: (1985م)
- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، دار صادر – بيروت.
- **ذيل ابن العراقي على العبر**، زين الدّين عبد الرّحيم العراقيّ، تح: أحمد عبد السّتّار، دار الذّخائر، طبعة (1440 ه- 2019م).
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشيّ، تح: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة: الأولى: (2012 م).
- **شرح الدّر النّضيد في إعراب كلمة التّوحيد**، يحيى الشّاويّ، تح: سالم شرابي، دار خيال للنّشر والتّوزيع، برج بوعريريج، الجزائر، الطّبعة الأولى: (2024م).
- **شرح مختصر على لامية الأفعال في علم الصّرف، للمكلّاتي**، تح: محمّد الناصيريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى: (2016م).
- **عبد الكريم الفكّون داعية السّلفيّة**، أبو القاسم سعد الله، جامغة الجزائر، الطّبعة الأولى: (1987م).

- **عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغِبْرِيني، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية (1979م).
- **غاية النّهاية في طبقات القرّاء**، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، تح: ج. برجستراسر، طبع مكتبة ابن تيمية، (1351هـ).
- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، محمّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي–بيروت، الطبعة: 2، 1982م.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة، طبعة: (1941م).
- **كنز الرّواة المجموع من درر المسموع أو مقاليد الأسانيد**، أبو مهدي عيسى بن محمّد الثّعالبيّ، تح: عوّاد الخلف، وقاسم علي سعد، جامعة الشّارقة، الطّبعة الأولى: (1441هـ-2020م).
- **المحاكمات بين أبي حيّان و ابن عطيّة والزّمخشريّ**، يحيى الشّاويّ، تح: محمّد عثمان، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى (1430هـ-2009م).
- **مشيخة أبي المواهب الحنبليّ**، محمّد بن عبد الباقي الحنبليّ البعليّ، تح: محمّد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطّبعة الأولى: (1410هـ-1990م).
- **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: (1400 هـ - 1980 م).
- **معجم السّفر**، أبو طاهر السِّلفيّ، عبد الله عمر البارودي، المكتبة التّجاريّة، مكة المكرمة، ط. د. ت.
- **منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والرّواية**، عبد الكريم الفَكون، تح: أبو القاسم سعد الله، جامغة الجزائر، الطّبعة الأولى: (1987م).

- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفديّ، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة:(1420 هـ- 2000م).
- **هديّة العارفين**، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
- **يحيى الشَّاويّ حياته، وأسفاره و آثاره**، إسماعيل زيَّان، دار خيال للنّشر والتّزويع، برج بوعريريج، الجزائر، الطّبعة الأولى: (2022م).

الرّسائل الأكاديميّة:

- **شرح الآجرومية**، أبو القاسم بن يحيى لمصعبيّ الغرداويّ، تحقيق ودراسة: يوسف خنفر، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، (2009-2010).
- **فتح اللّطيف**، تح: ابن إبراهيم السّعيد، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الجزائر، (2000-2005م)
- **فتح المالك على لامية ابن مالك**، عبد الكريم الفكّون، تح: خالد بن صالح بن حمد الشّبل؛ (أطروحة دكتوراه)، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، السّنة الجامعيّة: (149هـ-1430هـ).

الفتوح القيّوميّة في شرح الآجروميّة، أحمد بن بابا بن آقد السّودانيّ، تح: بن.

المصنفات اللغوية لعلماء تلمسان ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين -دراسة في مضامينها المعرفية-

أ.د/ خالد بلعربي جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس

belarbi.tlemcen@yahoo.fr

مقدمة:

يعتبر القرنين السابع والتاسع الهجريين(13-15م) العصر الذهبي في المغرب الأوسط، حيث برزت تلمسان، كحاضرة علمية ومركز إشعاع حضاري وفكري، وعلى الرغم من التقلبات السياسية والصراعات الداخلية والخارجية التي اتسمت بها هذه الحقبة، إلا أن الحركة العلمية بتلمسان لم تتأثر بشكل كبير، بل حافظت على حيويتها وازدهارها، ومكانتها كقبلة للعلماء والطلاب، مما جعلها منارة للعلم والمعرفة في المنطقة، وكان للحركة العلمية اللغوية دور محوري في هذه النهضة العلمية إذ شهدت هذه الفترة ازدهارًا ملحوظًا في الحركة اللغوية، في هذا السياق يندرج موضوع بحثنا الموسوم ب" المصنفات اللغوية لعلماء تلمسان ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين-دراسة في مضامينها المعرفية- إذ يعدّ هذا الموضوع من المواضيع الثرية والعميقة، نظرا لأنه يكشف عن مدى ازدهار الحركة العلمية في هذه الحاضرة العلمية وتعدد مجالاتها، كما أن هذه المصنفات مرآة تعكس التطور الفكري والأدبي الذي شهدته تلمسان في تلك الفترة، متجاوزةً بذلك التقلبات السياسية.

وإذا كانت المصنفات اللغوية لعلماء تلمسان في القرنين السابع والتاسع الهجريين تُعتبر مرآة تعكس ازدهار الحركة العلمية، فإن إشكالية البحث تكمن في: كيف استطاع علماء تلمسان إنتاج مصنفات لغوية غزيرة ومتنوعة، حافظت على استمراريتها وثرائها، في ظل التقلبات السياسية وعدم الاستقرار الذي عرفته هذه

الفترة التاريخية؟، وماهي مضامينها المعرفية؟ وما هي الخصائص التي ميزت هذه المصنفات عن غيرها في الحواضر الأخرى؟

وبالتالي تدور محاور هذه الإشكالية في:

الأول: علاقة إنتاج المصنفات اللغوية بالوضع السياسي، وهل كان هناك دعم من السلاطين، أم أن الحركة العلمية كانت مستقلة بذاتها؟

الثاني: تأثير هجرة العلماء من الأندلس إلى تلمسان على المصنفات اللغوية، وما هي أوجه التلاقح الفكري بين المدرستين؟

الثالث: ما هي أبرز السمات المنهجية والموضوعية التي تميزت بها هذه المصنفات، كتركيزها على الشرح والاختصار، وعلاقتها بالعلوم الشرعية؟

الرابع: هل كانت هذه المصنفات مجرد تكرار لأعمال سابقة، أم أنها قدمت إضافات نوعية جديدة أثرت المكتبة العربية؟

إن اختيار موضوع "المصنفات اللغوية لعلماء تلمسان في العهد الزياني" ينبع من عدة أسباب جوهرية تبرز أهميته الأكاديمية والبحثية:

-التناقض بين الواقع السياسي والحيويّة العلمية: إذ يعد هذا الموضوع مثيرًا للاهتمام لأنه يسلّط الضوء على ظاهرة فريدة، وهي استمرارية وازدهار الحركة العلمية اللغوية في تلمسان على الرغم من فترات عدم الاستقرار السياسي والصراعات الداخلية والخارجية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، ويتيح هذا التناقض فهم كيفية تحوّل المدينة إلى مركز فكري، حيث استمر الإنتاج الفكري حتى في أحلك الظروف السياسية.

-أهمية تلمسان كمركز حضاري حيث كانت في هذه الفترة بمثابة "ملتقى الحضارات"، فاستقطبت العلماء من الأندلس والمغرب والمشرق. لذلك، فإن دراسة مصنفاتها اللغوية تكشف عن التفاعل الفكري الفريد وتلاقح المدارس اللغوية المختلفة، مما يعكس غنى البيئة الثقافية في المدينة وتأثيرها المتبادل على حواضر أخرى مثل غرناطة وفاس وتونس.

-إبراز إسهام علماء اللغة التلمسانيين ومساهمتهم في علوم اللغة والكشف عن مصنفاتهم اللغوية القيمة، من النحو والصرف والبلاغة. وتحليل خصائصها المنهجية

والموضوعية، وتأكيد أن هذه الأعمال لم تكن مجرد تكرار لما سبقها، بل قدمت إضافات نوعية أثرت المكتبة العربية الإسلامية، كما أن هذا الموضوع يساهم في إحياء التراث العلمي لبلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني.

تكمن أهمية هذا الموضوع الأكاديمي في عدة جوانب محورية:

- تسليط الضوء على الدور المحوري الذي لعبته تلمسان كحاضرة للعلم وقبلة للعلماء وطلاب المعرفة في المغرب الأوسط، منافسة بذلك حواضر كبرى مثل فاس وغرناطة والقاهرة، خاصة في العهد الزياني.

- المساهمة في حفظ وإبراز التراث اللغوي لبلاد المغرب، الذي غالبًا ما يطغى عليه تراث المشرق، مما يعد وفاءً للجهود العلمية المغاربية.

- الكشف عن المضامين المعرفية النوعية التي أضافها علماء تلمسان، وتحديد مدى مساهمتهم في تطوير علوم اللغة العربية (النحو، الصرف، البلاغة، الأدب)، سواء بالإضافة أو الشرح أو النقد أو التركيب بين المدارس.

-تجاوز مجرد حصر العناوين إلى تحليل طبيعة هذه المصنفات، هل هي تأليف، شروح، حواشٍ، اختصارات، وما هي الأسس المنهجية والاصطلاحية التي اعتمدوها.

- أهمية المصنفات اللغوية بوصفها الأداة الأساسية لفهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية. فدراسة هذه المصنفات توضح كيف وظف علماء تلمسان اللغة لخدمة علوم الفقه، التفسير، والعقيدة، مما يؤكد ترابط العلوم في المنظومة الإسلامية.

إن "دراسة الموضوع تقتضي منا الجمع بين أكثر من منهج علمي لضمان العمق والتحليل، فقمنا بالاعتماد على المنهج التاريخي لتحديد السياق السياسي والاجتماعي للحركة العلمية في تلمسان بين القرنين السابع والتاسع الهجريين وحصر وتوثيق الأعلام اللغويين في هذه الفترة وترتيبهم زمنياً (كابن مرزوق، وابن خميس، والشريف التلمساني)، مع تتبع مسيرتهم العلمية وشيوخهم وطلابهم.

كما اعتمدنا على المنهج الوصفي في جمع المصنفات اللغوية المنسوبة للعلماء المدروسين ووصفها (اسم الكتاب، موضوعه، حجمه، هل هو مطبوع/مخطوط)، ثم تصنيفها بحسب الفنون اللغوية (نحو، صرف، بلاغة، أدب)، وكذلك على المنهج

التحليلي وهو جوهر البحث؛ وتم فيه تحليل المحتوى المعرفي للمصنفات المختارة، وتحديد الإشكاليات التي عالجتها، ونوعية الإضافة العلمية فيها، ونسبة اعتمادها على أصول المشرق أو استقلالها. المنهجية الداخلية: تحليل طريقة عرض المؤلف للمسائل اللغوية، واصطلاحاته ومصادره.

ولمعالجة هذا الموضوع ولم شتاته قمت بوضع خطة اشتملت على مايلي:

-عوامل ازدهار الحركة اللغوية بتلمسان ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين.

-أهم المصنفات اللغوية لعلماء تلمسان ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين.

-المضامين المعرفية لعلماء تلمسان ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين.

أولا: السياق التاريخي والبيئة المعرفية:

تأثرت الحركة العلمية بتلمسان بعوامل متعددة جعلت منها نقطة جذب للعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فكانت جسرًا يربط بين المشرق والمغرب، وعلى الرغم من فترات عدم الاستقرار السياسي في العهد الزياني، فقد استمرت الحركة العلمية في تلمسان وازدهرت بفضل عدة عوامل رئيسية:

1- دعم ورعاية سلاطين بني زيان للعلم والعلماء:

على الرغم من انشغالهم بالصراعات الداخلية والخارجية، كان سلاطين بني زيان، يقدمون الدعم المالي والمعنوي للعلماء، حيث بادروا منذ منذ المؤسس الأول يغمراسن بن زيان، بنصرة الحركة العلمية وتأييد العلماء.

ارتكز اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء على عدة أسس منهجية ومقومات شخصية، شكلت بمجموعها مناخاً خصباً للنشاط الفكري ومنها سياسة الجذب والترغيب حيث حرصوا على جذب العلماء والمفكرين، خاصة من الأندلس، بهدف إثراء العاصمة بالخبرات العلمية، فحرصوا فقاموا بتبجيلهم والمشاركة في الاحتفاء بهم، وإكرامهم غاية الإكرام، عبر تخصيص المخصصات والجعالات (الرواتب) السخية، وتقديم الهدايا والأموال تقديراً لعلمهم. ولم يقتصر الدعم على كبار العلماء، بل شمل تأمين نفقات طلبة العلم، وتوفير المأوى والمطعم والملبس لهم في المؤسسات التعليمية، مما ساعدهم على التفرغ للتحصي.[1]

لقد حظي العلماء بمكانة رفيعة في دواليب الحكم، حيث عُينوا كقضاة وكُتاب ومستشارين ومقربين من السلاطين، بل وكانوا يشاركون في بناء الحياة السياسية، بما تراه النخبة الدينية والعلمية من حق الرقابة على السلطة[2]. وكان لدى عدد من السلاطين الزيانيين ميل شخصي للعلم والثقافة، مما انعكس إيجاباً على سياسة الدولة، فقد تميز بعضهم بكونهم علماء، أدباء، وشعراء، وعلماء اللغة مما جعلهم يحرصون على رعاية الفنون والآداب، مثل الشعر والنثر الذي عرف ازدهاراً كبيراً في عهدهم، بل حرصوا على عقد المجالس العلمية إذ كان مؤسس الدولة السلطان يغمراسن بن زيان، ومن تبعه من أبنائه وأحفاده، على مجالسة الفقهاء وعقد المجالس العلمية في قصورهم، حباً في الاستزادة من العلم، ووصل تواضع بعضهم للعلم إلى درجة عظيمة، حيث يذكر المؤرخ التنسي أن السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ) كان يحضر مجلس إقراء الشيخ أبي عبد الله الشريف التلمساني جالساً على الحصير تواضعاً للعلم وإكراماً له[3].

2-المؤسسات التعليمية: تلمسان منارة علمية:

شهدت حاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، ازدهاراً علميا ملحوظاً، ويُعزى الفضل في ذلك بشكل رئيسي إلى التنوع المؤسسي للتعليم ورعاية السلاطين له، لم يعتمد النظام التعليمي على مؤسسة واحدة، بل كان يرتكز على شبكة متكاملة من المراكز التي غطت مختلف مراحل التعليم واحتياجات المجتمع.

كانت هذه المؤسسات تمثل الركيزة الأولى للتعليم، وتستوعب النظامين التعليميين اللذين عرفتهما تلمسان: النظام الابتدائي والنظام الاحترافي (المتخصص)، لقد المؤسسات التعليمية التقليدية في تلمسان الزيانية تمثل النظام التعليمي الشامل، حيث لم تكن مجرد أماكن للعبادة أو الحفظ، بل كانت ورش عمل معرفية متدرجة تغطي التعليم من المرحلة التمهيدية حتى التخصص العميق، وهذه المؤسسات هي الكتاتيب، المساجد الكبرى (الجوامع)، والأربطة.

مثلت الكتاتيب (أو مدارس تعليم الصبيان) الركيزة الأولى للعملية التعليمية ونقطة الانطلاق الإلزامية لكل طالب علم، كان هدفها الأول والأوحد هو تعليم القرآن الكريم

حفظًا وتجويدًا. كان يتم تلقين الصبيان الحروف الهجائية، ومبادئ القراءة والكتابة والخط، وحفظ القرآن الكريم لأنه أصل التعليم ومنبع الدين والعلوم"[4].

أما المساجد الكبرى (الجوامع) فكانت تعد المركز الجامعي الحقيقي للحركة العلمية، وخاصة الجامع الأعظم بتلمسان، وهي المؤسسة التي استوعبت النظام الاحترافي (المتخصص)، أي تعليم الكبار الذي يهدف إلى تخريج الفقهاء، والقضاة، والمحدثين، والمفتين.

وكانت الأربطة (الرباطات) مكملة لدور المساجد والكتاتيب، وركزت بشكل أكبر على التكوين الروحي والأخلاقي، ولكنها ساهمت في الحركة التعليمية فقد قامت بدور هام في تدريس علوم الدين الأساسية، والفقه ومبادئ القراءة، والكتابة لعامة الناس، خاصة في الأرياف والمناطق البعيدة عن المركز الحاضرة تلمسان.[5]

بهذا التداخل الوظيفي بين الكتاتيب (التمهيدي)، والمساجد (الاحترافي/التخصصي)، والأربطة (الزوايا)، رسمت تلمسان الزيانية خريطة تعليمية متدرجة وشاملة، مهدت الطريق لظهور المدارس النظامية (كالتاشفينية) التي جاءت لاحقاً لتنظيم هذا النظام الاحترافي بشكل أكثر منهجية.

شكل ظهور المدارس النظامية في تلمسان، وهي مؤسسات تعليمية متخصصة ومستقلة، قفزة نوعية في تاريخ التعليم الزياني، وتأخر ظهورها إلى مطلع القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، كتقليد لمؤسسات المشرق (المدارس النظامية) وحواضر المغرب (فاس وغرناطة)، لم يكن إنشاء المدارس مجرد تقليد، بل كان له دوافع: سياسية، منها إظهار الشرعية العلمية والثقافية للدولة الزيانية ومنافسة بلاطات المرينيين والحفصيين، ثم علمية ودينية كبناء قاعدة أساسية لتعليم الكبار وتخريج نخب قادرة على تولي القضاء والمناصب الدينية والإدارية[6].

3. تشجيع التأليف و انتشار المكتبات:

لم يقتصر الاهتمام العلمي لسلاطين بني زيان على بناء المؤسسات التعليمية كالمدارس والمساجد، بل امتد ليشمل الحركة الفكرية والإنتاج المعرفي، حيث أصبح تشجيع التأليف وانتشار المكتبات ركيزة أساسية لترسيخ مكانة تلمسان كمركز حضاري يضاهي فاس والقاهرة، لقد قام السلاطين بتحريض العلماء على التأليف وتشجيعهم

عليه بشتى الحوافز، مما نشط حركة التأليف في مختلف العلوم خاصة في علوم اللغة، لهذا اتخذوا سياسة واضحة لتحفيز العلماء على الكتابة والإبداع، مما أدى إلى ازدهار ملحوظ في مجالات المعرفة المختلفة، مارس السلاطين سياسة تحريض العلماء على التصنيف، ليس فقط بالطلب أو التكليف، بل بتقديم الجوائز والعطايا السخية لمن يُنجز مؤلفاً قيّماً، كانت هذه الحوافز بمثابة منحة بحثية متقدمة، تنشط الهمة وتشجع على إنتاج أعمال أصيلة أو شروح لمؤلفات سابقة، و شمل التشجيع جميع التخصصات، وإن غلب عليها الطابع الديني والقانوني (الفقه المالكي والحديث) لارتباطهما بوظائف الدولة، وقد ظهرت أسماء لامعة في الفقه واللغة والآداب، مثل أبي عبد الله الشريف التلمساني وابن مرزوق الحفيد، اللذين حظيا برعاية فائقة من البلاط الزياني، ولم يكن دور السلاطين مقتصراً على التمويل، بل شمل المشاركة الرمزية والعملية. ويُذكر أن السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو (ت 708 هـ) قام بنفسه بنسخ نسخ من القرآن الكريم وصحيح البخاري وكتاب الشفا، ثم حبسها في خزانة الجامع الأعظم، ليضرب بذلك أروع الأمثلة في تقدير الكتاب وتشجيع الإنتاج العلمي[7].

وكانت خزائن الكتب السُلطانية أرقى أنواع المكتبات في العهد الزياني، حيث ضمت نفائس المخطوطات والمؤلفات التي جُمعت بشق الأنفس، وكانت هذه الخزائن تابعة للبلاط أو مُلحقة بالجامع الأعظم، ومخصصة لخدمة العلماء والقضاة والأمراء، وتميزت هذه المكتبات بثرائها نتيجة سياسة جذب العلماء الذين كانوا غالباً ما يأتون بصحبتهم بمكتباتهم الخاصة

لقد تحوّلت تلمسان، بفضل سياسة سلاطينها، إلى سوق رائجة للكتب ومحط أنظار المؤلفين. شكل تشجيع التأليف عبر الدعم المادي، وإنشاء المكتبات عبر نظام الأوقاف، منظومة متكاملة ضمنت استدامة الحركة العلمية الزيانية، وخلّدت إرثاً فكرياً جعل من المغرب الأوسط منارة تُضيء على باقي أقاليم المغرب الإسلامي[8].

4-النضج الفكري والمنهجي:

أدت التراكمات المعرفية السابقة إلى نضج فكري ومنهجي ساعد في استمرار الإنتاج اللغوي، إن نضج الإنتاج اللغوي لعلماء تلمسان في هذه الفترة لم يكن وليد اللحظة،

بل هو نتيجة لـ تراكم معرفي سابق (عصور الموحدين والمرابطين وما قبلهم) وتكامل العمق التخصصي بين العلوم اللغوية وعلوم الشريعة، كان النضج الفكري والمنهجي يقوم على ركيزتين أساسيتين هما التوليف بين المدارس: استفاد علماء تلمسان، بسبب موقع مدينتهم الاستراتيجي، من تراث مدرستين عظيمتين، المدرسة الأندلسية: التي اشتهرت بالتحقيق والتدقيق والقواعد (مثل أعمال ابن مالك والشاطبي) و المدرسة المشرقية، التي امتازت بالشمولية وعمق الأصول (مثل أعمال سيبويه، وابن هشام). النتيجة: لم يقتصر علماء تلمسان على التقليد، بل قاموا بتوليف هذه المذاهب، فانتقلوا من مرحلة الشرح الحرفي إلى مرحلة التحشية والتعليق المقارن، ممّا أدى إلى إنتاج فكر لغوي أكثر نضجًا وتركيبًا، ثم النضج المنهجي (ظهور الحواشي والشروح): دلّ ظهور مصنفات مثل الحواشي (التعليقات) والشروح المختصرة الدقيقة على نضج المنهج. فبدلاً من التأليف الموسوعي الجديد (الذي يتطلب جهداً في جمع المادة)، اتجهوا نحو: الاختصار والتهذيب محاولة منهم لتقريب العلوم على الطلبة والتحقيق والنقد لاختبار الأقوال السابقة وإصدار أحكام علمية فيها، وهو أرقى مراحل الإنتاج المعرفي[9]. برع علماء تلمسان في علوم اللغة المختلفة كالنحو والصرف والبلاغة والاشتقاق والمعاجم، إلى جانب علوم الشريعة، هذا العمق التخصصي مكّنهم من إثراء المكتبة اللغوية بمصنفات دقيقة ومتنوعة.

5-الدور المحوري لتلمسان كـ "حاضرة":

كان الموقع الجغرافي والثقافي لتلمسان عاملاً حاسمًا في النهضة العلمية التي عرفتها تلمسان في هذه الفترة من تاريخها ،حيث شكلت تلمسان ملاذًا ومحطة رئيسية لعلماء الأندلس الفارين من حروب الاسترداد، جالبين معهم ثروة هائلة من المخطوطات والخبرات العلمية المتقدمة، مما أغنى الحركة اللغوية بشكل كبير،كما أن تلمسان كانت مركزًا تجاريًا وعلميًا يربط المغرب الأوسط (الجزائر) بالمغرب الأقصى (المغرب) والمغرب الأدنى (تونس) والصحراء الكبرى، و قد هذا التفاعل المستمر مع علماء رحالة من مناطق أخرى أدى إلى تجديد مستمر في الأفكار والمناهج[10].

6-**البيوتات العلمية:** تُعدّ ظاهرة البيوتات العلمية في تلمسان، وخصوصًا في العصر الزياني وما تلاه، أحد أهم العوامل التي ضمنت استمرارية وغزارة الإنتاج اللغوي

والمعرفي في المدينة، رغم تقلبات السلطة وعدم الاستقرار السياسي، لم تكن هذه البيوتات مجرد تجمعات عائلية، بل كانت مؤسسات معرفية مصغرة حافظت على النسيج العلمي في أوقات الأزمات، شكلت هذه الأسر "أنساقًا معرفية داخلية" مستقلة عمليًا عن السلطة الزمنية. فبينما كان القصر الزياني يعاني من الصراعات الداخلية أو التهديدات الخارجية (المرينيون ثم الحفصيون)، كان تدريس المتون وشرحها وكتابة المصنفات يسير بوتيرة ثابتة داخل هذه البيوتات والمدارس المرتبطة بها[11].

ثانيا: الأبعاد المنهجية لمصنفات تلمسان اللغوية (دراسة في آليات التأليف):

1-**البعد التعليمي (منهجية التيسير):** يتجلى الدور المحوري لعلماء تلمسان، وخصوصاً في القرنين السابع والتاسع الهجريين، في قدرتهم على استدامة المعرفة من خلال فنون الشرح والتحشية على المتون اللغوية الأساسية، مثل "ألفية ابن مالك" في النحو، و"تلخيص المفتاح" في البلاغة، لم يكن هذا النوع من التأليف مجرد تكرار، بل كان منهجية دفاعية وإثرائية ضد الاضطراب السياسي.

1-1: آلية الشرح والتحشية: تحليل منهجية شروحهم للمتون الأساسية (كشرح ألفية ابن مالك وشروح التلخيص):

كانت منهجية الشرح والتحشية لدى علماء تلمسان في هذه الفترة تقوم على جمع آراء المدارس المختلفة، مما منح شروحهم عمقًا مقارنًا، لم يكتف علماء تلمسان بشرح النص الأصلي للمتن، بل كانوا يستعرضون ويقارنون بين آراء النحاة المتقدمين (كالبصريين والكوفيين) والنحاة المتأخرين (كالأندلسيين والمصريين) ، بمعنى أن عملية الشرح عند علماء تلمسان لم تكن مجرد إعادة صياغة أو تبيان لمعاني النص الأصلي (المتن)، بل كانت بمثابة مشروع بحثي نقدي ومقارن يهدف إلى تثبيت القاعدة العلمية بأقوى الأدلة وأشمل الآراء، فمثلا لم يكن هدف ابن مرزوق الحفيد هو شرح كلمة أو عبارة المتن (كأبيات الألفية) بشكل مباشر ووحيد، بل، كان يستخدم المتن كنقطة انطلاق لإثراء الموضوع، والتحول إلى بحث شامل للقاعدة النحوية أو البلاغية التي يتناولها المتن، تجلى ذلك في شروحه الثلاثة على البردة الأكبر " إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة" واستوفها حقها من الشرح ضمنه سبعة فنون في كل بيت و

الأوسط و الأصغر المسمى ب " الاستيعاب" ،تطرق فيها إلى ما فيها من البيان والإعراب[12].

وربط علماء تلمسان مسائل النحو والبلاغة بعلم أصول الفقه وعلم الكلام والمنطق، مثال ذلك شروحهم على "التلخيص" في البلاغة، حيث كان التركيز على دقة التعريفات والحدود المنطقية للمفاهيم البلاغية، وكانوا يقدمون الشرح في مستويات مختلفة: الشرح الأوسط (للطلاب المتوسطين)، والحواشي الدقيقة (للمتخصصين)، هذا التنوع في الشروح سمح بتلبية حاجات مختلف فئات المتعلمين[13].

وكانت شروح علماء تلمسان على "ألفية ابن مالك" تهتم بشكل خاص بتكثيف الشواهد من القرآن الكريم والسنة والشعر العربي القديم لتثبيت القاعدة، وهذا يرسخ القاعدة اللغوية ويجعلها أقل عرضة للنسيان،كان العالم اللغوي التلمساني يحرص على تنظيم المادة العلمية بشكل يخدم الحفظ والفهم، مما يضمن استمرارية المنهج التعليمي حتى لو توقف التدريس المنتظم لفترة، وبذلك جمع منهج التلمسانيين بين التأصيل اللغوي الصارم (عبر تكثيف الشواهد) والتخطيط التربوي الذكي (عبر التهذيب والتبويب)، ليصبح الكتاب لديهم ليس مجرد مادة تدرس، بل نظام تعليمي متكامل وقابل للاستدامة، كما كانت الحاشية (التحشية) في تلمسان تمثل قمة التخصص، وهي تختلف عن الشرح بكونها إضافة معرفية حيث لم تكن الحاشية مجرد تعليق، بل كانت مكاناً للإضافة العلمية الجديدة، حيث يسجل المحشِّي إشكالات لم يعالجها الشارح الأصلي أو يقدم أدلة جديدة، وساهمت الحواشي في تصحيح الأخطاء التي قد تكون تسربت إلى المتون الأصلية والشروح السابقة (سواء أخطاء نسخ أو فهم)، مما يحفظ النص اللغوي من التشويه، كانت الحاشية ميداناً خصباً للمناقشات العلمية بين علماء تلمسان وعلماء المدن الأخرى (كفاس). هذا التفاعل النقدي ضمن حيوية المادة اللغوية ومنعها من الجمود[14].

باختصار، حول علماء تلمسان المتن الواحد (كالألفية أو التلخيص) إلى "مشروع بحثي مستمر" عبر تعاقب الشروح والحواشي، مما جعل من هذه المصنفات، لا مجرد كتب للتدريس، بل مستودعات للتراث النقدي والمنهجي صمدت أمام عواصف السياسة.

2-1: آلية التجريد والتلخيص: دراسة المصنفات الموجزة التي هدفت إلى تقريب العلوم للطلاب في زمن الاضطراب.

لم تكن آلية التجريد والتلخيص (أو الاختصار) لدى علماء تلمسان مجرد اختزال للمعلومات، بل كانت استراتيجية منهجية لضمان استمرار العملية التعليمية ونقل المعرفة في ظل التقلبات السياسية وعدم الاستقرار (ق 7 - ق 9 هـ)، هذه الآلية هدفت إلى تقليل الاعتماد على المصادر الكبيرة والمكتبات الضخمة التي قد تكون عرضة للتلف أو النهب.

في هذه الفترة التي سادتها الصراعات بين الدولة الزيانية والدول المرينية والحفصية، كانت الأمانة المعرفية مهددة، والمصنفات الضخمة والمكتبات عرضة للنهب أو التلف خلال الحروب والحصار، لذا، كان التلخيص بمثابة "استنساخ مصغّر" و"كبسولة معرفية" تُحفظ فيها زبدة العلم، يسهل على العالم أو الطالب حملها والتنقل بها، و قد أدى توفر متون موجزة في متناول الجميع أن قلل من حاجة الطلاب للوصول الدائم إلى المكتبات الكبرى التي قد تتعرض للإغلاق أو التخريب في أوقات الفتن، وكان التلخيص يفرض على العالم اللغوي التلمساني اختيار وترجيح القول المعتمد في المدرسة التلمسانية، مما يقلل من التشتت ويسرّع عملية بناء القواعد لدى المتعلم في زمن الضيق.[15]

2-البعد التوثيقي والنقدي (الحفاظ على الأصول):

لعبت مصنفات علماء تلمسان اللغوية، خاصة في القرنين السابع والتاسع الهجريين، دورًا محوريًا لا يقتصر على التأليف، بل يمتد إلى التوثيق الدقيق وحفظ الأصول النحوية والبلاغية القديمة من الضياع أو التحريف، خصوصًا في ظل الاضطرابات السياسية التي كانت تهدد استقرار المؤسسات التعليمية والمكتبات.

2-1- التوثيق عبر الشرح والنقل الأمين:

اعتمد علماء تلمسان في شروحهم على المتون الأساسية (مثل ألفية ابن مالك في النحو أو تلخيص المفتاح في البلاغة)، لكنهم كانوا يوثقون أقوال المدارس النحوية والبلاغية القديمة التي انبثقت منها هذه المتون، ففي شرح مسألة نحوية، كان العالم التلمساني يحرص على ذكر رأي سيبويه، والكسائي، وابن جني، والزمخشري، مع

تحديد مصدر النقل، هذا التوثيق الدقيق ضمن بقاء آراء البصريين والكوفيين والمدارس الأندلسية والمشرقية على حد سواء، و كثيرًا ما أشار علماء تلمسان إلى مصنفات قديمة كانت متوفرة لديهم في تلمسان ولكنها فقدت لاحقًا في مناطق أخرى أو تعرضت للتلف. من خلال نقلهم لأجزاء من تلك النصوص أو تلخيصها، أصبح مصنف العالم التلمساني شاهدًا وحافظًا لمضامين تلك الأصول المفقودة.[16]

إن الآلية المنهجية اتبعها علماء تلمسان (خاصة في القرنين السابع والتاسع الهجريين) للحفاظ على الأصول اللغوية، تتمحور أولا حول ألفية ابن مالك في النحو، إذ لم تكن أعمالًا جديدة بالكامل، بل كانت بمثابة تراجم وتلخيصات مكثفة لمصنفات لغوية أقدم وأضخم (ككتب سيبويه والمبرد وابن جني)، والتي كانت عرضة للضياع، وثانيا أن مؤلفي المتون كثفوا من القواعد والنظريات الأساسية للمدارس النحوية والبلاغية القديمة في نصوص منظومة ومختصرة لتسهيل حفظها وتداولها، كما كان علماء تلمسان يقومون في الواقع بمراجعة نسخ المتن المختلفة المتوفرة لديهم وتحديد النص الأصلي الخالص للمؤلف (المتن) ،وتمييزه عن الإضافات أو الأخطاء ،و تثبيت الصيغة الصحيحة للمتن في نسختهم المشروحة، مما يحافظ على "النص اللغوي المؤسس" (أي النص الأصلي للقاعدة النحوية أو البلاغية) ويحميه من الضياع أو التغيير. وبالتالي، فإن عملية الشرح في تلمسان لم تكن ترفًا فكريًا، بل كانت خدمة جليلة لحفظ النص اللغوي، حيث جعلت هذه المتون جسرًا أمينًا حافظًا لجواهر المعرفة اللغوية القديمة[17].

2-2: الحفاظ عبر التدقيق في المصطلح والمفهوم:

لعبت المصنفات التلمسانية دورًا في تثبيت دلالات المصطلحات اللغوية والبلاغية القديمة، إذ مع مرور الزمن، كانت دلالات المصطلحات النحوية والبلاغية (مثل: البيان، التمييز، الاستعارة، الحد) عرضة للتحوير من قبل علماء تلمسان نظرا لتأثرهم بالمنطق والأصول، فحرصوا على تحديد دقيق للمصطلحات القديمة كما وردت عن أصحابها الأوائل. هذه الدقة في التعريفات في حواشيهم وشروحهم كانت بمثابة توثيق لمفاهيم الأصول، كان العلماء التلمسانيون يمارسون نوعًا من التصفية

المعرفية، حيث يميزون بوضوح بين المصطلح اللغوي البحت والمصطلح الدخيل المستعار من العلوم الأخرى، مما حافظ على نقاء الأصول اللغوية[18].

2-3: التوثيق المنهجي عبر الترجيح والمقارنة:

لم يكن التوثيق سلبياً (مجرد نقل)، بل كان إيجابياً ونقدياً يعزز القواعد الأقوى، بحيث كان علماء تلمسان يواجهون تراثًا هائلًا من الخلافات النحوية، فمنهجهم في الشرح كان يقوم على استعراض الخلاف القديم (لتوثيقه)، ثم الترجيح بين الأقوال استنادًا إلى الأدلة الأقوى (سماعًا وقياسًا)، هذا الترجيح لم يلغِ الآراء الأخرى، بل حفظها ضمن الإطار النقدي للشرح، على أن الحواشي والتعليقات التي كتبوها على الشروح كانت بمثابة أعمال تحقيق متواصلة، فإذا وقع خطأ في النص الأصلي للمتن أو الشرح المعتمد، قام المحشّي التلمساني بتنبيه وتصحيح ذلك الخطأ، مستدلاً بالأصول القديمة، مما أدى إلى ضبط النص اللغوي والحفاظ عليه من التحريف[19].

باختصار، حول علماء تلمسان مصنفاتهم إلى "أرشيفات متنقلة" للمعرفة اللغوية القديمة. عبر النقل الأمين، والتحقيق النقدي، والضبط المصطلحي، ضمنوا استمرارية الأصول النحوية والبلاغية التي شكلت قاعدة الحضارة الإسلامية، جاعلين من مدينتهم حصناً منيعاً للحفاظ على اللغة العربية.

ثالثا- الأبعاد المعرفية للمضامين اللغوية (دراسة في العمق والإضافة):

1- الإسهام في علوم النحو والصرف:

1-1- دراسة مفاهيمية لأبرز القضايا النحوية التي تميزبها التلمسانيون:

ركز علماء تلمسان في شروحهم على الأصول النحوية (خاصة ألفية ابن مالك)، لكنهم أظهروا توجهات مميزة في معالجة القضايا الخلافية ومنها تغليب النحو التعليمي على النحو الجدلي: في ظل الاضطراب، كان هناك ميل واضح لدى شراح تلمسان (كآل ابن مرزوق) إلى تثبيت القواعد الواضحة والمشهورة، والابتعاد عن الخوض في الخلافات النحوية الدقيقة التي لا يترتب عليها حكم لغوي أو شرعي مهم. هدفهم كان ضبط اللغة وليس تعقيدها، فعندما يواجهون خلافًا بين مدرستي البصرة والكوفة، أو بين المتقدمين والمتأخرين، غالبًا ما كان الترجيح التلمساني يميل نحو القول الأكثر

انسجامًا مع قواعد القياس المنطقي الذي تأثروا به من علم الكلام والأصول أو القول الذي يخدم السهولة والوضوح التعليمي[20].

1-2- الآراء النحوية التي انفرد بها علماء تلمسان أو اشتهروا بترجيحها:

إنّ دراسة الآراء النحوية التي انفرد بها علماء تلمسان أو اشتهروا بترجيحها تتطلب الغوص في تفاصيل مدرسة المغرب النحوية التي كانت تلمسان أحد أهم مراكزها.

لم تكن مدرسة تلمسان مجرد ناقل للتراث، بل كانت محطة نقدية وتوفيقية بين مدارس المشرق (البصرة والكوفة) والأندلس، وكان دورها الأساسي يتمثل في ترجيح الآراء، وإنشاء آراء جديدة، أو حتى إعادة تفسير نصوص المتون الكبرى (كألفية ابن مالك) بما يخدم المنهج التعليمي أو الفقهي السائد في المغرب الأوسط في تلك الفترة، كما تأثر علماء تلمسان بشدة بجهود النحاة الأندلسيين المتأخرين (كابن مالك وابن هشام)، لكنهم لم يتبنوا آراءهم بالكامل. حيث يُفحص كيف قاموا بتعديل أو تخفيف بعض آراء ابن مالك الصارمة أو الغريبة، بما يتناسب مع المنهج المالكي السائد في تلمسان، وعلى الرغم من أن النحو كان الأغلب، فإن الصرف حظي ببعض الاهتمام، خاصة ما يتعلق بالإعلال والإبدال وصيغ الأفعال. يتم تحليل جهودهم في تبسيط وتصنيف هذه القواعد الصرفية لتكون أكثر ملاءمة للحفظ والتدريس[21].

1-3- البعد التطبيقي: مدى توظيف النحو والصرف لخدمة النصوص الدينية والفقهية:

لم يكن علم اللغة عند المدرسة التلمسانية غاية بحد ذاته بل وسيلة لعلوم الشريعة، واستثمر علماء تلمسان قواعد النحو والصرف في استنباط الأحكام الشرعية من نصوص القرآن والسنة.، مثل ربطهم بين باب التمييز في النحو وبين دلالات الألفاظ في علم أصول الفقه، وساهمت مصنفاتهم في ضبط النطق والإعراب لنصوص القرآن الكريم، وهو دور أساسي لضمان صحة العبادات، مما رفع من منزلة النحو والصرف في المجتمع وزاد من الإقبال على تعلمهما حتى في زمن الفتن،كما حرص الشارحون على تبيان كيف أن تغيير حركة إعرابية واحدة (في النحو) قد يغير المعنى تمامًا ويؤثر على الحكم الفقهي، مما جعل عملهم النحوي ذا قيمة وظيفية مباشرة للمجتمع[22].

2-الإضافة في علوم البلاغة والبيان:

تُعد مدينة تلمسان، كمركز إشعاعي في المغرب الأوسط، حلقة مهمة في تاريخ العلوم اللغوية والأدبية، وقد ساهم علماؤها بجهود واضحة في خدمة علوم البلاغة والبيان، وذلك بفضل طبيعة الدرس فيها الذي كان يجمع بين الأصالة الأندلسية والعمق المشرقي.

إن إسهام علماء تلمسان في علوم البلاغة والبيان لم يقل أهمية عن دورهم في النحو، بل اكتسب خصوصية بالغة نظرًا لاهتمامهم بربط البلاغة بالمنطق وأصول الفقه. وقد تميزت إضافاتهم بالدقة المنهجية والتعميق النظري، خاصة في شروحهم على المتون البلاغية الرئيسية، وكان كتاب "تلخيص المفتاح" للقزويني (المتوفى 739 هـ) هو المتن البلاغي الأبرز الذي اعتمد عليه علماء تلمسان، وقد كانت شروحهم عليه نقطة تحول هامة، فلم يكتفِ التلمسانيون بنقل شرح القزويني، بل سعوا إلى تيسير المصطلحات وتفكيك التعقيدات الموجودة في المتن، مما جعل البلاغة مادة قابلة للتدريس المنتظم في المدارس في زمن عدم الاستقرار، كما حرصوا على ضبط الحدود والتعريفات للأقسام الثلاثة للبلاغة (المعاني، البيان، البديع)، لضمان وضوحها وتفريقها عن المسائل المنطقية والفلسفية، مما ساعد على ترسيخ المنهج البلاغي، و كانت شروحهم جامعة لأقوال شراح التلخيص من مختلف المدارس، مع ترجيح المعتمد في المدرسة التلمسانية (كعادتهم)، وهذا شكل مرجعية بلاغية موحدة للمغرب الأوسط[23].

- دراسة الإضافات النوعية في التحديد المصطلح: تأثر علماء تلمسان (خاصة المتأخرين منهم) بعمق بعلم المنطق وعلم الكلام، وهذا التأثير انعكس على البلاغة في شكل دقة مصطلحية غير مسبوقة، وقاموا بإعادة صياغة أو تحديد دقيق لتعريفات الفنون البلاغية (كالمجاز والاستعارة والتشبيه)، مستخدمين مفاهيم منطقية مثل الحدود والرسوم (تعريفات الماهية والخواص) ، و كان هدف هذا الضبط إزالة اللبس والغموض عن المفاهيم البلاغية، مما يخدم الطالب في زمن قلة المصادر،بل و حرص علماء تلمسان على ربط الدلالات البلاغية بما يخدم علوم الشريعة، فمثلاً، دراسة المجاز والاستعارة أصبحت ذات أهمية قصوى في فهم نصوص القرآن والسنة

واستنباط الأحكام منها، مما رفع من منزلة البلاغة وجعلها علماً وظيفياً، و لعب التوثيق العملي للشواهد دورًا فعالًا في إثراء البلاغة التلمسانية من خلال تنويع الشواهد إذ لم يكتفِ علماء تلمسان بالشواهد الشعرية المعروفة، بل قاموا بإضافة شواهد جديدة من الشعر المغربي والأندلسي المتأخر الذي كان متداولًا في محيطهم، و ركزوا على التحليل التطبيقي للنصوص البلاغية في الشواهد، مبيّنين كيف انطبقت القاعدة البلاغية (كالكناية أو الاستعارة) على المثال، مما جعل البلاغة علماً عملياً وليس نظرياً مجرداً، كما أكدوا دائمًا على أن البلاغة مبنية على قواعد اللغة (النحو والصرف)، فكانوا يشيرون في شروحهم إلى أن الخطأ النحوي يؤدي حتمًا إلى خلل في البلاغة، مما رسخ العلاقة التكاملية بين علوم العربية[24].

بهذه المنهجية، لم تكن البلاغة في تلمسان مجرد تقليد، بل كانت منظومة نقدية تعمق الفهم النظري وتخدم التطبيق العملي للنصوص، مما ضمن استمرارها كعلم حيوي وفاعل.

رابعا- أعلام اللغة والتأليف اللغوي في تلمسان:

شكّل مبحث أعلام اللغة والتأليف اللغوي في تلمسان بين القرنين السابع والتاسع الهجريين البؤرة التي تجمعت فيها كل العوامل المؤسسية والفكرية للمدينة. لقد كان هؤلاء الأعلام، وبالأخص من انتموا إلى البيوتات العلمية العريقة، هم الحصن الحقيقي الذي ضمن استمرارية وغزارة الإنتاج اللغوي في أوقات الاضطراب السياسي.

لم يكن علماء تلمسان منعزلين، بل مثلوا نتاجًا لتفاعل حضاري عميق، مما أثرى إنتاجهم، لقد برز في هذه الفترة علماء قاموا بدور التأصيل والترسيخ للمنهج العلمي للمدينة، مثل ابن مرزوق الجد (ت781هـ)، كان هذا الجيل مسؤولاً عن استيعاب التراث اللغوي الأندلسي والمشرقي، وتصفيته ليصبح مادة علمية متماسكة يمكن تدريسها، وضعوا الأسس التي اعتمد عليها الأحفاد لاحقًا في الشرح والتحشية، وشهد القرنان الثامن والتاسع ظهور قامات جمعت بين النحو والأصول والمنطق، مما أثرى منهجهم النقدي، ومن أبرزهم بلا منازع هو ابن مرزوق الحفيد (ت842 هـ)، الذي يُعدّ ركيزة المدرسة اللغوية التلمسانية، كان تركيزه على شروح المتون الأساسية (كألفية ابن

مالك وتلخيص المفتاح) دليلاً على منهجه في التوثيق عبر نقل آراء المدارس السابقة بأمانة. وفي الترجيح النقدي بتقديم الرأي الأقوى حجية والأنسب للمدرسة التلمسانية، وكانت تلمسان في هذه الفترة ملاذًا آمنًا للعديد من علماء الأندلس الفارين، حاملين معهم ثروة المخطوطات والخبرة العلمية المتقدمة. ساهم هذا الاستقطاب في تجديد مستمر لدم الحركة اللغوية، مما جعل مصنفات علماء تلمسان تجمع بين قوة التأصيل المشرقي وعمق المنهج الأندلسي[25].

ساهمت البيوتات العلمية العريقة التي توارثت العلم، متجاوزة تقلبات القصر (نموذج آل ابن مرزوق) في التوارث اللغوي، حيث يتلقى الابن العلم مباشرة عن أبيه وعمه. وهو ما أدى إلى خلق منهج تدريسي موحد لا يتأثر بتغير الحاكم، مما سهل على الطلاب التحصيل، وقد أدى امتلاك هذه البيوتات أوقافًا خاصة أو الاعتماد على عوائد التدريس، مما منحهم حصانة مالية ومعنوية عن عطايا السلطان المتقلبة، وشكلت مصنفات هؤلاء الأعلام الهيكل المعرفي الذي استمرت عليه تلمسان، لقد تركزت معظم المصنفات حول الشرح والتحشية على المتون الأساسية في النحو (الألفية) والبلاغة (التلخيص)، وكان هذا النوع من التأليف هو الأكثر أمانًا توثيقيًا والأكثر إثراءً نقديًا في زمن الأزمات، كما أظهرت المصنفات تخصصًا عميقًا في النحو (لضبط العبارة) والبلاغة (لفهم الدلالة)، مع ربطهما الوثيق بعلوم الشريعة والأصول، وكان لهذا الارتباط الوظيفي أن جعل علوم اللغة ذات قيمة عملية للمجتمع، مما زاد من هيبة العلماء ودافعهم للإنتاج[26].

وبفضل تأثر علماء تلمسان بعلم المنطق، برز علماء مثل أحمد بن زكري التلمساني (ت:899 هـ) في ضبط حدود المصطلحات اللغوية والبلاغية بدقة، مما حافظ على نقاء هذه العلوم من التداخل العشوائي وأسس لمنهج علمي صارم،لقد كان هؤلاء الأعلام ليسوا مجرد مؤلفين، بل كانوا صُنّاع منهج وحماة هوية، حيث ضمنوا عبر بيوتهم ومصنفاتهم استمرار العطاء اللغوي كقيمة عليا تتجاوز الصراعات السياسية.[27]

لقد كان القرنان السابع والتاسع الهجريان يمثلان فترة ازدهار وريادة للمدرسة اللغوية في تلمسان، والتي تمكنت من الصمود وتوفير إنتاج غزير ومتخصص رغم التقلبات السياسية. برز خلال هذه الحقبة مجموعة من الأعلام الذين لم يكتفوا بالنقل، بل كانوا نقّاداً ومُحققين ومُؤصِّلين للتراث اللغوي.

-أبو عبد الله محمد ابن مرزوق الجد (ت. 781 هـ):

يُعد ابن مرزوق الجد شخصية مفصلية في الحركة العلمية بتلمسان، وهو مؤسس البيت العلمي العريق الذي حمل لواء اللغة لعدة أجيال لاحقة، من حيث الأهمية اللغوية كان أبو عبد الله محمد ابن مرزوق الجد عالماً جامعاً، لكن إسهامه اللغوي الأبرز كان في التأصيل والتدريس، حيث عمل على ترسيخ المناهج اللغوية الأندلسية (كأعمال الشاطبي وابن مالك) في المغرب الأوسط، اتسم منهجه بالصرامة والدقة، وشدد على الربط بين علوم اللغة وأصول الفقه والمنطق. هذا الربط جعل النحو والبلاغة في تلمسان أدوات وظيفية للاستنباط الشرعي، وليس مجرد علوم شكلية، وقد وضعت جهوده الأساس لنظام البيوتات العلمية الذي كفل استمرار الإنتاج المعرفي، إذ ورث علمه وفقهه ابنه وحفيده[28].

-أبو العباس أحمد ابن مرزوق الحفيد (ت. 842 هـ):

يُعتبر ابن مرزوق الحفيد أبرز أعلام اللغة في تلمسان على الإطلاق وأكثرهم تأثيراً في هذه الفترة، ومصنفاته تمثل قمة النضج للمدرسة التلمسانية، نبغ في الشرح والتحشية، وتخصص في فنون الشرح والتحشية التي كانت تمثل آلية توثيق وحفظ للمتن، من أشهر أعماله كانت شروحه على ألفية ابن مالك في النحو، وشروحه على تلخيص المفتاح للقزويني في البلاغة، لم يكن شارحاً ناقلاً، بل ناقداً مرجحاً. كان يعرض الخلافات النحوية والبلاغية بين المدارس (البصرية، الكوفية، الأندلسية)، ثم يختار الرأي الأقوى حجية والأكثر اتساقاً مع قواعد القياس والأصول، هذا الترجيح ساهم في تثبيت المنهج التعليمي في زمن الاضطراب، كما أسهم بشكل كبير في ضبط المصطلحات البلاغية مستعيناً بعلم المنطق، مما منح مفاهيم البلاغة لديه دقة متناهية، وحرّرها من الغموض، وتعد مصنفاته تُعد مثالاً على نجاح البيوتات العلمية

بتلمسان الزيانية، حيث استطاع التأليف والإنجاز في زمن كان فيه الصراع على أشده بين الزيانيين والمرينيين.[29]

-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زكري التلمساني (ت. 899 هـ):

مثل ابن زكري الجيل المتأخر في هذه الحقبة، وكان علماً في الأصول والمنطق، مما انعكس على إسهامه اللغوي، اشتهر بمهارته في ربط علوم اللغة بعلوم الأصول والمنطق، مما جعله مرجعاً في فهم دلالات الألفاظ واستنباط الأحكام. هذا الربط كان سمة مميزة للمدرسة التلمسانية، وكانت جهوده موجهة نحو ضبط المتون اللغوية والنحوية وضمان صحة نقلها وتداولها، حيث كان يسعى إلى التحديد الدقيق للمصطلحات النحوية والبلاغية التي قد يحدث فيها لبس، قام أحمد بن زكري بدور حيوي في الإجازة والتدريس، مما يعني أن منهجه النقدي والتحقيقي انتقل إلى جيل من الطلاب، ضامناً استمرارية النهج العلمي المتماسك[30].

-أبو عبد الله محمد الشريف(ت847هـ/1443م):

لم تكن جهود أبي عبد الله الشريف التلمساني في اللغة دراسة خالصة للنحو والصرف، بل كانت لغة وعلماً متكاملاً يُوظف في مجالات أخرى، لقد كان أبو عبد الله الشريف من الشيوخ الذين حافظوا على تدريس وتصنيف مختصرا في التسهيل سماه" الثاقب في لغة الحاجب"، وهو مختصر لكتاب التسهيل في النحو لابن مالك)، وقام فيه باستخدام دقيق للقواعد النحوية والصرفية والبلاغية لاستخراج الأحكام الشرعية من النصوص، مثل التمييز بين دلالة العام والخاص والمطلق والمقيد والصريح والكناية، و أغنى الكتاب بكثير من شواهد أشعار العرب لتأصيل القاعدة اللغوية التي يستنبط منها الحكم، مما يدل على تمكنه من الأدب والشواهد اللغوية القديمة[31].

تُظهر دراسة نماذج أعلام اللغة في تلمسان بين القرنين السابع والتاسع الهجريين أنهم لم يكونوا معزولين عن بيئتهم المضطربة، بل حولوا تحدياتها إلى محفزات:

خاتمة:

لقد كشفت دراسة الأبعاد المعرفية للمصنفات اللغوية لعلماء تلمسان ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين عن حقيقة منهجية وتاريخية بالغة الأهمية: أن المعرفة المؤسسية (يمكن أن تتفوق على التقلبات السياسية وتضمن استمرارية الحضارة. لم تكن هذه المصنفات مجرد نتاج فردي، بل كانت خلاصة لجهد مدرسي متكامل يعمل بآليات دفاعية وإثرائية في آن واحد.

-إن الإسهام الأعمق للمدرسة التلمسانية لم يكن في تأليف كتب أصلية ضخمة (كما كان في عصور الاستقرار)، بل في تطوير منهجيات تضمن ديمومة المعرفة في زمن التقلب:

-**التحصين المعرفي عبر التلخيص**: كانت آلية التجريد والتلخيص بمثابة "كبسولات معرفية" سهلة الحفظ والتداول والنقل. هذا التيسير المنهجي ضمن أن الأساس اللغوي (المتون) ينتقل بأمان إلى الأجيال الجديدة حتى في حال انقطاع الدراسة النظامية أو تلف المكتبات.

-**التوثيق بالعمق عبر الشرح والتحشية**: لم تكن الشروح مجرد تكرار، بل كانت آلية توثيق نقدي شاملة، عبر توظيف فنون الشرح والتحشية، تمكن علماء تلمسان، كآل ابن مرزوق، من توثيق آراء المدارس النحوية والبلاغية القديمة (المشرقية والأندلسية)، والترجيح بينها، مما جعل مصنفاتهم خزائن للمنقول النقدي الذي حمى التراث اللغوي من الضياع أو التحريف.

الحصانة المؤسسية للبيوتات: ضمنت ظاهرة البيوتات العلمية استمرار تدفق المعرفة بشكل لا مركزي. هذه الأسر شكلت أنساقاً معرفية موحدة ومنفصلة مالياً عن السلطة المتقلبة، مما ضمن بقاء التقاليد التعليمية والمناهج حية وغير مرهونة بمزاج السلاطين.

-تميزت مضامين المصنفات التلمسانية بكونها وظيفية وتخصصية، فغايتها لم تكن اللغة لذاتها فحسب، بل لخدمة الشريعة، لقد كان الإسهام في النحو والصرف يهدف بشكل أساسي إلى ضبط النصوص الشرعية وتحديد دلالاتها بدقة، حيث أدرك العلماء أن أدنى تغيير في الإعراب يمكن أن يغير الحكم الفقهي، هذا الارتباط الوثيق منح علوم اللغة قيمة وظيفية عليا في المجتمع، مما عزز مكانة العلماء في زمن كانت فيه السلطة السياسية ضعيفة.

البلاغة والمنطق: أظهرت الإضافات في علوم البلاغة (خاصة في شروح تلخيص المفتاح) تأثراً عميقاً بعلم المنطق والأصول، هذا المنهج النقدي أسهم في تحديد المصطلحات البلاغية بدقة متناهية (ضبط الحدود والتعريفات)، مما أسس لمنهج علمي صارم في التحليل البلاغي.

لقد أثبتت المدرسة اللغوية التلمسانية في هذه الحقبة أنها كانت مركزاً حيوياً للتصدي لتهديدات العصر. المصنفات اللغوية لم تكن مجرد نصوص، بل كانت أدوات استدامة حضارية. لقد نجح علماء تلمسان في تحويل الاضطراب السياسي إلى دافع لتطوير منهجيات الشرح والتلخيص والتحقيق، مما أدى إلى: تثبيت وإثراء المتون اللغوية الأساسية (كالألفية)، وإنشاء مرجعية نقدية موحدة في المغرب الأوسط، وتأمين انتقال التراث اللغوي إلى العصور اللاحقة، لتشكل بذلك المدرسة التلمسانية حصن اللغة الذي صمد في وجه عواصف التاريخ.

الإحالات:

[1] - ابن الأعرج محمد الحسني السلماني، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، الخزانة الحسنية، الرباط رقم 170، ج3، ورقة100.

[2] -ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، تحقبق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر (د.ت)، ص426

[3] -التنسي محمد بن عبد الله ن، ظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1985، ص210.

[4] - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني: دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر2002 ص345.

[5] - نفسه، ج2، ص349.

[6] - نفسه، ج2، ص ص324-326.

[7] -بلعربي خالد، ورقات زيانية -دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر2014، ص187.

[8] -نفسه، ص 188.

[9] - بلعربي خالد، المرجع السابق، ص205.

[10] -عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد ،26 السنة الرابعةجويلية-أوت1975، ص166.

[11] -نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، الجزائر2010/2009 م، ص114.

[12] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص45.

[13] -بوحلاسة نوار، الشعر الزياني(633-962هـ)، رسالة ماجستير، معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة 1989، ص98.

[14] -سعيد محمد بوعشة، الحركة العلمية في تلمسان في العصر الزياني (633-962هـ/ 1236-1554م): دراسة في النشاط اللغوي، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر 2014، ص112.

[15] - نفسه، ص121.

[16] - بوحلاسة نوار، المرجع السابق، ص101.

[17] -قريشي أحمد عبد القادر، الحياة الأدبية في تلمسان في القرن الثامن الهجري(14م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة الأردن ،1989 ص231.

[18] - نفسه، ص243.

[19]- سعيد محمد بوعشة، المرجع السابق، ص121.

[20] - بوحلاسة نوار، المرجع السابق، ص129.

[21] - قريشي أحمد عبد القادر، المرجع السابق، ص235.

[22] -نفسه، ص241.

[23] -نفسه، ص245.

[24] - سعيد محمد بوعشة، المرجع السابق، ص135.

[25] - نفسه، ص174.

[26] - نفسه، ص141.

[27] - بوحلاسة نوار، المرجع السابق، ص132.

[28] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص453.

[29]- سعيد محمد بوعشة، المرجع السابق، ص135.

[30] - قريشي أحمد عبد القادر، المرجع السابق، ص243

[31] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص453.

الإنتاج اللغوي لعلماء الجزائر ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م

قراءة من خلال كتب الطبقات والتراجم والسير

أ.د/فهيمة حناش- جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي

fahima.hannache@univ-oeb.dz

الملخص:

لقد أظهر علماء الجزائر(المغرب الأوسط) في العصر الوسيط اهتماما بالغا باللّغة العربية باعتبارها مقوما من مقومات الهوية الوطنية الجزائرية، وتحفل كتب الطبقات والتراجم والسير خلال القرنين7-9هـ/13-15م بأسماء عديد الأعلام ممن أولوا عناية بالغة واهتماما بتعلم اللّغة العربية وتعليمها درسا ومباحثة وتأليفا؛ فخلفوا للأمّة تراثا ثقافيا ولغويا ضخما في علوم النحو والصرف والبلاغة والعروض وغيرها.

وبذلك تهدف هذه الورقة البحثية لمعالجة الإشكاليات التالية: فيما تجلى اهتمام علماء المغرب الأوسط-الجزائر- خلال القرنين 7-9هـ/13-15م بعلوم اللّغة العربية؟ وكيف كان إسهامهم في التأليف والإنتاج اللّغوي؟ وإلى أي مدى أثروا في هذا المجال مشرقا ومغربا؟

كما يهدف هذا الموضوع إلى إبراز إسهاماتهم وتتبع إنتاجهم في المجال اللّغوي من شروح وحواشي ومختصرات ومتون ورسائل ومعاجم خلال القرنين 7-9هـ/13-15م للتعريف بهذه النفائس وإظهارها وتشجيع الباحثين للإقدام على تحقيقها للانتفاع بها؛ مع الوقوف على تأثيرهم في المجال اللّغوي مشرقا ومغربا.

ودراسة هذا الموضوع تعتمد على المنهج التاريخي القائم على الاستقراء والتحليل والوصف انطلاقا من قراءة الروايات المتعلقة بدور علماء المغرب الأوسط –الجزائر- في تحصيل علوم اللغة العربية في كتب التاريخ والتراجم والسير والطبقات، مع الوقوف على إبراز إنتاجهم اللّغوي والفكري ودورهم في تنشيط الحركة العلمية وتأثيرهم الإيجابي ببلاد المغرب والمشرق الإسلامي في العلوم اللغوية خلال العصر الوسيط.

الكلمات المفتاحية:علماء الجزائر- علوم اللغة العربية- التراجم والسير- المختصرات والمتون.

مقدمـة:

لقد حظيت اللغة العربية وعلومها المختلفة بعناية كبيرة منذ أن شرفها الله عز وجل بأن أنزل القرآن الكريم بها، فأصبحت لغة الأمة الإسلامية، وتمتد جذورها في أعماق التاريخ؛ لهذا اهتم أهل اللّغة اهتماما كبيرا بها فأرخوا لها وجمعوا واستنبطوا منها ووضعوا القواعد بغية الحفاظ عليها.

وقد لقيت علوم اللغة العربية اهتماما بالغا من طرف علماء المغرب الأوسط- الجزائر- في العصر الوسيط؛ حيث تحفل كتب الطبقات والتراجم والسير خلال القرنين7-9هـ/13-15م بأسماء عديد الأعلام ممن أولوا عناية بالغة واهتماما بتعلم اللّغة العربية وتعليمها درسا ومباحثة وتأليفا؛ فخلفوا للأمّة تراثا ثقافيا ولغويا معتبرا في علوم النحو والصرف والبلاغة والعروض وغيرها؛ وسعوا إلى إبراز إسهاماتهم وإنتاجهم في المجال اللّغوي من شروح وحواشي ومختصرات ومتون ورسائل ومعاجم عن طريق نشره وتدريسه في حلقات العلم وفي رحلاتهم العلمية والمناظرات التي شاركوا فيها؛ وقد كان لهم دور بارز في تنشيط الحركة العلمية وتأثيرهم الإيجابي ببلاد المغرب والمشرق الإسلامي في العلوم اللغوية خلال العصر الوسيط، وهو ما سنسعى إلى الوقوف عليه وتتبعه من خلال قراءة ما جادت به كتب الطبقات والتراجم وما حوّته بين طياتها من معلومات تاريخية عنهم .

1/- عوامل ازدهار الاهتمام بعلوم اللغة العربية في المغرب الأوسط(الجزائر)مابين القرنين7-9ه/13-15م:

أ/ تشجيع السلاطين للعلم وللعلماء:

لقد شهد المغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية سياسة مشجعة للعلم والعلوم بنوعيها النقلية والعقلية؛ وعرف عن ملوك بني عبد الواد جهودهم في دعم العلم ورعاية أهله، حيث شجعوا الفقهاء والأدباء والعلماء واستقبلوهم من مختلف الحواضر الإسلامية؛ من ذلك الملك"يغمراسن" مؤسس الدولة الزيانية الذي عمل على تشجيع الحركة التعليمية والفكرية بتلمسان ورغب رجال العلم في الوفود على عاصمة دولته وأسهم بدعم العلم والعلماء وشجعهم على التدريس والتأليف، وعقد المجالس العلمية في قصره[1]؛ وقد سار ملوك بني زيان على دربه واشتهر منهم السلطان "أبو زيان محمد بن أبي حمو" كانت دولته مطلع القرن9ه ساهم مساهمة كبيرة في الحركة العلمية والأدبية بدولته[2]، وقد تحدث التنسي عنه في كتابه:"نظم الدر والعقيان" قائلا:" فأقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في نظم مجالسها واتساقها، فلاحت للعلم في أيامه شموس

وارتاحت للاستغراق فيه نفوس"؛ وقد شارك بنفسه في الحركة العلمية بالتأليف فألف كتابا في التصوف بعنوان:" الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة"[3].

ب/ المؤسسات التعليمية ودورها في ازدهار اللغة العربية:

لقد تنوعت المؤسسات التعليمية بالمغرب الأوسط(الجزائر) والتي لعبت دورا في نشر الثقافة الأدبية والعلوم اللغوية والفكر؛ وقد شهدت ازدهارا وتطورا خلال القرنين7-9ه/13-15م بفضل رعاية وإشراف السلاطين والحكام والأمراء من خلال التنافس على تشييدها والإنفاق عليها ومن هذه المؤسسات نجد:

-المساجد: يعد المسجد من أهم المباني الدينية لمايؤديه من دور فعال في حياة المجتمع المسلم عامة، ففضلا عن دوره الديني فإنه يؤدي كذلك مهاما لاتقل عن ذلك، إذ يعد

مقرا لممارسة وظيفة التعليم والتربية وكذلك مكانا للقضاء وإصدار الفتوى، ومن هنا فإن المسجد يعد القلب النابض الذي يبعث في التجمع البشري الحياة، ويعمل على تأطير المجتمع دينيا وتربويا وتعليميا[4]، وقد اشتهرت بالمغرب الأوسط خلال القرنين 7-9ه/13-15م العديد من المساجد التي جمعت بين الدور الديني والتعليمي نذكر منها: الجامع الأعظم ببجاية والذي يعود تاريخ بنائه إلى عهد أحد الحكام الحماديين وهو"المنصور بن الناصر"(481-498ه/1088-1104م) والذي كانت تعقد فيه حلقات الدروس المتنوعة[5]؛ وكذلك الشأن مع مسجد أولاد الإمام أسس في عهد الدولة الزيانية أنشأه السلطان"أبو حمو موسى الأول سنة 710ه[6].

-المدارس التعليمية: اهتم سلاطين بنو زيان بتشييد المدارس والاعتناء بها والإشراف الشخصي على تعيين المدرسين، ومن أشهر المدارس أنذاك نذكر" مدرسة أولاد الإمام" وتعد أول مدرسة أسسها بنو زيان بالمغرب الأوسط تم بناؤها بأمر من السلطان"أبو حمو موسى الأول" سنة710ه/1310م تحمل اسم ابني الإمام وهما العالمان الجليلان "أبو زيد عبد الرحمان" وأخوه"أبو موسى عيسى"، وقد درس بها العديد من الأعلام، ومن أشهر المدارس أيضا والتي ذاع صيتها في تلك الفترة وكان لها دور في نشر العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها نجد: المدرسة التاشفينية بناها السلطان "أبو تاشفين عبد الرحمان الزياني إكراما للعالم"أبو موسى المشدالي الزواوي"(718-737ه/1318-1337م)؛ والمدرسة اليعقوبية التي أنشأت على عهد السلطان"أبو حمو موسى الثاني"(760-791ه/1359-1389م) وغيرها[7].

- المكتبات ودورها الفكري والتعليمي: لقد شهدت بلاد المغرب الأوسط ظاهرة إنشاء المكتبات منذ فترة مبكرة وارتبط ذلك بوجود نخبة من العلماء ألفوا وبرعوا وساهموا في إثراء الحياة الفكرية والثقافية، ففي عهد الدولة الرستمية اهتم حكامها بتوفير الكتب وعملوا على جلبها إلى عاصمة الدولة "تيهرت" من الأقاصي البعيدة، وجعل ذلك منها مركزا للدراسات المتنوعة

ومركزا لاستقطاب العلماء وطلبة العلم الذين كان لهم دور في نقل العلوم والمعارف والكتب[8]، ومن أشهر المكتبات في ذلك العهد "مكتبة المعصومة" إذ كانت تحوي بين

رفوفها ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف أنواع الفنون والعلوم ككتب الرياضيات والفلسفة والطب والتاريخ واللّغة وغيرها[9]؛ وفي عهد الدولة الحمادية زاد عدد المكتبات العمومية والخاصة منها على سبيل المثال:"مكتبة المنار" بالقلعة والتي كانت تضم كتبا متنوعة تم جلبها من مختلف أقطار البلاد العربية والمغاربية مما أسهم في ازدهار الحياة التعليمية ببجاية حيث أضحت مقصد طلاب العلم وملجأ الشعراء والأدباء[10] .

وفي عهد الدولة الزيانية بلغ الاهتمام بتشييد المكتبات وجلب الكتب إليها أوج ازدهاره خاصة منتصف القرن 8هـ/14م حيث كانت المساجد والمدارس تحوي خزانات كتب متنوعة في مجالات عدة من العلوم والآداب والفنون[11]، من أشهرها: مكتبة الجامع الكبير بتلمسان والتي أنشأت سنة 760هـ/1359م بأمر من السلطان"أبو حمو موسى الثاني" الذي عُرف بحبه لجمع الكتب وهو صاحب كتاب" واسطة السلوك في سياسة الملوك"، حيث جمع بين الملك والعلم فكان شاعرا ومؤلفا[12].

هذا فضلا عن المكتبات الخاصة المتواجدة بأماكن عدة بالمغرب الأوسط؛ حيث كانت هذه المكتبات شخصية خاصة بأفراد معينين قاموا بإنشائها وكان يُسمح للآخرين باستعمالها إمّا عن طريق الاطلاع الداخلي أو الاستعارة؛ ومجموع مؤلفاتها كانت تدور في الغالب في نطاق تخصص أصحابها واهتماماتهم الشخصية[13]؛ نذكر منها على سبيل المثال: مكتبة عائلة الفكون بمدينة قسنطينة التي توارثها أفراد العائلة أبا عن جد منذ أوائل القرن6هـ/12م، إذ اشتهرت هذه الخزانة في عهد عالم الأسرة وأديبها "أبي علي حسن بن فكون"، حيث بلغ عدد المؤلفات التي تحويها أكثر من ألفين وخمسمائة مجلد في علوم شتى أغلبها في الفقه والحديث والأدب[14].

ج/ -الرحلة العلمية:

يقول ابن خلدون:"**إنّ الرحلة في طلب العلم ولقاء المشايخ مزيد كمال في التعلم والسبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة؛ إلاّ أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما و أقوم رسوخا؛ فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها،...فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها؛...وتُصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لما يسر الله عليه طرق العلم والهداية،...فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال**"[15]؛ وعليه فإنّ الرحلة العلمية هي سعي لطلب وتحصيل العلم ورغبة في التعلم واكتساب المعرفة؛ ولأجل هذا فقد شدّ أهل المغرب الأوسط الرحال لطلب العلم ولقاء المشايخ وتحصيل الإجازات العلمية في صنوف معرفية مختلفة خاصة منها العلوم الدينية كعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف والعلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها، وكانت وجهتهم خاصة إلى بلاد المشرق الإسلامي كالحجاز وبلاد الشام، والعراق ومصر؛ وغربا صوب الأندلس بحثا عن العلم والتحصيل وسعيا لنشر الفكر والثقافة العلمية [16]؛ والتي شهدت انتعاشا فكريا وثقافيا كبيرا خلال القرنين7-9هـ/13-15م.

ذلك أنّ فكرة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه تُعد مهمة في التعليم خلال فترة العصر الوسيط، بدليل أن طالب العلم لم يكتف بقراءة مصنفات الشيخ وحده وإنّما كان لابد أن يقرأها عليه أو يسمعها منه حتى يُعتبر ثقة في مادته وحجة في علمه وبدون ذلك لا تصح روايته ولا يوثق بقوله؛ وكذلك بالنسبة لطالب العلم تُعد من المفاخر التي يعتز بها لكثر فوائدها من اطلاع ومعرفة[17]؛ ولهذا تصادفنا في كتب الطبقات والتراجم أمثلة عديدة عن علماء المغرب الأوسط وأدبائها ممن رحلوا بهدف

طلب العلم ونشره وهو ما سنقف على ذكر أمثلة ونماذج عنهم في حينها من عناصر هذا البحث.

2/علماء الجزائر(المغرب الأوسط) ممن برعوا في مجال اللّغة العربية وعلومها مابين القرنين 7-9ه/13-15م:

لقد أظهر علماء الجزائر اهتماما ونبوغا في علوم اللغة العربية وآدابها، وبرز ذلك من خلال التأليف والتصنيف؛ ومن كتب علوم العربية التي كانت تُدرس ببجاية مثلا بحسب رواية الغبريني في كتابه"عنوان الدراية" ورد ذكر كتاب سيبويه الفقيه النحوي، وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي النحوي، وكتاب المفصل للزمخشري، وكتاب المقامات لابي القاسم الحريري، وكتاب آداب الكاتب لابن قتيبة وغيرها[18]؛ ومن أشهر الأعلام الذين ورد ذكرهم في كتب الطبقات والتراجم ممن برعوا في مجال العلوم اللغوية مابين القرنين7-9ه/13-15م نجد:

-عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر، يكنى أبا زيد وأبا القاسم، ويُعرف بابن السطاح،ت629ه/1232م: من أهل الجزائر وسكن بجاية كان عالما في اللغة العربية[19].

-أحمد بن هلال يُكنى(أبو العباس)،(ت640ه/1242م): من أهل الجزائر كان مشاركا في العربية وآدابها وأخذ علم العروض ببجاية عن أدبائها[20].

-محمد بن قاسم بن منداس الأشيري، يكنى أبا عبد الله(ت643ه/1245م): من أهل الجزائر عُرف بالنحوي لتغلبه في علم النحو[21].

- محمد بن أحسن بن علي بن ميمون القلعي(أبو عبد الله التميمي)، ت673ه/1275م ببجاية: نحوي من قلعة بني حماد انتقل إلى بجاية واستوطنها؛ عالم بالأدب وله نظم جيد؛ أخذ عنه الغبريني ووصفه في كتابه قائلا:**"كان في علم العربية بارعا مقدما محكما لفنونها الثلاثة، النحو واللغة والأدب، وكان له درس يحضره من الطلبة فضلاؤهم ونبهاؤهم، وتدور فيه المذاكرات المختلفة،...وتقرأ**

عليه جميع الكتب النحوية واللغوية والأدبية ويقوم على جميعها أحسن قيام؛ وهو أفضل من لقيت في علم العربية، لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام ...واستفدت منه كثيرا، قرأت عليه الإيضاح من فاتحته إلى خاتمته، وقرأت عليه قدر النصف من كتاب سيبويه، وقرأت عليه قانون أبي موسى الجزولي، وقرأت عليه جملة من الأمالي ومن زهر الأدب ومن المقامات وقصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي..."[22].

-سعيد بن محمد بن سعيد المليانى،ت771ه/1370م: من أهل مليانة كان مهتما بعلوم العربية[23].

-أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني (شهاب الدين)، ت 776ه/1374م: من أهل تلمسان وكان مهتما بعلوم العربية[24].

ومنهم من كان متضلعا في أكثر من علم كأن يكون فقيها ومحدثا وعالما باللغة العربية وفي كتب الطبقات والتراجم أمثلة عن ذلك، نورد منها مايلي:

-محمد بن علي بن حماد الصنهاجي يُكنى أبا عبد الله،ت628ه/1231م: أصله من قرية تُعرف بحمزة من حوز قلعة حماد وسكن بجاية كان عالما في كل من الفقه والحديث والتاريخ والنحو[25].

-أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية التلمساني،ت736ه/1335م:ذكره النباهي قائلا:" كبير قطره في عصره نباهة ووجاهة وقوة في الحق،...كاتبا بليغا يُنشئ الرسائل المطولة في المعاني الشاردة، ذا حظ وافر من علم العربية واللّغة والتأريخ له مؤلفات متنوعة منها كتاب**"شرح رسالة لمحمد بن عمر بن خميس الحجري نظما ونثرا" وله كتاب عن تاريخ مدينته تلمسان**؛ ومما ورد من نثره قوله:"عجبا لها أيذوق طعم وصالها من ليس يأمل أن يمر ببالها وأنا الفقيد إلى تعلة ساعة...منها وتمنعني زكاة جمالها..."[26].

-أبو العباس أحمد بن العباس النقاوسي، التلمساني،ت765ه/1364م: نحوي حافظ أديب له مشاركة في علوم اللغة والتفسير والحديث والمنطق، أخذ عن جلة

من العلماء كأبي علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي، وابن رشد القفصي، رحل من تلمسان قبل الحصار واستقر بتونس واشتغل بالتدريس؛ لقيه "أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي الأندلسي" قبل سنة 765هـ وذكره في رحلته **"تاج المفرق في تحلية أهل المشرق"** فقال عنه:" **كان حافظا مجيدا وناقلا سديدا، وناقدا شديدا، وعارفا مديدا، ومدرسا مفيدا،...أوحد من برع في علمي البيان والكلام، وأوجد النّاس للدر إذا خاض بحر العلوم بسوابح الأقلام، أديب العصر ونحويه وبيانيه وحكميه ومنطقيه، قرأت عليه تأليفه المسمى(الروض الأريض في علم القريض) وتأليفه في الأدب و(حديقة الناظر في تلخيص المثل السائر في البيان)، و(شرح المصباح لابن مالك) و(إيضاح السبيل إلى القصد الجليل في علم الخليل) شرح على عروض ابن الحاجب، وله تآليف غيرها عُرف قدرها واشتهر ذكرها"**[27].

3-العلماء الأندلسيين المتضلعين في علوم اللغة العربية ممن استقروا بالجزائر(المغرب الأوسط) مابين القرنين 7-9هـ/13-15م:

لقد وقع ترابط وتواصل علمي بين المغرب الأوسط والأندلس منذ أقدم العصور وتوثقت الصلات والروابط العلمية والثقافية بشكل أوسع خلال القرنين 7-9هـ/13-15م؛حيث ساهمت الرحلات العلمية بين البلدين في دفع التفاعل الفكري والعلمي، وأخذ العلماء والأدباء يزدادون اتصالا ببعضهم البعض وكان علماء الأندلس وطلبة العلم يجيزون إلى بلاد المغرب للإفادة والاستفادة ما أسهم في دفع الحركة العلمية والأدبية بين القطرين[28]؛ ومن الأسماء الأندلسية التي برزت ولمع صيتها في مجال علوم اللغة العربية بالمغرب الأوسط خلال الفترة موضوع الدراسة نجد:

-أحمد بن محمد بن عبد العزيز(أبو جعفر بن عياش التجيبي)،ت629هـ/1231م: من برشانة وسكن قبلها سرقسطة أخذ العلم عن أبيه وعن جماعة من الأعلام كأبي الخطاب أحمد بن أبي الحسن، وأبي القاسم أحمد بن يزيد، كانت له عناية بالأدب**"كان كاتبا محسنا بارع الخط، رائق الطريقة فيه، نفاعا لأصحابه وذوي معرفته...، كان منزله مألف لطلبة العلم يأوون إليه"**، كتب عن "المستنصر أبي

يعقوب يوسف بن الناصر" من آل عبد المؤمن، كما استُقضي بسبتة وتلمسان، وتوفي متلبسا بالكتابة[29].

- **محمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي،ت ق7ه/13م:** إشبيلي الأصل"كان أديبا بارع الكتابة، شاعرا مجيدا، رائق الخط، ذا مشاركات في فنون العلم مؤلفا متقنا فسر الكتاب العزيز وشرح الأسماء الحُسنى، وصنف كتبا في أصول الفقه، وله في التصويف نظم حسن كثير في الزهد وسبل الخير والوعظ"، وتوفي بتلمسان[30].

- **عبيد الله بن محمد (أبو الحسين النفزي) الشاطبي،ت645ه/1247م:** من أهل شاطبة وخرج من بلده عند تغلب العدو عليه، نزل ببجاية وكان حافظا للفقه والحديث مشاركا في غيرها أديبا نحويا يجود الشعر، اشتغل بالتدريس وأقبل على العبادة والزهد وتوفي ببجاية[31].

- **سعيد بن علي بن محمد(أبو عثمان زاهر الأنصاري)،ت654ه/1256م:** من أهل بلنسية قرأ بالأندلس ولقي جلة من العلماء وأخذ عنهم؛ واستقر ببجاية وأقرأ بها وأخذ عنه واستُفيد منه "**له علم بالقراءات وحظ من العربية، محكم الرواية متقن الدراية**"، تخطط بالعدالة ببجاية وتوفي بها[32].

- **محمد بن عبد الله (أبي عبد الله القضاعي)، المعروف بابن الأبار، ت658ه/1260م:** من أهل بلنسية اشتهر ببراعته الأدبية، اختار مغادرة الأندلس والنزول ببجاية إثر سقوط بلده بلنسية بيد النصارى؛ وفي بجاية برزت موهبته الأدبية حيث درس بها وأقرأ وأقبل الطلبة على دروسه واستفادوا من أسلوبه في الكتابة؛ كما اتجه إلى الكتابة السلطانية، وقدم فيها للأدب والسياسة كتابه المهم"**إعتاب الكتاب**"؛ والذي مثل موسوعة أدبية وتاريخية قيّمة لكبار الكتاب في الشرق والغرب الإسلامي، حيث اشتمل على خمس وسبعين من التراجم؛ وله أيضا كتاب"التكملة" لصلة أبي القاسم بن بشكوال وصارت مؤلفاته من الأمثلة المتبعة في هذا النوع من الكتابة نظرا لقوة أسلوبها وغزارة مادتها إضافة إلى دقتها ووضوحها،

وقال عنها الغبريني:**"له تآليف حسنة ونزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة...، وكان فصيح القلم واللسان بارع الخط"**[33].

-سعيد بن حكم بن عمر(أبو عثمان الأندلسي)،ت680هـ/1281م: من أهل طبيرة غرب الأندلس، دخل بجاية وبقي بها مدة، **"له علم بالعربية والأدب وله نظم ونثر وكتابة مستحسنة"**، اشتغل بالكتابة عن بعض أمراء إفريقية في بجاية وتونس[34].

- محمد بن عبد الله بن داود (أبو بكر بن خطاب الغافقي)،ت686هـ/1287م: من أهل مرسية نزيل تلمسان، روى العلم ببلده عن جماعة منهم أبي بكر بن جهور وأبي المطرف بن عميرة وغيرهم، كان كاتبا بارعا وشاعرا مجيدا، مع نباهة وحسن فهم ذو فضل وتعقل وحسن سمت، ورد على غرناطة واستعمل في الكتابة السلطانية مدة؛ ثمّ رجع إلى مرسية مدة ثم انفصل عنها واستقر بتلمسان كاتبا عند سلطانها"أبي يحي يغمراسن بن زيان"، وتوفي بمدينة تلمسان يوم عاشوراء؛ ومن بدائع شعره قوله:

اقنع بما أوتيته تنـــل الغنى وإذا دهتك ملمة فتصبـــــر

واعلم بأن الرزق مقسوم فلو رمنا زيادة ذرة لم نقـــــــدر

والله أرحم بالعباد فلا تسـل أحدا تعش عيش الكرام وتؤجـر[35].

- محمد بن صالح بن أحمد بن رحيمة الشاطبي(الخطيب أبو عبد الله)، ت699هـ/1299م: من أهل شاطبة رحل إلى العدوة واستوطن بجاية؛ **" كان عالم بعلم القرءات متقنا فيها مجيدا لها، وله معرفة بعلم العربية والنحو واللغة والأدب وله رواية متسعة...وله شعر حسن"**، ولي النظر في قضاء الأنكحة، كما تولى إقامة الفريضة والخطبة ببجاية بجامعها الأعظم ما ينيف عن الثلاثين عاما،**"يقرأ كتب العربية فيجيد وأجود ذلك مفصل الزمخشري قرأه وأحكمه،... وتُقرأ عليه دواوين الأشعار تفقها كشعر حبيب والمتنبي والمعري والأشعار الستة،...كل ذلك على إتقان وإحكام وجودة إيراد"**[36].

4- علماء الجزائر(المغرب الأوسط) ودورهم في نشر علوم العربية بالمشرق مابين القرنين7-9هـ/13-15م:

لقد شد علماء المغرب الأوسط وطلبته الرحال إلى المشرق الإسلامي وإلى البقاع المقدسة مكة والمدينة المنوّرة لآداء مناسك الحج والعمرة، فضلا عن أغراض دنياوية كالنشاطات الاقتصادية والروابط الاجتماعية وللتحصيل العلمي، وقد تفاوتت مدة إقامتهم هناك من شخص لآخر ومن فترة لأخرى فمنهم من كانت رحلته وزيارته وقتية ارتبطت بآداء فريضة الحج ومناسك العمرة ثم الرجوع بعدها؛ ومنهم من طالت مدة رحلته ليقرر الاستقرار الدائم بها حيث كانت وجهة هؤلاء لطلب العلم ونشره وللقاء المشايخ وتحصيل الإجازات العلمية في صنوف ومعارف شتى كان من أبرزها علوم اللغة العربية وفي هذا الصدد تحيلنا كتب الطبقات والتراجم إلى العديد من الأعلام نذكر منهم:

- شرف الدين الفهري(أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي)التلمساني، ت658هـ/1258م: كان عالما في الفقه والأدب فصيحا حسن التعبير، رحل إلى مصر وتصدر الإقراء فيها فانتفع به النّاس، وقد ترك العديد من المصنفات منها كتاب **المغني وكتاب"شرح لمح الأدلة لإمام الحرمين" وكتاب"إرشاد السالك إلى أبين المسالك" و"شرح الجمل في النحو للجرجاني"** وله الكثير من الفوائد الأخرى، وتوفي بمصر[37].

- أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله الكومي التلمساني،ت670هـ/1271م: ولد سنة 616هـ/1219م: كان عالما متقنا متفننا في علوم عدة منها النحو والأدب والفقه والأصول أديب ماهر جيد النظم، رحل واستقر في دمشق له تصانيف في علوم عدة منها كتاب**"شرح مقامات النفري" و"شرح تائية ابن الفرضي"و"شرح القصيدة العينية لابن سينا"و"شرح فصوص الحكم" وله ديوان مشهور من الشعر كما له أيضا كتاب في علم العروض**؛ توفي في دمشق يوم الأربعاء الخامس من رجب ودفن بمقابر الصوفية[38].

-شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحي بن أبي بكر التلمساني، المعروف بابن أبي حجلة ت776هـ/1375م:

ولد بتلمسان سنة725ه/1325م رحل إلى دمشق ودرس الأدب ثم قدم مصر وعمره إحدى وخمسين سنة وحصل بها العلم، كان ماهرا في الأدب والنثر عمل مقامات وغيرها وأجاد فيها، ذكره ابن ثغر بردي،ت874ه/1469م بقوله:**"الشيخ الإمام الأديب المتقن"**، له مصنفات كثيرة تبلغ ستين مصنفا منها: **ديوان شعر سماه"ديوان الصبابة" وكتاب"السجع الجليل فيما جرى من النيل"...وكتاب"الأدب الغض" وكتاب"النحر في أعمدة البحر"...وكتاب"مجتبى الأدباء"**، وقد تولى أحمد بن أبي حجلة مشيخة"خانقاه منجك اليوسفي" أثناء إقامته بمصر إلى أن مات بها في الطاعون الذي ضرب مصر[39].

- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني،ت781ه/1380م:

ولد بتلمسان سنة711ه/1312م تلقى تعليمه الأولي في مدينته ثم رحل لطلب العلم فقصد المغرب وسمع وأخذ عن عدد من أعلام تونس وبجاية والزاب ؛كما رحل إلى مكة المكرمة ودمشق ومصر حتى صار من العلماء المشار إليهم بالعلم والمعرفة؛ فدرس عليهم الفقه والأصول والعربية والأدب ثمّ رجع إلى بلده ليشد الرحال مرة أخرى إلى مصر سنة773ه/1372م ودرس بالقاهرة؛ أشاد ابن حجر العسقلاني بفضائله فقال:**"نعم الرجل هو معرفة بالعربية والفنون وحسن الخط والخلق والوقار والمعرفة والأدب التام"**[40]؛ كما أشاد ابن الخطيب بنبوغه فقال:**" سيدي وسند أبي فخر المغرب وبركة الدول وعلم الأعلام،...غاص المنزل بالطلبة منقاد للدعوة بارع الخط أنيقه،...متسع الرواية مشارك في فنون...يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف، فلا يعدو السداد في ذلك، فارس منبر غير جزوع ولا هياب"**[41]؛ وله العديد من التصانيف في فنون متنوعة منها في علوم اللغة العربية **كتاب"تمهيد المسالك إلى شرح ألفية بن مالك في النحو"**[42]، ولحفيده **"محمد بن مرزوق"،ت842ه/1438م مؤلفات في علم النحو منها: "الاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب"و"المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج" قال من اطلع عليها:**

أنه أجاب بها ابن سراج عن مسائل نحوية ومنطقية، وكتاب"المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية"[43].

-يحي بن عبد الرحمان العجيسي(862هـ/1458م): نشأ ببجاية وتعلم بها وبقسنطينة وعنابة وتونس فأخذ عن أشياخها علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو والمعاني والبيان، رحل إلى المشرق، وقال السخاوي في ترجمته:"**كان إماما نحويا فصيحا مفوها قوي الحافظة...**"، وقد قام يحي الموصوف بالعلم في النحو والعربية بشرح ألفية ابن مالك في أربع مجلدات[44].

خاتمة:

وفي الختام نستنتج بأن علماء المغرب الأوسط-الجزائر- كان لهم دور مميز في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية خلال العصر الوسيط من خلال إسهاماتهم الرائدة في التأليف والتصنيف في علوم اللغة العربية داخل بلدهم وخارجه، وهو ما يعكس المكانة والتطور الذي بلغوه في هذا المجال.

كما وقد أسهموا في نشر علوم اللّغة العربية وكان لهم تأثير واضح في بلاد المشرق الإسلامي والأندلس من خلال الرحلات العلمية والإجازات المحصل عليها؛ وهو ما كشف عن مدى نبوغهم وأثرهم الفعال وذلك ما حفظته لنا سير رجالاتهم من خلال ما دوّن عنهم في كتب الطبقات والتراجم والسير.

الإحالات :

[1] قلال فاطمة الزهرة، التراث العلمي للغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي التصنيف ودوافع التأليف، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2021-2022،ص68.

[2] بوشقيف محمد، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2010-2011،ص27.

[3] التنسي محمد بن عبد الله، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان"تاريخ بني زيان ملوك تلمسان"، تحقيق وتعليق محمود بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011،ص210-211- بوشقيف محمد، المرجع السابق،ص28.

[4] زينب لهيم، المساجد الريفية بمنطقة بجاية"دراسة أثرية لبعض النماذج"، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، المجلد4، العدد6، 2018،ص80.

[5] ديب صفية، المؤسسات التعليمية في بجاية ودورها التعليمي في عصري الموحدين والحفصيين من القرن(7-10هـ/13-16م)، مجلة الباحث، المجلد5، العدد 10،،2014،ص295.

[6] قلال فاطمة الزهرة، المرجع السابق،ص77.

[7] المرجع نفسه،ص81-82.

[8] صاحبي بوعلام، مراكز النشاط الفكري ببلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى أواخر القرن الثالث الهجري، الثامن إلى أواخر القرن التاسع الميلادي، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد15، العدد1، 2014،ص57-58.

[9] الحريري عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي"حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160-296هـ)،ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م،ص237-238.

[10] عويس عبد الحميد، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991،ص254.

[11] لخضر زينب، حميدي مليكة، وقف الكتب والمكتبات وأثره في الحياة العلمية بالدولة الزيانية خلال القرنين7-10هـ/ 13-16م، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران2، المجلد10، العدد3، 2021،ص420.

[12] بوداود عبيد، قراءة في أوقاف مدارس وزوايا تلمسان الزيانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد3، 2008،ص45- 46.

[13] أشرف صالح، التراث الفكري في الدولة الإسلامية المكتبات الشخصية من القرن الثاني إلى القرن العاشر الهجري، مجلة العلوم الإسلامية، المجلد2، العدد2، 2020،ص13.

[14] كروم عيسى، فيلالي عبد العزيز، أحباس الكتب المخطوطة في المغرب الأوسط مواصفاتها وأشكال الانتفاع بها(7-10ه/13-16م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد2، العدد4، 2016،ص97-98.

[15] ابن خلدون(عبد الرحمان)، المقدمة، ضبط المتن والحواشي خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001،ص744.

[16] لتفصيل ينظر: عطايلية شيماء، درارجة رانيا، الرحلة العلمية للمغاربة إلى المشرق من القرن الأول إلى السادس هجري/السابع إلى الثاني عشر الميلادي، مذكرة ماستر في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، جامعة 8ماي 1945، قالمة، 2021-2022،ص،ص69-76.

[17] عبو دليلة، بوركبة محمد، مكانة علماء المغرب الأوسط من خلال الموروث التراجمي الأندلسي مابين القرنين6-8ه/12-14م علماء تلمسان أنموذجا-دراسة إحصائية-، مجلة الإحياء، المجلد22، العدد30، 2022،ص765.

[18] ميلودي أحمد، الحياة العلمية ببجاية من خلال كتاب عنوان الدراية للغبريني،ت714ه/1314م، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد10، العدد1، 2021،ص39.

[19] ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله القضاعي)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس،دار الفكر، بيروت،1995، ج3،ص55.

[20] ابن الأبار، المصدر السابق ،ج1،ص113.

[21] المصدر نفسه ،ج2،ص168.

[22] الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق عادل نويهض، ط2،منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979،ص،ص67-72-بوكو جمال، الملامح العلمية والفكرية في كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للإمام أبي العباس الغبريني(ت714ه)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 10، العدد1، 2022،ص44.

[23] صراندي حليمة، كرارز فوزية، علماء المغرب الأوسط في الموروث التراجمي المصري والأندلسي: كتاب الدرر الكامنة والتكملة لكتاب الصلة أنموذجين- دراسة مقارنة- مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران 1، المجلد12، العدد1، 2022،ص190.

[24] المرجع نفسه،ص190.

[25] ابن الأبار، المصدر السابق،ج2،ص166-167.

[26] النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس"المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، 1983،ج1،ص134-135- قيس فتحي، المرجع السابق،ص120.

[27] نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980،ص331- 332.

[28] بلعربي خالد، إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بوهران من القرن الخامس الهجري إلى القرن التاسع الهجري(11-15م)، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، العدد2، 2014،ص54.

[29] ابن الآبار، المصدر السابق،ج1،ص105.

[30] بوباية عبد القادر، إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري(13م)، مجلة عصور الجديدة، العدد2(عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية)،2011،ص161-162.

[31] ربيعي عبد الصمد، الهجرات العلمية الوافدة على بجاية القرنين6-7ه/12-13م دراسة إحصائية تحليلية، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد6، 2018،ص103.

[32] الغبريني، المصدر السابق،ص289-290.

[33] الغبريني، عنوان الدراية،ص،ص309- 313-عمارة محمد، الأثر العلمي للأندلسيين بالمغرب الأوسط خلال القرن7ه/13م بجاية وتلمسان نموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، العدد11، 2016،ص169.

[34] الغبريني، المصدر السابق،ص،ص303-306.

[35] ابن الخطيب(لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق وتقديم محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974،ج2،ص،ص426-433.

[36] الغبريني، المصدر السابق،ص،ص79-83.

[37] ابن قاضي شهبة(أبو بكر بن أحمد بن محمد)، طبقات الشافعية، تحقيق عبد العليم خان،ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407ه،ج2،ص،ص7-10- قيس فتحي أحمد، إسهامات علماء الجزائر في الحركة العلمية والفكرية في الحضارة العربية الإسلامية من القرن السابع حتى التاسع للهجرة/ الثالث عشر حتى الخامس عشر للميلاد"علماء مدينة تلمسان أنموذجا"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد6، العدد1، 2022،ص109.

[38] الكتبي محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق علي محمد بن يعوض الله، عادل أحمد عبد الموجود،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2000،ج1،ص،ص456-457.كحالة رضا، معجم

المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج4،ص270- فؤاد بن أحمد عطاء الله، مؤلفات علماء تلمسان في علوم القرآن والفقه والعربية دراسة ببليوغرافية، مجلة التراث، المجلد9، العدد32، 2019،ص100.

[39] ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أبي الفضل أحمد)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعين خان، ط2،مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1972 ،ج1،ص-390-391- ابن ثغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر، دت،ج6،ص240-ج11،ص131- قيس فتحي، المرجع السابق،ص،ص120-122.

[40] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،ج5،ص96- قيس فتحي، المرجع السابق،ص112-113.

[41] المقري(أحمد بن محمد التلمساني)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1388ه،ج5،ص391.

[42] ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق محمد عبد المعين خان،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م،ج1،ص322- البغدادي(صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م،ج6،ص1701- قيس فتحي، المرجع السابق،ص115.

[43] فؤاد بن أحمد عطاء الله،المرجع السابق،ص101.

[44] السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1985،ج10،ص72- بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، مجلة مقامات، المجلد5، العدد1، 2021،ص،ص12، 24.

قائمة المصادروالمراجع:

- ابن الخطيب(لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق وتقديم محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974.

- النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس"المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، 1983.

- ابن ثغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر، دت.

- البغدادي(صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

- بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، مجلة مقامات، المجلد5، العدد1، 2021.

- فؤاد بن أحمد عطاء الله، مؤلفات علماء تلمسان في علوم القرآن والفقه والعربية دراسة ببليوغرافية، مجلة التراث، المجلد9، العدد32، 2019.

- قيس فتحي أحمد، إسهامات علماء الجزائر في الحركة العلمية والفكرية في الحضارة العربية الإسلامية من القرن السابع حتى التاسع للهجرة/ الثالث عشر حتى الخامس عشر للميلاد"علماء مدينة تلمسان أنموذجا"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد6، العدد1، 2022.

-ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله القضاعي)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس،دار الفكر، بيروت،1995.

-ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أبي الفضل أحمد)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعين خان، ط2،مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1972 .

-ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق محمد عبد المعين خان،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

-ابن خلدون(عبد الرحمان)، المقدمة، ضبط المتن والحواشي خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.

-ابن قاضي شهبة(أبو بكر بن أحمد بن محمد)، طبقات الشافعية، تحقيق عبد العليم خان،ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ.

-أشرف صالح، التراث الفكري في الدولة الإسلامية المكتبات الشخصية من القرن الثاني إلى القرن العاشر الهجري، مجلة العلوم الإسلامية، المجلد2، العدد2، 2020.

-التنسي محمد بن عبد الله، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان"تاريخ بني زيان ملوك تلمسان"، تحقيق وتعليق محمود بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

-الحريري عيسى،الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي"حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس(160-296ه)"،ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.

-السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1985.

-الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق عادل نويهض، ط2،منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.

-الكتبي محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق علي محمد بن يعوض الله، عادل أحمد عبد الموجود،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2000.

-المقري(أحمد بن محمد التلمساني)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1388ه.

-بلعربي خالد، إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بوهران من القرن الخامس الهجري إلى القرن التاسع الهجري(11-15م)، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، العدد2، 2014.

-بوباية عبد القادر، إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري(13م)، مجلة عصور الجديدة، العدد2(عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية)،2011.

-بوداود عبيد، قراءة في أوقاف مدارس وزوايا تلمسان الزيانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد3، 2008.

-بوشقيف محمد، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2010-2011.

-بوكو جمال، الملامح العلمية والفكرية في كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للإمام أبي العباس الغبريني(ت714ه)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 10، العدد1، 2022.

-ديب صفية، المؤسسات التعليمية في بجاية ودورها التعليمي في عصري الموحدين والحفصيين من القرن(7-10ه/13-16م)، مجلة الباحث، المجلد5، العدد 10،،2014.

-ربيعي عبد الصمد، الهجرات العلمية الوافدة على بجاية القرنين6-7ه/12-13م دراسة إحصائية تحليلية، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد6، 2018.

-زينب ليهم، المساجد الريفية بمنطقة بجاية"دراسة أثرية لبعض النماذج"، مجلة منبر التراث الأثري، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، المجلد4، العدد6، 2018.

-صاحبي بوعلام، مراكز النشاط الفكري ببلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى أواخر القرن الثالث الهجري، الثامن إلى أواخر القرن التاسع الميلادي، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد15، العدد1، 2014.

-صراندي حليمة، كرارز فوزية، علماء المغرب الأوسط في الموروث التراجمي المصري والأندلسي: كتاب الدرر الكامنة والتكملة لكتاب الصلة أنموذجين- دراسة مقارنة- مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران 1، المجلد12، العدد1، 2022.

-عبو دليلة، بوركبة محمد، مكانة علماء المغرب الأوسط من خلال الموروث التراجمي الأندلسي مابين القرنين6-8ه/12-14م علماء تلمسان أنموذجا-دراسة إحصائية-، مجلة الإحياء، المجلد22، العدد30، 2022.

-عطايلية شيماء، درارجة رانيا، الرحلة العلمية للمغاربة إلى المشرق من القرن الأول إلى السادس هجري/السابع إلى الثاني عشر الميلادي، مذكرة ماستر في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، جامعة 8ماي 1945، قالمة، 2021-2022.

-عمارة محمد، الأثر العلمي للأندلسيين بالمغرب الأوسط خلال القرن7ه/13م بجاية وتلمسان نموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، العدد11، 2016.

-عويس عبد الحميد، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

-قلال فاطمة الزهرة، التراث العلمي للغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي التصنيف ودوافع التأليف، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2021-2022.

-كحالة رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

-كروم عيسى، فيلالي عبد العزيز، أحباس الكتب المخطوطة في المغرب الأوسط مواصفاتها وأشكال الانتفاع بها(7-10ه/13-16م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد2، العدد4، 2016.

-لخضر زينب، حميدي مليكة، وقف الكتب والمكتبات وأثره في الحياة العلمية بالدولة الزيانية خلال القرنين7-10ه/ 13-16م، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران2، المجلد10، العدد3، 2021.

-ميلودي أحمد، الحياة العلمية ببجاية من خلال كتاب عنوان الدراية للغبريني،ت714ه/1314م، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد10، العدد1، 2021.

-نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980.

المُنْجَزُ اللُّغَوِي لِعُلَمَاءِ الجَزَائِرِ القُدَامَى مِنْ مَنْظُورِ لِسَانِيَّاتِ التُّرَاثِ

أد. حنان غياط - المركز الجامعي مغنيّة

h.ghiat@cu-maghnia.dz

المقدّمة:

يُعدّ التراث اللّغوي العربي أحد الركائز الأساسية في تشكيل الوعي العلمي العربي، إذ مثّل مجالًا خصبًا لإنتاج المعرفة وتحليل الظواهر اللغوية بأدوات ومفاهيم أصيلة. ومع ظهور الدراسات اللسانية الحديثة التي أعادت النظر في هذا التراث من خلال مفاهيم جديدة، نشأ اتجاه معرفي عُرف بـ"لسانيات التراث"، سعى إلى التعامل مع التراث اللغوي لا باعتباره مادة ماضية جامدة، بل باعتباره جهازًا مفهوميًا متكاملًا يملك أدواته الخاصة.

وفي ضوء هذا التوجه، تبرز الحاجة إلى إعادة استكشاف جهود علماء الجزائر القدامى الذين أسهموا في خدمة اللغة العربية عبر مؤلفات تنوّعت بين الشروح والحواشي والمعاجم والتقريرات النحوية والبلاغية. غير أنّ هذه الجهود، رغم قيمتها العلمية، ظلّت في معظم الأحيان حبيسة الهامش، أو تناولتها دراسات وصفية لم تُبرز بعدها اللساني العميق.

من هنا، يسعى هذا البحث إلى مقاربة المنجز اللغوي لعلماء الجزائر القدامى في إطار "لسانيات التراث"، للكشف عن ملامح التفكير اللساني لديهم، ورصد مقارباتهم في دراسة الظواهر اللغوية، واستثمار مناهجهم ضمن رؤية جديدة تُعيد الاعتبار للجهد اللغوي المحلي، وتربطه في الوقت ذاته بالأفق المعرفي المعاصر.

وتنطلق إشكالية هذا البحث من تساؤلات محورية: كيف يمكن قراءة المنجز

اللغوي لعلماء الجزائر في ضوء لسانيات التراث؟ وما أبرز الخصائص اللسانية التي تكشف عنها مؤلفاتهم؟ وإلى أيّ مدى يسهم هذا المنجز في بلورة وعي لغوي جزائري أصيل ومتجذّر؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، اعتمدنا خطة بحثية تقوم على ثلاثة مباحث رئيسية:

- المبحث الأول: التعريف بلسانيات التراث وبيان مناهجها التحليلية.
- المبحث الثاني: استعراض جهود علماء الجزائر القدامى في مجالات النحو والبلاغة والمعاجم.
- المبحث الثالث: محاولة وصل هذه الجهود التراثية بمفاهيم اللسانيات الحديثة، بغرض إبراز القيمة العلمية للمنجز الجزائري في سياقه التاريخي والمعرفي.

المبحث الأول: التعريف بلسانيات التراث ومناهجها التحليلية.

أوّلا: التعريف بلسانيات التراث.

تعرّف لسانيات التراث بأنّها ممارسة لغويّة تستهدف دراسة الفكر اللّغوي من حيث إنّه تصوّرات ومفاهيم وطرائق التحليل في ضوء النظريات اللّسانية الحديثة (غلفان، 2007).

فهذه الممارسة اللغوية تُعنى بدراسة الفكر اللغوي بوصفه منظومة من التصورات والمفاهيم وطرائق التحليل، وذلك في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، فهي تُعدّ نمطًا من أنماط الكتابة اللسانية، يقوم على تناول التراث اللغوي العربي القديم في شموليته وكليته، ويتخذه موضوعًا وأساسًا للدراسة.

ومن ثَمّ، فإن لسانيات التراث تُشير إلى مجموع الأعمال التي تناولت هذا التراث من منظور لساني حديث، في محاولة للتقريب بين مضامين الفكر اللغوي العربي القديم من جهة، والنظريات اللسانية الحديثة والمتعددة من جهة أخرى.

ثانيا: منهج لسانيات التراث.

بما أن موضوع لسانيات التراث يتمثّل في دراسة التراث اللغوي العربي في

شموليته، فإن الباحثين المنتمين إلى هذا الاتجاه يتبنون منهجًا يُعرف بـ"منهج القراءة" أو "إعادة القراءة"؛ حيث تهدف لسانيات التراث إلى إعادة قراءة التصورات اللغوية القديمة في ضوء ما توصّل إليه البحث اللساني الحديث، ومحاولة التوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللسانية المعاصرة، ثم تقديم هذه التصورات في صيغة جديدة تُبرز قيمتها التاريخية والحضارية (غلفان، 2007).

ثالثا: اتجاهات القراءة في لسانيات التراث.

عند دراسة لسانيات التراث، نواجه إشكالية أساسية تتمثل في تعدّد الاتجاهات التي ينطلق منها اللسانيون المهتمون بهذا المجال،

فاللسانيات التراثية ليست مدرسة موحّدة أو تيارًا واحدًا، بل هي مجال تتعدد فيه القراءات وتتنوّع فيه الرؤى والمقاربات. ولهذا، يمكن اعتبار الدراسات اللسانية التراثية سلسلة من الاجتهادات الفردية، والمواقف النقدية، والتحليلات الخاصة التي تعبّر عن تنوّع في النظر إلى التراث اللغوي العربي، ويمكن تصنيف طرائق قراءة التراث اللغوي إلى ثلاث اتجاهات رئيسة، تختلف في مقاصدها ومنهجها (غلفان، 2007):

1. **القراءة الممجِّدة للتراث:**

وهي القراءة الأكثر شيوعًا، وتعتمد على إبراز الأسبقيّة التاريخية للتراث العربي على اللسانيات الحديثة، وتتّسم بإضفاء هالة من التقدير والإعجاب، بل والتقديس أحيانًا، على هذا التراث، مُعليّة من شأنه إلى مرتبة تفوق ما جاءت به النظريات اللسانية المعاصرة.

ومن أبرز من يمثل هذا الاتجاه: عبد السلام المسدّي ونهاد الموسى.

2. **القراءة الإصلاحية للتراث:**

وتهدف هذه القراءة إلى تنقية النحو العربي من الشوائب التي لحقت به عبر العصور، كالمبالغة في التجريد، والتعليل، والإعمال بالعوامل، والتقدير، وغيرها من الممارسات الشكلية التي تعيق الفهم والتطبيق.

ويمثل هذا الاتجاه بوضوح: تمام حسان في كتاباته.

3. القراءة التفاعلية للتراث:

وتسعى إلى إعادة إدماج النظرية اللغوية القديمة في سياق الفكر اللساني العام، من خلال إقامة تفاعل حيوي بينها وبين اللسانيات الحديثة، قائم على مبدأ الأخذ والعطاء، والتفاعل المتبادل، ويمثل هذا الاتجاه كلٌّ من: أحمد المتوكل في بعض أعماله، وعبد الرحمن الحاج صالح في كثير من كتاباته.

إنّ القراءة السليمة للتراث اللغوي تقتضي بالضرورة التمييز بين الفكر اللغوي القديم والفكر اللساني الحديث، وذلك انطلاقًا من ثلاثة فروق جوهرية (العناتي، 2009، صفحة 114):

1. ظروف الإنتاج:

نشأ الفكر اللساني الحديث في محيط علمي متكامل، استفاد من تطور العلوم المجاورة كالأنثروبولوجيا، والفلسفة، وعلم النفس، والرياضيات، وهو ما لم يتوفر للدرس اللغوي القديم الذي تشكل في بيئة معرفية محدودة نسبيًا.

2. موضوع الدراسة:

انحصرت الدراسات اللغوية القديمة غالبًا في تحليل لغة واحدة، هي اللغة العربية، وتوصيف قواعدها وحمايتها من اللحن، في حين تنصبّ اللسانيات على دراسة اللغات البشرية كافة، وتسعى إلى فهم ما يُعرف بـ"الملكة اللسانية" التي تميّز الإنسان دون غيره.

3. الغاية:

كانت الغاية الأساسية من الجهود اللغوية القديمة هي تعليم اللغة والحفاظ عليها، بما يخدم أغراض الدين والبلاغة والتعليم، بينما تهدف اللسانيات الحديثة إلى بناء نحو كلي يُعنى برصد الخصائص العامة للّسان البشري، ومحاولة تفسير آلياته الكامنة.

وبالتالي فإنّ الفرق بين الفكر اللغوي القديم واللسانيات الحديثة يكمن في ظروف النشأة، واتساع موضوع الدراسة، واختلاف الغاية؛ إذ انحصر القديم في اللغة العربية وخدمتها، بينما تسعى اللسانيات الحديثة إلى فهم شامل للظاهرة اللغوية

البشرية.

المبحث الثاني: جهود العلماء الجزائريين القدامى في خدمة اللغة العربية.

أولاً: الموضوعات الصّوتيّة في الموروث الجزائري.

تُعدّ الدراسات الصوتية أحد أبرز مكوّنات الدرس اللغوي العربي التقليدي، إذ انشغل النحاة والقرّاء بوصف الأصوات وتحديد مخارجها وصفاتها، إلى جانب تحليلها في السياق التركيبي والدلالي، وفي السياق الجزائري، برز عدد من العلماء الذين أسهموا في هذا المجال، سواء من خلال مؤلفات متخصّصة في التجويد والأداء الصوتي، أو عبر إشارات وتحليلات وردت ضمن كتبهم النحوية والشرعية والتعليمية، والتي تُظهر وعيًا لغويًا صوتيًا متقدمًا.

وقد شكّلت المدرسة القرآنية عبر التاريخ الجزائري اللّبنة الأولى للتعليم اللّغوي، إذ كان الحفظ الشفهي للقرآن الكريم يشكّل محورها الأساسي. ونتيجة لذلك، نشأ لدى المتعلمين وعي صوتي مبكّر، حيث تتطلب التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم معرفة دقيقة بمخارج الحروف وصفاتها، وأحكام التجويد المختلفة كالإدغام، والإظهار، والإقلاب، والغنّة، والتفخيم، والترقيق، وغيرها.

وعليه، لم تكن المدرسة القرآنية مجرّد فضاء للحفظ، بل مثّلت مؤسسة صوتية بالمعنى اللساني، تسهم في تدريب الأذن على التمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، وتُمرّن اللسان على النطق السليم وفق قواعد الأداء العربي الفصيح. وهذا ما جعلها تؤدّي دورًا غير مباشر في ترسيخ البنية الفونولوجية للغة العربية في الذاكرة الصوتية للمتعلّم الجزائري (باديس، الآثار، 2005)[1]

ويؤكّد الباحث عبد الحفيظ بوبكري في دراسته حول التعليم القرآني في الجزائر هذا المعنى، إذ يقول: «إن الطفل الجزائري يكتسب من خلال حفظ القرآن في الكُتّاب وعيًا صوتيًا لا يُستهان به، حيث يتعلّم من سن مبكرة الفروق بين الحروف المتقاربة مثل السين والصاد، والضاد والظاء، ويتدرّب على إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة قبل أن يتعلّم القواعد النظرية للنحو أو الصرف». (بوبكري, عبد الحفيظ،

2018، صفحة 45)

ومن مظاهر العناية الصوتية في المدارس القرآنية:

- ✓ استخدام اللوح الخشبي (اللوحة) للنسخ اليدوي، متبوعًا بـ"السماع" والتصحيح الفوري من الشيخ.
- ✓ إعادة التلاوة مع التركيز على ضبط الأداء، وخاصة في الحروف التي تُشكّل صعوبة في النطق كالضاد والغين والطاء.
- ✓ إشراف مباشر من الشيخ على طريقة نطق كل حرف، ما يجعل العملية تفاعلية صوتية يومية.
- ✓ اعتماد كتب صوتية مثل التحفة والجزرية في بعض المدارس الكبرى، لتدريس أحكام النطق.
- ✓ ظهور شروح محلية لأحكام التجويد على يد علماء جزائريين في القرون الماضية، مثل:
  - شرح "التحفة" للشيخ الطيب العقبي،
  - و"شرح المقدمة الجزرية" في بعض زوايا بسكرة وقسنطينة.

وقد أثرت المدرسة القرآنية على التنشئة الصوتية، من حيث:

- ✓ بناء قاعدة نُطق معيارية للغة العربية عند الناشئة.
- ✓ التمييز السمعي الدقيق بين الظواهر الصوتية، وهو ما يُمهد لفهم الإعراب والتراكيب لاحقًا.
- ✓ نقل النطق النموذجي من جيل إلى جيل، مما حافظ على أصالة الأداء الصوتي العربي في الجزائر رغم تعدّد اللهجات والتأثيرات الأجنبية. (معاشي, محمد صالح ستي وعبد الرحمان، 2018) (تمار، 2020، الصفحات 185-190)

ومن أهم إسهامات العلماء الجزائريين القدامى في الدرس الصوتي:

1. إبراهيم بن فائد زيان الزواوي (ت857هـ/1453م).

يُعدّ من أوائل علماء الجزائر الذين أولوا عناية واضحة بالدرس الصوتي،

خصوصًا في سياق تعليم النحو والتجويد.

من أعماله نظم قواعد الإعراب لابن هشام شرح قطر الندى في مجلد، تلخيص كتاب «تلخيص المفتاح» من تأليف جلال الدين القزويني في مجلد أيضاً وسماه «تلخيص التلخيص»، و«تسهيل السبيل في شرح مختصر الخليل» وقد تضمنت هذه الشروحات إشارات صوتية دقيقة، كالتنبيه على مخرج الحرف، وصفاته، وتأثيره في البناء النحوي، كما اهتم بالإدغام، والهمز، وصفات الحروف من حيث علاقتها بالإعراب والتركيب (نويهض, عادل، 1980، صفحة 160).

2 .**بلقاسم بن سديرة (1844–1901م):** ويُعد من أوائل من تعاملوا مع الأصوات العربية واللهجية بوصف علمي، حيث ألّف معجمًا ثنائي اللغة (عربي–فرنسي) وصف فيه طريقة نطق المفردات الجزائرية باستخدام رموز صوتية لاتينية، هدف من خلال ذلك إلى تقريب النطق العربي للمتحدثين بالفرنسية، وهو ما يُعتبر بداية مبكرة لعلم الفونولوجيا اللهجية في الجزائر، كما حاول التمييز بين الأصوات الفصيحة وأصوات اللهجة الجزائرية في بيئة متعددة اللسان. (Sedira Ben، 1886)

إنّ هذه الجهود الصوتية قد شكّلت ركيزة أساسية في خدمة اللغة العربية، إذ برزت من خلال التعليم القرآني، والشروح النحوية، والمعاجم التعليمية. وتميزت بالطابع العملي والوظيفي، حيث ارتبطت مباشرة بأداء التلاوة الصحيحة، والتعليم الشفهي، وضبط النطق الفصيح. وهذا التوجّه العملي يلتقي مع ما تؤكد عليه اللسانيات الحديثة، من أهمية البنية الصوتية في تحقيق التواصل، وضبط الفوارق بين الأصوات لضمان سلامة الدلالة. وبذلك يمكن النظر إلى هذه الجهود كإرهاصات مبكرة لما أصبح اليوم يُعرف بالتحليل الصوتي في الدراسات اللسانية.

ثانياً: الموضوعات الصرفيّة والنّحويّة في الموروث الجزائري.

مع أن أغلب الأضواء سُلّطت في التأريخ اللساني العربي على أعلام المشرق، فإن المنطقة المغاربية – والجزائر بخاصة – عرفت نشوء مدرسة نحوية تعليمية متميزة في أسلوبها ومقاصدها. فقد اتجه علماء الجزائر إلى تبسيط القواعد، وتنظيمها في أراجيز

تعليمية، وشرحها بلغة قريبة من المتلقي، مع ربطها المستمر بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

وقد تميّز هؤلاء العلماء بالجمع بين التحصيل العلمي العميق والمنهج التربوي الهادف، ما جعل إنتاجهم ملائمًا لطبيعة البيئة التعليمية التقليدية. ومن بين الأسماء البارزة التي خلّفت أثرًا علميًا معتبرًا في ميداني النحو والصرف، نجد:

1. الإمام أبو عبد الله السنوسي (ت 895هـ/1490م): محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني أيضاً نسبة إلى بلدة تلمسان، وهو عالم تلمسان وصالحها وزاهدها وكبير علمائها ومن كبار المشهورين فيها (ميمون،, الربيع، 1993، الصفحات 30-33).

وهو من أبرز العلماء الجزائريين الذين جمعوا بين علوم العقيدة واللغة، وقد تميّز بإسهامه الملموس في علم النحو والصرف، خاصة من خلال شرحه لكتاب الأجرومية ضمن مجموعة كبيرة من العلماء الجزائريين الذين شرحوها، وقد تميز إنتاجه النحوي بوعيٍ لغوي دقيق، يجمع بين التبسيط التعليمي والصرامة المنهجية. ويُظهر هذا الشرح إدراك السنوسي لأهمية النحو في ضبط المعنى الشرعي والعقلي، مما يجعل جهوده نموذجًا مبكرًا في التأليف النحوي التعليمي في المغرب الإسلامي (شتوح، 2017).

2. أبو راس الناصري المعسكري (ت 1238هـ/1823م): وهو محمد بن أحمد بن محمد أبو راس الناصري المعسكري، ولد في مدينة معسكر بالغرب الجزائري، واشتُهر بعلمه الغزير في مختلف العلوم، منها: الفقه، التفسير، النحو، الصرف، السيرة، التاريخ، التصوف (روقاب, جميلة، 2019، صفحة 112).

له إسهاماته في النحو والصرف، ومن أشهر مؤلفاته في اللغة؛ «الدرّة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة»، وكتاب «النكت الوفية بشرح المكودي على الألفيّة»، وهو شرح نحوي مفصل، يُبرز عمق فهمه للقواعد النحوية، ويجمع بين التحليل والتوجيه التربوي ويتميز شرحه بأسلوب واضح يناسب طلاب الزوايا والمدارس التقليدية.

كما ألّف في التصريف والنحو عددًا من الكتب الصغيرة التي كانت تُدرّس في

المناطق الغربية الجزائرية واعتنى في شروحه بضبط الحركات الإعرابية، وتوضيح العوامل، وتفسير العبارات النحوية الصعبة، وكان يولي أهمية كبيرة للربط بين النحو وفهم القرآن الكريم، ويستخدم الأمثلة القرآنية والشعرية في شروحه. (الجزائري،, محمد بن عبد الكريم،، 1990، صفحة 180)

إنّ علوم النحو والصرف قد حظيت بمكانة راسخة ضمن المنظومة التعليمية التقليدية، لا سيّما في الزوايا والمدارس القرآنية. فقد أولى العلماء اهتمامًا خاصًا بضبط قواعد الإعراب وبنية الكلمة، وتجلّى هذا الاهتمام في تعدّد الأراجيز التعليمية، وشروح المتون، وتوظيف الأمثلة القرآنية واللغوية في التفسير والتدريس، ورغم غياب إطار مدرسي موحَّد بالمعنى اللساني الحديث، فإن هذه الجهود تشكّل في مجموعها اتجاهًا نحويًا وصرفيًا محليًا متميّزًا، اتّسم بوضوح الغاية التعليمية، وبالاعتماد على التلقين الشفهي، والمزاوجة بين التأصيل النظري والتطبيق العملي.

وقد أسهم هذا الاتجاه في حفظ معالم العربية الفصحى، وتكوين أجيال من المتعلمين القادرين على استيعاب النصوص الدينية واللغوية، مما يجعل هذه الإسهامات جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الدرس اللغوي العربي في الغرب الإسلامي.

وبذلك يمكن القول إن ما قام به العلماء في مجال النحو والصرف يمثّل صورة مبكرة لما تسعى إليه اللسانيات الحديثة من دراسة البنية الداخلية للغة وضبط نظامها، وإن اختلفت الأدوات والمناهج.

ثالثا: الجهود الدلاليّة والمعجمية عند علماء الجزائر القدامى.

شكّلت الدراسات الدلالية والمعجمية إحدى ركائز العناية باللغة العربية في البيئة العلمية الجزائرية التقليدية، خاصة في سياق شرح النصوص الدينية، وتفسير القرآن الكريم، وتعليم المتون اللغوية والشرعية. وقد أدرك علماء الجزائر منذ وقت مبكر أهمية فهم المعاني وتفصيل الدلالات، سواء على مستوى المفردة أو السياق، مما دفعهم إلى الاشتغال على مستويات متعدّدة من المعجم والشرح والتفسير.

كما ارتبط الاشتغال المعجمي في الجزائر بعدد من الوظائف المعرفية والتعليمية،

منها: ضبط المفردات الغريبة، تيسير الفهم للمتعلمين، تفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث، وشرح اصطلاحات الفقه والبلاغة. وفي هذا السياق، ظهرت مساهمات علمية معتبرة تمثلت في شروح لغوية، وحواشٍ معجمية على كتب مشرقية، بالإضافة إلى اعتماد المعاجم الكبرى كـ"الصحاح" و"القاموس" و"لسان العرب" في التدريس والتأليف.

وقد تميّز بعض علماء الجزائر بأسلوب دلالي واضح في مؤلفاتهم، حيث لم يقتصروا على المعنى المعجمي، بل توسّعوا إلى التحليل السياقي، وبيان الاستعمال القرآني والاختلاف الدلالي بين الألفاظ المترادفة، وهو ما يعبّر عن وعي لغوي دقيق يتجاوز حفظ الكلمة إلى فهم أبعادها، ومن هؤلاء العلماء نذكر مايلي:

1. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت875هـ / 1479م): وُلد الثعالبي في منطقة وادي يسر بالقرب من الجزائر العاصمة، وينتمي إلى قبيلة الثعالبية التي حكمت مناطق من الجزائر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، ويُعدّ من أبرز علماء الدين والتفسير في المغرب الإسلامي، له أكثر من مئة مؤلَّف في التفسير، العقيدة، والتصوف (نويهض, عادل، 1980، صفحة 160).

وقد تنقل في رحلاته العلمية بين الجزائر وبجاية وتونس ومصر وتركيا والحجاز، حيث تتلمذ على كبار علماء عصره مثل: البلالي، البساطي، ولي الدين العراقي وغيرهم، قبل أن يعود أخيرًا إلى بلده، حيث قضى هناك نحو ستين عامًا في التعليم والتأليف في مجالات التفسير والفقه والتصوف، وقد تُوفّي في 23 رمضان 875هـ (15 مارس 1479م) في العاصمة الجزائرية (الحاج، بنيرد، 2021، صفحة 700).

ومن أبرز مؤلَّفاته تفسير «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، الذي يُعدّ من الأعمال الدلالية البارزة، إذ يُقدّم تحليلًا لغويًا عميقًا للمفردات القرآنية من خلال الاشتقاق، والترادف، والمجاز، داخل سياق النصّ، مع الاستشهاد بالشعر والبلاغة العربية، وقد تأثر الثعالبي في تفسيره بمصادر مشرقية، كما تأثر بمصادر مغربية وأندلسية (الثعالبي، لجواهر الحسان في تفسير القرآن، 1997، صفحة 09).

لقد مارس عبد الرحمن الثعالبي منهجًا يقوم على الدلالة اللغوية والتحليل التأويلي للمفردات القرآنية عن طريق تفسير "الجواهر الحسان"، وقد أسهم في مقاربة لغوية دقيقة تستند إلى الاشتقاق والترادف ومقارنة النص بالآراء النحوية القديمة (البلوي،, سلمان بن سعود بن مسلم، 2024، صفحة 760).

2. عبد الرحمان الأخضري (ت983هـ/1575م): وُلد الإمام سيدي عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري عام 920هـ في بسكرة، وتوفّي سنة 983هـ، وهو عالم مالكي وبلاغي وشاعر، من أبرز مؤلفاته المنظومة التعليمية: «الجوهر المكنون في ثلاثة فنون» والتي تُعد منظومة تربوية ذات دلالة بلاغية عالية، إذ جمع فيها بين علم المعاني والبيان والبديع في نظم شعري يسهل حفظه وتدريسه وتحتل هذه المنظومة مكانة مرموقة في البيئة الزاوية الجزائرية، إذ أوضحها ووظّفها لاحقًا في شروحات مثل حلية اللب المصون وإيضاح المكنون (مخفي, إكرام، 2018، صفحة 170).

وتُعدّ منظومة الجوهر المكنون أحد الأعمال التربوية المرموقة في النحو والدلالة البلاغية بالغرب الجزائري؛ فهي نظم شعري يقع في نحو 291 بيتًا، مقسمة إلى ثلاثة أبواب تعالج المعاني والبيان والبديع بأسلوب منهجي يسهل الحفظ والتعليم، فهي ذات جهد دلالي واضح وصياغة شعرية محكمة (حاجي, أحمد، 2015، الصفحات 117-123).

3. **بلقاسم بن سديرة (ت1318–1901م):** من أبرز إسهاماته في المجال المعجمي والدّلالي القاموس الذي ألّفه فرنسي عربي للغة المحكية في الجزائر سنة 1886م، والذي جمع حوالي 15,000 مدخل لغوي ضمن نحو 1300 صفحة في الطبعات اللاحقة. ويُعد هذا المعجم إنجازًا دلالياً ومعجمياً بارزًا، حيث دمج بين التوثيق الصوتي بالرموز اللاتينية والمعاني الاستخدامية للمفردات، وذلك في ظل فترة الاستعمار الفرنسي، واستُخدم أداة تعليمية وتمهيدية لفهم المفردة العامية وربطها بالمعنى والصوت والنطق الفعلي العامي[2]. (Sedira Ben، 1886)

إنّ الجهود الدلالية التي قدّمها العلماء الجزائريون القدامى شكّلت لبنة مهمّة في صرح الدرس اللغوي الجزائري، حيث عبّرت عن وعي لغوي مبكّر بمستويات المعنى

وسياقات الاستعمال. وقد تجلّت هذه الجهود في مؤلفات تفسيرية وتعليمية ومعجمية، جمعت بين التحليل الدلالي والسياقي، وأسهمت في حفظ الهوية اللغوية للأمة وتوجيه الفهم السليم للنصوص الشرعية والأدبية. وإنّ تتبّع هذه الإسهامات يكشف عن انخراط العلماء الجزائريين في صميم البناء التراثي للدرس الدلالي، ويؤكد على ضرورة إعادة قراءتها في ضوء المناهج اللسانية الحديثة.

المبحث الثالث: تقاطعات المنجز اللغوي الجزائري مع مفاهيم اللسانيات الحديثة.

أولا: أهمية لسانيات التراث في تعزيز الهوية اللغوية الجزائرية:

إنّ لسانيات التراث، باعتبارها ممارسة علمية تستهدف إعادة قراءة الفكر اللغوي العربي القديم في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، تمثّل مدخلًا مهمًّا لفهم التراكم اللغوي الذي ساهم في تشكيل الهوية الثقافية واللغوية للجزائر. فقد عرفت الجزائر عبر تاريخها عددًا كبيرًا من العلماء والمفكرين الذين أسهموا في تطوير الدرس اللغوي العربي، وتفاعلوا مع الموروث النحوي والبلاغي والمعجمي بما يعكس روحًا علمية أصيلة، متجذّرة في البيئة المغاربية ومنفتحة على مراكز العلم في المشرق والأندلس.

وتأتي أهمية لسانيات التراث من كونها تُعيد إبراز هذا المنجز اللغوي الجزائري، وتُقدّمه في ثوب تحليلي حديث يُسهم في تحصين الهوية اللغوية الوطنية أمام محاولات الطمس أو التذويب الثقافي. ففي ظل التحديات اللسانية المعاصرة التي تواجهها المجتمعات العربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة (كظاهرة الازدواجية اللغوية، والتغريب، وتراجع الفصحى في المجال التداولي)، تُمثّل لسانيات التراث جسرًا بين الأصالة والمعاصرة، يُعيد ربط الأجيال الحاضرة بتراثهم اللغوي، ويُبرز دور أجدادهم في بناء المعرفة العربية.

كما تساهم لسانيات التراث في تصحيح كثير من التمثّلات الخاطئة حول الفكر اللغوي القديم، وذلك بإظهاره خطاب علمي منظم لا يقلّ في منهجيته عن بعض النظريات اللسانية الحديثة، مما يُعزّز الثقة بالذات الحضارية، ويفتح المجال

لتأسيس رؤية لسانية جزائرية أصيلة، تستند إلى تراثها، وتتفاعل نقديًا مع المعارف الغربية.

كما تشير دراسات معاصرة في لسانيات التراث إلى ضرورة إعادة تفعيل هذا الخطاب في السياق المغاربي، مثل دراسات نهاد الموسى وعبد الرحمن الحاج صالح وغيرهما؛ حيث أشار نهاد موسى، مثلا، إلى ضرورة بناء جسر معرفي بين القديم والحديث، معتبراً أن الدرس اللغوي من الجانب العربي وحده غير مكتمل، ويتطلب اطلاعًا واعيًا على آفاق الذهنيّة اللسانية الجديدة كما شهدها النحو الحديث (الموسى, نهاد، 1987).

ثانيا: آليات التحليل اللساني في قراءة الجهود اللغوية الجزائرية التراثية.

في ضوء التطورات التي شهدتها اللسانيات الحديثة، خاصة مع ظهور المدرسة البنيوية ثم النظرية التوليدية، أضحى من الضروري إعادة قراءة الجهود اللغوية في التراث العربي – والجزائري منه خصوصًا – وفق آليات تحليل لسانية حديثة، تُعيد الاعتبار إلى بنية النص، ومنطقه الداخلي، وأُسسه الذهنية. وفي هذا السياق، يسعى هذا المبحث إلى مقاربة آليات التحليل اللساني في الجهود اللغوية الجزائرية القديمة، انطلاقًا من مفاهيم بنيوية مثل: المستويات اللغوية (الصوت، الصرف، النحو، الدلالة)، والعلاقات السياقية والوظيفية، ثم التوسّع لاحقًا في المفاهيم التوليدية كـ البنية العميقة، والعامل المقدّر، والتحويل.

فالغاية من هذا المبحث ليست فقط عرض المعطيات التراثية، بل محاولة تفكيك آليات اشتغالها اللغوي، من خلال ربطها بالمقاربات البنيوية والتوليدية، بما يُبرز كيف أنّ بعض علماء الجزائر القدامى – رغم انتمائهم إلى عصور ما قبل التنظير اللساني الحديث – قدّموا نماذج وصفية وتحليلية تقترب من هذه الرؤى المعاصرة. وهذه المقاربة المزدوجة (التراث – اللسانيات الحديثة) تمثل خطوة منهجية مهمّة نحو تأصيل قراءة لسانية عربية تستند إلى إرث معرفي محلي، لكنها منفتحة في الوقت ذاته على الأطر النظرية الحديثة.

1). الإسهامات اللغوية للعلماء الجزائريين القدامى في ضوء المقاربات البنيوية.

تُعدّ البنيوية من أبرز المناهج اللسانية التي أعادت ترتيب النظر في الظاهرة اللغوية بوصفها نظامًا مغلقًا من العلاقات الداخلية، يعتمد على البنية لا المعنى الخارجي، وعلى التزامن لا التطور. وقد مكّنت هذه المقاربة الباحثين من تفكيك النصوص إلى وحداتها الصرفية، الصوتية، النحوية والدلالية، في محاولة لفهم النسق الذي يحكم اشتغال اللغة داخل البنية. وإذا كان هذا التصور قد ظهر في السياق الأوروبي بداية القرن العشرين مع فرديناند دي سوسير، فإن بعض ملامحه تتقاطع مع ما نجده في الإرث اللغوي الجزائري القديم؛ إذ يظهر التناول المنهجي عند عدد من العلماء في تنظيمهم للمادة النحوية والصرفية، وفي طريقة معالجتهم للتركيب والدلالة، ما يعكس وعيًا بنيويًا فطريًا وإن لم يكن مصطلحيًا.

إن إعادة قراءة هذا التراث اللغوي في ضوء المفاهيم البنيوية لا تهدف إلى إسقاط نظريات حديثة على منجزات تقليدية، بل إلى الكشف عن الطبيعة النّسقيّة التي وُجدت في معالجة علماء الجزائر القدامى للغة، وهو ما يمكّن من إبراز القيمة اللسانية والفكرية لهذه الجهود ضمن تاريخ الفكر اللغوي العربي بعامة، والجزائري بخاصّة؛ ويمكن أن نلمس ملامح البنيويّة عند عدد من العلماء، ومن بينهم مايلي:

1. محمّد بن يوسف السنوسي: ت895هـ/1490م

تتضح سمات التفكير البنيوي في معالجة السنوسي للغة من خلال مؤلفاته التعليمية، وفي مقدمتها "شرح الأجرومية"، إذ تميز بدقة منهجه وحرصه على إحكام المعنى التركيبي وفق قواعد محددة. كما أولى عناية بمختلف مستويات التحليل اللغوي، بدءًا بالصرف، ثم النحو، وصولًا إلى الدلالة، متعاملًا مع اللغة باعتبارها نسقًا مترابطًا تتكامل فيه الوظائف التركيبية والدلالية ضمن سياق منظم، وهي رؤية تقترب في كثير من جوانبها من التصور البنيوي الحديث للغة بوصفها نظامًا مغلقًا من العلاقات (العادل، 2019، صفحة 198/175).

ينظر السنوسي إلى الأجرومية بمنظار نحوي صارم قائم على التماسك البنيوي

للمعنى والتركيب، فنجده يصنّف الأسماء والأفعال بناءً على علاقات تركيبية واضحة، ففي قراءته للنحو والصرف يعمد إلى منهج صوتي وصرفي دقيق، بحيث يعكس وعيًا لغويًا عاليًا في ضبط الشكل والمعنى؛ إذ نجده قد ضمّن شرحه للأجرومية مستويات التحليل الصوتي (كالتشكيل)، والنحوي (تصنيف الكلمات وبنيتها)، والدلالي (الفوائد والإعراب)، مع احترام لبنية الجملة كأساس لفهم علاقات المعنى، وهذا الأمر الذي يمكن ربطه مباشرة بمفاهيم البنيوية الحديثة لدي سوسير. فقراءته النّاقدة والمبنية على قياسات صارمة تُظهر كيف أنّ النص النحوي التقليدي الجزائري يمكن أن يُقرأ بمنظور علمي حديث .(بوغزالة, مصطفى حنانشة، محمد رشيد، 2020، صفحة 225/222)

وممّا يعزّز ما قلناه ويدعمه أنّنا نجد السنوسي في شرح الأجرومية مثلا يُعرّف الكلام بأنه: «لفظ مركّب مفيد بالوضع» (السنوسي, محمد بن يوسف، 2004، صفحة 43)، ويؤكد أنّ الكلام النحوي ينبغي أن يجمع أربعة شروط مترابطة: اللفظ، التركيب، المعنى، والوضع العربي.

فهذه الرؤية تشكّل قراءة بنيوية للغة، إذ يرى السنوسي النص كهيكل متكامل ضمن مستويات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية متناسقة توجه بعضها نحو البعض، ما يجعل درسه اللغوي يلتقي مع التصور البنيوي الحديث للغة كنظام منظم للعلاقات الداخلية.

كما يُدرج الإمام السنوسي في تعريفه للكلام شرط الإفادة بالوضع، وهو ما يحمل دلالة واضحة على إدراكه لأهمية البُعد الدلالي في البنية اللغوية. فالكلام عنده لا يُعدّ تامًا إلا إذا دلّ على معنى مفهوم في ذهن السّامع، ما يُعدّ تمهيدًا مبكّرًا لمفاهيم الدّلالة التي ستُصبح لاحقًا أحد مكونات التحليل البنيوي والدلالي في اللسانيات الحديثة. إلا أن هذا الإدراك ظل ضمنيًا ومجتزأً، ولم يتحوّل إلى تنظير مستقلّ للدلالة بوصفها نسقًا وظيفيًا أو تداوليًا.

يمكننا أن نقول إنّ خطاب السنوسي في شرح متن الأجرومية يندرج ضمن ثلاث قضايا محورية متّصلة بالبنيوية؛ وهي (السنوسي, محمد بن يوسف، 2004، صفحة

43):

- تعريف الكلام وضبط عناصر الإسناد: (لفظٌ مركّبٌ مفيدٌ بالوضع).
- لزوم الفاعل للفعل: مذكورًا أو مُقدَّرا (ضمير مستتر).
- إمكان التقديم والتأخير، واعتبار العامل المعنوي في رفع المبتدأ عند غياب العوامل اللفظية.

هذه القضايا تسمح بقراءة بنيويّة تُمكّن من ربط نص السنوسي بمفاهيم سوسير في محورَي العلاقات: التركيبية والاستبدالية؛ حيث:

1. ينظر الإمام محمد بن يوسف السنوسي إلى الأجرومية من زاوية نحوية صارمة قائمة على التماسك البنيوي بين المعنى والتركيب، فعند شرحه للأجرومية نجده يقول: «الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع» (السنوسي, محمد بن يوسف، 2004، صفحة 43) فهو هنا يبيّن أنّ المعنى لا يُستخلص إلا من انتظام العناصر في نسق خطي واضح، يظهر جليًّا في مثال: «قام زيدٌ»؛ إذ تتحقق علاقة الإسناد من خلال التتابع بين الفعل والفاعل، وهو ما يقترب من مفهوم سوسير للعلاقات التركيبية التي تقوم على الخطية الزمنية.

2. كما يُبرز السنوسي وعيه بمحور العلاقات الاستبدالية -مضمونا لا اصطلاحا- فعند تناوله لقول الآجرومي: «الكلمة اسم وفعل وحرف» (السنوسي, محمد بن يوسف، 2004، صفحة 43)، فهنا دلالة واضحة بأنّ موقع الاسم يمكن أن يُملأ بأشكال متعددة مثل: «قام زيدٌ»، «قام هو»، «قام هذا»، دون أن يختل النظام التركيبي للجملة. وهذا يوافق ما ذهب إليه سوسير من أن البنية اللغوية تتيح إمكانات الاستبدال داخل المحور العمودي للعلاقات.

ويظهر هذا التصور أيضًا في شرحه لقواعد الإعراب، كقوله: «والرفع للفاعل، والنصب للمفعول به»، حيث يبرز كيف أن تغيّر الحركة الإعرابية يبدّل الوظيفة والمعنى معًا، كما في: «ضربَ زيدٌ عمرًا» و «ضربَ عمروٌ زيدًا». فالمعنى لا يقوم على الكلمة منفردة، بل على موقعها داخل البنية وعلاقتها بسائر عناصرها.

3. الدالّ والمدلول والعامل المعنوي: عند رفع المبتدأ بالعامل المعنوي، يقرّ السنوسي بوجود مستوى تجريدي «غير ملفوظ» يضبط الوظيفة النحوية؛ إذ يقول: «العامل في المبتدأ والخبر هو الابتداء، وهو معنى غير ملفوظ به»[3] (السنوسي, محمد بن يوسف، 2004، صفحة 43)، وهذا ما يقارب فكرة سوسير في أن القيمة اللغوية ليست في اللفظ وحده، بل في موضعه داخل النّسق؛ إذن السنوسي لا يقدّم عناصر معزولة، بل يصف نسقًا لغويًا يقوم على:

- خطية الإسناد (محور التركيب).
- إمكان التعويض (محور الاستبدال).
- تجريد المعنى في نظام من العلاقات.

وهذا يجعل قراءته للبنية الإسنادية متقاربة في الجوهر مع التصوّر البنيوي السوسيري.

2. **أبو راس الناصري: تـ 1238 هـ/1823م:** يُعدّ العلامة أبو راس الناصري من أبرز علماء الجزائر في القرن الثالث عشر الهجري، وقد ترك إرثًا علميًا متنوّعًا يشمل التفسير والفقه واللغة، ومن أبرز أعماله اللغوية التي تجمع بين الأصالة والعمق التحليلي: كتاب "ضياء القابوس في تفسير ألفاظ القاموس" (بلبروات, بن عتو، 2013، الصفحات 78–85.).

وتُظهر مؤلفاته وعيًا لغويًا بنيويًا مبكرًا، حيث تعامل الناصري مع المفردة القرآنية والبنية التركيبية ضمن سياق كلّي متماسك، معتمدًا على العلاقات الداخلية بين العناصر اللغوية، وليس على المعاني المعجمية المجتزأة فقط. هذه الرؤية تتقاطع بوضوح مع المفهوم البنيوي للنص الذي يركّز على: التحليل الصوتي في ضبط مخارج الحروف وتوجيه القراءات، والتحليل الصرفي من خلال تتبع البنية الاشتقاقية للكلمة ودورها الدلالي، والتحليل النحوي عبر دراسة موقع الكلمة في الجملة وعلاقتها التركيبية ببقية العناصر.

إنّ أبا رأس الناصري المعسكري يمثل نموذجًا لغويًا جزائريًا متقدّمًا يحمل في

طياته صفات منهجية تُجسّد التحليل الصوتي والصرفي والنحوي ضمن رؤية لغوية تقليدية واعية.

ففي شروحه – خاصة شرح "روضة السلوان" (يوسفي، 2015 ، الصفحات 107–124) اهتم بدقة التشكيل، واللفظ، والإعراب، كما وظّف تقسيم الكلام إلى مستويات بنيوية واضحة تُعزّز التماسك التركيبي والمعنى، وهذا المنهج يُلمس فيه ملامح البنيوية الحديثة، حيث يُنظر إلى اللغة كنظام تراتبي من الأصوات إلى المعنى.

وتشير كثير من الدراسات إلى أن النّاصري اعتمد منهجًا دقيقًا في طرح المسائل الفقهية والنحوية والدلالية، حيث ضبط الفتاوى بأسلوب إخراجي واضح، مدعّما بدلالة لغوية ونحوية متميزة، تجعله مرجعًا لغويًا وقدوة لأسلوب الفتوى العلمي المتكامل فقد اتصف منهجه بالتحليل الدقيق والترتيب البنيوي للمفردة والحجاج النحوي، ما يُظهر تراكبًا ونضجًا في المقاربة الصوتية والنحوية والدلالية. (رزّاق حبيب، 2011، صفحة 126)

فمنهج الشيخ الناصري يتميّز بطابع علمي تحليلي يجمع بين الدقة التقليدية وروح التنظيم الداخلي للنص اللغوي، وهو ما يتقاطع بوضوح مع المبادئ الأساسية للمقاربة البنيوية.

ففي تفسيره ومؤلفاته اللغوية، يسعى الناصري إلى تفكيك بنية الكلمة العربية من حيث؛ جذرها، وزنها، موقعها في السياق، ومدى توافقها مع قواعد النحو والتصريف، مما يدل على وعي بنيوي سابق لمفاهيم اللسانيات الحديثة.

يُبرز هذا التوصيف أن منهج الناصري يتحلّى بترتيب لغوي ممنهج-صوتياً من حيث ضبط النطق، صرفياً من حيث قلب الجذر والوزن، نحويًا من حيث موقع الكلمة، ودلالياً من حيث سياق المعنى. ويعكس بذلك تصورًا للعربية كنص منظوم يُقرأ بعين النظام البنيوي، الذي يعتني بالعلاقات الداخلية بين مستويات اللغة: الصوت، الصرف، النحو، والدلالة.

وبهذا يستكمل الناصري دورًا تراثيًا منسجمًا مع المحور البنيوي الذي نكتشِف من

خلاله أن التراث الجزائري لا يقدم جهداً لغويًا فقط، بل نصًا لغويًا منظماً يُناسب متطلبات التحليل البنيوي الحديث.

وفي سياق التماسك البنيوي داخل النص اللغوي، يتجلّى عند أبي راس الناصري وعيٌ علميّ صوتي وصرفي ودلالي واضح، ففي مؤلفاته مثل "ضياء القابوس" يُحاء تحليل المفردة العربيّة داخل بنيتها التصريفية (الجذر والوزن)، فضلاً عن نطقها الصوتي الدقيق، مع اختيار السياق التفسيري المناسب الذي يمنح البلاغة الدلاليّة للكلمة.

هذا المنحى التحليلي البنيوي يظهر من خلال:

- ✓ الصوتيات: رعايته للاختلافات القرائية وأحكام النطق، مما يكشف عن معنى الصوت كعنصر تشكّلي في البنية اللغوية.
- ✓ الصرف: تتبعه للبنية الاشتقاقيّة للكلمات داخل السياق، مبيّنًا علاقة الجذر بالمعنى.
- ✓ الدلالة: إدراكه أن المعنى لا يتحقق إلا ضمن سياق مركّب ومتسق يراعي موقع الكلمة داخل النص التفسيري.

ويتوافق هذا التصوّر مع ما أشار إليه محمد أبو بكر نوح فندة في دراسته، حيث بيّن أن التحليل الصوتي والدلالي يقوم على معالجة الفونولوجيا بوصفها نظامًا وظيفيًا، تتخذ فيه أصوات اللغة دورًا بنيويًا حاملًا للمعنى داخل البنية النصيّة (فندة محمد أبو بكر نوح، 2020، الصفحات 45-49.)

وبناء عليه، لا يكون الناصري مجرد مفسّر بل قارئًا متمرسًا للغة، فهو يراعي توازنًا داخليًا بين مستويات المعنى والصرف والنطق ضمن نظام لغوي مترابط، ما يجعله مثالًا لأهل الفهم المتقن للنصوص.

- ✓ ويمكن الكشف عن ملامح بنيوية في منهج أبي راس الناصري، من خلال:

1. التقابل(Opposition)

يُظهِر أبو رأس الناصري فهمًا بارعًا لـ"التقابل" البنيوي عبر تعطيفه الدقيق بين صور متعددة للصوت أو المعنى.

فمثلاً، عند شرحه لألفاظ قرآنية متقاربة (مثل الغين والعين في التفسير الصوتي)، يحدّد الفوارق الدقيقة في المخرج والتشديد أو الترقيق، مما يكشف عن وعيٍ بعلاقة تباينية وظيفية للصوت داخل النظام الصوتي.

وهذه الممارسة تُحاكي مبدأ تقابل الصوتيات عند ياكوبسون، التي يرى فيها وسيلة لتحديد القيمة اللغوية من خلال الفارق والتحييد (ياكوبسون، 1988، صفحة 45).

2 .العلاقات التركيبية (Syntagmatic) والتوزيعية(Paradigmatic)

لا يعبّر الناصري عن الكلمات كقطع منفصلة، بل يعالجها ضمن بناء نحوي دلالي متسق (الناصري أبو راس، 2019)

✓ فمن الناحية التركيبية: يولي الناصري أهمية لمواضع الكلمات داخل الجملة (مثل موقع المبتدأ والخبر في سياق تفسير آية قرآنية)، مستعينًا بسياق الإسناد والرسوخ النصيّ.

✓ أمّا من الناحية التوزيعية: يؤكّد أن استبدال لفظ بآخر (كالأسماء في مقام المفردات المترادفة) يحدث ضمن الاستنادية الواعية للسياق، مثلما يشرح أن لفظ "الرَّحمن" و"الرحيم" في سورة الفاتحة يُستخدمان لتحقيق دلالات مختلفة رغم الترادف الظاهري.

هذا المنهج يعبّر عن وعي بنيوي يُظهر الوظيفة في السياق، لا الإدراك المعجمي المحض.

3 .النظام(System)

لدى أبو رأس الناصري إدراك عميق أن المعنى لا يتبلور إلا داخل شبكة علاقات صوتية وصرفية ونحوية مترابطة:

ففي تفسيره، يعيد بناء الكلمة من حيث الجذر، الوزن، الحُروف المضافة، والسياق التركيبي، مما يخلق فلسفة لغوية متماسكة.

فحين شرح كلمة "استغفروا"، يعود إلى الجذر "غ.ف.ر"، إشارة إلى البُعد الصرفي،

ثم يتبع موقعها السياقي في الجملة، ثم تأثيرها الصوتي في التلاوة، فالدلالة وهيكل الجملة لتكون جزءًا من النظام المتكامل (عمر, حمو بن، 2022، الصفحات 63-45)

فهذه الرؤية تقترب من تصور البنيوية كنظام مغلق للعلاقات، حيث تتمُّ المحافظة على المعنى من خلال تموضع الصوت والمعنى ضمن شبكة متجانسة.

3. **عبد الرحمن الثعالبي و"الجواهر الحسان":** يُجسّد عبد الرحمن الثعالبي في الجواهر الحسان مثالًا لمنهج نقدي رصين يحقق توازنًا دقيقًا بين النص القرآني وشواهده التفسيرية والنحوية، مستندًا إلى التزام صارم بضوابط تأويل المعنى بعيدًا عن التعسّف أو المجازفة، ويكشف هذا المنهج عن تصور لنظام لغوي متكامل تتآلف فيه المستويات الصوتية والبنيوية والدلاليّة ضمن إطار تحليلي منضبط (أودني بلال، 2023، الصفحات 133-156).

كما يتميز تفسير الثعالبي باستخدامه المنظم للضمائر، وتكرارات النصوص، وتصنيف القراءات والألفاظ ضمن بنية لغوية واضحة، ما يُظهر تعامله مع النص كما لو كان نظامًا لغويًا معادلاً يتكوّن من مستويات مترابطة ومتشابكة. وهذه المقاربة تلتقي بوضوح مع المنهج البنيوي الذي يُقسم النص إلى مستويات تحليلية: صوتية، صرفية، نحوية، ودلالية (أودني بلال، 2023، صفحة 140).

وبحسب بعض الدراسات لعبد الرحمان الثعالبي، فإن منهجه كان يتمحور حول (البلوي،, سلمان بن سعود بن مسلم، 2024، صفحة 750):

- بيان المفردات بدقة.
- تعرض للإعراب والمسائل النحوية والصرفية.
- احتجاج بالشعر والقراءات.
- والاعتراف بأصالة ألفاظ القرآن العربية.

وهو ما يعكس وعيًا تحليليًا متعدّد الأبعاد يتماشى مع نموذج النص البنيوي المنظم في اللسانيات الحديثة.

إنّ تفسير عبد الرحمن الثعالبي في الجواهر الحسان يشي عن نظرة نقدية تعتمد

على رؤية نظام لغوي متكامل، حيث يعمل الثعالبي على ضبط المعنى بقواعد صارمة وتوظيف منهجي متقن للشواهد الشعرية والقراءات، ضمن بنية نصية واضحة تُظهر توازناً بين مستويات الصوت، البنية، والدلالة.

وتأكيدًا لذلك، يشير أودني بلّال إلى أن منهجه يتسم بـ"الصنعة النقدية الدقيقة"، مع الاستناد إلى القرآن، والسنة، وقواعد الترجيح في حمل اللفظ والمعنى، مؤكّدًا أنّ الثعالبي نقل إلى تفسيره عملاً نسقيًا محكمًا، لا مجرد تلخيص أو عرض بسيط (أودني بلال، 2023، صفحة 150).

وإذا أردنا مقاربة تفسير عبد الرحمن الثعالبي في كتابه «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» من منظور البنيوية، يمكننا إبراز عدة ملامح واضحة تلتقي مع المبادئ الأساسية التي طرحتها المدرسة البنيوية في اللسانيات:

1 .مبدأ التقابل(Opposition) : نجد أنّ الثعالبي في تفسيره يولي اهتمامًا كبيرًا بالتقابل الدلالي واللفظي في القرآن الكريم؛ فمثلا عند تفسيره للآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ سورة مريم الآية96، يشرح الثعالبي الفرق بين الإيمان والعمل الصالح بوصفهما عنصرين متكاملين لا يندمج أحدهما في الآخر (الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 1997، صفحة 36/1)، وهذا ما يشبه فكرة التقابل البنيوي التي أشار إليها ياكوبسون، حيث المعنى يُستخلص من التمايز بين الوحدات لا من انعزالها.

2 .العلاقات التركيبية (Syntagmatic): يدرك الثعالبي أن المعنى يتحقق ضمن السياق التركيبي للجملة القرآنية فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الفاتحة الآية 1، يوضح أن التقديم والتأخير في الجملة له وظيفة دلالية؛ فبدل أن يقول "لله الحمد" قُدِّم الحمد لإفادة الحصر (الثعالبي، لجواهر الحسان في تفسير القرآن، 1997).

وهذا تطبيق عملي لفكرة العلاقات السياقية (syntagmatic relations) التي أكد عليها دي سوسير، حيث لا تُفهم الكلمة إلا في موقعها داخل السلسلة الكلامية.

3 .**العلاقات التوزيعية(Paradigmatic) :** إنّ الثعالبي أحيانًا يطرح بدائل ممكنة للمفردات أو التراكيب لتوضيح المعنى؛ فمثلا عند تفسير قوله تعالى:﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ سورة الفاتحة الآية 06، يبين أن كلمة الصراط يمكن أن تُفهم كـ"الطريق"، ويستشهد بآيات أخرى للتأكيد على معنى الهداية. (الثعالبي، لجواهر الحسان في تفسير القرآن، 1997، صفحة 40/1)هذا يتقاطع مع العلاقات الاختيارية (التوزيعية) في البنيوية، حيث تحدد هوية العنصر من إمكان استبداله بعنصر آخر في السياق نفسه.

4 .**مبدأ النظام (System):** لا ينظر الثعالبي إلى المعاني منعزلة، بل يفهمها ضمن شبكة العلاقات في النص القرآني كله؛ فيربط بين الآيات والسور، ويستحضر أسباب النزول لتحديد الدلالة. هذا يمثل ما تسميه البنيوية بـ"النظام اللغوي"، حيث المعنى لا يتحقق إلا داخل نسق العلاقات الكلية.

5.**مبدأ الوظيفة(Function) :** إنّ اللسانيات ترى أنّ كل عنصر لغوي يؤدي وظيفة داخل النسق، وليس له قيمة خارجها، ولم يغب ذلك عن ذهن الثعالبي، فحين أراد تفسير ﴿إيّاك نعبد﴾ سورة الفاتحة، الآية 4، رأى أنّ تقديم الضمير "إياك" يحقق وظيفة حصر العبادة في الله وحده (الثعالبي، لجواهر الحسان في تفسير القرآن، 1997، صفحة 38/1)، وهو ما يكشف أن الترتيب هنا ليس شكليًا بل وظيفيًا.

4. سيدي عبد الرحمن الأخضري: (تـ 981هـ/1573م)

يُعدّ الإمام عبد الرحمن بن الصغير الأخضري من أبرز علماء الجزائر في القرن العاشر الهجري، وقد ترك إرثًا متميزًا في منظومته التعليمية «الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون: المعاني، البيان، البديع»، التي تلتقي فيها وظيفة النظم الشعري مع الدرس البلاغي العلمي؛ حيث تُعد هذه المنظومة أسلوبًا بلاغيًا بنيويًا متكاملًا، فهي توظّف الشعر لـ: النظم، والحفظ، والتدريس، مع تقسيم واضح إلى فنون ثلاث تقدّم تصوّرًا منهجيًا لتحليل الدلالة والتركيب. (حاجي, أحمد، 2015، الصفحات 117-123)

وهي وسيلة لتبسيط مباحث البلاغة وتحديد مصطلحاتها وفق بنية لغوية منضبطة تسهّل تعليمًا فعّالًا ومتماسكًا. (محمد الحاج هني، 2017، صفحة 80)

إنّ عبد الرحمن الأخضري في منظومته ينظر إلى اللغة بوصفها نسقًا مترابطًا تتفاعل فيه المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ضمن وحدة متكاملة. وتكشف هذه المنظومة عن تلاحم بين البناء الشعري والتشكيل البلاغي، على نحو يقارب تصور البنيوية الحديثة للنص، بوصفه شبكة من العلاقات الداخلية المتماسكة. وتتجلى ملامح التفكير البنيوي عند الأخضري من خلال:

أولًا: مبدأ النظام(System) لا ينظر الأخضري إلى المفردات أو القضايا كعناصر مستقلة، بل يربطها بنسق منطقي يحكمه التدرج والترابط، حيث قسّم العلم إلى تصور وتصديق، ثم قسّم التصديق إلى قضايا، والقياس إلى أركان. وهذا يشبه مبدأ النظام البنيوي الذي يرى أن القيمة تتحدد داخل شبكة العلاقات؛ يقول الأخضري": واللفظ ما دل على معنى مفرد... والكلم ما تركب من لفظ عدد (الأخضري،، 2015، صفحة 04)".

فعندما عرّف الأخضري "اللفظ" و"الكلم"، فهو لا يتعامل معهما كعناصر منفصلة، بل كأجزاء في منظومة متكاملة، كل واحد منها يكتسب معناه وحدوده بارتباطه بالآخر. وهذا بالضبط ما يشير إليه المبدأ البنيوي القائل إن اللغة نظام من العلاقات، حيث لا يُفهم العنصر منفردًا بل من خلال موقعه داخل الشبكة الكلية. فاللفظ يكتسب قيمته مقابل "الكلم"، والكلم يُفهم في تمايزه عن "الكلام". وهكذا تنشأ شبكة من التعريفات المتداخلة، أشبه بما يسميه البنيويون البنية: الكل المنظم الذي تتحدد داخله العلاقات فتصبح دراسة النحو، عند الأخضري، ممارسة مبكرة للفكر البنيوي؛ لأنه ينظر إلى اللغة كجسم منظم يقوم على التراتب والاختلاف، لا على معانٍ معزولة.

ثانيًا: العلاقات التركيبية والتوزيعية يقوم القياس عند الأخضري على انتظام مخصوص في ترتيب القضايا، بحيث لا يكتسب المعنى إلا من خلال موقعه داخل البنية. فالقضية الكبرى تسبق الصغرى، والنتيجة تترتب عليهما. هذا الترتيب يمثل

العلاقات التركيبية .(Syntagmatic) وفي الوقت نفسه، يمكن استبدال بعض الألفاظ بأخرى ضمن نفس الموقع دون المساس بصحة البنية، مثل استبدال "الإنسان" بـ"العالم" في قولنا: "كل إنسان حيوان"، مما يشبه العلاقات التوزيعية .(Paradigmatic)يقول الأخضري: « إنما الانتقال من قضية إلى أخرى لا يكون إلا بشرط التلازم» (الأخضري،، 2015، صفحة 22).

كما يولي الأخضري أهمية كبيرة لبيان الفروق بين القضايا (موجبة/سالبة، كلية/جزئية)، وهو ما يعبّر عن حضور مبدأ التقابل الذي يعدّ من الركائز الأساسية في التحليل البنيوي.

يُمكن القول إنّ التحليل النصي لأعمال كل من الثعالبي، الأخضري، السنوسي، وأبي راس الناصري يُظهر حضورًا لافتًا لملامح بنيوية متقدمة في تعاطيهم مع الظاهرة اللغوية، سواء في مجالات التفسير، أو البلاغة، أو النحو، أو التأليف الفقهي والتربوي.

فهذه النماذج الأربعة تُثبت أنّ الفكر اللغوي الجزائري لم يكن مجرّد تكرار للدرس المشرقي، بل قدّم مساهمات أصيلة تتميز بالصرامة المنهجية، والبنية المتماسكة، والتحليل المنظَّم، مما يفتح المجال أمام إعادة قراءته في ضوء النظرية اللسانية الحديثة، لا بهدف إسقاطها عليه، بل لبيان التوازي العلمي الذي يجمع بين التراث والحداثة.

ولعلّه من الملائم، ونحن نختتم هذا العنصر المتعلّق بملامح البنيوية في الدرس اللغوي الجزائري القديم، أن نؤكد على أنّ هذا الدرس قد تقاطع في جوانب منهجية واضحة مع التصوّرات البنيوية الحديثة، وذلك من خلال اعتماد العلماء الجزائريين على ثلاثية السماع، والملاحظة، والرواية كمنهج متكامل في رصد الظواهر اللغوية وتحليلها.

✓ فالسماع لم يكن مجرّد وسيلة تلقّي، بل مثّل مرتكزًا معرفيًا أساسه المشافهة الدقيقة، وضبط الأداء الصوتي، والتحقّق السندي للنصوص.

وهي خصائص تتقاطع مع التصوّر البنيوي للصوت باعتباره مدخلًا إلى فهم

النسق اللغوي.

✓ أمّا الملاحظة والتحليل، فقد شكّلا نمطًا في التفكير الوصفي يرتكز على البنية الداخلية للتركيب، وعلى العلاقة الوظيفية بين مكوّنات الجملة.

وهو ما ينسجم مع المبادئ البنيوية التي تقارب الظاهرة اللغوية ضمن مستويات تحليلية متكاملة (صوتية، صرفية، نحوية، دلالية) تُدرس في استقلال منهجي دون أن تفقد ترابطها النسقي.

✓ وتُعدّ الرواية، بما فيها من ضبط للشواهد والنصوص والمعايير، شكلًا أوليًا من أشكال "التحقق البنيوي" للنصوص.

إذ لا تُقبل المعلومة إلا إذا كانت مرتبطة بسياقها وقائمة على قواعد داخلية.

ومن هذا المنطلق، فإن جهود العلماء الجزائريين القدامى لم تكن اجتهادات فردية معزولة، بل تنمّ عن وعي لغوي متقدّم، استند إلى أدوات تلقّي وتحليل وتنظيم تتقاطع في جوهرها مع روح التحليل البنيوي المعاصر.

2). الإسهامات اللغوية للعلماء الجزائريين القدامى في ضوء المقاربات التوليديّة.

مثّلت النظرية التوليدية، منذ انبثاقها مع نعوم تشومسكي منتصف القرن العشرين، تحولًا عميقًا في فهم الظاهرة اللغوية، من حيث اعتبار اللغة ملكة ذهنية تتجلى من خلال قواعد محدودة قادرة على توليد عدد لا نهائي من الجمل الصحيحة. وقد أتاحت هذه المقاربة مقاربةً تركيبيةً صارمة لبنية اللغة، تُمَيّز بين البنية العميقة التي تختزن القواعد الكامنة، والبنية السطحية التي تُصاغ من خلالها التراكيب الظاهرة في الأداء.

وعند النظر في الإرث اللغوي الجزائري القديم، لا سيما ما خلّفه علماء النحو والصرف من منظومات وشروح، نلاحظ أن كثيرًا من المعالجات اعتمدت – وإن بصورة غير واعية بمصطلحات العصر – على مقاربة تركيبية توليدية في الجوهر. فقد لجأ علماء جزائريون إلى بناء منظومات قواعدية داخلية تنطلق من أصول ثابتة، يُشتق

منها إنتاج لغوي متعدد، فيما يُشبه القواعد الكامنة في النظرية التوليدية. كما نلمح وعيًا بالبنيّة المجرّدة للتركيب، من خلال تفريقهم بين الأصل والفرع، والقاعدة والاستثناء، وضبطهم لمسارات التحويل التركيبي أو التصريفي.

إنّ قراءة جهود علماء الجزائر القدامى في ضوء التوليدية لا تعني إسقاطًا قسريًا لمفاهيم معاصرة على تراث تقليدي، بل تمثّل محاولة لفهم ذلك التراث بوصفه ممارسة علمية ناضجة، كانت تسعى – وإن بوسائلها – إلى ما تسعى إليه اللسانيات الحديثة: بناء نحوٍ يفسّر قدرة الإنسان على إنتاج اللغة ضمن نسق منتظم وقابل للتوليد، ومن نماذج العلماء الجزائريين ما يلي:

1. يحيى بن عبد المعطي الزواوي: ت628هـ–1231م

يعتبر الإمام يحيى بن عبد المعطي الزّواوي واحدًا من روّاد النحو الجزائري في العصور الوسيطة، وهو أول من نظم منظومة نحوية كاملة في ألف بيت شعرٍ بعنوان الدّرة الألفيّة في علم العربية، التي تُعدّ أول ألفيّة نحوية جزائرية مضبوطة علميًّا في النحو والصرف. (الزّواوي، 2010)

تُظهر الدّرة الألفيّة ليحيى بن عبد المعطي الزّواوي تصوّرًا نحويًا داخليًا يُشبه النحو التوليدي، إذ صاغ منظومة شعرية مدروسة تستند إلى قاعدة داخلية تُولّد تراكيب لغوية صحيحة ضمن الأداء الشعري . وفي هذا، نجده قد أسس لفرضية أن اللغة تخضع لقواعد داخلية مترابطة تُخرج تراكيب متنوعة منطقية، من دون الاعتماد فقط على العرض النظري، بل عبر إعادة توليد فعلي في الشعر. وهذا يجعل صنيعه مدخلاً مبكرًا لمقاربة التوليدية في السياق الجزائري قبل القرون الحديثة (رزاق, فاطمة، 2023، صفحة 34)

نجد يحيى بن عبد المعطي الزواوي في بيت من الدُّرّة الألفية يُعبّر عن مبدأ نحوي دقيق بقوله:

«القَوْلُ فِي بيان الاسْمِ المبْتَدَأ *** المبتدأ يُرفع إذ تجردا

من كل عامل له لفظي ***فارفع بأمر فيه معنوي». (الزّواوي، 2010، صفحة 42)

وهذا البيت يعبّر صراحةً عن إدراكٍ للتمييز بين العامل اللفظي الظاهر والعامل المعنوي المقدّر، وهو ما يتقاطع مع مفهوم البنية العميقة (Deep Structure) في النظرية التوليدية، حيث يُفهم رفع المبتدأ باعتباره ناتجًا عن عنصر نحوي غير ملفوظ.

فالزواوي هنا يشير إلى أن العامل الحقيقي في رفع المبتدأ ليس دائمًا ظاهرًا في السطح، بل هو كامن في نية المتكلم وسياق الكلام، مما يُبرز مبكرًا مبدأ "التحويل" من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وهي إحدى أهم آليات التوليد في النحو الحديث عند تشومسكي.

في الإطار التوليدي، يُعد مفهوم الفاعل الضمني أو المحذوف (Null Subject) من المبادئ الجوهرية، حيث تسمح بعض اللغات—كالعربية—بسقوط الفاعل الظاهر من الجملة دون المساس بدلالتها. وقد تم تناول هذه الظاهرة وتحليلها ضمن الدراسات التوليدية المعاصرة، باعتبار العربية نموذجًا لاختصار التعبير اللغوي بما يعزز التقدير الذهني لعناصر النحو (بنت عبد الله علي جراح عائشة، 2017، الصفحات 49-68) و (بندر الخالدي، 2016، ، الصفحات 85-86)

إنّ هذا المفهوم يتقاطع مع الرؤية النحوية العربية التقليدية في باب الفاعل والمبتدأ، خاصة كما جاء في الدُّرّة الألفية للزواوي، الذي قال: "المبتدأ يُرفَعْ إذْ تجرَّدَا من كل عامل له لفظي ***فارفع بأمر فيه معنوي". (الزّواوي، 2010، صفحة 42)

فهذا النص يُظهر وعيًا مبكرًا بمبدأ إسقاط العامل الظاهري والاكتفاء بالتقدير، وهو ما يتماشى مع "Null Subject" في التوليدية.

كذلك وفي ضوء التحليل اللساني التوليدي، يتبيّن أنّ جهود يحيى بن عبد المعطي الزواوي في الدُّرّة الألفية قد شكّلت نواةً مبكّرة لمفاهيم لغوية حديثة، على رأسها ما يُعرف اليوم بالبنية العميقة، والفاعل المحذوف، والتقدير النحوي غير الظاهر. فقد عبّر الزواوي في منظومته عن وعيٍ نحويّ يتجاوز الظاهر إلى ما يُقدَّر ذهنيًا في البنية، مُشيرًا إلى أنَّ المبتدأ يُرفع بعامل معنوي لا لفظي، وهو ما ينسجم مع روح اللسانيات

التوليدية التي ترى أن بنية الجملة تتكون من مستويات، بعضها يظهر في السطح، وبعضها يُقدّر ضمن بنية خفية عقلية.

وبذلك، يُمكن القول إنّ الزواوي لم يكتفِ بتقعيد القواعد، بل مارس شكلاً من التوليد النظري للغة من خلال ضبط العلاقات بين الموقع النحوي والمعنى، بما يعكس عمقًا في التصور البنيوي والتوليدي معًا.

2. **الشيخ محمد بن يوسف الكافي القسنطيني تـ1292هـ_ 1875م**

تُعدّ جهود الشيخ محمد بن يوسف الكافي القسنطيني علامة فارقة في مسار الفكر النحوي الجزائري خلال القرن التاسع عشر، ويُستدل عليها بقوة من خلال شروحاته، خاصةً في الإصدار المعروف بـ"الكافي في شرح الآجرومية"، وقد تميّزت هذه الشروح بتحليل لتحولات تركيبية تعتمد على العامل المقدّر ووجود مواقع نحوية غير ظاهرية تُفهم في السياق الذهني للنص (محمد بن خالد الفاضل، 2011، الصفحات 20-22).

ففي إطار نحو توليدي ضمني، تميز الكافي بقدرته على استنتاج قاعدة داخلية تتحكم في فعل الإعراب حتى بغياب المسوّغات اللّفظية، وفي استنباط تحويلات نحوية تتعلق باعتبارات مثل حذف الفعل أو تقديره، وتقديم أو تأخير العنصر حسب الغرض البلاغي أو المعنوي وهذا ما يتوافق مع نمط التحويلات الذي وصفه تشومسكي في نظرية Transformational Grammar (نعوم تشومسكي، 1985، صفحة 33)ومن النماذج التطبيقية التي تُظهر ميل الشيخ محمد بن يوسف الكافي القسنطيني إلى التحليل التوليدي قوله في معرض شرحه للمبتدأ:

«الابتداء هو العامل في المبتدأ على الأصح، أي التجرّد عن العوامل اللفظية هو السبب في رفعه، فالمبتدأ مرفوع بتقدير عامل معنوي لا لفظ له".ويُضيف"وإذا قُدّر العامل، وجب على النحوي أن يُبيّن ما هو في الأصل، وإن لم يُنطق به» (محمد بن خالد الفاضل، 2011، صفحة 21).

يتّضح من هذا النص أن الكافي ينطلق من مبدأ التحليل العميق للجملة، حيث لا يُكتفى بالبنية الظاهرة، بل يتم البحث في العامل المحذوف أو المقدر الذي يُسند إليه

الإعراب، وهو ما يتطابق مع المفهوم التوليدي للبنية العميقة كما طوّره نعوم تشومسكي.

وتُعد هذه المقاربة محاولة لتفسير العلاقات النحوية الخفية داخل الجملة، بناءً على إدراك معرفي ضمني، وهو جوهر التحليل التوليدي، الذي ينظر إلى اللغة على أنها نتاج ملكة ذهنية تتضمن عناصر غير مرئية تُستنتج في أثناء الأداء.

يتّضح من خلال دراسة المنجز اللغوي الجزائري القديم أن عددًا من العلماء الذين نشطوا قبل القرن العشرين قدّموا تصوّرات نحوية تستند – بشكل أو بآخر – إلى مبادئ عقلية وذهنية في تحليل اللغة، وهو ما يجعلها قابلة للقراءة في ضوء النظرية التوليدية الحديثة. فقد بيّنت أعمال مثل الدرة الألفية ليحيى بن عبد المعطي الزواوي، وشرح الآجرومية لمحمد بن يوسف الكافي القسنطيني، وغيرهما كثير يضيق المقام لذكرها، أنّها نماذج لغوية تتضمّن ما يُعرف في اللسانيات التوليدية بـ"العامل المقدّر"، و"البنية العميقة"، و"التحويلات"، مما يدل على إدراك عميق للبنية غير الظاهرة للجملة.

وقد شكّل هذا التصور العقلي في بنية الجملة – خاصة فيما يتعلق بالمسند إليه، أو العامل المحذوف، أو التقدير الذهني للروابط النحوية – تجلّياتٍ واضحة لما تسميه التوليدية بـ Null Subject Construction أوDeep Structure ، دون أن تكون المصطلحات ذاتها حاضرة بالطبع. لكنّ حضور هذه المفاهيم ضمنيًا في أعمال العلماء الجزائريين، يكشف عن وعي لغوي مبكر يتقاطع مع ما جاءت به اللسانيات الحديثة في القرن العشرين، خاصة في نموذج تشومسكي التحويلي.

ثالثا: التحليل المقارن بين المنهج اللساني الحديث والمنهج التراثي الجزائري.

تثير المقارنة بين المنهج اللساني الحديث والمنهج التراثي الجزائري سؤالًا جوهريًا حول طبيعة العلاقة بين الفكر اللغوي القديم والتحليل العلمي الحديث للغة: هل نحن أمام امتداد طبيعي للمنهج التراثي أم أمام قطيعة معرفية؟ في الحقيقة، لا يمكن الجزم بالتطابق ولا بالفصل التامّ بينهما، لأنّ كلّ منهما ينطلق من

سياق فكري وثقافي مختلف .ومع ذلك، فإنّ دراسة المنجز اللغوي لعلماء الجزائر تكشف عن وعي مبكر بخصائص اللغة بوصفها نسقًا دالًا، وهو وعي يتقاطع جزئيًا مع بعض المفاهيم التي طوّرتها اللسانيات الحديثة، دون أن يعني ذلك أنّهم سبقوها أو تبنّوها ضمنيًا.

وفي الجدول الآتي عرضٌ لأهمّ الفروق والتقاطعات الموضوعية بين المنهجين:

المجال اللساني	المنهج اللساني الحديث	المنهج التراثي الجزائري	نقاط التقاطع
الموضوع	يدرس اللغة الإنسانية في ذاتها ولذاتها، دون تقيّد بلغة بعينها	ينظر إلى اللغة العربية خاصة، باعتبارها لغة القرآن والعلم.	تمايز في النطاق، واتفاق في اعتبار اللغة نظامًا قائمًا على القواعد ..
المنهج	يعتمد التحليل الوصفي والتجريبي ويركّز على البنية الصوتية والنحوية والدلالية.	يقوم على المنهج الاستقرائي الذي يتتبّع الظواهر اللغوية من خلال الشواهد والنصوص.	اشتراك في مبدأ الوصف قبل التقعيد، مع اختلاف في أدوات التحليل.
الأداة التحليلية	يعتمد العلاقات البنيوية بين العناصر اللغوية.	يعتمد الاستشهاد بالنصوص القرآنية والشعرية والمأثور العربي.	كلاهما يبحث عن القاعدة من خلال تحليل الظواهر الواقعية.
النظرة إلى الخطأ والانحراف	الانحراف ظاهرة لغوية طبيعية تعبّر عن تطور اللغة.	يُعدّ الخطأ انحرافًا عن الصواب ينبغي تقويمه وصيانته.	الاتفاق في وجود نظام سحكم اللغة.
المنطلق المعرفي	يقوم على مبدأ العلمية والموضوعية	ينطلق من منظور ديني وحضاري يرى	اختلاف في الخلفية الفكرية، مع اشتراك

	ويفصل اللغة عن أبعادها العقدية والاجتماعية عند التحليل.	في اللغة وعاءً للوحي وأداة لحفظ الهوية	في احترام اللغة بوصفها نظامًا منظمًا
الغاية	بناء نظرية تفسيرية للغة الإنسانية بوجه عام.	خدمة البيان العربي وحفظ الهوية اللغوية والدينية.	السعي المشترك إلى فهم اللغة في أبعادها البنيوية والوظيفية.

يتبيّن من هذا التقابل أنّ المنهج التراثي الجزائري لم يكن بدائيًا أو منغلقًا كما ذهب بعض الدارسين، بل كان يحمل سمات التحليل العلمي الموضوعي الذي قامت عليه اللسانيات الحديثة في مراحل لاحقة.

فقد تعامل علماء الجزائر مع اللغة تعاملًا وصفيًا واستقرائيًا، فدرسوا الظواهر الصوتية والنحوية والدلالية في ضوء الشواهد والنصوص، واستنبطوا منها القواعد العامة التي تنظّم بنية العربية. ولم يقف جهدهم عند حدود التقعيد، بل تجاوزوه إلى تحليل الوظائف اللغوية والمعاني التداولية، وهو ما يوازي في روحه كثيرًا من مبادئ الدرس البنيوي والوظيفي المعاصر.

ومع ذلك، ظلّ الفارق الجوهري بين المنهجين قائمًا في المنطلق والغاية؛ إذ تتجه اللسانيات الحديثة إلى تفسير اللغة في إطار علمي تجريبي محض، بينما ينظر المنهج التراثي الجزائري إلى اللغة من زاوية رسالتها البيانية وهويتها الحضارية. ومن ثمّ، يمكن القول إنّ المنهج التراثي الجزائري يجسّد وعيًا لسانيًا مبكرًا متجذرًا في خصوصية الثقافة العربية الإسلامية، ويشكّل جسرًا معرفيًا يربط بين الأصالة والمعاصرة، وبين البيان العربي والبحث اللغوي العلمي الحديث.

الخاتمة:

يتبيّن من خلال هذا البحث أنّ الإنتاج اللغوي لعلماء الجزائر في العصور الماضية مثّل إسهامًا معرفيًا أصيلًا يتجاوز حدود النقل والتكرار، حيث تجلّت فيه خصوصية منهجية ومعرفية عبّرت عن وعي مبكر ببنية اللغة ووظائفها وسياقاتها الدلالية

والتداولية. وقد أثبتت الدراسة أنّ هذه المؤلفات ليست مجرد تراث لغوي يُؤرَّخ له، بل هي مادة علمية ثرية قابلة للتحليل بأدوات اللسانيات الحديثة، سواء في بعدها البنيوي أو الوصفي أو التوليدي.

وتكمن الأهمية العلمية لهذا التراث في كونه جسرًا يصل بين علوم اللغة القديمة ومناهج البحث اللساني المعاصر، بما يتيح إمكانات لبناء قراءة منهجية نقدية للتراث اللغوي الجزائري، قراءة واعية تتجاوز الحنين العاطفي أو الإسقاط الآلي، وتسعى إلى موازنة الانتماء الحضاري مع الانفتاح المعرفي. وبذلك يمكن القول إن إعادة استثمار هذا التراث تمثّل خطوة أساسية نحو بلورة مدرسة لسانية جزائرية أصيلة قادرة على الإسهام في الحوار اللساني العربي والعالمي.

[4]وفي نهاية هذا البحث ندعو إلى ضرورة:

- ✓ إعادة قراءة التراث الجزائري بمنهج لساني، يربط بين النظريات الحديثة ومفاهيم التراث دون إسقاط آلي أو تأويل اعتباطي.
- ✓ ضرورة توثيق جهود العلماء الجزائريين بإخراج مخطوطاتهم ودراستها ضمن سياقها التاريخي، وربطها بالمقاربات اللسانية العالمية.

الإحالات:

[1] حيث يؤكد على ابن باديس مثلا أنّ الحفظ القرآني لا يقتصر على غرس القيم الدينية، بل يسهم في تكوين النطق العربي السليم والوعي الصوتي المبكر.

[2] ينظر الموقع الإالكتروني :

https://radioalgerie.dz/news/ar/article/20160203/66553.html

[3] باب المبتدأ والخبر في شرح السنوسي على الآجرومية ص22 وما بعدها.

قائمة المصادروالمراجع:

الكتب باللغة العربيّة

1. الأخضري، ع. ر. (2015) (السلم المرونق في علم المنطق)تح. م. ب. عبد الرحمن. الجزائر: دار البصائر.
2. ابن باديس، ع. (2005) .(الآثار)تح. ع. طالبي، ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
3. ابن معطي الزواوي، ي. ب. ع. (2010) (الدّرة الألفيّة: ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة)تح. س. إ. البلكيمي). القاهرة: دار الفضيلة للنشر.
4. الثعالبي، ع. ب. م. ب. (1997) (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)تح. ع. معوض و ع. عبد الموجود). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
5. الجزائري، م. ب. ع. (تح.). (1990) (فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربّي ونعمته حياة أبي راس الذّاتيّة والعلميّة) الجزائر: المؤسسة الوطنيّة للكتاب.
6. تشومسكي، ن. (1985) جوانب من نظرية النحو (Aspects of the Theory of Syntaxe))ترجمة: م. ج. باقر). الموصل: مديرية مطبعة جامعة الموصل.
7. السنوسي، م. ب. ي. (2004) شرح السنوسي على الآجرومية)تح. خ. زهري). بيروت: دار الكتب العلمية.
8. الفاضل، م. ب. خ. (2011) (الكافي في شرح الآجرومية)تح. أ. أ. عبد الغني). القاهرة: دار التوفيقية للتراث.
9. غلفان، م. (2007)(اللسانيات العربيّة في الثقافة العربيّة الحديثة .)الدار البيضاء: المدارس للنشر والتوزيع.
10. علوي، ح. إ.، و العناتي، أ. و. (2009) أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات .بيروت: دار ناشرون للعلوم.

11. الموسى، ن. (1987) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث .عمّان: دار البشير للنّشر.
12. نويهض، ع. (1980) معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر (ط2). بيروت: مؤسسة توب الثقافيّة.
13. ياكوبسون، ر. (1988) (قضايا الشعرية)ترجمة: م. الولي وم. حنون. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

المقالات في المجلّات العلميّة:

1. أودني، بلال. (2023). الصنعة النقدية عند الثعالبي من خلال تفسيره الجواهر الحسان . مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، (م 15)ع3.
2. بوبكري، عبد الحفيظ. (2018). الصوتيات في التعليم القرآني التقليدي .مجلة الأصالة . الجزائر: المركز الوطني للبحوث التربوية.
3. بن عتو بلبروات. (2013). التراث المخطوط لأبي راس الناصري .مجلّة الحوار المتوسّطي، (م4)ع1.
4. بن حدو، فؤاد، و يوسفي، يوسف. (2015). منهج أبي راس الناصري المعسكري في شرح قصيدة روضة السلوان .مجلة فصل الخطاب، (م4) ع1.
5. بنيرد، الحاج. (2021). عبد الرّحمن الثّعالبيّ ومنهجه في الاحتجاج بالشّعر من خلال تفسير الجواهر الحسان .مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، م 35، ع2.
6. بندر، الخالدي. (2016). حذف الفاعل في كتاب المنتخب والمختار لابن منظور: دراسة في التركيب والدلالة .مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، م12 ع1
7. تمار، جميلة. (2020). طرق تعليم الأطفال في الكتاتيب ودورها في التنشئة. في أشغال ملتقى وطني حول الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللّغوي .الجزائر: المجلس الأعلى للّغة العربيّة.
8. جراح، عائشة بنت عبد الله علي. (2017). ظاهرة النفي في اللغة العربية: دراسة في التركيب والدلالة .مجلة لغة الكلام، م3(3)، ديسمبر.
9. حاجي، أحمد. (2015). متن الجوهر المكنون في الثلاثة فنون –دراسة وصفية .مجلة الذاكرة، م3 ع1.
10. حاجي، أحمد. (2015). متن الجوهر المكنون في الثلاثة فنون للشيخ عبد الرحمن الأخضري –دراسة وصفية .مجلّة الذاكرة، م3 ع1.

11.حاج هني، محمد. (2017). الدرس البلاغي لدى العلماء الجزائريين القدماء: عبد الرحمن الأخضري أنموذجًا .مجلة حوليات الآداب واللغات،م5 ع1.
12.حنانشة، مصطفى، و بوغزالة، محمد رشيد. (2020). منهج الإمام محمد بن يوسف السنوسي في عرض علمي الحديث واللغة .مجلة الشهاب، م6 ع3
13.رزاق، حبيب. (2011). منهجية الشيخ الإمام أبي راس الناصري (ت: 849هـ) في الفتاوى من خلال كتابه الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والفتاوى .مجلة الحضارة الإسلامية، م12 ع1.
14.رزاق، فاطمة. (2023). النحو التعليمي في الدّرة الألفيّة .مجلة الواحات للبحوث والدّراسات، م16 ع1.
15.البلوي، سلمان بن سعود بن مسلم. (2024). التفكير اللغوي في تفسير الجواهر الحسان للثعالبي، ومقارنته بآراء المفسرين واللغويين .مجلة أبحاث، م11 ع3.
16.العادل، مصطفى. (2019). اللسانيات البنيوية وأثرها في الدرس اللغوي بالمغرب .مجلة الممارسات اللغوية، م10 ع1.
17.الخالدي، بندر. (2016). حذف الفاعل في كتاب المنتخب والمختار لابن منظور: دراسة في التركيب والدلالة .مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، م12 ع1.
18.السّتي، محمد الصالح، &معاشي، عبد الرحمان. (2018). أثر الصوت القرآني في تدبّر القرآن الكريم .مجلة الشهاب، م4 ع4.
19.شمطوح، زهور. (2017). منهج الشيخ محمد باي بلعالم في التعليل النّحوي: قراءة تحليلية على شروحه على المقدّمة الأجروميّة .مجلة تاريخ العلوم، ع9.
20.فندة، محمد أبو بكر نوح. (2020). التحليل الصوتي والدلالي للغة الخطاب .مجلة دراسات عربية، م15.
21.مخفي، إكرام. (2018). منظومة الجوهر المكنون في ثلاثة فنون وشروحاتها .مجلة حوليات التراث، م18.
22.ميمون، الربيع. (1993). الإمام سنوسي عالم تلمسان .حوليات جامعة الجزائر، م7.
23.روقاب، جميلة. (2019). مؤلفون موسوعيون جزائريون: محمد أبو راس النّاصري أنموذجا .مجلة التواصليّة، م1.

الكتب باللغة الأجنبيّة:

1. Ben Sedira, B. (1886). Dictionnaire français-arabe de la langue parlée en Algérie (édition numérique 1910, Libr. Jourdan, Alger).

المو اقع الالكترونية

2. https://radioalgerie.dz/news/ar/article/20160203/66553.html

مسألة غموض المعنى وتعدّده في بنية النّصّ مقاربة دلالية في مصطلح "الظاهر" لدى الإمام الشّريف التلمساني (ت771هـ)

أد. مختار درقاوي (قسم اللغة العربية بجامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف)

ملخص:

اشتملت الأعمال المعرفية الوازنة التي قدّمها علماء أصول الفقه في ميراث الحضارة على قضايا لسانية كثيرة، يستوقف الباحث اللساني منها أمران، الأوّل دلالي سعى من خلاله الأصوليون إلى إبراز آليات الفهم بتقديم حلول عملية لنوازل الكلام. والثاني: تخاطبي أو ما يسمّى بمباحث الاستعمال رام الأصولي في ضوئه مكاشفة النص بوضع آليات المقاربة التأويلية للخطاب.

وما يشدّ الباحث اللساني في رحاب ذلك كلّه تلك المقاربة التي عُنيت بتقديم حلول عملية لما يقدّمه النص من ألوان المعاني وتعدّدها بسبب التحاف الألفاظ بخصائص اللسان في سياق الاستعمال. لما يعتري النص من غموض بسبب تشرّب اللفظ في بنية الخطاب لأنساق لغوية مختلفة من: مجاز، واشتراك، وإضمار، وتقديم وتأخير، وغيرها من الجهات التي دخل الاحتمال منها على الخطاب فجاء الأصولي ووضع معادلة لسانية أو نمذجة دلالية هي جديرة بالمدارسة والمكاشفة.

وعليه نروم في هذا الموضع كشف النقاب عن مسلك عَلَمٍ أصولي جزائريّ وهو الشريف التلمساني _رحمه الله_ في مؤلَّفِه: "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" وذلك بتجلية منهجه في التعامل مع مسألة غموض المعنى وتعدّده في النص، ببيان صور التعارض التي تنسحب على الكلام، كدوران اللفظ بين النقل والإضمار، وبين الاشتراك والمجاز، وبين الاشتراك والتخصيص، وغيرها من الأوجه التي شكّلت

رهانا صعبا، جعل الأصولي يفحص بدقة دلالات المنطوق والمفهوم ويُقدّم الإجراءات المنطقية واللسانية والأصولية التي يُحتاج إليها في عملية الاستنباط والتوجيه.

مع الإشارة إلى أن هذا المبحث يُعدّ مقصدا مهما ومشغلا في الدرس اللساني الحديث، فقد ذكر راث كيمبسون أنّ هناك ثلاثة أمور يجب أن يبحثها علم الدلالة الحديث-:

1- يجب أن يصف طبيعة معنى اللفظ ودلالة الجملة لأيّة لغة، وأن يفسّر ماهية العلاقات بينهما.

2- يجب أن تعلّل مسألة الغموض وتعدد المعنى، والترادف، والاستلزام، وغير ذلك.

3- ينبغي أن تصاغ هذه الأوصاف في صورة مجموعة محدودة من القواعد التي تضبط الاطراد وتؤطّر الانتظام المشتمل عليه في خصوصية الزمر غير المتناهية للجمل[1].

تمهيد:

تشغل المباحث الخاصة بمسالك دلالة اللفظ على المعنى عند الأصوليين حيّزا كبيرا في مدوّناتهم وتلقى مزيد بسْطٍ ونَظَرٍ واهتمام؛ والسبب لما لها من أهمية بالغة في استنباط الأحكام من النصوص؛ ذلك أن نصوص الشريعة المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص عربية، ولا سبيل للناظر فيها بلوغ الغاية والمقصد إلا بإدراك سنن اللغة وضوابطها وقوانينها، وهذا الإدراك شرط أساسي ومفتاح ضروري لفتح أبواب الشريعة؛ يقول الإمام مالك: "لو كنت من العلوم في غاية، ومن المفهوم في نهاية ما خرجت عن أصلين: كتاب الله وسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، ولا سبيلي إليهما إلا باللسان العربي"[2]، ويقول الشافعي: "على كل مسلم أن يتعلّم من لسان العرب ما بلغه جهده"[3].

وفي اشتراط العلم بالعربية فرّق الشاطبي بين أمرين: تعلّق الاجتهاد بالنص، وتعلّقه بالمعاني من جهة المصلحة والمفسدة؛ "فالاجتهاد إن تعلّق بالاستنباط من

النصوص فلابد من اشتراط العلم بالعربية وإن تعلّق بالمعاني من المصالح والمفاسد مجردة عن اقتضاء النصوص، فلا يلزم في ذلك العلم بالعربية، وإنّما يلزم العلم بمقاصد الشارع من الشريعة جملة وتفصيلا"[4]، واستدرك عبد الله دراز على هذه التفرقة ونبّه إلى احتياج المقاصد أيضا للغة العربية[5].

ومهما يكن من أمر فإن الإجماع شاهد على أنّ فهم نصوص الشريعة غير حاصل من دون معرفة للغة العربية، وكتب الشريعة والتاريخ الإسلامي تحمل لنا وتطالعنا بوقائع تنبه إلى هذا؛ فقصة عدي بن حاتم في زمن النبي صلى الله عليه وسلّم أصدق برهان على أنّ خطاب التشريع متوقف على فهم اللغة لحصول التطابق مع مقصود المشرّع، ذلك أنّ هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه كما جاء في الحديث الصحيح لم يفهم فهما سليما قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [6]، فكان يضع تحت وسادته عقالين أحدهما أبيض والثاني أسود ليعرف التوقيت المحدّد للإمساك عن الأكل والشرب في رمضان، فبُيّن له أنّ المقصود سواد الليل وبياض النهار[7].

ومصادر الشريعة والفقه لم تكتف بهذا، بل تضمنت قصصا وآثارا بين الفقهاء والنحاة، من ذلك ما وقع بين الكسائي القارئ النحوي وأبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة بمحضر الخليفة الرشيد إذ تحدّى الكسائي أبا يوسف قائلا: هل لك في مسألة؟ ويستفهم أبو يوسف عن طبيعة المسألة: نحو أم فقه؟ فيقول الكسائي: فقه، فيضحك الخليفة الرشيد حتى يفحص برجله، استغرابا لهذه الدعوى ولكن الكسائي يبادر موجها خطابه إلى أبي يوسف: ما تقول في رجل قال لزوجته: أنت طالق أن دخلت الدار-بفتح الهمزة؟ فقال أبو يوسف: تطلق إذا دخلت الدار، فقال الكسائي: أخطأتَ، قد طلقت امرأته؛ ذلك لأنّ الزوج في هذا لم يعلّق الطلاق، وإنّما علّله بأن المفتوحة المصدرية، كأنّه قال: أنت طالق من أجل دخولك الدار، فعجب أبو يوسف وتبيّن له أنّ هذه المسألة جارية على أصل لغوي لابد من البناء عليه، فصار يتردد على الكسائي[8].

ويدخل في هذا السياق سؤال الرشيد لأبي يوسف عما يترتب على الرفع والنصب في لفظي "عزيمة" و"ثلاث" في قول الشاعر:

فإن ترفقي يا هند فالرفق أيمن***وإن تخرقي يا هند فالخرقُ أشأمُ

فأنت طـلاقٌ والطلاق عزيمةٌ *** ثلاث ومن يخرِقْ أعقُّ وأظلـــمُ

فما على هذا القائل إذا نصب: "ثلاث" أو رفعها مع ملاحظة أن رفع: "عزيمة" أو نصبها سيدور في اتجاه معاكس حتما- فقال أبو يوسف وهو يقلب رسالة الخليفة: هذه مسألة فقهية نحوية فلا آمن الخطأ فيها إذا قلت برأيي. فذهب إلى الكسائي وهو في فراشه فأجابه: بأنّه في حالة نصب "ثلاث" تطلق ثلاثا، وفي حالة الرفع تطلق واحدة. وتأويل ذلك: أنّها في حالة النصب تكون تمييزا للطلاق المبهم في جملة "فأنت طلاق"، وفي حالة الرفع مع نصب "عزيمة" تكون خبرا للطلاق وهو المبتدأ في الجملة الثانية[9].

ومن طرائف الدلالة النحوية في التراث العربي أنّ ثعلبا سُئل عن: لو قال لامرأته إن دخلتِ الدار، إن كلمتِ أخاك، فأنت طالق: متى تطلق؟ فقال: إذا فعَلَتْهما جميعا؛ لأنّه أتى بشرطين. فقيل له: لو قال: أنت طالق إن احمرَّ البُسْرُ. فقال: هذه المسألة مُحال؛ لأنّ البُسر لابُدّ أن يحمرّ، فالشرط فاسد. فقيل له: لو قال: إذا احمرّ البُسرُ (مرتبط هنا بشرط الزمان). فقال: تُطلَّق إذا احمرّ؛ لأنّه شرط صحيح. فميّز بين "إنْ"، وبين "إذا". فجعل "إن" للممكن، وإذا للمحقّق، فيقال: إذا جاء رأس الشهر، وإن جاء أبوك[10]. وقد تتجرد إن عن الشرط فتكون بمعنى "لو" نحو: صلّ وإن عجزت عن القيام، والمعنى: صلّ سواءٌ قدرْت على القيام أو عجزت عنه[11].

وكتب الأصول تحفل بعدد كبير من الأحكام الشرعية المبنية على الاستنتاجات اللغوية، نذكر منها قول الإمام مالك: أنّ مُتعة المطلقة ليست فرضا لاقتصارها على المحسنين بدليل النص "حقا على المحسنين"[12]، وقول جمهور أصحابه إنّ القرء إذا كان مذكّرا فإنّه يعني الطهر، وإنّ أقلّ الجمع اثنان، فمن حلف مثلا أنّ يتصدّق بدنانير فإنّه يَسْلم ويُرفع عنه الحرج بإعطاء دينارين[13]. أضف إلى ذلك أنّك تجد في

مجموعة من كتب الأصول أنّ الفهم الشرعي المستند إلى معرفة اللغة يقع جنبا إلى جنب مع الشاهد من كلام العرب، فصاحب الرسالة - مثلا - في معرض حديثه عن الاجتهاد لمن يريد أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام ساق الأبيات الشعرية الآتية:

قول خفاف بن ندبة:

ألا من مُبْلِغٌ عمْرًا رسولًا***وما تُغْنِي الرّسالةُ شطْر عمْرُو

وقول سَاعدة بن جُؤيَّةَ:

أقولُ لأُمِّ زِنْبَاعٍ أقيمي***صُدورَ العِيسِ شَطْرَ بَني تميم

وقول لقيط الإيادي:

وقد أَ ظَلَّكُمُ من شَطْرِ ثغْرِكُمُ***هَوْلٌ لهُ ظُلَمٌ تَغْشَاكُمُ قِطَعا

وذكر بيت **قيس بن خويلد الهذلي** الذي نصّه:

إنّ العَسِيرَ بِهَا داءٌ يُخامِرُها***فَشَطْرَهَا بَصَرُ العينيْنِ مسْجُورُ[14]

وبذلك يظهر أن الأدلة من الكتاب والسنة عربية الدلالة، ولا يمكن استنباط الأحكام منها إلا بفهم كلام العرب إفرادا وتركيبا[15]، وبمعرفة العموم والخصوص، والحقيقة والمجاز، والإطلاق والتقييد، والمفهوم والمنطوق، والمحكم والمتشابه، وغير ذلك من مباحث الدلالة اللفظية التي لابد من توافرها في المجتهد والمفتي فجاء الأصولي ورسمها وبيّنها كي يسير عليها الفقيه ويبني عليها فتاويه.

ويطالعنا الموقف العربي أن علماء المغرب العربي والأندلس وبخاصة علماء الفقه المالكي ألّفوا في الأصول أكثر من مائة كتاب[16]، وهذا يدلّ على قيمة الفكر المالكي ومقدرته على توليد القواعد التي تمدّ ممارسيه بالحلول العملية للنوازل الواردة. وقد نبّه إلى هذا محمد المختار ولد أباه، وزاده تأكيدا بقوله: "فقد أسهم –أي الفكر المالكي- في إثراء وسائل الاستنباط حينما ربط بين المصالح والتشريع، وظهرت نتائج هذا الإسهام في البحوث الواردة في كتب القرافي والشاطبي وابن فرحون وغيرهم.

كما أقدم مفكروه في بعض الأحيان على إبراز قيمة ما جرى به "العمل" و"العرف"، هذا من حيث الموارد الأصولية. أما فيما يعني ضبط الفروع، فكان له الفضل في إنشاء علم القواعد الفقهية على أيدي علماء مغاربة مرموقين أمثال: المقري والزقاق، والونشريسي، وأبي العباس المنجور، وعبد الله بن محمد ميارة"[17]. ويعدّ الشريف التلمساني من بين هؤلاء الأعلام الذين عنوا بالتأليف في أصول الفقه وإثراء مسائله، ومؤلّفه: " مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" يعتبر أحد الإسهامات الوازنة في هذا المجال.

- التعريف بالإمام الشريف أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني التلمساني:

عُرِف محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي بكنية أبي عبد الله، واشتهر بالشريف التلمساني نسبة إلى تلمسان إحدى مناطق الغرب الجزائري، من أصل شريف يمتدّ إلى إدريس بن عبد الله بن حسن أوّل من دخل المغرب، وإلى الحسن بن علي بن أبي طالب حفيد النبي صلى الله عليه وسلّم.اختلف المترجمون والمؤرخون في تاريخ ولادته على قولين؛ الأوّل إنّه ولد سنة عشر وسبعمائة (710هـ-1310م) قال أبو العباس الونشريسي: "هذا هو الصحيح في ولادته"[18]، الثاني: إنّه ولد سنة ستة عشر وسبعمائة (716هـ - 1316م) ذَكَره أبو زكريا السراج والمسيلي[19]، ولعل القول الأوّل هو الراجح لما ذكره ابن خلدون عنه: "أخبرني –أي الشريف التلمساني- رحمه الله أنّ مولده سنة عشر"[20].

والرجل من بيت عُرف عنه العلم والتقوى والصلاح، قال الحفناوي: "وبيته مجتمع العلماء والصلحاء"[21] سَمَحَ له هذا الوسط النقي بأن يتربّى تربية حسنة نهل في كنفها العلم في سنّ مبكّرة إلى أن اشتدّ عوده، كان رحمه الله: "من أحسن الناس وجها وقدرا، مهيبا، ذا نفس كريمة، وهمة نزيهة، رفيع الملبس بلا تصنّع، سري الهمة بلا تكبّر، حليما متوسطا في أموره، قوي النفس مؤيدا بطهارة، ثقة عدلا ثبتا، سلّم له الأكابر بلا منازع، أصدق لهجة، وأحفظهم مروءة، مشفقا على الناس، رحيما بهم، يتلطف في هدايتهم، ويعينهم بجهده، حسن اللقاء، كريم النفس، طويل اليد يعطي نفقات عديدة، ذا كرم واسع وكنف لين، وصفاء قلب"[22].

وللشيخ منزلة بين أهل عصره، إذ عُدّ من فحول العلماء ونموذجا يحتذى به في الصلاح والورع وقبول الحق ومحاربة الجهل والذّبّ عن الدّين، كان رحمه الله قامة في مختلف علوم الشريعة، كان إماما في التفسير عالما بفنونه وعلومه، قال عنه الشيخ البشير الإبراهيمي: "لم ينقل لنا تاريخ العلماء بهذا الوطن أنّ عالما ختم تفسير القرآن كله درسا إلا ما جاء فيه عن الشريف التلمساني"[23]، وتذكر كتب السير أنّه فسّر القرآن خمسا وعشرين سنة بحضرة الملوك والعلماء والطلبة وعوام الناس[24].

وكان عالما بعلوم الحديث، على دراية بمتنه وسنده، وبصحيحه وضعيفه، عالما بالعربية وآدابها وقواعدها نحوا وصرفا وبلاغة وبيانا، واسع الإحاطة بأخبار الناس ومذاهبهم، كثير المعرفة بسير الأعلام من الفقهاء والصالحين، على دراية بالعلوم العقلية من منطق وحساب وفرائض وهندسة وتشريح وفلاحة وغيرها، كان عليه رحمة الله عالما بأصول الفقه متقنا مجيدا وفقيها مجتهدا في الأصول والفروع.

من شيوخه الذين تتلمذ عليهم وأثنوا عليه خيرا:

- الشيخ المحدّث القاضي أبو علي ابن هديّة، قال: "كل فقيه قرأ في زماننا هذا أخذ ما قدر له من العلم ووقف إلا أبا عبد الله الحسني فإنّ اجتهاده يزيد، والله أعلم حيث ينتهي أمره"[25].
- الشيخ أبو عبد الله الآبلي، قال عنه: "هو أوفر من قرأ عليّ عقلا وأكثرهم تحصيلا"[26].
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القاضي يقول: "ما أظن أن في المغرب مثل هذا"[27].

من تلامذة الشيخ تذكر كتب السير أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون، وأبا زكريا يحيى بن خلدون، والسراج الذي وصفه في "فهرسته" بقوله: "شيخنا الفقيه الإمام العلامة الشهير الكبير الصدر القدوة، الشريف نسبا، العظيم قدرا ومنصبا، أبو عبد الله كان أحد رجال الكمال علما وذاتا وخُلُقا وخلْقا، عالما بعلوم جمّة من المنقول

والمعقول بلغ رتبة الاجتهاد أو كاد، بل هو أحد العلماء الراسخين وآخر الأئمة المجتهدين"[28]. ومن مؤلفات الشيخ المطبوع والمخطوط:[29]

- مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول.
- مثارات الغلط في الأدلة.
- شرح جمل الخانجي.
- كتاب في القضاء والقدر.
- كتاب في المعاوضات أو المعاطاة.

وفي سنة وفاته وصل في درس التفسير إلى قوله تعالى: "يستبشرون بنعمة من الله وفضْل"[30] فمرض ثمانية عشر يوما ثم مات ليلة الأحد رابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة (771هـ-1370م)[31].

- كتاب مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول:

منهج المؤلّف في مفتاح الوصول أنّه ابتدأ بمقدّمة مقتضبة بيّن فيها أنّ ما يتمسّك به المستدلّ على حكم من الأحكام في المسائل الفقهية منحصر في جنسين: دليل بنفسه، ومتضمن للدليل. أمّا الجنس الأوّل فقسّمه إلى قسمين: أصل بنفسه، ولازم عن أصل، والنوع الأوّل جعله صنفين: أصل نقلي، وأصل عقلي. أمّا الثاني فجعله ثلاثة أقسام: قياس مطّرد، وقياس عكس، وقياس استدلال. أمّا الجنس الثاني فقسّمه إلى قسمين: الإجماع، وقول الصحابي[32].

وقد شرع عند تناوله للموضوع الانتقال من الجزء إلى الكل، إذ بدأ بالصنف الأوّل من النوع الأوّل –وهو الأصل النقلي- ثم الصنف الثاني من النوع الأوّل –وهو الأصل العقلي-، أعقبه بالنوع الثاني بمختلف أقسامه، وأخيرا تعرض للجنس الثاني بنوعيه، كل ذلك مقرون بأمثلة توضيحية مطبقا فيها الفروع الفقهية على أصولها[33].

والقِسْم الذي يعنينا في هذا المقام هو المتعلّق بالدلالة، ووضّح أنّها تختلف باختلاف المتن، وأنّ المتن إمّا قول، أو فعل، أو إقرار. يعنينا القسم الأوّل لارتباطه بالدلالة اللغوية، نَظَرَ إلى القول باعتبارين باعتبار المنطوق وباعتبار المفهوم، أمّا

الأوّل فأوضح أنّ دلالة المنطوق قد يكون في دلالته على الحكم نفسه، وقد يكون في دلالته على متعلّق الحكم. وبيّن أنّ اللفظ الدال على الحكم بمنطوقه قد يكون أمرا وقد يكون نهيا، وقد يكون تخييرا، ثم فصّل الحديث في كلّ واحد. وأوضح في مبحث الدلالة على متعلّق الحكم: أنّ اللفظ إمّا نص، وإمّا مجمل، وإمّا ظاهر، وإمّا مؤوّل، وعقد لكل قسم فصلا[34]. وفي الاعتبار الثاني –أي المفهوم- فتناول مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة[35].

ونظرا لكون الدلالة اللفظية في مؤلّف الشيخ تستغرق مؤلّفا قائما بذاته لن تفي به هذه الورقات فإنّا سنكتفي بالحديث عن الوظيفة الدلالية لمصطلح الظاهر من حيث التعامل مع غموض المعنى وتعدده في النّص.

-دلالة الظاهر:

الظاهر لون من ألوان الخطاب وصورة من صوره، يتميز بكثرة المداليل فيه وطرق الاحتمال إليه؛ بمعنى أن اللفظ يدل بمنطوقه على معنيين فأكثر مما يستدعى تغليب وترجيع أحد المعاني على حساب الآخر، فإن تمّ تغليب المعنى الراجح على حساب المعنى المرجوح فذاك الظاهر، وإذا كان الأمر بخلافه فهو المؤوّل، إذن «الظاهر هو اللفظ الذي يحتمل معنيين وهو راجح في أحدهما من حيث الوضع، فلذلك كان متضح الدلالة»[36].

فدلالته على المعنى الراجح فيه تسمى: ظاهرا، ودلالته على المعنى المرجوح فيه تسمى: تأويلا ومثاله قوله تعالى: "فإطعام ستّين مسكينا"[37]، فإنّه ظاهر في أن المظاهر الذي لم يستطع الصوم يجب عليه إطعام ستين شخصا مسكينا؛ أي فقيرا لا مال له، لكلّ مدٌّ، ولا يجزئ إعطاؤها لمسكين واحد، ولا إعطاء مدّين منهما له أيضا. ويحتمل أنّ المراد بالمسكين المدّ؛ لأنّه من أسمائه؛ ويكون المعنى: فإطعام طعام ستين مدّا؛ وعليه فيجزئ إعطاء جميع الكفارة لمسكين واحد في ستين يوما، في كل يوم مدّ[38].

والفرق بين الظاهر وبين النص يكمن في درجة الوضوح، فالنص واضح قطعا لا احتمال فيه ولا ترجيح ولا تأويل، أما الظاهر فلا، يقول أبو حامد الغزالي في هذا المقام «النص هو الذي لا يحتمل التأويل،والظاهر هو الذي يحتمله»[39]، وتجدر الإشارة إلى أن الجمهور من غير الأحناف يجمعون النص والظاهر تحت اسم المحكم في مقابل المجمل، فالمحكم يشمل عندهم الظاهر أيضا.[40]

وقد حصر الشريف التلمساني مقتفيا من قبله من علماء الأصول- الجهات التي يدخل الاحتمال منها على الخطاب في ثمانية موارد يحتاط لها لضمان التمسك بالظاهر عند انعدام القرينة، فإذا وجدت القرينة الموجّهة للخطاب أخذ فيه بالوجه المرجوح الذي يصبح بمساندة القرينة هو الظاهر -بمعنى الغالب وليس بمعنى المصطلح- والجهات التي ذكر الشريف التلمساني أن الاحتمال يدخل على النص منها، هي:[41]

1- الحقيقة في مقابل المجاز:

والمقصود به أن يكون اللفظ مستعملا فيما وضع له أصلا، كإطلاق الأسد على الحيوان المفترس، فإن صرفها إلى هذا الوجه أولى من صرفها إلى معنى الرجل الشجاع الذي قد يطلق عليه لفظ الأسد مجازا، فلا يصرف المعنى إلى خلاف هذا الظاهر إلا بقرينة، فإذا عدمت القرينة لم يجز صرفه عنه، يقول الشريف التلمساني: "إذا كان اللفظ محتملا لحقيقته ومجازه فإنه راجح في الحقيقة"[42]، ويؤكّد فخر الدين الرازي هذا التقعيد بقوله: « أما المجاز فيكفي فيه حصول قرينة تمنع من حمل اللفظ على حقيقته، وهي وسهلة الوجود»[43]. وعلماء المالكية لم يتقيدوا بمبدأ ثابت في حمل كل لفظ على حقيقته في هذه النصوص، فمنهم من حمل "المتابعين" في حديث الخيار على "المساومين"، ومنهم من فسّره بالافتراق في هذا الحديث، ومنهم من يقول في حديث: "لا تنكح اليتيمة حتى تستأمر" إنما هي التي قد توفّي أبوها مع أن اللفظ قد وضع للانفراد، فقال مخالفوهم: إنها التي لا زوج لها استنادا إلى الحقيقة الوضعية[44].

وفي باب المجاز اللغوي نضرب مثال احتجاج المالكية على أنّ من وجد سلعته عند المفلس، فهو أولى بها من سائر الغرماء؛ لقوله صلى الله عليه وسلّم: "أيما رجل

أفلس، فصاحب المتاع أحق بمتاعه إذا وجده بعينه"[45]، وقال الحنفية: صاحب المتاع هو حقيقة فيمن المبتاع بيده؛ وهو المفلس، ومجاز فيمن كانت بيده؛ لأنّ إطلاق اللفظ المشتق بعد ذهاب المعنى المشتق منه مجاز، ولذلك لم يطرد. ألا ترى أنّ من كان كافرا ثمّ أسلم؛ فإنّه لا يسمى كافرا، فدلّ على أنّ إطلاق اللفظ باعتبار الماضي مجاز. والجواب عند المالكية: أنّ الدليل دلّ على تعيين المجاز، ألا ترى أنّه لو أراد به المفلس، لم يكن لاشتراط التفليس معنى، ولقال: فهو أحقّ بمتاعه، فلمّا أتى بالظاهر دون المضمر دلّ على أنّه أراد به غير ما أراد بالمضمر[46].

2- الاستقلال في مقابل الإضمار:

المراد أن الأصل في الكلام عدم التقدير، وأن النص قائم بنفسه مستغن عن إضمار كلمات أو تقديرات[47]، إلا أن يقوم الدليل على الحاجة إلى ذلك، بحيث يختل المعنى مع عدمه وأما لو كان للعبارة معنيان، أحدهما يؤدّيه النص من غير تقدير محذوف، وآخر لا يستقيم إلا بتقدير محذوف، فإن الخطاب يصرف إلى المعنى الذي يحفظ استقلال النص؛ لأن ذلك هو الأصل.

ولعلّ السبب الذي أدّى إلى هذا الترجيح أنهم رأوا في التقدير كذبا على المتكلم بنسب ما لم يتلفظ من الأقوال إليه، وقد نافح أحد رواد المدرسة الظاهرية وهو ابن مضاء عن هذا الأمر بقوة واشتد النكير منه على من اعتقد خلاف ذلك، يقول في هذا الشأن «من بنى على الزيادة في القرآن بلفظ أو معنى على ظن باطل قد تبين بطلانه، فقد قال في القرآن بغير علم، وتوجّه الوعيد إليه، ومما يدل على أنّه حرام، الإجماع على أنه لا يزاد في القرآن لفظ غير المجمع على إثباته، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ، بل هي أحرى؛ لأنّ المعاني هي المقصودة والألفاظ دلالات عليها ومن أجلها»[48].

وبهذه القاعدة احتج المالكية على حرمة أكل لحوم السباع في قوله صلى الله عليه وسلم: "أَكْلُ كُلِّ ذي ناب من السّباع حرام"[49]، بينما يقول من يخالف المالكية في هذا الحكم إن المقصود في الحديث هو حرمة ما أكل السَّبُع، وهذا التأويل يستلزم

الإضمار، وتقديره: أَكْل مَأكول كُلِّ ذي ناب من السِّباع حرام. وتقدّم تقديم الاستقلال.

3- الترتيب في مقابل التقديم والتأخير:

المراد بهذا الاحتمال أن الكلام قد يفهم منه معنى ما، ولكنه إذا قدّر أن فيه تقديما وتأخيرا فإنه يكون له معنى آخر، وحينئذ يقدّم المعنى الذي يفهم من الكلام من غير هذا التقدير أو التصرف في الترتيب[50]، إلا إذا جاءت قرينة تصرفنا إلى المعنى الآخر الذي يلزم منه التصرف في سياق الخطاب وترتيب أجزائه، فحينئذ يجوز لنا صرفه عن المعنى الظاهر. وبهذا احتج المالكية على أنّ العَوْد _وهو عندهم بمعنى العزم علة الوطء_ في الظهار شرط في وجوب الكفارة؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾[51]، ويقول مخالفوهم: إنّ الظهار نفسه موجب للكفارة وإنّ في الآية تقديما وتأخيرا، والمعنى عندهم: والذين يظهرون من نسائهم –فتحرير رقبة- ثم يعودون لما قالوا. فالكلام إذن على ما سيق عليه من ترتيب، وغير هذا دعوى وتصرّف في الكلام من غير إذن من المتكلّم ولا إجازة، وأيضا تحريف للكلم عن مواضعه من دون نور ولا برهان من قرينة صارفة.

4- التأسيس في مقابل التأكيد:

الكلام إذا اشتمل على زيادة لفظية تحتمل أن تكون تأكيداً كما تحتمل أن يكون المقصود منها زيادة وتأسيساً لمعنى جديد؛ فإنّها تصرف إلى معنى التأسيس؛ لأنها الأصل في الكلام[52]، ولا تصرف عن هذا الظاهر إلى معنى التأكيد إلاّ بقرينة، إذ الحكمة تقتضي أن يكون لكل لفظ ما يقابله من المعنى، والأصل أنّ الزيادة في المبنى زيادة في المعنى وإلا كانت هذه الزيادة عبثاً ولهواً أو عجزاً، ولم يرض ابن جني للعرب ذلك فحكمتهم كانت تبعدهم عن أن تكون لغتهم كثيبا مهيلا من غير إحكام[53] ولما كان الأمر كذلك لزم أن يكون كل ما في كلامهم له معنى جديد، أو يقال أنّ الأصل فيه كذلك. وبهذه القاعدة وجّه الإمام مالك قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلى المحسنين﴾ فرأى فيه

دليلا على عدم وجوب متعة الطلاق وجوبا إلزاميا[54]، فما كان من باب الإحسان والمجاملة ليس بواجب، إذ الواجب لا يختص بالمحسنين، وهذا أصل السياق في ظاهره، ويخالف الشافعية والحنفية والظاهرية؛ لأنّ دلالة "حقا" عندهم لتأكيد الوجوب.

5- العموم في مقابل الخصوص:

إذا ورد في خطاب ما لفظ يستغرق جنسه أو نوعه لم يجز تخصيص فرد من الأفراد المشمولين بالخطاب دون غيره بحكم الخطاب، بل يجب أن يشملهم به جميعا من غير تخصيص؛ لأنّ ذلك صرف للخطاب عن الظاهر بغير قرينة، وهو عندهم غير جائز[55]، وإنما كان العموم هو الأصل دون التخصيص لأنّ التخصيص مثل التقييد، ذلك أنّ التقييد دعوى على أنّ ما أطلق أريد به فرد مقيد أو معين من الأفراد الذين شملهم الخطاب، فيكون ذلك نقضا للشيوع المستفاد من الإطلاق، وكذلك التخصيص نقض للاستغراق الذي يدل عليه العموم من غير دليل.وتصديقا لهذا الترجيح يقول ابن حزم الأندلسي:« أمّا إذا ورد لفظ لغوي فواجب أن يحمل على عمومه، وعلى كل ما يقع في اللغة تحته، وواجب ألاّ تدخل في اللغة فيه ما لا يفيده لفظه، مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، فالخير في اللغة يقع على الصّلاح في الدين، وعلى المال، فلا يجوز أن نخص بهذا النص بعض ما يقع عليه دون بعض إلاّ بنص فلما قال تعالى: فيهم، ولم يقل: معهم، ولا قال تعالى: عندهم، أنّه إنّما أراد الدين فقط»[56].

6- الإطلاق في مقابل التقييد:

اللفظ الوارد في الخطاب إذا كان شائعا في جنسه فإنّه لا يجوز تقييده بقيد لم يرد به النص يقول الشريف: "الأصل في اللفظ المطلق بقاؤه على إطلاقه"[57] كما هو الحال في بقرة بني إسرائيل، الله أمرهم بذِبح بقرة غير معينة وبدون شرط –بادئ الأمر-"إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة"[58]، فتكلّفوا الأمر بانصرافهم عن مطلق اللفظ إلى قيده، فشّقَ عليهم وكان يكفيهم الأخذ بظاهر اللفظ بذبح أي بقرة.

7- التباين في مقابل الترادف:

إذا اشتمل نص ما على لفظين متقاربين في المعنى فإنّ الظاهر الذي يتمسك به القوم هو أنّ العبارتين أو اللفظين قد جاءا لمعنيين مختلفين، وليس لمعنى واحد يقول التلمساني: "اعلم أنّ الأصل في الألفاظ أن تكون متباينة لا مترادفة"[59]؛ إلاّ أن تقوم قرينة تدلّ على أنّ المقصود بهما معنى واحد، فيصرفون الخطاب حينئذ إلى التأويل ويفارقون الظاهر. وبهذه القاعدة احتجّ المالكيّة على جواز التّيمّم بكل ما صعد عن أديم الأرض، بينما قال الشّافعيّة إن الصعيد مرادف للتراب*.

وقاعدة هذا الاحتمال أنّ القول بالترادف فيه إحالة على أنّ المتكلم يلهو ويعبث –تعالى ربّنا عن ذلك-؛ لأنّه كان بالإمكان الاستغناء بالأمر الأوّل عن الثاني. ومعلوم وأكيد في حق الحكيم أنّه لا يلهو ولا يعبث، ولو كان يستغنى بالأمر الأوّل لما أصدر الأمر الثاني، فتقرر أنّ الظاهر في هذه الحالة بتقديم التباين إلاّ إذا وجدت قرينة صارفة.

8- انفراد المعنى في مقابل اشتراكه:

والمراد به في البيئة الأصولية أنّ اللفظ في اللسان العربي لا يكون في الأصل مشتركا بين أكثر من معنى، فإن وجد أنّ العرب استخدموا اللفظ في معنيين فلا بد أن يكون أحد المعنيين أصلا والآخر مجازا، فإذا أمكن ذلك حسم الخلاف وكان الاستخدام بالمعنى الأوّل هو الأصل والظاهر، والثاني هو الفرع الذي يحتاج إلى قرينة، فإن لم يكن أحدهما حقيقة والآخر مجازا، ووجدنا استخدام العرب كليهما متساويا لا على نحو العموم الجامع بينهما وقامت الدلائل على ذلك سلّمنا بوقوع الاشتراك. ومثاله ما احتج به جمهور الأصوليين على أنّ أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم يحمل على الوجوب لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[60]، مع أن المخالف في هذا الرأي يقول إن الأمر من "المشترك"، ويردّ الجمهور بأن الانفراد هو الأصل[61]. قال صاحب مراقي السعود:

وافعل لدى الأكثر للوجوب*** وقيل للندب أو المطلوب

وقيل للوجوب أمر الرّبّ***وأمر مَن أرسله للندب

نخلص مما سبق إلى أنّ الظاهر يتألف من ثلاثة عناصر: الاحتمال، والترجيح، والظهور، وحقيقته أنّه يختص بحالات الأصالة في مقابل الحالات الفرعية عند تعذّر القرينة كما يبيّن الجدول الآتي:

حالات الأصالة	الحالات الفرعية
1- الحقيقة 2- الاستقلال 3- الترتيب 4- التأسيس 5- العموم 6- الإطلاق 7- التباين 8- انفراد المعنى	1- المجاز 2- الإضمار 3- التقديم والتأخير 4- التأكيد 5- الخصوص 6- التقييد 7- الترادف 8- الاشتراك

والجدول يكشف ويفصح على أنّ الخطاب عند الشريف التلمساني وغيره إذا دار معناه بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي يلزم بالضرورة على المخاطب والقارئ حمله على المعنى الأصلي، إلاّ إن وجدت القرينة التي تعد صارفا وناقلا لدلالة الكلام من المعنى الأصلي إلى المعنى الفرعي.

ومما سلف تبيّن التقاء المنظور الأصولي مع المنظور اللساني الدلالي والتداولي الحديث، الذي تفطّن إلى/وأدرك أنّ التخاطب اللغوي ليس يستند إلى العناصر الوضعية (الدلالة) فحسب، بل لابد من عناصر تداولية ومنطقية تكون هي الأساس لاستجلاء المعنى، وهنا بالذات أخذ مصطلح الكفاية اللغوية في الدرس المعرفي الحديث مفهوما واسعا بحيث أصبح يعني ويفرض أنّه لا يصدق على متكلّم لغة ما أنّه قادر على استخدام اللغة إلا بموجب ثلاث آليات:[62]

- **الآلية الأولى:** الإدراك الكافي للمواضعات اللغوية؛ أي تملّك الأنساق الدلالية تملكا يستدعي شيئين الأوّل: الفهم، والثاني: حسن الإسقاط أو التوظيف.

- **الآلية الثانية:** التمتع بقدرة عقلية تمكّنه من أداء العمليات المنطقية التي يحتاج إليها في استنباط المعنى.

- **الآلية الثالثة:** ألمّ بأصول المحادثة، التي تسعفنا في استنباط المفاهيم عند التخاطب والتحاور.

كما تبيّن الاتفاق الحاصل بين علمائنا في ميراث الحضارة وبين علماء الدرس اللساني الحديث بضرورة بحث جملة من المسائل الدلالية، ومنها مسألة غموض المعنى وتعدده في سياق الاستعمال، ولذلك ذهب راث كيمبسون إلى أنّ هناك ثلاثة أمور يجب أن يبحثها علم الدلالة-:[63]

- يجب أن يصف طبيعة معنى اللفظ ودلالة الجملة لأيّة لغة، وأن يفسّر ماهية العلاقات بينهما.

- يجب أن تعلّل مسألة الغموض وتعدد المعنى، والترادف، والاستلزام، وغير ذلك.

- ينبغي أن تصاغ هذه الأوصاف في صورة مجموعة محدودة من القواعد التي تضبط الاطراد وتؤطّر الانتظام المشتمل عليه في خصوصية الزمر غير المتناهية للجمل.

الإحالات:

1. ينظر: راث كيمبسون، نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، تر: عبد القادر قنيني، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم، ط1، 1430هـ-2009م، الجزائر-لبنان، ص14.
2. أحمد الشريف الأطرش السّنوسي، مالك بن أنس ومدرسة المدينة، دار البصائر، طبعة خاصة بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، 2009، ص26.
3. الشافعي، الرسالة، تح وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص48.
4. الشاطبي، الموافقات، تح: عبد الله درّاز، دار الكتب العلمية، بيروت، 162/4.
5. المصدر نفسه، 162/4.
6. سورة البقرة، الآية: 187.
7. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري على صحيح البخاري، 132/4.
8. ينظر: عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه، أمالي الدلالات ومجال الاختلافات، دار ابن حزم، ط1، 1999، بيروت ص18.
9. ينظر: المرجع نفسه، ص18-19.
10. المصدر نفسه، ص493.
11. عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، دار البصائر، ط2012، الجزائر، ص494.
12. سورة البقرة، الآية: 236.
13. ينظر: محمد المختار ولد أباه، مدخل إلى أصول الفقه المالكي، دار الأمان، ط2، 2003، الرباط، ص24.
14. ينظر: الشافعي، الرسالة، ص34-35-36.
15. البيضاوي، منهاج الوصول، مطبعة السعادة، ط1، 1370هـ، 551/4-552.
16. ذكر هذه الكتب الشيخ محمد المختار ولد أباه في الملحق الثالث من مؤلَّفه: مدخل إلى أصول الفقه المالكي، دار الأمان، ط2، 2003، الرباط، ص232...247.
17. المرجع نفسه، ص10-11.
18. التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج على هامش كتاب الديباج المذهب لابن فرحون اليعمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ص256. ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، دار المطبوعات الجامعية الجزائر، ص166.
19. السراج، فهرست، خ. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص257.

20. ابن خلدون، التعريف، عارض بأصوله وعلق عليه محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951 القاهرة، ص64.
21. الحفناوي، تعريف الخلف، تح: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 116/1.
22. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص258. ابن مريم، البستان، ص169. الحفناوي، تعريف الخلف، 115-114/1.
23. الشيخ البشير الإبراهيمي، مقدمته على كتاب العقائد الإسلامية للشيخ عبد الحميد بن باديس، رواية وتعليق محمد الصالح رمضان، ص7.
24. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص258. ابن مريم، البستان، ص169. الحفناوي، تعريف الخلف، 115-114/1.
25. ابن مريم، البستان، ص171.
26. المصدر نفسه، 171.
27. المصدر نفسه، ص171.
28. السراج، فهرست، خ. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص-254- 255. الحفناوي، تعريف الخلف، 111/1.
29. الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط1، 1998، بيروت، ص120-124. ويجدر الإشارة إلى أننا استفدنا من مقدمة المحقق في التعريف بالشريف التلمساني.
30. سورة آل عمران، جزء من آية:171.
31. ابن خلدون، التعريف، ص64.
32. الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص248.
33. المصدر السابق، ص248.
34. المصدر السابق، ص249.
35. المصدر السابق، ص251.
36. الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص470.
37. المجادلة: 4.
38. محمد يحي بن محمد الولاتي، إيصال السالك إلى أصول مذهب مالك،، قدّم له وعلّق عليه: مراد بوضايه، دار ابن حزم، ط1، 2006، بيروت، ص131.

39. المستصفى، 384/1.
40. عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه أمالي الدلالات ومجالي الاختلافات، ص 80.
41. ينظر: الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص471 وما بعدها. وينظر: ناصر المبارك، الظاهر اللغوي في الثقافة العربية- دراسة في المنهج الدلالي عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات، ط1، سنة 2004، بيروت ص 44 حتى 60.
42. 42 الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص471.
43. فخر الدين الرازي، المعالم في أصول الفقه، تح:عادل أحمد عبد الموجود- وعلي محمد معوض مؤسسة المختار للنشر، ط2، سنة2004، القاهرة. ص 36.
44. ينظر: محمد المختار ولد أباه، مدخل إلى أصول الفقه المالكي، ص39-40.
45. أخرجه الشيخان، وأصحاب السنن الأربعة، باختلاف في اللفظ.
46. نظر: الشريف التلمساني، مفتاح الوصول، ص74-75. وينظر: تيسير الوصول إلى فقه الأصول، أحمد الشريف الأطرش السنوسي، دار الغرب للنشر، ط2000، الجزائر، 268/1.
47. ينظر: الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص482.
48. ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط1، 2007، بيروت، ص 18.
49. أخرجه مالك في الموطأ، ومسلم، وأصحاب السنن. ينظر: تفسير القرطبي، 282/17. وينظر: محمد المختار ولد أباه، مدخل إلى أصول الفقه المالكي، 41.
50. ينظر: الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص486.
51. المجادلة: 02.
52. ينظر: الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص485.
53. ابن جني، الخصائص، دار الكتب، 2/1.
54. الإمام مالك، الموطأ، 94/2.
55. ينظر: الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص486 ...

56. ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ط1، 419/1.
57. الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص513.
58. سورة البقرة، الآية: 67.
59. الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص480.

- نشير في هذا الموضع إلى أنّ النقاش الذي دار بين المالكية والشافعية: هل الصعيد عام يشمل التراب وغيره من كل ما صعد على وجه الأرض أم أن الصعيد يراد به خصوص التراب؟ هو نقاش في تحليل الألفاظ إلى مدلولاتها اللغوية في هذا الموضع من الحديث، وإلا فإن الشافعية يحتجون بحديث آخر هو حديث حذيفة الذي أخرجه مسلم، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "جعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء"، فيكون من باب تخصيص العموم.

60. النور:63.
61. ينظر: الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد علي فركوس، ص478-479.
62. ينظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، ط 1، سنة 2004 بيروت ص 38.
63. ينظر: راث كيمبسون، نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، تر: عبد القادر قنيني، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم، ط1، 1430هـ-2009م، الجزائر-لبنان، ص14.

مسارات الدرس العروضي الجزائري

أ.د/ مراد مزعاش - المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة

mouradski@yahoo.fr

الملخص

يعتبر علم العروض والقوافي أحد علوم العربية، الذي له أهميته السامية ومكانته العالية في المنظومة اللّغوية، لا تقل عن أهمية علم النّحو أو علم البلاغة أو تاريخ الأدب، أو غيرها من العلوم... فعلم العروض وإن ارتبط بالشّعر فهو يدخل في منهجه كل علوم اللّغة العربية بل ويتعداها...

وقد عرفت المنظومة التّعليمية والعلمية والفكرية الثّقافية الجزائرية، في مسارها التّاريخي والعلمي والثّقافي الاهتمام المطلوب والرّعاية اللازمة لهذا العلم تدريسا وتلقينا وتأليفا، وفق مقتضيات كل عصر وخصوصية كل الحواضر العلمية التي اشتهرت عبر التّاريخ في القطر الجزائري. وتحاول هذه الورقة دراسة كل ذلك من خلال إبراز ودراسة المحاور التّالية: بداية ونشأة علم العروض في الجزائر. ودوافع الكتابة والتّأليف لعلماء الجزائر في علم العروض. وإحصاء مؤلفات علماء الجزائر في علم العروض. مع بيان علاقة علم العروض بالعملية العلمية والتّعليمية في الجزائر. منهج علماء الجزائر في التأليف في علم العروض. علم العروض عند الجزائريين بين الجانب النظري والممارسة التّطبيقية. ثم قيمة المؤلفات العروضية لعلماء الجزائر. ثم تحديد خصائص ومميزات المؤلفات العروضية الجزائرية. لتكون نهاية البحث امن خلال الخاتمة.

الكلمات المفاتيح: العروض الجزائرية، فهرس المؤلفات العروضية، النشأة وسبب التأليف، قيمة المؤلفات العروضية الجزائرية، خصائص ومميزات الكتابات العروضية الجزائرية.

تمهيد

يعتبر علم العروض من العلوم التي حازت مكانة، سامية، وتبوأت درجات عالية، ولقيت من الاهتمام العلمي والتعليمي ما تستحقه، في المنظومة العلمية والتّعليمية والفكرية الجزائرية عبر مسارها التّاريخي، وكان علم العروض عبر مساره التّاريخي في مختلف محطاته عبر مختلف الأزمنة والعصور محل اهتمام ورعاية كثير من الأدباء والشّعراء والعلماء الجزائريين، على مختلف مشاربهم الفكرية، ومذاهبهم الأدبية والفلسفية، وهو ما جعله يحقق تطورا ظاهرا، وتقدما بارزا، ويتبوأ مكانة لافتة في الدّراسات اللّغوية والأدبية الجزائرية، لأسباب كثيرة علمية وموضوعية، ونتيجة تأثيرات ومرجعيات كثيرة مختلفة ومتنوعة، بيئية واجتماعية وثقافية وفكرية وأدبية وحضارية.

وعلم العروض هو العِلم المختص بالشّعر، والذي يُبحث فيه عن أصول وقواعد أوزان الشّعر العربي، أي يُقصد به القواعد التي تدل على الميزان الدّقيق للشّعر، فيُعرف به صحيح أوزان الشّعر من فاسده وسقيمه، فيتم تصفيته وتنقيته مما علق به من كسور في الإيقاع، وخلل في الأوزان، وانحراف في الموسيقى، فيتم تمييز صحيحه من فاسده وسقيمه.

وتكمن فائدة علم العروض في صقل الموهبة الموجودة لدى الشّاعر، والعمل على تهذيبها وتجنيبه الوقوع في الأخطاء والانحرافات، والإخلال عند نظم الشّعر . والعمل على حماية الشّعر من كل تغيير لا يجوز وجوده، ولا يسمح بوقوعه، ثم هو القدرة على إيجاد معيار دقيق لعملية النّقد، فالذي له معرفة بالعروض هو الذي له حقّ إصدار الحكم الصّحيح للتّقويم الشّعري، ثم هو الأساس للتمييز ما بين الشّعر والنّثر الذي يتضمّن بعض السّمات والخصائص الموجودة في الشّعر، ثم إنّ معرفته تعطينا القدرة والتّمكن من التعرّف على كل ما ورد في التراث الشّعري، من مذاهب الشّعراء، ومن المصطلحات العروضيّة، وما يعتري القافية، مما يساعد في معرفة سمات الشّعر كالاتساق في الأوزان، والتآلف في النّغم، بالإضافة إلى قدرته على إيجاد الذّوق الفنيّ للشّعر وتهذيبه. والقدرة على قراءة الشّعر بطريقة صحيحة وسليمة،

خالية من كل الأخطاء والانحرافات، التي قد يقع فيها من هم غير مؤهلين وغير ملمّين بعلم العروض وقواعده، وغير مؤهلين لنظم الشعر وقوله.

المبحث الأول: نشأة التأليف في علم العروض في الجزائر:

يصعب تحديد تاريخ النّشأة وبداية التّأليف في علم العروض القوافي في منطقة المغرب الأوسط (الجزائر)، غير أنّنا نستطيع القول: إنّ نشأة وبداية التّأليف في علمي العروض والقوافي عند علماء الجزائر قد مرّ في تقديرنا بعدد من المراحل حتى استقام على ما هو عليه اليوم، وهذه المراحل في تقديرنا هي:

المرحلة الأولى: وهي التي يمكننا اعتبارها مرحلة البداية الأولى للعلاقة بين الجزائريين وعلم العروض والقوافي والتي كانت مبكرة جدا، من خلال منطق الإملاء والمشافهة، مما نقله الشّعراء والأدباء والعلماء، من خلال ما كان يُلقى ويتلقاه الطلبة المتعلمون والمتلقون في حلقات العلم والدّرس، في تلقيهم الشّعر ودراستهم وتحليلهم القصائد والنصوص الشعرية، من طرف هؤلاء العلماء والشّعراء والأدباء المتمرسين.

المرحلة الثّانية: ويمكن اعتبار المرحلة الثّانية في هذه النّشأة هي حين دعت الحاجة إلى ضرورة الرّجوع إلى مؤلف أو رسالة مكتوبة ومدونة، تكون المرجع الذي تدور عليه الدّراسات النّظرية والتّلقي الشّفاهي، وربما كانت حينها بعض المؤلفات المشرقية تشكل مرجعا أساسيا في تلقي علمي العروض والقوافي، واستيعاب قواعده ومصطلحاته وقضاياه.

المرحلة الثّالثة: ثم كانت المرحلة الثّالثة التي دعت إلى ضرورة وضع مؤلفات ورسائل جزائرية خالصة حول موضوع علم العروض والقوافي، وهي المرحلة التي تمثل البداية الحقيقية، ونقطة البداية والانطلاق في التّأليف والتّدوين في علم العروض والقوافي لمؤلفات ورسائل جزائرية خالصة.

تنبيه: لم يكن الاهتمام بعلمي العروض والقوافي في تلك المراحل الزّمنية المتقدمة، يشغل مرتبة أقل من غيرها من مراتب علوم اللّغة العربية الأخرى، بل كان له من الاهتمام والرّعاية والحفاوة ما لغيره من علوم اللّغة العربية، حيث حظي باهتمام كبير ورعاية فائقة من العلماء والأدباء والشّعراء، على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم الفكرية والثّقافية، وهو ما تبرزه أعداد المؤلفات والرّسائل في علم العروض والقافية،

ناهيك عن المضطلعين بتدريسه وتعليمه في حلقات العلم والدّرس.

والحقيقة أنّنا حين نراجع مسارات التّأليف في علم العروض والقوافي عند علماء الجزائر، نجد فريقين من العلماء كانا قد اضطلعا بالقيام بدور التّأليف والكتابة والتّدوين في هذا العلم، ووضع قواعده وضبط مصطلحاته، وتحديد موضوعاته وقضاياه، فكانت منهما المؤلفات والرّسائل والتّحريرات والتّقريرات في علم العروض والقافية، وهذان الفريقان هما:

الفريق الأول: وهم فئة علماء البلاغة والنقد الذين تناولوا موضوع علم العروض والقوافي في جزئيات أو كليات منه، ضمن مباحث أو فصول في الإطار العام لموضوع البلاغة والنقد، حيث تُلحق قضايا العروض والقوافي بالبلاغة والنقد.

فمن المؤلفات النقدية والبلاغية الأولى التي تناولت قضايا علم العروض والقوافي كتاب (الممتع في صنعة الشّعر)[1] وكتاب (اختيار الممتع في علم الشّعر وعمله)[2] لعبد الكريم النّهشلي (ت 405هـ)، وكتاب (أنموذج الزمان في شعراء القيروان)[3]، وكتاب (قراضة الذّهب في نقد أشعار العرب)[4]، وكتاب (العمدة في محاسن الشّعر ونقده)[5] لابن رشيق المسيلي ثم القيرواني (ت463هـ). ومن الكتب البلاغية الأولى التي أشارت إلى بعض قضايا علم العروض والقوافي، نجد كتاب (أنوار التّحلي فيما تضمنته قصيدة الحلّي)[6] لأبي عبد الله بن أبي القاسم (ت787هـ)، وكتاب (نظم الدّرر والعقيان في محاسن الكلام المستعملة في النّثر والنظام)[7] لمحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التّنسي التّلمساني (ت899هـ). وكتاب (شرح التّبيان في علم البيان)[8] لمحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ). وكتاب (شرح الجوهر المكنون في صدف الثّلاثة فنون)[9] لعبد الرّحمن الأخضري (ت953هـ). وكتاب (ربيع البديع في علم البديع)[10] لمحمد بن يوسف أطفيّش (ت1332هـ). ثم كتاب (شرح زينة الفتيان في المعاني والبيان والبديع)[11] لابن بادي الكنتي التّواتي (ت1388هـ).

وغيرها من كتب البلاغة والنقد التي حاولت هي كذلك على تقارب أو تباعد أزمنتها أن تؤصل لكثير من قضايا علم العروض والقوافي ومصطلحاته، من خلال تناولها ودراستها لقضايا النّقد والبلاغة.

الفريق الثّاني: وهم فئة العلماء الذين وضعوا المؤلفات العروضية الأصيلة، أي

المؤلفات التي تناولت علم العروض والقوافي حصرًا، في جميع أبوابه ومباحثه وموضوعاته وقضاياه ومصطلحاته، وهي المؤلفات التي شكلت في مسار تاريخها كمّا ورقما وعددا هائلا من المؤلفات والرّسائل، ويمكننا بعد حصرها وإحصائها وعدِّها، تقسيمها إلى المجموعات التّالية:

المجموعة الأولى: مؤلفات نثرية عروضية أصيلة.

المجموعة الثّانية: المنظومات العروضية.

المجموعة الثّالثة: الشّروح، وهي على قسمين:

- **القسم الأول:** شروح على كتب نثرية في العروض.
- **القسم الثّاني:** شروح على منظومات في العروض.

المجموعة الرّابعة: التّعليقات والحواشي والطرر.

فقد شهد مسار التّأليف في علم العروض والقوافي، الممتد على قرون عديدة، غزارة في التّأليف في كتب تعلم العروض والقوافي، وتنوعا ظاهرا في اتجاهاتها وتنوع أشكالها، مع استمرارية في التّأليف دون انقطاع عبر القرون، رغم أنّ جهود هؤلاء العلماء في التّأليف على مدار هذه القرون لم تلق من الاهتمام والعناية والدّراسة ما تستحقه، فغابت الإشارات إلى جهودهم، والاهتمام بمنجزاتهم من رسائل وكتب ومنظومات، ناهيك عمّا ضاع وأتلف وتوارى عن الأنظار لأسباب كثيرة معروفة.

المبحث الثاني: فهرس مؤلفات علماء الجزائر في علم العروض.

إنّ إحصاء جميع المؤلفات العروضية الجزائرية في مسارها الزّمني والتاريخي يصعب تحقيقه، في ظل كثير من المعطيات والمعوقات التي تصادفنا في بحثنا لتحقيق هذا الهدف والغاية، ذلك أنّ كثيرا منها قد ضاع وتلاشى بفعل عاتيات الزّمن وظروف الحفظ وصيانة المخطوطات، كما أنّ كثيرا منها ضاع بفعل ما قام به الاستعمار الفرنسي، من حرق وإتلاف وتضييع لكثير من التراث العلمي والثّقافي الجزائري المخطوط، ومنها كتب العروض والقوافي وغيرها، كما أنّ كثيرا منها ممّا بقي هو اليوم مهمل في زوايا النّسيان وغياهب الضّياع واللامبالاة، كما أنّه لا يوجد عمل سابق اجتهد فيه أحد المجتهدين من الباحثين والدّارسين، ليجمع مثل هذا العمل ويُيّسِر به الطّريق ليفتح به آفاق المواصلة والبحث للإضافة واكتشاف الجديد، حيث يعتبر

عملنا هذا تأسيسيا في جمع مختلف المؤلفات العروضية لعلماء الجزائر، وقد اقتحمت غمار المغامرة وتحدي الصّعاب والمعوقات التي يمكن أن تعترض طريق بحثي، فتحقق لي من ذلك هذا الفهرس الكثير العدد، أمطت فيه اللّثام، ورفعت به الستار عن كثير من العلماء الجزائريين، وعن كثير من مؤلفاتهم العروضية، والتي شكلت رقما هائلا وعددا كثيرا، هو هذا الذي أضعه بين أيدي المهتمين من الباحثين والدّارسين. ناهيك عن كتب النقد والبلاغة التي سبق ذكرها والإشارة إليها، والتي كان علم العروض والقوافي جزءا من اهتمامها وتدوينها. ويمكن تعداد هذا الفهرس في المؤلفات والرّسائل العروضية التّالية:

1-أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله الخشني الأندلسي ثم التّلمساني البجائي المعروف بأبي الرّكب (ت604ه) له: (تأليف صغير في العروض). 2- أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النّور الجزائري الزّواوي. (ت628ه). له (منظومة في العروض)[12]. 3- أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي الإشبيلي القسنطيني المعروف بابن الحاج (ت651ه). له (كتاب في العروض)[13] ورسالة أو (مصنف في العروض)[14]. 4- العفيف التّلمساني سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التّلمساني عفيف الدّين (ت690ه). له (رسالة في علم العروض)[15]. و(قصيدة أو منظومة في العروض)[16]. 5- أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التّلمساني (ت697ه). له (المعشرات على أوزان العرب). و(مقالات في علم العروض). و(مقالات الدوبيتي في العروض). 6- أحمد بن العباس النّقاوسي، أبو العباس (ت765ه). له (إيضاح السبيل إلى القصد الجليل في علم الخليل) [17]، و(الرّوض الأريض في علم القريض)[18]. و(إيضاح السّبيل إلى القصد الجليل في علم الخليل)[19]. و(شرح القصيدة الخزرجية المشهورة في العروض)[20]. 7- أبو الحسن شهاب الدّين أحمد بن محمد العنابي الأندلسي (ت776ه). له (الوافي بمعرفة القوافي)[21]. و(نزهة الأبصار في أوزان الأشعار)[22]. 8- أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن ميمون بن قنفذ بن الخطيب القسنطيني. (ت810ه). له (بسط الرموز الخفية في شرح عروض الخزرجية). 9- أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي الجزائري (ت830ه). له (شرح على الخزرجية في العروض). 10- أبو عبد الله محمد بن

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني الحفيد (ت842هـ). له (المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال الخزرجية في العروض والقوافي)[23].11- فتوح بن عيسى الصنهاجي (ت852هـ). له (شرح الخزرجية)[24] و(طرر على الخزرجية)[25]. 12- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير القلصادي الأندلسي التلمساني. (ت891هـ). له (مختصر في العروض) و(شرح الخزرجية في العروض). (التّبصرة الكافية في علمي العروض والقافية على الخزرجية) [26]. 13- أبو العباس أحمد بن عبد الرّحمن بن شهاب الدين بن أبي القاسم الحميري المعروف بابن خلوف القسنطيني (ت899هـ) له (تحرير الميزان لتصحيح الأوزان. في العروض). 14- الشّيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي التّلمساني، (ت909هـ) له (المعروض في علم العروض)[27]. وتسمية نسخة حزانة بلدية تطوان هو: (النّظم الكامل في علم الميزان). 15- أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي (ت914هـ). له (شرح الخزرجية في العروض)[28]. 16- محمد بن علي بن أبي الشرف التلمساني (ت918هـ) وقيل 921هـ وقيل 930هـ) له (شرح الخزرجية). 17- أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي الوادي آشي التلمساني (ت938هـ) له (شرح على الخزرجية). 18- عبد الكريم بن أحمد التواتي (994هـ) له (حاشية على العيون الغامزة على خبايا الرامزة). 19- ابن محمد أبو القاسم البجائي. (ت1025هـ). له (شرح على الخزرجية. في العروض). 20- عبد الكريم بن محمد بن أبي محمد البكري التمنطيطي التّواتي. (ت1042هـ). له (حاشية على العيون الغامزة على خبايا الرّامزة)[29]. 21- أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بقدورة. (ت1066هـ). له (تعاليق على الخزرجية) وهو شرح على المنظومة الخزرجية في العروض[30]. 22- بركات بن عبد الرّحمن بن باديس. (ت1107هـ)[31]. له (شرح على متن الخزرجية). 23- أبو عبد الله سيدي محمد بن أُبّ بن أحمد المزمري التّواتي (ت1160هـ). له في العروض (شرح على الخزرجية)[32]. وله عددا من المنظومات هي العروضية هي: (روائق الحلل في ألقاب الزّحافات والعلل)[33]. و(درر النّحور في فك البحور)[34]. و(أسماء البحور وأوزانها)[35]. و(مفاتيح البحور)[36]. و(أوزان البحور السبعة المهملات)[37]. و(أبيات البحور المهملات ودوائرها)[38]. و(منظومة في علم العروض)[39].

24- عبد الرّحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف التّواتي التّنلاني. (ت1189ه). له (مؤلف في العروض)[40]. 25- أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي المالكي (ت1199ه). له (شرح في العروض والقوافي. على) [41]. 26-[42]. أبو زيد عبد الرحمن بن أبي حميدة وهو جد ابن سعيد المستغانمي من جهة أمه (توفي في القرن 11 تقريبا) له في العروض (الود الممحوض في شرح أبيات العروض) [43]. 27- محمد بن محمد بن حواء بن محمد الجيلاني بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عمر بن عيسى التوجيني المستغانمي (ت أواخر ق12ه)، له (المعادن العسجدية في شرح المنظومة الخزرجية)[44] كما تسمى أيضا (شرح ابن سعيد المستغانمي على المنظومة الخزرجية). 28-محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي المعسكري الرّاشدي (ت1238ه). له (شرح مشكاة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار). 29- محمد بن أحمد الموسوم (ت1300ه). له (رسالة في العروض والقوافي). 30- محمد بن مصطفى بن محمد باكير بن الخوجة (ت1309ه). له (قصيدة في العروض). 31- محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب (ت1323ه). له (تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب)[45]. 32- أبو الحسن علي بن عبد الرّحمن بن محمد بن والي الدزيري ثم الوهراني المشهور بـ(شويوش) (ت1324ه)، له (لقطة المبتدي)[46]، رسالة في العروض. 33- الشّيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرّحمن بن عيسى بن إسماعيل أطفيش القطب، (ت1332ه) له (إيضاح الدّليل إلى علم الخليل. في العروض)[47].وهو شرح على الخزرجية في العروض. 34- محمد السّعيد بن الأطرش العياضي الجزائري (ت1335ه). له (رسالة في العروض). 35- الشّيخ طاهر بن صالح بن أحمد حسين بن موسى بن أبي القاسم السّمعوني الوغليسي الجزائري الدّمشقي الحسني (ت1338ه). له (إتمام الأنس في عروض الفرس)[48]. و(رسالة في العروض والقوافي)[49]. و(ميزان الأفكار شرح معيار الأشعار)[50]. و(تمهيد الفروض إلى فن العروض)[51]. 36- عاشور بن محمد بن عبيد بن محمد المسعودي الخنقي القسنطيني (ت1346ه). له (صدف الجمان)[52] في العروض. 37- السعيد أبهلول الورتلاني، (ت1346ه) له في العروض (أرجوزة في بحور الشعر)[53]. 38- شعيب بن علي بن محمد التّلمساني (ت1347ه). له (سفينة الأدب الفاخرة في بحور ألحان العرب الزّاخرة)[54].

و(زهرة الرّيحان في علم الألحان أو بلوغ الأرب في موسيقى العرب)[55]. وهو مختصر للكتاب الأول سفينة الأدب الفاخرة. 39- الأستاذ الغوثي بن محمد بن أبي علي التّلمساني. (1297هـ/1351هـ). له في (الرّسالة البرقية في تقريب الخزرجية)[56]. 40- إبراهيم بن محمد السّاسي بن عامر الملقب بالعوامر. (ت1353هـ) له في العروض (مواهب الكافي على التبر الصافي في نظم الكتاب المسمى بالكافي في علم العروض والقوافي)[57]. 41- الشّيخ المولود بن محمد السّعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود الموهوب. (ت1358هـ). له (رجز شافي وتبر صافي في نظم الكتاب المسمى بالكافي في علمي العروض والقوافي)[58]. 42- صالح بن عبد القادر بن قويدر بن الحاج محمد بن شعبان بن الشّيخ الموفق القسنطيني. (1276هـ/1359هـ). له (شرح الخزرجية). 43- موسى بن محمد بن المليانى الأحمدي نويوات. (ت1419هـ). له (المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي)[59]. 44- عبد القادر بن محمد بن القاضي (ت1431هـ) له (الشعر العربي أوزانه وقوافيه وضروراته)[60].45- ابن جلوش (ت؟). له (نزهة العراف في مقالة القواف)[61].

ناهيك عن عدد من المؤلفات العروضية الكثيرة التي ألفها علماء الجزائر حديثا، والتي كانت ذات مكانة مرموقة، وموقع سامي، في المنظومة اللغوية العربية الحديثة، وكانت ذات أثر كبير في عملية التّجديد والاجتهاد، مع الإضافات في موضوع علمي العروض والقوافي[62].

المبحث الثّالث: المؤلفات العروضية من حيث الشّروح:

كان اهتمام علماء الجزائر بالدّراسات العروضية واضحا وبارزا من خلال شروح المتون العروضية، وهو الاتجاه الذي ذهب إلى شرح متون ومنظومات في العروض والقوافي.

والشّرح هو عمل يتوخى فيه صاحبه توضيح ما غمض من المتون وتفصيل ما أجمل منها، والشّرح هو الكتاب الذي يرتبط دائما بمصنف معين، وهو يتراوح بين الطّول والقصر والسّهولة والعسر، وفيه الوجيز والوسيط والبسيط. وقد مثّل هذا الاتجاه عدد لا بأس به من العروضيين الجزائريين، والشّروح العروضية عندهم على قسمين:

القسم الأول: شروح شفاهية؛ يقدمها الشّيوخ والعلماء من خلال الإلقاء على طلبتهم

في الدّروس التي تلقى وتقدم في المساجد والمدارس والزّوايا وأماكن العلم، وأكثر الشّروح هي من هذا النوع.

القسم الثّاني: شروح كتابية وهي التي تُقيّد في ورقات يَضُمُّهَا كتاب أو مؤلف أو رسالة، وهذا النّوع قليل وقد ضاع منه الكثير فلم يصلنا منه إلّا القليل الذي بين أيدينا اليوم.

وقد مَثَّلَت هذه الشّروح سواء شروح المتون النّثرية أو المتون الشّعرية من المنظومات العروضية مصدرا مهما يطّلع الباحث من خلاله على مسيرة البحث العروضي التّنظيري والتّطبيقي على وجه الخصوص، على النّصوص في هذه الأرض المباركة، وما بلغه البحث العروضي من مراتب ومراقي قياسا مع ما هو موجود في بلدان أخرى.

وعلى العموم فالشّروح عند علماء الجزائر أخذت الصّور التّالية:

الصّورة الأولى: من العلماء من عمد إلى شرح منظومته أو مؤلفه النّثري.

الصّورة الثّانية: منهم من اتجه إلى شرح منظومات غيره أو متون نثرية لغيره أيضا من المؤلفين والكتاب.

والملاحظ في الشّروح عند الجزائريين أنّها اتجهت في مجملها أو في أغلبها نحو شرح المنظومة الخزرجية في العروض، والتي مثلت المقرر الأساسي، والمحور الرّئيس الذي دارت عليه مجمل الشّروح.

شروح المنظومة الخزرجية عند علماء الجزائر:

شكلت (المنظومة الخزرجية) أو (قصيدة الرامزة) [63] المحور الذي دارت عليه كثير من الدّراسات والبحوث والشّروح في علم العروض والقوافي عند علماء الجزائر، حيث كانت المرجع الرّئيس ومحور الدّراسات العروضية، فهي المقرر الأساسي الذي تقوم عليه الدّراسات في علم العروض والقوافي في حلقات العلم، ومجالس العلماء في مختلف الحواضر العلمية، وعلى هذا الأساس وجدنا كثيرا من علماء الجزائر تناولوها بالشّرح أو التّحشية أو التّعليق أو وضع طرر، وتدوين ملاحظات على بعض الشّروح والحواشي.

فمن الشروح التي وضعت حول الخزرجية أمكننا إحصاء العناوين التالية: (المعادن العسجدية في شرح المنظومة الخزرجية) لابن سعيد المستغانمي (ت أواخر ق12ه)،

(شرح القصيدة الخزرجية المشهورة في العروض) لأبي العباس النقاوسي (ت765هـ)، و(بسط الرموز الخفية في شرح عروض الخزرجية لأبي العباس بن قنفذ القسنطيني (ت810هـ)، و(شرح على الخزرجية) لأحمد البسيلي الجزائري (ت830هـ)، و(المفاتيح المرزوقية لحل أقفال الخزرجية) لابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ)، و(شرح الخزرجية) لفتوح بن عيسى الصنهاجي (ت852هـ)، و(التبصرة الكافية في علمي العروض والقافية على الخزرجية)لأبي الحسن القلصادي الأندلسي التلمساني (ت891هـ)، وشرح الخزرجية في العروض) لأبي العباس الونشريسي (ت914هـ)، و(شرح الخزرجية) لمحمد بن أبي شرف التلمساني (ت918هـ)، و(شرح على الخزرجية) لأحمد البلوي الوادي آشي التلمساني (ت 938هـ)، و(شرح الخزرجية) لأبي القاسم بن محمد البجائي (ت1025هـ)، و(شرح على الخزرجية) لبركات بن عبد الرحمن بن باديس (ت1107هـ)، و(شرح الخزرجية) لابن أب المزمري التواتي (ت1094هـ)، و(الرسالة البرقية في تقريب الخزرجية) للغوثي التلمساني (ت1351هـ)، و(شرح الخزرجية) لابن الموفق القسنطيني (ت1359هـ).

ومن الحواشي على الخزرجية في العروض: (حاشية على العيون الغامزة على خبايا الرامزة) لعبد الكريم بن محمد البكري التواتي (ت1042هـ)، و(حاشية على العيون الغامزة على خبايا الرامزة) لعبد الكريم ابن أحمد التواتي (ت994هـ).

ومن التعاليق الخزرجية في العروض (تعاليق على الخزرجية) لأبي عثمان سعيد قدورة (ت 1056هـ).

ومن الطرر على الخزرجية في العروض (طرر على الخزرجية) لفتوح بن عيسى الصنهاجي (ت852هـ).

المبحث الرّابع: التّوزيع المكاني والزّماني للمؤلفات العروضية الجزائرية:

وهذا الفهرس الذي تجمع لنا من المؤلفات العروضية الجزائرية التي أشرنا إليها والذي بلغ عددها؟؟؟ رسالة وكتابا ومنظومة، يتوزع من حيث المكان والزّمان على الأقسام التّالية:

أولا: التّوزيع المكاني:

لقد وجدنا أنّ أصحاب هذه المؤلفات العروضية التي أمكننا إحصاؤها ومعرفتها من

العلماء، يتوزعون على مختلف الأمكنة والمدن الجزائرية شرقا وغربا شمالا وجنوبا، خاصة منها التي كانت حواضرا للعلم ومراكز تجمع لمختلف الثّقافات والعلوم والفنون، وكانت ملتقى العلماء والأدباء والشّعراء والفقهاء وغيرهم على مرّ العصور والأزمنة، وقد تمثلت هذه الأماكن في المدن والحواضر التّالية:

الجزائر، وقسنطينة، وبجاية، وتلمسان، ووهران، ووادي سوف، وغرداية، وإقليم توات خاصة مدينة أدرار وما يحيط بها، وعنابة أو بونة، ومستغانم، ومعسكر، ونقاوس، وبني ورتلان، والقلعة أو قلعة بني حماد، وغيرها من المدن والحواضر.

والملاحظ كما أشرنا سابقا أن هذه المدن توزعت على جميع جهات الوطن، بحيث شملت، مختلف مدنه وحواضره.

ثانيا: التّوزيع الزّماني:

ومثلما رأينا توزع علماء العروض والقوافي على مختلف الجهات والحواضر مكانيا، فإنّهم من حيث الزّمان أيضا توزعوا على مختلف العصور والأزمنة، ولم ينقطع عطاؤهم عبر العصور التي مرت على الجزائر، بداية من القرن الخامس الهجري، ثم القرون التي تليه وهكذا دون انقطاع أو توقف، إلى يوم الناس هذا، ومازالت الأعمال مستمرة، والعطاء موصول، والمؤلفات العروضية تتوالى وتستمر.

ثالثا: حال المؤلفات العروضية الجزائرية:

إنّ النظر إلى فهرس المؤلفات العروضية الجزائرية عبر العصور من حيث وجودها وفقدانها، يجدنا أمام أربعة أقسام، نوجزها في التّالي:

القسم الأول: وهو الخاص بالمؤلفات المطبوعة والمتداولة بين القرّاء والباحثين.

القسم الثّاني: وهو الخاص بالأعمال المحققة في شكل رسائل جامعية مرقونة غير مطبوعة.

القسم الثّالث: وهو الخاص بالمؤلفات العروضية التي مازالت مخطوطة ومتناثرة بين المكتبات الخاصة والعامة، فلم تصلها يد الباحثين والمحققين والدّارسين، فلم يكتب لها أن ترى النّور من خلال التّحقيق والتّدقيق والدّراسة ثم الطّبع والنّشر.

القسم الرّابع: وهو الخاص بالمؤلفات العروضية التي يمكن وصفها بأنّها في حكم الضّائع والمفقود، فهي مع الأسف غير معروفة المصير.

وعلى هذا الاعتبار يمكننا تسجيل الملاحظات التّالية: مجموع الأعمال معروفة المصير، بين المحقق المرقون غير المطبوع، والمطبوع المحقق، والمخطوط، وصل عددها إلى 39 عملا. مجموع الأعمال مجهولة المصير هو28 عملا هي في حكم المفقود. مجموعة الأعمال المطبوعة والمتداولة بين القرّاء والباحثين والدارسين هو 67 عملا.

ولعله توجد أعمال أخرى غير التي في هذا الفهرس لم نستطع الوصول إليها ومعرفتها حاليا، وربما استدركنا ذلك لاحقا، أو قد يستدركه غيرنا من الباحثين والمحققين والمهتمين. وتوضيح مجمل الأعمال بين المحق المرقون والمطبوع والمخطوط، وما هو في حكم المفقود كما يلي:

أولا: عدد الأعمال المطبوعة: 17 عملا مطبوعا. ثانيا: عدد الأعمال المحققة غير المطبوعة:01 عملا محققا غير مطبوع. ثالثا: عدد الأعمال المخطوطة: 21 عملا مخطوطا غير محقق وغير مطبوع. رابعا: عدد الأعمال في حكم المفقود: 28 عملا في حكم المفقود لا نعلم عن صيره شيء. خامسا: مجموع الأعمال بين مطبوع ومرقون ومخطوط وفي حكم المفقود: 67 عملا.

المبحث الخامس: دو افع الكتابة والتّأليف في علم العروض عند علماء الجز ائر:

إنّ النظر في كتب العروض والقوافي لعلماء الجزائر، ودراسة محتواها وتحليل مسائلها، يجعلنا نستنتج بكل وضوح دوافع ومسوغات الكتابة والتأليف في هذا العلم، والتي صرّح بها وأبان عن كثير من معالمها أصحاب هذه المؤلفات والرّسائل، انطلاقا مما أشاروا إليه وذكروه صراحة في مقدمات كتبهم ورسائلهم التي وضعوها ودوّنوها، أو انطلاقا ممّا يمكننا استنتاجه من قراءة هذه الكتب ومطالعتها[64].

وهذه الدّوافع والمسوغات لوضع تلك الكتب والرّسائل والمؤلفات، قد تكون مشتركة بين عدد من المؤلفين، وقد تختلف من مؤلف إلى آخر، لكنّنا يمكننا أن نجملها في عدد من العناصر، وربما كان من أهم هذه الأهداف المشتركة بين أكثر العروضيين الجزائريين في دوافع التأليف التي أمكننا استنتاجها هي:

1- استجابة لطلب من أحدهم ليضع كتابا أو رسالة في موضوع العروض والقوافي يستفيد منه طلبة العلم.

- فسعيد قدورة مثلا وضع رسالته (تعاليق أو شرح على الخزرجية)، فإنّه كان قد

وضع كراسة فيها نكتا جمة وفوائد مهمة كانت عنده في ورقات منمقة على بعض ألفاظ المنظومة الخزرجية وشواهدها الشّعرية، كان قد لخصها زمن دراسته بتلمسان... فعمل على إخراجها بعد تنقيحها ووضع زيادات عليها وذلك بطلب من هم مهتمين بهذا العلم من الطلبة والمتلقين، فكانت تلك التعليقات والتحريرات قاصدا بذلك نفع نفسه ثم من شاء الله من أبناء جنسه راجيا من ذلك الثواب الجزيل من التّواب الجليل[65].

2- أن يكون المؤلف خلاصة ما في كتب السّابقين وجامعا لكنوزها ومكنونها وعيونها.

فشهاب الدين أبي العباس العنابي حين وضع كتابه (نزهة الأبصار في أوزان الأشعار)، كان هدفه الأول وغايته المتقدمة أن يضع كتابا مستوفيا، يجمع فيه أقوال المتقدمين والمتأخرين دون تطويل ممل أو إيجاز مخل، مستدركا على المتقدمين، وموضحا مبهمات المتأخرين، يقول ابن العنابي في ذلك: وقد صنف المتقدمون والمتأخرون في هذا العلم كتبا كثيرة، وأوضحوا فيه طرقا منيرة، غير أنّ منهم من طوّل فأملّ، ومنهم من قصّر فأخلّ، فوضعت فيه هذا الكتاب مستوفيا لفروعه وأصوله، ومستوليا على أبوابه وفصوله، وذكرت فيه ما أغفله المتقدمون، وبيّنت فيه ما أبهمه المتأخرون، وفتحت ما أغلقوه، وقيّدت ما أطلقوه، وجمعت ما فرقوه، فأنواره متبلجة، وأزهاره متبارجة[66].

ونفس الهدف والغاية التي كان يقصدها ابن سعيد المستغانمي حين وضع كتابه (المعادن العسجدية في شرح المنظومة الخزرجية) يقول عن ذلك: وبعد فإن أفضل ...به براعة النفوس والأرواح واهتزت لسماعه أفنان الرؤوس والأشباح علم العروض الذي هو كما قيل من الأمر المفروض ولذا ألف فيه العلماء الراسخون تآليف جمة وكان من أجل وأبدع ما صنف فيه المنظومة الخزرجية المعبر عنها بالرامزة لأبي عبد الله محمد الخزرجي ...ولما وقعت على تلك الشّروح ونظرتها على هذه المنظومة، فما رأيت فيها شرحا هو أنفع وأجمع من المفاتيح المرزوقية للإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله ...ووقفت على تآليف في هذا الفن عجاب من غير شروح هذه المنظومة لسادات أنجاب منها ...ولما وقفت على هذه المصنفات ازددت بها سرورا

وحمدت الله عند تحصيلها حمدا كثيرا وقوي العزم على إبراز ما كنت قديما أتردد فيه وشددت الحزم في إنشاء ما كنت أولا عزمت عليه، لخصت كتابي هذا من تلك الكتب مستخرجا منها كنوزها ومكنونها، وملتقطا منها عيونها، فكان كتابنا هذا جامعا لخلاصة ما فيها ...وسميته والله سبحانه المستعان وعليه التُكلان: بالمعادن العسجدية في شرح المنظومة الخزرجية[67].

وهو الهدف الذي ذكره الشّيخ طاهر الجزائري حين وضع كتابه: (تمهيد العروض إلى فن العروض)، حيث جعل من أهم الغايات من هذا الكتاب هو إزالة الغموض وتبسيط التعقيدات وفتح المغلقات وتيسير الموضوعات مما كان أصاب علم العروض عند كثير من المؤلفين والمدرسين، يقول الشّيح طاهر: وبعد، فهذه رسالة في العروض، تزيل ما فيه من الخفاء والغموض[68].

3- معرفة إعجاز القرآن الكريم من خلال التّمييز بين النّثر والشّعر.

وربما تفرد ابن مرزوق الحفيد التلمساني بذكر هذا الهدف وتحديد هذه الغاية عن غيره من أصحاب مصنفات علمي العروض والقوافي. فابن مرزوق الحفيد من خلال وضعه هذا الكتاب (المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية) في شرحه للمنظومة الخزرجية في العروض إنما كان يبتغي في ذلك بيان التمييز الذي بين النثر والشعر الذي لكل واحد منهما قوانينه وضوابطه وقواعده التي لا تتبدل ولا تتغير، لأن هذا التمييز بين الشّعر والنّثر يعتبر ضروريا، لأنّه يقودنا إلى معرفة وجوه إعجاز القرآن، يقول ابن مرزوق: فاعظم به من لسان عربي مبين، أودع فيه من الأسرار برهانا، ومهد له من الاستقامة أشد طريقا وأعدل ميزانا، فمنثوره جليل على قوانين لا تتبدل، ومنظومه مؤسس على قواعد لا تتزلزل، ولما كان بعد التّمييز بين النّوعين منه يعرف به وجوه إعجاز القرآن، وأنّه كلام خارج عن طوق الإنسان، لا جرم وجب صرف العناية إلى معرفتهما والاهتمام بشأن كل منهما[69].

4- المساواة بين علم النّحو وعلم العروض في المعرفة:

وقد ذكر أيضا هذا الهدف ابن مرزوق الحفيد مع الهدف الذي سبق، بحيث دعا إلى المساواة في المعرفة بين علم النّحو وعلم العروض، فإذا كان علم النّحو له الصدارة في جملة علوم اللغة العربية في دراسة القرآن الكريم وتفسيره، فإنّ علم العروض يماثله

ويساويه في المرتبة، لأنّ الشّريعة قد خصّت موضوع علم العروض الذي هو الشّعر بالعناية والاهتمام في بيان إعجاز القرآن الكريم، مستشهدا بما ورد من السّنة النّبوية عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلم، من سماعه للشّعر وتشجيعه على قول الشّعر، وعطاياه للشعراء على قولهم الشّعر، فتجلّت بذلك قيمة علم العروض بقيمة موضوعه، فكانت معرفة علم النّحو من معرفة علم العروض، يقول في ذلك: ولما تعيّن لهذا الأمر كون معرفة النّحو من العروض، لزم بطريقة مساواة الأمثال أن يشاركه فيه أخوه علم العروض، وقد دلّت الشّريعة أنّ لموضوعه عندنا اهتماما، ... والشّواهد أكثر مما لا يجد جاحدها عنها ملاذا فتبين الدّاعي في الوضع لهذا الفن[70].

5- منفعة هذا العلم وفائدته:

وقد أضاف ابن العنابي هدف وغاية جدير بمعرفتها، والعمل من أجل تحقيقها، بدراسة ومعرفة علم العروض والقوافي، وهي أنّ هذا العلم نافع ومفيد لمن يريد معرفة الأوزان، وصقل مواهبه مع الشّعر وموسيقاه عند العرب، يقول ابن العنابي في ذلك مبرزا أهمية علم العروض ومكانته بأنه هو: (الميزان الذي يقع به التّرجيح، ويميز بين الاعتلال والتّصحيح)[71]، ويقول أيضا: (هذا العلم نافع للطبع السّليم، لأنّه يزداد به قوة على معرفة الوزن المستقيم، فهو أولى وأحرى بالنّفع للطّبع السّقيم)[72].

6- إزالة الخفاء والغموض عن علمي القوافي والعروض:

عرفت كثير من المؤلفات العروضية غموضا في المفاهيم، وخفاء في المعاني، وتعقيدات في بسط كثير من القضايا والمفاهيم، فجاء عدد من مؤلفات علماء الجزائر لتحقيق هذا الهدف من خلال رفع هذا الغموض وإزالة ذلك الخفاء. حتى تكون مسائل وقضايا ومصطلحات علم العروض والقوافي واضحة جلية، لا لبس فيها ولا غموض ولا خفاء، وهذا ما أشار إليه وذكره الشّيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري وهو يقدم لنا كتابه (تمهيد العروض إلى فن العروض)[73].

فهذه مجموعة أهداف، وعديد من الغايات والمقاصد، كان يعمل أصحاب هذه المؤلفات العروضية على تحقيقها وتجسيدها من خلال وضع تلك المؤلفات في علمي العروض والقوافي والتوسع في ذكر أبوابه ومصطلحاته وقضاياه، استطعنا إجمالها في ما جمعناه من هذه العناوين.

المبحث السّادس: منهج علماء الجزائر في التّأليف في علم العروض.

ربما الحديث عن مناهج التأليف عند علماء الجزائر في علمي العروض والقوافي يدفعنا بداية إلى ضرورة تقصي ومراجعة كل المؤلفات التي هي بين أيدينا لنستطيع تبيان منهج هؤلاء العلماء في التأليف في العروض، وإن ذلك التقصي وتلك القراءة والمراجعة لكثير من تلك المؤلفات يجعلنا نقول بكل وضوح: إن كل مؤلف منها يستقل بمنهجه الخاص به لاعتبارات مختلفة وكثيرة، وقد يلتقى عدد من هؤلاء في محاور كثيرة وعناصر عديدة مما يشكل منهج كل واحد منهم، ثم يستقل وينفصل كل واحد منهم بعد ذلك بعناصر ومحاور كثيرة أيضا، لخصوصية كل مؤلف واختلاف الزمان والمكان، والمرجعيات العلمية والثقافية والتاريخية والتّعليمية لكل واحد من هؤلاء، وربما سنشير لكل واحد من هؤلاء إلى منهجه الخاص في التأليف، ثم لنجعل بعد ذلك نتيجة نجمع فيها ما اتفق فيه هؤلاء من محاور وعناصر تشكل أساسيات المنهج.

فالقراءة المتأنية لعدد من المؤلفات العروضية لعلماء الجزائر أمكننا استنباط أو استنتاج تعدد المناهج بين هؤلاء حسب طبيعة الكتاب أو الرسالة التي يتناولونها بالدرس والتحليل، وقد بدا لنا أن هذه المناهج التي تم إخضاع هذه الدراسات إليها على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: منهج أصحاب الشّروح (خاصة منها شروح المنظومة الخزرجية):

يقوم منهج هؤلاء الشرّاح على تناول موضوع العروض والقوافي من خلال اتباع منهجية تقوم على الخطوات والعناصر التالية، وفق المراحل أو الخطوات التي رسموها والتي تتمثل في الآتي:

1-شرح الأبيات الشعرية لمنظومة الخزرجية بيتا بيتا، من خلال بيان معاني مفرداتها بحسب وضعها في اللغة العربية استنادا إلى ما جاء في معاجم اللغة العربية مثل لسان العرب لابن منظور والصحاح للجوهري وغيرهما...

2-القيام بإعراب تلك الألفاظ وتحديد موقعها الإعرابي، في البيت الشعري من المنظومة

3-بيان المعنى الإجمالي ودلالة تركيب الأبيات الشعرية للمنظومة بشكل مسهب وأحيانا بشيء من الإطناب، مدعمين كلامهم بالأمثلة والنصوص والشواهد المتنوعة.

4-شرح المقدمة التي حوت أربع قضايا وهي: الشعر، والنظم، والفرق بينهما، ثم الوزن، وعلم العروض، محددين مفاهيم هذه المصطلحات بدقة علمية متناهية، مستندا في ذلك على آراء علماء اللغة والأدب والعروض المشهورين والمتمكنين.

وهكذا سائر أبواب العروض وقضاياه الموجودة في المنظومة، بشيء من التفصيل مع كثرة الشواهد وتنوعها، فجاءت مادة شروحهم أو كتبهم غنية بمزيج من الآراء والنّقول لعدد من العلماء والرواد في علمي العروض والقوافي.

5-النقد للشروحات السابقة والإشارة إلى النقائص التي تم استنتاجها واستخلاصها، ثم الاستدراك على السابقين مما أغفلوه من أراء وأقوال ومسائل وقضايا في علمي العروض والقوافي، مع التعليل من خلال ذكر الدليل والحجة لذلك، مع التقصي في التعليل بعدم الاكتفاء بعلة واحدة وإنما تورد عدة أسباب.

6- النقل عن كثير من العلماء السابقين ومؤلفاتهم العروضية، وهو دليل على قيمة هذا الكتب ومكانتها لغناها بالمصادر وتنوعها.

7- التوسع في الفكرة من خلال المناقشة والتحليل وبسط الكلام عنها من خلال التحليل والشرح الموسع لجميع القضايا والمباحث.

8- أكثر الكتب نجدها مليئة بالمسائل الخلافية، والآراء المختلفة مما يزيد من قيمتها ومكانتها العلمية.

9- القيام بتفنيد الآراء صراحة دون تردد مع تقديم الدليل والبرهان على بطلانها.

10-تقديم كل ذلك في أسلوب علمي سهل ويسير، وعبارات واضحة وجلية.، وقد جاءت هذه الشروح مبسطة لشرح الأبيات الشعرية مع كثير من الأمثلة والنماذج الشعرية وتقطيعها وبيان المبهم والمعقد منها حتى يفهمها القارئ أو السامع المتلقي لها.

11- الاعتماد على النماذج والأمثلة والشواهد التطبيقية في توضيح وبيان القضايا والمسائل والمباحث العروضية التي هي محل الدراسة والنقاش.

وهذا المنهج المتمثل في الخطوات التي ذكرناها وجدناه عند ابن مرزوق الحفيد في كتابه (المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية)[74]. كما وجدناه عند أبو القاسم الفتوح الصنهاجي في كتابه: (شرح الخزرجية في علم العروض والقافية)[75]. وكذلك عند الشيخ أطفيش في كتابه: (إيضاح الدليل إلى علم الخليل)[76].

وعند ابن سعيد المستغانمي في كتابه (المعادن العسجدية في شرح المنظومة الخزرجية)[77]. وعند أبي العباس النقاوسي في كتابه (شرح القصيدة الخزرجية)[78]. وعند عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة في كتابه: تعاليق على الخزرجية)[79]، وعند إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عامر السوفي في كتابه: (مواهب الكافي على التبر الصافي في نظم الكتاب المسمى الكافي في علمي العروض والقوافي)[80].

القسم الثّاني: منهج أصحاب المؤلفات العروضية النّثرية:

ومنهج أصحاب هذه المؤلفات يختلف قليلا عن منهج شرّاح المنظومة الخزرجية، وذلك لطبيعة كل واحد منهم وخصوصيته، وعليه جاء منهجهم سائرا وفق الخطوات والعناصر التالية:

1-البدأ بمقدمة يعرض فيها الأسباب التي دعته إلى وضع تأليف في هذا الموضوع، وتختلف تلك الأسباب وتتنوع حسب كل مؤلف ودوافعه إلى ذلك. مما أشرنا إليها في عنصر دوافع وأسباب التأليف.

2- العناية الواضحة ببيان المعاني اللغوية للمصطلحات العروضية، وإظهار وجه المناسبة القائمة بين المعنى اللغوي والمصطلح، وبيان تسمية الكثير من هذه المصطلحات بهذه المسميات.

3- تقديم التعليلات والتبريرات للكثير من القواعد والمصطلحات والمسائل العروضية.

4- التنويع في الشواهد الشعرية من مختلف العصور والأزمنة الأدبية. وجعلها نماذجا تطبيقية للمسائل والقضايا العروضية.

5-الوصول إلى نتائج وخلاصات ينتهي إليها بعد كل فكرة أو قضية من القضايا التي تمت معالجتها ودراستها.

6- القيام بمقارنات بين الأشعار العربية وأشعار بعض الأمم الأخرى مثل الفارسية والتركية من حيث الأوزان والقوافي وغيرهما.

وهو المنهج الذي رأيناه عند محمد بن أبي شنب في كتابه (تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب)[81]. وعند الشيخ طاهر الجزائري في كتابه (إتمام الأنس في عروض الفرس)[82] وكتاب (تمهيد العروض في فن العروض)[83] وكما هو عند شهاب الدين أحمد بن محمد الأصبحي العنابي في كتابه: (نزهة الأبصار في أوزان الأشعار)[84]

القسم الثّالث: منهج أصحاب المنظومات العروضية:

وقد قام منهج أصحاب المنظومات العروضية على عدد من العناصر أو المباحث يمكن إيجازها في الخطوات والعناصر التالية:

1-الاختصار مع التركيز دون تفصيل في ذكر التعريفات والمصطلحات، للتسهيل على الدارسين المتعلمين وإعانتهم فهم قضايا علمي العروض والقوافي مثل ما فعل المولود بن الموهوب[85]

2- قلة الشواهد الشعرية وإن ذكرت لا تخرج عن إطار عصور الاحتجاج، مثل ما فعل المولود بن الموهوب[86]

3- السير على منهج أصحاب الكتب التي نظموها في عرض المسائل والقضايا المتعلقة بالعروض والقوافي مثل ما فعل الشيخ المولود بن الموهوب[87].

4- التركيز على بعض قضايا العروض وجزئياته لضرورة يراها الناظم حتى تستقيم ويسهل تناولها عند الدارسين والمتلقين، مثل ما فعل ابن أب المزمري في منظومته (روائق الحلل في ألقاب الزحافات والعلل)[88] حيث خصصها للحديث عن ألقاب الزحافات والعلل وبيان أصناف الأجزاء وزحافاتها. ومثل ما فعل في منظومته (درر النحور في فك البحور)[89]، حيث خصصها لبيان كيفية فك الدوائر العروضية بدءا بدائرة المختلف، ثم المؤتلف، والمشتبه، ثم المجتث، وصولا إلى دائرة المتقن. ومثل ما فعل في منظومة (أسماء البحور وأوزانها)[90]، وهي قصيدة التي عقد فيها أسماء البحور مع تعداد الأوزان الأصلية لكل بحر. ومثل ما جاء في منظومته (مفاتيح البحور)[91]، والتي جعلها في بحور الشعر. ومثل ما ورد في منظومته (أوزان البحور السبع المهملات)[92]، حيث عرض فيها البحور المهملات مع إعطاء وزن كل بحر من هذه الأبحر السبعة المهملة. ومثل ما فعل أيضا في منظومته (أبيات في البحور المهملات ودوائرها)[93]، حيث جعلها نظما لدوائر هذه البحور السبعة المهملات. ومثل ما فعل السعيد أبهلول الورتلاني في منظومته (أرجوزة في بحور الشعر العربي)[94]، حيث ضمنها البحور الشعرية العربية وأوزانها وتفعيلاتها والأوتاد والأسباب وغير ذلك من قضايا العروض.

5- سهولة الأسلوب وبساطة الكلمات والابتعاد عن التعقيد والغموض مثل ما فعل

الشيخ المولود بن الموهوب في منظومته في العروض والقوافي[95]. ومحمد بن أب المزمري التواتي في جميع منظوماته في العروض[96].

المبحث السّابع: علاقة علم العروض بالجانب العلمي والتّعليمي في الجزائر.

إن النّظرة الفاحصة لمجموع مختلف المؤلفات في علم العروض والقوافي لعلماء الجزائر على تنوعها وتنوع الاتجاهات التي صنفت فيها، وإن كان غرضها الأول علمي، فإنها لا تعدم الغرض التعليمي لأنّها كانت موجهة بداية إلى طائفة المتعلمين والمتلقين والمريدين في حلقات الدرس وجلسات العلم، في عديد المحاضن والمدارس التّعليمية، وفي مختلف الحواضر بالمدارس والمساجد والزّوايا وغيرها، ولأنّ مؤلفيها كانت مهمتهم الأولى التي نصّبوا أنفسهم لها هي ممارسة التّعليم ونشر المعارف وتلقين الطلبة مختلف المعارف والفنون، فلا غرو أن يكون بعد ذلك الغرض من هذه المؤلفات العروضية تعليميا، لأنها كانت تهدف إلى بيان ما يتصل بعلم العروض والقوافي من قضايا ومسائل، وما يحدها من قواعد ومصطلحات، وما يجليها من تطبيقات وإجراءات على النّصوص، وما يؤكدها من أمثلة وشواهد، إضافة إلى العمل على تبسيط المادة التّعليمية للمتعلم، وإزالة عوائق استيعابها، والعناية بضبط القواعد وتأصيل المفاهيم، مع حسن العرض والقدرة على الإبلاغ والإفهام، والإحاطة بكل ما يتعلق بالنّص من لغة ونحو وبلاغة ونقد...

وتعتبر هذه المؤلفات العروضية استجابة للحاجيات التّعليمية لعصور أصحابها والمتلقين عنهم. وقد سعى أصحابها إلى معالجة إشكال التّعليم والتّغلب على معوقات التّحصيل، فكانت هذه المؤلفات قد أُعِدّت بادئ الأمر لغرض التّعلم فكانت معتمدة في برامج التّعليم حتى عصور متأخرة.

فإنّ قصارى ما كان يطمح إليه طالب العلم في هذ العصر، أي القرنين، هو استيعاب وتحصيل ما هو متيسر بين يديه من علوم النحو واللّغة والبلاغة والعروض والقوافي سواء عن طريق حفظ المنظومات، أو معاودة قراءة الشّروح عليها. وقد وجدنا أن أكثر علماء علم العروض والقوافي في الجزائر ساروا في هذا الاتجاه الذي ربط الدّرس العروضي بالجانب التّعليمي.

فعلماء الجزائر لم يكونوا يؤلفوا بدافع المعرفة المجردة المقطوعة عن الواقع العلمي

السّائد في عصورهم بمقدار ما كانوا يؤلفون اقتضاء الحاجة الملحة التي كانوا يشعرون بها اتجاه الأجيال المتعلمة، ولواجب نشر العلم بينهم وتسليحهم به.

فالشّيخ أطفيش مثلا جعل كتابه نموذجا (في غاية الأهمية لدارسي علم العروض والقافية، بحيث يعد أنموذجا يكشف لنا عن منهج الشيخ أطفيش في تبسيط المادة العلمية للمتعلمين من جهة، وفي تعميق معارفهم من جهة أخرى)[97]. والكتاب من أهم كتبه التعليمية في مجال العروض؛ ولعل ذلك يعود إلى سهولة مادته العلمية وتنوعها، وطرافة أسلوب تناولها، ودقة سبكها وصياغتها، إلى جانب اهتمام المؤلف بمسائل لطيفة، قلما يلفت إليها أصحاب المطولات فضلا عن أصحاب المختصرات.

وعلى هذا جاء منهجه مغلبا فيه الجانب التّعليمي فحين يقف عند المفاهيم الاصطلاحية فهو يشرحها الشّرح التّعليمي النّقدي ناقلا الآراء مناقشا الأقوال معتمدا الحوار أو المحاورة التّعليمية التّي كان عماده فيها عبارات مثل: تنبيهات، وفوائد، وتتمات وخواتم عقب انتهائه من كل مسألة، مع استحضار الذهنية الرياضية من خلال تقسيم المسائل إلى عناصر وكل عنصر إلى أقسام فرعية، واعتماده الاحتمالات الواردة في توضيح المفاهيم العروضية... كل ذلك كان غرضه دفع السّأم والملل، وبيانا للمعاني، وتحريكا للحوار والنّقاش، مع شحذ الفكر والذّاكرة وصقل الملكة وإيقاظ الموهبة[98].. مبيّنا فيه خبرته الطّويلة وباعه الأطول في ميدان العلم والتّعليم.

المبحث الثّامن: مرتكزات المنهج التّعليم والعلمي للمؤلفات العروضية الجزائرية:

وقد وجدنا أن المنهج التعليمي الذي شكله أصحاب هذه المؤلفات العروضية يقوم على عديد المرتكزات التي كانت عماد العملية التعليمية لهذه المؤلفات، ولعلنا لا نجانب الصواب حين نجعلها في المرتكزات التالية:

1-الاعتماد على مؤلفات السابقين من العروضيين.

2- تسجيل ملاحظات وتدوين انتقادات للمؤلفات السابقة.

3- الاستدراك على السابقين في مسائل لم يدونوها أو أهملوها أو نسوها.

4- تسجيل ملاحظات عامة على طريقة وكيفية دراية علم العروض، أو كيفية تدريس علم العروض وتعليمه.

5- الاستدلال على قضايا عروضية بقصائد أو أبيات شعرية جديدة لم يتناولها السّابقون، وعدم الاكتفاء بما أورده الأوائل من شواهد.

فقد اعتمد جل العروضيين على مؤلفات من سبقوهم، وأشاروا إلى ملاحظات وانتقادات لمؤلفاتهم، كما استدركوا عليهم ما أغفلوه في شروحهم ومؤلفاتهم، وقاموا بتسجيل ملاحظاتهم حول طريقة تدريس علم العروض، كما استدلوا على كل القضايا التي ذكروها بشواهد جديدة لم يذكرها المتقدمون. يقول في ابن مرزوق في ذلك: (ولولا ما فتح السيد الشريف أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني الغرناطي رحمه الله ورضي عنه من أقفال رموزها، ما انتفه بها أحد خباء فيها ناظمها من كنوزها...وتكلم بعده فضلاء وسادات واعلام، فسهلوا منها ما بقي صعبا على الأفهام واستدركوا شيئا يسيرا من محاسنها... ثن جئت على الأثر والفضل عندهم فظهر لي أنه بقي من حل تركيب ألفاظها ما لابد من ذكره ومن إظهار محاسن معانيها، وإيضاح بيانها، وزينة بديعها، ما ينبغي التنبيه عليه، ولا يغفل لعظيم قدره، فوضعت عليها شرحا جليلا، بكل مليحة كما تراه كفيلا)[99]. كما ذكر الأصبحي العنابي مذاهب وآراء العروضيين واختلافاتهم في بعض القضايا وقام بترجيحات لقضايا وأقوال كثيرة، وهي عبارة عن اختياراته العروضية[100]. وهو الأمر الذي فعله أكثر العروضيين الجزائريين.

6- من البيت الشّعري إلى مكوناته:جرت العادة في دراسة البيت الشعري عروضيا أن تكون البداية من مكونات البيت الشعري ثم الوصول إلى البيت الشعري، غير أن الشيخ طاهر الجزائري عكس الأمر، أي أنه بدا من البيت الشعري ثم الوصول إلى مكوناته، فقد (استطاع الجزائري إفهام كيفية جريان الوزن في الشعر، ونفذ من ذلك أي وزن الكلمات بالتفاعيل المناسبة، ثم انتقل بسلاسة إلى الهجاء العروضي الذي يعتمد على الملفوظ لا المكتوب، ونفذ منه إلى التفاعيل فالأسباب فالأوتاد. وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيه البدء من البيت الشعري إلى مكوناته لا العكس)[101].

وهو نفس الاتجاه الذي سار عليه محمد بن أبي شنب في كتابه تحفة الأدب في أشعار العرب، (حيث يبدأ بالمعنى الكلي ثم ينتقل إلى الجزئيات والتفصيلات)[102]

7- الاعتماد على الجداول والخطاطات للتّوضيح والشّرح والتبسيط.

تبين لنا النظرة الفاحصة والتحليلية لكتب (الشيخ طاهر، ومحمد بن أبي شنب...) وغيرهم، أنها تجمع بين تبسيط المادة العلمية، والكثير من التفاصيل، وحصر كثير من المعلومات وتنظيمها في مجموعات وفصلها عن بعضها بعض، من خلال جداول وخطاطات توضيحية، تختصر على المتلقي وتغنيه عن قراءة مقطع أو مقاطع كاملة، مما يسهم في إفهام المتلقي أكثر، مما يشكل له وعيا وفهما للموضوع وإدراكا وحفظا له.

وقد ساهمت تلك الجداول في تبسيط كثير من مفاهيم المصطلحات، وإفهام المتلقي مع الابتعاد عن التلقين مما أدى إلى إتمام العملية التعليمية بكفاءة واقتدار.

8- النماذج والأمثلة التّطبيقية من الأشعار المختلفة لكل قضايا العروض والقافية.

وهؤلاء العلماء حين يقدمون لنا تلك المعالم العروضية، يعتمدون نهجا تطبيقيا يقوم على تقصي الأضرب والزحافات والعلل والتقفية والتصريع وشواذ البحور وجردها في أطول القصائد الشعرية، مع تقطيع الشواهد وكتابتها كتابة عروضية، مع التوصيف لجميع أجزاء التفعيلة، ومع كثرتها مما يعطي القارئ والمتلقي الأثر الإيجابي في تثبيت المعلومات العروضية ورسوخها، وهو ما يخدم الغاية التعليمية للمؤلفات.

وإيراد التمارين والأمثلة النموذجية بمثابة التطبيق الحقيقي والفعلي لما أوردوه في شروحهم وأحاديثهم عن قضايا العروض والقوافي وذلك لتأكيد الأفكار وتثبيت المعلومات، وتعويد القرّاء على النماذج التطبيقية وقدرتهم وتمكنهم من تطبيق وإجراء كل ما قرأوه على النماذج الشعرية التي يتعرضون إليها، مثل ما جاء عند نويوات الأحمدي[103]، وعند محمد بن أبي شنب[104]، وعند أبي العباس الأصبحي العنابي[105]. وعند الشيخ طاهر الجزائري في كتابه (إتمام الأنس في عروض الفرس) [106]، وكتابه (تمهيد العروض إلى فن العروض)[107]،

- الاعتماد على ملاحظات وإشارات مهمة نافعة ومفيدة من خلال عناوين مثل: تنبيه، استدراك، وغير ذلك...

- الاعتماد على أسلوب الحوار وطرح الأسئلة وافتراض المسائل والقضايا الجديرة بالمعالجة والتحليل والشرح.

المبحث التّاسع: خصائص ومميزات المؤلفات العروضية الجزائرية.

وقد تفردت المؤلفات العروضية الجزائرية بعديد الخصائص والمميزات التي نجملها في العناصر التالية:

1-التأليف في كتب علمي العروض والقوافي لعلماء الجزائر على مسارها التاريخي خضعت إلى مراعاة خصوصية ارتباطها الوثيق بالتراث من جهة، ولاعتبارات أخرى تراعي عملية التجديد، خاصة مراعاة ما تتطلبه عملية التعليم والتدريس.

2-تميزت كتب ومؤلفات علماء الجزائر عبر العصور، خاصة منها المتعلقة بالشروح مثل شرح الرامزة، بشرح كل الألفاظ الأساسية في البيت شرحا معجميا ثم اصطلاحيا عند العروضيين والنحاة والبلاغيين والفقهاء والمتكلمين فضلا عن باقي الكلمات، وبيان كثير من المسائل الصرفية والتعليلات النحوية، والتعقيب على المسائل العروضية.

3- هي كتب فريدة في بابها، وحيدة في فنها، لم يؤلف مثلها من حيث الجمع والاتقان والضبط، مع كثرة المادة وكثرة وتنوع الأمثلة والتمارين.

4- التسلسل المنطقي في الكتابة مع السهولة في التعبير، والليونة في استعمال التراكيب اللغوية التي لا تستعصي على الفهم السريع لما يورد من أفكار، لأن اللغة هي رمز التعبير وأداة المعاني. مع التوضيح والبيان ثم التفصيل.

المبحث العاشر: قيمة المؤلفات العروضية لعلماء الجزائر.

إن قيمة المؤلفات العروضية لعلماء الجزائر تكمن في عديد المزايا والخصائص التي انفردوا أو تميزوا بها عن غيرهم من الذين تناولوا الدرس العروضي بالتحليل والدراسة والتأصيل، ولعلنا يمكن إيجازها في النقاط التالية:

1-الجرأة في تقديم وإبداء الملاحظات وآرائهم الشخصية مع التصويب والتصحيح، والترجيح لكثير من القضايا والموضوعات مع التعليل وتقديم الدليل والشاهد على ذلك، مما أكسبهم استقلالية بالرأي.

2-الاستشهاد بأقوال العلماء من العروضيين ممن سبقوهم ومن المعاصرين لهم مُحيلين على مؤلفاتهم أو منظوماتهم ثم التعليق أو التعقيب والاستدراك عليهم.

3-تقديم الشواهد الكثيرة والمتنوعة لمختلف العصور الأدبية وعدم الاكتفاء بشواهد

المتقدمين فقط من علماء العروض.

4-الاستطرادات إلى قضايا غير عروضية تخدم المواضيع التي هم بصدد بيانها وشرحها والحديث عنها، مثل الحديث عن القضايا النحوية، والقضايا الصرفية، والقضايا البلاغية، والمفاهيم اللغوية، وغيرها، وكلها تخدم الموضوع العام الذين هم بصدد معالجته.

5-تقديم ملاحظات على بعض البحور الشعرية والأغراض التي تستعمل فيها بين المتقدمين والمتأخرين من الشعراء.

6- الاستعانة بالمصادر الكثيرة والمتنوعة (أدبية، لغوية، نقدية، عروضية، وحتى تاريخية وفي السير والتراجم وغيرها)، وإحالة القارئ عليها للتوسع والتعمق أكثر في علم العروض والقوافي، مما أعطى مؤلفاتهم قيمة علمية كبيرة ومكانة عالية.

الخاتمة:

وفي نهاية هذا التّجوال السّريع، والتّطواف القصير، مع مؤلفات علم العروض والقوافي لعلماء الجزائر، ومعرفة ما تمثله من اتجاهات وخصائص، يمكننا أن نصل إلى ملاحظات وجيزة للموضوع، نجعلها دليلا على خلاصة الخصائص والمميزات التي طبعت الدّرس العروضي الجزائري، والتي نجملها في النّقاط التّالية:

1- مثّلت هذه الدّراسات بمختلف أشكالها وصورها إعادة صياغة منظومة «الرامزة» أو الخزرجية للخزرجي بقراءة جديدة مغايرة، قائمة على إعادة صياغة ومراجعة مجموعة الأدوات المنهجية التي قصد بها الخزرجي وغيره في تناول علم العروض وبيان مصطلحاته ومباحثه وقضاياه.

فهي قراءة ثانية لمنظومة «الرامزة» أو «الخزرجية» من أصحاب هذه الأعمال، ودون شك أنّ هذه القراءة تُبرز مجموعة من الخصائص والمميزات ممّا لم تكن عند القارئ الأول، لأنّها محاطة بتجارب مغايرة وثقافة أوسع وأشمل ونظرة فيها من جوانب النّقد والاستدراك والبيان وإعادة التّوجيه، مالم يكن في المنظومة الأصل، وهذا يعطي ميزة للقراءة الثّانية لم تكن موجودة في الأصل.

فهي قراءة ثانية في عدد من التّعاريف العروضية التي وضعها االخزرجي وغيره من الشّراح، ومراجعة بعض تقسيماتهم لبعض القضايا، وإعادة تصنيف بعض المباحث

انطلاقا من فهمهم الخاص وأدواتهم الإجرائية التي وظفوها، فهم بذلك يؤسّسون لقراءة جديدة برؤية جديدة لعلم العروض والقوافي قائمة على منظورين:

الأول: قراءة قائمة على المناقشات خاصة على مستوى الشّروح، هذه المناقشات التي لم تكن كلها عروضية بل انصرف كثير منها إلى الخوض في الاشكالات النّحوية، والصرفية، واللّغوية، والبلاغية، والكلامية، والمنطقية، والفلسفية وحتى الفقهية أو الأصولية أحيانا...

الثّاني: قراءة قائمة على الاستدراكات، حيث عمدت هذه القراءات التي أشرنا إليها إلى استدراك عدد من المسائل العروضية من خلال إضافة أقسام أو مصطلحات أو شواهد وأمثلة دليلا على ما يذهبون إليه.

وهذا يُعد برهانا على الفائدة أو الفوائد الجمّة التّي يمكن أن تحتويها هذه الكتب، وأنّه لا يمكن الانتقاص من قيمتها وقدرها مهما كان.

2- هل يمكن أن نعد هذا العدد من النّصوص أو المؤلفات والرسائل مدرسة أو اتجاها عروضيا نقديا مغربيا جزائريا، على الأقل على مستوى هذه الدّراسات والأعمال التّي أنجزت حول الموضوعات العروضية؟ خاصة ونحن أمام عدد هائل ومتنوع من الأعمال والآثار والأعلام يبدو تمكنهم من اللّغة العربية وآدابها، متمرسين في الدّراسات العروضية والنّقدية وعلومهما، ممسكين بأكثر الآليات والأدوات اللّازمة لذلك، عارفين ثقافة عصرهم، مستوعبين جهود سابقيهم مشرقا ومغربا، مقدمين إضافات مهمة واجتهادات جديدة؟

3- هي نصوص أو مؤلفات ورسائل متنوعة ومتعددة نادرة ذات خصوصية تقف مع قائمة المصادر العربية الرّائدة تمثل بلاد المغرب عموما وبلاد الجزائر خصوصا التّي طالما نفى عنها الدّارسون والباحثون كل بروز أو مساهمة أو نبوغ في أكثر العلوم والموضوعات خاصة منها علم العروض والقافية.

4- إنّ مختلف صور عمل علماء الجزائر مع منظومة «الرّامزة» للخزرجي وغيره من المؤلفات الأخرى من شرح واختصار ونظم وشرح لتلك المنظومات واهتمام بشواهدها، إنّما نبع من إدراكهم بداية حاجة الطّلاب في حلقات العلم ومجالس الدّرس إلى كتب ونصوص من مستوى معين. وهم إذ يقومون بذلك إنّما كانوا

يصدرون في ذلك عن تجربة عندما يتجلى لهم نقص أو حشو أو صعوبات في التّطبيق.

5- نستنتج من هذا الجرد لقائمة المؤلفات العروضية بأشكالها المختلفة لعلماء الجزائر التّي دارت حول كتاب «الخزرجية» للخزرجي وغيرها من الكتب الأخرى مما ينم عن تمكن واقتدار وكفاءة عالية في مجال علوم العروض والقوافي حتّى جعلوها على الشّكل والصّورة التّي يريدون، ووسموها بطابعهم الخاص وأعطوها من الخصوصية المرتبطة بالثّقافة والمجتمع والحياة الفكرية السّائدة في الجزائر.

6- قد يعود ولع علماء الجزائر كغيرهم بمنظومة «الرامزة» أو الحزرجية للخزرجي وتناولهم لها بهذا الشّكل راجع أساسا إلى كون الخزرجي لم يقف عند علم العروض موقف الملتزم كما فعل غيره، وإنّما تصرف فيه، بمعنى أنّه ترك ما لم يستحسنه منه، وأضاف إليه من آرائه وآراء من سبقوه. فهو في منظومته قد جمع كل الآراء بشكل واضح وجلي واستبعد منها كل تعقيد أو حشو أو تطويل، كما وضّح الغوامض بالشّرح والأمثلة، واستبدل بعض مصطلحاته وتعريفاته بأخرى أكثر وضوحا ودقة، وسمح لنفسه فرتّب مباحثه ترتيبا قريبا يجعلها أيسر منالا.

7- إنّ منظومة «الحزرجية» أو الرامزة للخزرجي هي أليق للحال التّي عليها الوضع الثّقافي والتّعليمي الذي كان سائدا في بلاد المغرب عموما وبلاد الجزائر على الخصوص، لأنّها وافقت ما كان متداولا من الكتب والدّراسات خاصة منها في الأدب والنحو والبلاغة الفلسفة والمنطق التّي كانت تعمر مجالس الدّرس وحلقات العلم في مختلف الحواضر والمحاضن والمدارس العلمية، من كتب ومتون كانت متداولة في حلقات العلم والدّرس في تلك الفترات التّاريخية.

8- هذه النّصوص أو الكتب والمؤلفات لا يمكن أن نمرّ عليها مرور الكرام معتبرين إياها في أحسن الأحوال شروحا كتبا تعليمية ليس لها من قيمة إلّا التّوضيح وتسهيل المسالك على المبتدئين وتيسير الخوض في علم العروض لغير المتمكنين، وإن كان هذا ممّا لا يمكن نكرانه «فإنّنا نعترض عصر كتب الشّروح في ذلك الأمر التّعليمي من ناحية، كما نعترض من ناحية ثانية على أنّ الكتب التّعليمية مطلقا لا غناء علميا منها. صحيح أنّ النّظر في مبادئ العلم النّظرية لا ينبغي أن يتجه إلى الكتب

التّعليمية، لكن لا يليق بنا أن نذهل عن أنّ الكتب التّعليمية من أكثر الأدوات المساعدة على تقييم ثقافة العصر نظرا إلى اتجاهها إلى شريحة كبيرة من المهتمين، وهذا الأمر أسهم إسهاما واضحا في احتواء الشّروح والحواشي خليطا من المعارف المتوافدة التّي تشكل المعارف الأساسية في البرنامج التّعليمي لذلك العهد»[108].

9- من خلال النّظر في قائمة العلماء الجزائريين الذين تناولوا واهتموا بموضوع العروض والقوافي بمختلف الّصور والأشكال أو الاتجاهات التّي رأيناها يلاحظ توزعهم وانتمائهم لحواضر علمية مختلفة متوزعة شرقا وغربا شمالا وجنوبا في المغرب الأوسط، فهي بين حاضرة تلمسان، ووهران، ومستغانم وبجاية، وقسنطينة، وعنابة أو بونة، والجزائر، ونقاوس، وتوات، ووادي سوف وغيرها... وهي كما نرى تشمل كامل جهات الوطن بمختلف جهاته ممّا يعتبر دليلا على هيمنة كتب علم العروض والقوافي على حلقات الدّرس في كل الحواضر، وأنّه ربما كان أهم العلوم التي تمّ تدارسها وتناولها بين طلبة العلم.

10-كان اهتمام علماء الجزائر بالدراسات العروضية من خلال الشروح على الخصوص، والشروح العروضية عندهم كانت على قسمين:

القسم الأول: شروح شفاهية يقدمها الشيوخ والعلماء من خلال الإلقاء على طلبتهم في الدروس التي تلقى وتقدم في المساجد والمدارس والزوايا وأماكن العلم وحلقات الدرس، وأكثر الشروح هي من هذا النوع.

القسم الثاني: شروح كتابية وهي التي تقيّد وتدون في ورقات يضمها كتاب أو مؤلف وهذا النوع قليل وقد ضاع منه الكثير فلم يصل لنا منه إلا القليل الذي بين أيدينا اليوم.

وقد مثلت هذه الشروح مصدرا مهما يطلع الباحث من خلاله على مسيرة البحث العروضي التّنظيري والتّطبيقي على وجه الخصوص على النّصوص في هذه الأرض المباركة، وما بلغه البحث العروضي من مراتب ومراقي قياسا مع ما هو موجود في بلدان أخرى.

11- كشفت هذه الكتب عن معرفة عميقة وعلم واسع لدى أصحابها بلغة العرب وأساليبه وطرقهم في الأداء والكتابة والتعبير.

الإحالات:

[1]- طبع الكتاب عديد المرات وقد حققه محمد زغلول سلام، ونشرته منشأة المعارف الاسكندرية دون تاريخ.

[2]- طبع الكتاب عديد المرات وقد حققه محمود شاكر القطان ونشرته الهيئة المصرية العامة القاهرة 2006.

[3]- طبع الكتاب عديد المرات، كما تم تحقيقه أيضا عديد المرات منها تحقيق: محمد العروسي العطوي، وبشير البكوش ونشرته دار الغرب الإسلامي بلبنان. كما طبعته الدار التونسية للنشر تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر.

[4]- نشر أول مرة بالقاهرة عن مخطوطة وحيدة بعناية محمد أمين سنة 1346هـ/1924م.وأعيد نشره من طرف مطبعة النّهضة المصرية سنة 1926م. وكانت مادته موزعة بين الكثير من المصادر وبعض المخطوطات للكتاب، حتّى جاء الأستاذ الشّاذلي بويحي وحققها ونشرها وأخرجها للباحثين والدّارسين والمهتمين، وقد قام الأستاذ الشّاذلي بجهد علمي كبير من خلال الرّجوع إلى عدد كبير من ال المصادر مع اعتنائه بشرح الغوامض وتصحيح النّصوص والأشعار. وقد طبع الكتاب أول مرة من طرف الشّركة التّونسية للتّوزيع سنة 1972م.-كما قام بتحقيقه الدكتور منيف موسى، ونشرته دار الفكر اللّبناني، الطبعة الأولى سنة 1991م.

[5]- طبع أول مرة الجزء الأول منه بتونس سنة 1282هـ وهو ناقص. وقد حققه وعني بتصحيحه محمد بدر الدّين النّعساني الحلبي وطبع أول مرة بمطبعة السّعادة بالقاهرة سنة 1325هـ/1907م.-وقد طبع ثانية بالقاهرة بمطبعة أمين هندية سنة 1344هـ/1925م. وحققه المرحوم محي الدّين عبد الحميد، ونشرته المكتبة التّجارية الكبرى الطّبعة الأولى سنة 1353هـ/1934م، والطّبعة الثّانية سنة 1354هـ/1935م. ونشرته دار الجيل في طبعته الخامسة سنة 1401هـ/1981م. وقد حققه أيضا الدكتور محمد قرقزان، وكانت طبعته الأولى سنة 1984م بتونس. كما حققه النّبوي عبد الواحد شعلان وطُبع بمكتبة الخانجي بالقاهرة، حيث كانت الطّبعة الأولى سنة 1420هـ/2000م. وحققه كذلك عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية للطّباعة والنّشر صيدا لبنان الطّبعة الأولى سنة 1422هـ/2001م. وحقّقه صلاح الدّين الهواري وهدى عودة، ونشرته دار ومكتبة الهلال سنة 2002م. وحققه مجموعة من الأساتذة هم توفيق النّيفر، مختار العبيدي، جمال حمادة، ونشره المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون.

[6]- أعده للنّشر وعلق عليه مصطفى مرزوقي، تقديم الدكتور مختار نويوات، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، الطبعة الأولى 1427هـ/2006م.

[7]- وقد قام بتحقيقه نوري سوداني، نشر فرانش شتاينر بيغيسبادن، بيروت لبنان، الطبعة الأولى

1401هـ/1980م.

[8]- وقد قام الدكتور أبو أزهر هانم بلخير بدراسته وتحقيقه لنيل درجة الدكتوراه بجامعة محمد الخامس بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط سنة 1994م.-وقد طبع الكتاب ضمن منشورات محمد علي رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطّبعة الأولى 2010م.-كما أعيد طبعه ضمن الأعمال الكاملة للشّيخ محمد عبد الكريم المغيلي في ستة أجزاء، وهو الجزء الخامس في السّلسلة، في طبعة خاصة، دار البلاغ للنّشر والدّراسات والبحوث، الجزائر 2013م.

[9]- وقد قام بدراسته وتحقيقه، محمد بن عبد العزيز بن عمر نصيف لإعداد رسالة دكتوراه. كما قام بتحقيقه ودراسته بقدار الطّاهر بجامعة وهران لإعداد رسالة الماجستير.

[10]- وقد حققه الدكتور محمد زمري، والكتاب من منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، بالجزائر سنة 2015م.

[11]- وقد قام بتحقيقها في رسالة دكتوراه الطالب هدي عبد الرحمن بجامعة أدرار ونوقشت في جوان سنة 2022.

[12]- مخطوط أول بالمكتبة الظاهرية بدمشق سورية رقم: 8761. مخطوط ثاني بمكتبة جامعة محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، رقم: ف 2317 ف 2463.

[13]- ذكره ابن عبد الملك. انظر: محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.

[14]- ذكره الفيروز آبادي والسّيوطي وحاجي خليفة. انظر: محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.

[15]- تقديم وتحقيق أحمد مزيان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطّبعة الأولى 1444هـ 2023م، في 64 صفحة. على مخطوط فريد بمكتبة برلين بألمانيا رقم: 7128.

[16]- مخطوط بمكتبة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في 03 أوراق برقم: 1/1086. مخطوط بمكتبة برلين رقم:1094.

[17]- وهو تلخيص لرسالة (أحكام صنعة الكلام) لابن عبد الغفور.

[18]- وهو شرح على عروض ابن الحاجب.

[19]- وهو شرح لقصيدة ابن الحاجب في علم العروض.

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم: 229/2. مخطوط ثاني ضمن مجموعة 3 مجاميع ش. نسخة مخطوطة في 45 ورقة بمؤسسة علّال الفاسي بالمملكة المغربية رقم: 1784ع259.

[20]- تحقيق لؤي بن البدر العتيبي، سنة 1439هـ.

توجد منها نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبه برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية تحت رقم 678. نسخة ثانية مخطوطة بدار الكتب المصرية في 124 ورقة رقم: 159.

[21]- تحقيق ودراسة نجاة بنت حسن بن عبد الله نولي، الرياض الإدارة العامة للثقافة 1997م.

[22]- تحقيق ودراسة حسام الدين مصطفى محمد، 1436هـ/2016م.
وتحقيق مصطفى السنوسي وعبد اللطيف أحمد لطف الله، دار القلم للنشر التوزيع، الطبعة الأولى 1407هـ/1986م.
وتحقيق أمين عبد الله سالم، دار الضياء، الكويت، 1437هـ/2016م.
[23]- تحقيق وزار سليمان، رسالة دكتوراه، إشراف أوشاطر مصطفى، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان 2018م/2019م.
- دراسة وتحقيق، صباح مجاهدي، رسالة دكتوراه، إشراف محمد ملياني، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران 2015م.
وقد نشر تحقيق مجاهدي صباح في كتاب بدار ببلومانيا للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، سنة 2019م.
[24]- مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2453 ح 29 د.
[25]- تحقيق ودراسة وزار سليمان، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، شعبة الثقافة الشعبية، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان، الجزائر 2013/2012.
[26]- وهو شرح على المنظومة الخزرجية لضياء الدين الخزرجي الأندلسي.
[27]- مخطوط بمكتبة المطارفة بالقرارة، وتوجد منه نسخة ثانية بالحزانة البلدية بتطوان بالمغرب تحت رقم: 889.
[28]- مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط بالمملكة المغربية رقم: 1061.
[29]- وهي حاشية على العيون الرّامزة شرح محمد بن لأبي بكر الدّماميني على الرّامزة المنظومة الخزرجية في علم العروض والقافية لضياء الدّين الخزرجي
[30]- نسخة مخطوطة بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز بن سعود بالدار البيضاء، المملكة المغربية، رقم: 582/2. نسخة ثانية مخطوطة بزاوية تانغلمت بني هلال بالمملكة المغربية رقم 299 ضمن مجموع. نسخة مخطوطة ثالثة بالخزانة العامة بالرباط رقم: 24/292د/3. نسخة مخطوطة رابعة مخطوطة بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث بسراييفو بالبوسنة والهرسك ضمن مجموع رقم:3/21.
[31]– محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، الجزء الأول، ص 199. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، ص165/138. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، ص 174. أحمد بن قاسم البوني، التعريف ببونة إفريقية، تحقيق سعيد دحمان، ص 46. عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ص 131. بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص 432.
[32]- وهو شرح على الخزرجية في العروض.

مخطوط بمركز أحمدا بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتمبوكتو بمالي رقم: 2013ج/2.

[33]- وهي أرجوزة تطرق فيها إلى أهم الزّحافات والعلل العروضية. وقد جاءت في (81) بيتا.

مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد بأدرار. ونسختان مخطوطتان بمركز أحمدا بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتمبوكتو بمالي الأولى رقم: 8716ج/5. والثانية ورقم: 5126ج/4. مخطوط ثالث بالخزانة العامة بالرباط رقم:16/328ك/17. مخطوط رابع بالخزانة العامة بالرباط رقم: 25685

[34]- وهي قصيدة بيّن فيها كيفية فك الدوائر العروضية. بدء بدائرة المختلف ثم المؤتلف والمشتبه بعدها المجتث وصولا إلى دائرة المتقن.

مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد بأدرار. انظر: عبد الله عماري، مدارس توات العتيقة وإسهاماتها في الدرس العروضي محمد بن أب المزمري أنموذجا، مجلة الذاكرة، المجلد الثّامن، العدد الأول، يناير 2020م. وانظر: الجيلالي بوعافية، درر النحور في فك البحور للمزمري دراسة وتحقيق، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب أفريقيا، أدرار الجزائر، العدد السابع، سبتمبر 2015م.

[35]- وهي قصيدة عقد فيها أسماء البحور مع تعداد الأوزان الأصلية لكل بحر.

مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد بأدرار. انظر: عبد الله عماري، مدارس توات العتيقة وإسهاماتها في الدرس العروضي محمد بن أب المزمري أنموذجا، مجلة الذاكرة، المجلد الثّامن، العدد الأول، يناير 2020م.

[36]- وهي منظومة في بحور الشّعر.

مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد بأدرار. انظر: عبد الله عماري، مدارس توات العتيقة وإسهاماتها في الدرس العروضي محمد بن أب المزمري أنموذجا، مجلة الذاكرة، المجلد الثّامن، العدد الأول، يناير 2020م.

[37]- وهي قصيدة عرض فيها البحور المهملات مع إعطاء وزن كل بحر من هذه الأبحر السبعة المهملة.

مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد بأدرار. انظر: عبد الله عماري، مدارس توات العتيقة وإسهاماتها في الدرس العروضي محمد بن أب المزمري أنموذجا، مجلة الذاكرة، المجلد الثّامن، العدد الأول، يناير 2020م.

[38]- وهو نظم على وزن الرجز في دوائر هذه البحور السبعة المهملات.

مخطوط بخزانة الوليد وليد بأدرار. انظر: عبد الله عماري، مدارس توات العتيقة وإسهاماتها في الدرس العروضي محمد بن أب المزمري أنموذجا، مجلة الذاكرة، المجلد الثّامن، العدد الأول، يناير 2020م.

[39]- مخطوط بمركز أحمدا بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتمبوكتو بمالي رقم: 2143.

[40]- مخطوط بمكتبة المطارفة بالقرارة. انظر: عبد الله عماري، مدارس توات العتيقة وإسهاماتها في الدرس العروضي محمد بن أب المزمري أنموذجا، مجلة الذاكرة، المجلد الثّامن، العدد الأول، يناير 2020م.

[41]- وهو شرح على رسالة محمد باشا المعروف بالراغب

[42]- وهو شرح على رسالة محمد باشا المعروف بالراغب

[43]- وهو شرح على منظومة (الرامزة) أو (الخزرجية) في العروض.

ذكره ابن سعيد المستغانمي في شرحه على المنظومة الخزرجية وكان من ضمن مصادره التي استعان بها على شرحه للخزرجية.

انظر: ابن سعيد المستغانمي، المعادن العسجدية في شرح المنظومة الخزرجية، مخطوطة بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز بن سعود بالدار البيضاء، المملكة المغربية، رقم: 410.

[44]- منها نسخة مخطوطة بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز بن سعود بالدار البيضاء، المملكة المغربية، رقم: 410.

[45]- طبع أول مرة بالجزائر سنة 1906م. وقام الدكتور أبو القاسم سعد الله بتحقيقه وطبع بدار الغرب الإسلامي بلبنان سنة 1990م.

[46]- دراسة وتحقيق فضة ميلود، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، إشراف الدكتور مربيعي الشريف، الموسم الجامعي 2007م.

[47]- مخطوط بمكتبة جمعية أبي إسحاق أطفيش بغرداية دون رقم. – مخطوط ثاني بخزانة الراعي بميزاب رقم: MRA.048 في 259 ورقة.

ويعد كتاب: (الدليل إلى علم الخليل) حاشية على شرح أبي زكريا الأنصاري الشافعي (ت926هـ) لمنظومة: (الرامزة في علمي العروض والقافية) لأبي محمد عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي (ت 626هـ)، فهو حاشية جزائرية لشرح مشرقي على منظومة أندلسية.

[48]- وهي رسالة في علم العروض والقوافي المقارن. تحقيق مازن المبارك، طبعت ونشرت ببيروت لبنان 1321هـ. وأيضا حققها محمد نعيم الميداني، طبعت ونشرت بمكتبة دار الدقاق سوريا دمشق، 1437هـ/2016م.

[49]- مخطوطة بدمشق.

[50]- طبعت بلكنهو بالهند سنة 1300هـ.

[51]- طبعت بمطبعة ولاية سورية سنة 1887م. وقد حققه عمر عدنان الخطيب وأعيد طباعته بدار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 2011م.

[52]- وهي ألفية في علمي العروض والقوافي.

مخطوط بمكتبة بن عزوز القاسمي الهاملي.

[53]- منظومة أو أرجوزة في ثلاثين (30) بيتا، ضمنها البحور الشعرية العربية وأوزانها وتفعيلاتها والأوتاد والأسباب وغير ذلك من قضايا العروض.

- انظر: محمد الطاهر فضلاء، كتاب أعلام الجزائر، محمد السعيد أبهلول في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه، دار هومة، الجزائر 2004م.

[54]- مخطوطة بخزانة أبوبكر شعيب بن المعصوم.

[55]- مخطوطة بخزانة أبوبكر شعيب بن المعصوم.

[56]- طبعت بالجزائر المطبعة الثّعالبية سنة 1924م.

[57]- وهو شرح على منظومة ابن الموهوب في العروض والقوافي.

طبع بالمطبعة الرسمية التونسية سنة 1310هـ.

وقد قمنا بتحقيقه والتعليق عليه وشرح الغوامض فيه وبيان المصطلحات العروضية فيه ومقارنتها وشرحها مع ما ورد عند المتقدمين والقدماء من علماء العروض، وقد نشره مركز المنار وطبعته دار رؤى فكرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر سنة 2021.

[58]- طبع بالمطبعة الرسمية التونسية سنة 1310هـ.

وقد قمنا بتحقيقها والتعليق عليها وشرح الغوامض فيها وبيان المصطلحات العروضية فيها، وقد نشرها مركز المنار طبع دار رؤى فكرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر سنة 2021.

والكتاب الذي نظمه المولود بن الموهوب هو كتاب: (الكافي في علمي العروض والقوافي) لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن شعيب القنائي المعروف بالخواص المتوفي سنة 858هـ.

[59]- طبع أول مرة في لبنان ثم طبع في الجزائر عديد المرّات.

والكتاب ذو قيمة علمية كبيرة، يول عبد الجليل مرتاض عن قيمة الكتاب: (إن مصدرا يحيل على أكثر من ستمائة شخصية من شعراء وعلماء وفقهاء وأدباء ونقدة وصحابة وقادة ومؤلفين في أغراض شتى فضلا عن الطرائف والحكايات وكلام العرب العام وحوادث ظريفة، يستحق أكثر من وصفه كتابا مدرسيا أو حتى جامعيا، ولعل أقل ما ينبغي أن يوصف به أنه عمل أكاديمي من المستبعد أن يؤلف نظير له بين العروضيين العرب لا حقا في المشرق أو في المغرب إلا إذا نبغ نابغة يقيّض له أن يكون عِدلا للعلامة موسى الأحمدي)

انظر: عبد الجليل مرتاض، فضاءات لغوية في المتوسط الكافي للعلامة موسى الأحمدي نويوات، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 15، صيف 2006، ص 170/169.

[60]- نشر المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 2004م.

[61]- مخطوط بمكتبة ابن عزوز القاسمي بعين وسارة.

[62]- من المؤلفات الحديثة مثلا نذكر: 1-بوقروة محفوظ· له في العروض والقوافي كتاب: (المشوق في العروض).2- مصطفى حركات (معاصر). له في العروض والقوافي الكتب التالية: (كتاب العروض). وكتاب: (الشّعر العربي بين الواقع والنّظرية) وكتاب: (الشّعر الحر أسسه وقواعده). وكتاب: (نظريات الشّعر). وكتاب: (نظريتي في تقطيع الشّعر)· وكتاب: (نظرية الإيقاع). وكتاب: (الهادي إلى أوزان الشّعر الشّعبي). وكتاب: (المعجم الحديث للوزن والإيقاع) وكتاب: (نظرية القافية). وكتاب: (أوزان الشَّعر)· وكتاب: (اللّسانيات الرياضية والعروض العربي) وكتاب: (النّموذج الخليلي وسط النّظريات) وكتاب: (نظرية الوزن). 3- ناصر لوحيشي (معاصر). له في العروض والقوافي كتاب: (مفتاح العروض والقافية). وكتاب: (المرجع في العروض والقافية). 4- محمد بوزواوي (معاصر)، له في العروض والقوافي كتاب: (تاريخ العروض العربي من التأسيس إلى الاستدراك، دراسة في نشأة العروض وتطوره). 5- رضوان محمد حسين النجار (معاصر) له في العروض والقوافي كتاب: (الوجيز الصافي في علمي العروض والقوافي)، وكتاب: (العروض العربي فن الخليل بن أحمد الفراهيدي). وكتاب: (المنظومة في العروض والقوافي والمصطلحات الموسومة) 6-أحمد الشريف شطراح له في العروض والقوافي كتاب: (منطق التسهيل في عروض الخليل). 7-رقية شروانة، لها في العروض والقوافي كتاب: (العروض الجلي).

[63]- هي قصيدة من بحر الطويل في علم العروض والقوافي تحتوي 98 بيتا، وتسمى: (القصيدة الخزرجية) نسبة لمؤلفها أو صاحبها ضياء الدين عبد الله بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي المالكي المعروف بأبي الجيش توفي سنة 767هـ. وتسمى كذلك (الرّامزة) قيل: لأن صاحبها رمز في كل كلامه عن التفاعيل والأبحر والدوائر اختصارا. أو (الرامزة الشّافية في علم العروض والقافية)، وتسمى أيضا (الأندلسية)، كما يسميها بعضهم (ميزان الشعر) أخذا من قول ناظمها في البيت الأول (وللشعر ميزان).

ويعد متن الرامزة أو الخزرجية أحد المتون اللغوية المشهورة في علمي العروض والقوافي، وهذا المتن من أشهر مؤلفات ضياء الدين الخزرجي، التي ذاع صيتها وشاع استعمالها بين المعلمين والمتعلمين، نظرا لما يتضمنه هذ المتن من أبواب ومواضيع أساسية تخص علمي العروض والقوافي.

ويندرج متن الرامزة الشافية ضمن المتون التعليمية التي تهدف إلى تقريب علمي العروض والقوافي إلى ذهن المتعلمين، وتيسير كل ما من شأنه أن يستصعب مركبه، ويستوعر مسلكه، على كل مقبل عليها، بأسلوب علمي قائم على التوضيح والشرح المعتمد على الرمز والاختصار.

وقد صنف كثير من العلماء حولها شروحا وتحريرات وتفسيرات مشرقا ومغربا، وقد اكتفيت هنا بذكر الشروح الجزائرية دون غيرها باعتبار الموضوع يتناول المؤلفات العروضية الجزائرية.

وهذه الشروح جديرة بأن تفرد بدراسة خاصة تتناولها من حيث عددها وتنوعها وتوزعها مشرقا ومغربا وأثرها في الدراسات العروضية، وخصائصها ومميزاتها، ومناهج أصحابها كل بتفرده وتميزه،

وغير ذلك مما يمكن أن يكون محل دراسة وتحليل.

[64] - لم نستطع قراءة جميع الكتب المطبوعة والمخطوطة التي سجلنا أسماءها، لأنّ كثيرا منها غير متاح، فلم نستطع الحصول عليها، غير أنّنا استطعنا قراءة والنّظر في عدد منها نعتبره نموذجا كافيا، استخلصنا منه كثيرا من الملاحظات التي دوناها في هذا البحث، وهذه الكتب والرسائل التي اطلعنا عليها وقرأناها هي: كتاب (الوافي بمعرفة القوافي) وكتاب (نزهة الأبصار في أوزان الأشعار) وهما لشهاب الدين أحمد بن محمد العنابي. وكتاب (المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال الخزرجية) لابن مرزوق الحفيد التلمساني. وكتاب (المعادن العسجدية في شرح المنظومة الحزرجية) لابن سعيد المستغانمي. وكتاب (شرح المنظومة الخزرجية) لسعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن قدورة. وكتاب (تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب) لمحمد بن أبي شنب. وكتاب (إتمام الأنس في عروض الفرس) وكتاب (تمهيد العروض في فن العروض) وكلاهما للشيخ طاهر الجزائري. وكتاب (مواهب الكافي على التبر الصافي في نظم الكتاب المسمى الكافي في علمي العروض والقوافي) لإبراهيم بن محمد بن عامر السوفي. وكتاب (شرح الخزرجية في علم العروض والقافية) لأبي القاسم الفتوح بن عيسى الصنهاجي. وكتاب (المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي) لموسى الأحمدي نويوات. ومنظومة (رجز شافي وتبر صافي في نظم الكتاب المسمى بالكافي في علمي العروض والقوافي) للمولود بن محمد الموهوب. ومنظومة (أرجوزة في البحور الشعرية) للسعيد أبهلول. ومنظومة. (روائق الحلل في ألقاب الزّحافات والعلل). ومنظومة (درر النّحور في فك البحور). ومنظومة (أسماء البحور وأوزانها). ومنظومة (مفاتيح البحور). ومنظومة (أوزان البحور السبعة المهملات). ومنظومة (أبيات البحور المهملات ودوائرها). ومنظومة (منظومة في علم العروض)، لمحمد بن أب المزمري التواتي. أي ما مجموعه عشرين 20 عملا. منها 11 كتابا و09 منظومات.

[65]- انظر: سعيد قدورة، تعليق على الخزرجية، مخطوط بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، رقم: 582/2، الدار البيضاء، المملكة المغربية.

[66]- انظر: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، نزهة الأبصار في أوزان الأشعار، دراسة وتحقيق حسام الدين مصطفى محمد، 1436هـ/2015م، ص 44.

[67]- انظر: ابن سعيد المستغانمي، المعادن العسجدية في شرح المنظومة الخزرجية، مخطوط بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، رقم: 410، الدار البيضاء، المملكة المغربية.

[68]- انظر: الشيخ طاهر الجزائري، تمهيد العروض إلى فن العروض، ص 02.

[69]- انظر: أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد، المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، تحقيق ودراسة صباح مجاهدي، رسالة دكتوراه، إشراف محمد ملياني، قسم اللغة العربية، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة وهران1، الموسم الجامعي 2015/2014، ص 84.

[70]- انظر: أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد، المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا

الخزرجية، تحقيق ودراسة صباح مجاهدي، رسالة دكتوراه، إشراف محمد ملياني، قسم اللغة العربية، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة وهران1، الموسم الجامعي 2015/2014، ص 84.

[71]- انظر: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، نزهة الأبصار في أوزان الأشعار، دراسة وتحقيق حسام الدين مصطفى محمد، 1436هـ/2015م، ص 43.

[72]- انظر: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، نزهة الأبصار في أوزان الأشعار، دراسة وتحقيق حسام الدين مصطفى محمد، 1436هـ/2015م، ص 45.

[73]- انظر: الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري، تمهيد العروض إلى فن العروض، طبعت بمطبعة ولاية سورية سنة 1887م.

وقد حققه عمر عدنان الخطيب وأعيد طباعته بدار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 2011م.

[74]- انظر: مجاهدي صباح، الدرس العروضي عند الإمام ابن مرزوق الحفيد التلمساني في كتاب المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، مجلة مقاربات، العدد الرابع، سبتمبر 2015م.

وانظر: وزار سليمان، ابن مرزوق الحفيد وكتابه المفاتيح المرزوقية لحل أقفال واستخراج خبايا الخزرجية، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 16، العدد 01، جانفي 2020م.

[75]- انظر: وزار سليمان، نحو تحقيق مخطوط شرح القصيدة الخزرجية في علم العروض والقافية لأبي القاسم الفتوح عيسى بن أحمد الصنهاجي،

[76]- انظر: بوعبد الله لعبيدي، منهج الشرح عند الشيخ أطفيش من خلال كتاب إيضاح الدليل إلى علم الخليل، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 12، سنة 2011م.

وانظر: عاشور سرقمة، منهج القطب أطفيش في حاشيته المسماة إيضاح الدليل إلى علم الخليل، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 12، سنة 2011م.

[77]- انظر: ابن سعيد المستغانمي، المعادن العسجدية في شرح المنظومة الخزرجية، مخطوطة بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز بن سعود، الدار البيضاء، المملكة المغربية، رقم: 410.

[78]- انظر: أبو العباس النقاوسي، شرح القصيدة الخزرجية، تحقيق لؤي بن البدر العتيبي، نشرت سنة 1439هـ.

[79]- انظر: عثمان سعيد قدورة، مخطوطة بمكتبة مؤسسة عبد العزيز بن سعود بالدار البيضاء، المملكة المغربية، رقم: 582/2.

[80]- وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عامر السوقي في كتابه: (مواهب الكافي على التبر الصافي في نظم الكتاب المسمى الكافي في علمي العروض والقوافي، حققه وعلقه عليه وشرح غوامضه، مراد مزعاش، نشر مركز المنار، وطبعته دار رؤى فكرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر سنة

2021.

[81]- ماجد أبو ماضي، السير جمالي اللغوي والأدبي في كتاب تحفة الأدب للدكتور محمد بن أبي شنب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 85، الجزء الأول، محرم 1431هـ/كانون الثاني 2010م. ص 84.

[82]- انظر: طاهر الجزائري، إتمام الأنس في عروض الفرس، تحقيق محمد نعيم الميداني، طبع ونشر مكتبة دار الدقاق، دمشق سورية، 1437هـ/2016م.

[83]- انظر: طاهر الجزائري، تمهيد العروض إلى فن العروض، طبع بمطبعة ولاية سورية، سنة 1887م.

[84]- انظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، الوافي في معرفة القوافي، تحقيق ودراسة نجاة بنت حسن بن عبد الله نولي، طباعة ونشر الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1997م.

انظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، نزهة الأبصار في أوزان الأشعار، دراسة وتحقيق حسام الدين مصطفى محمد، 1436هـ/2015م.

وانظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، نزهة الأبصار في أوزان الأشعار، تحقيق ودراسة أمين عبد الله سالم، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، 1437هـ/2016م.

[85]- انظر: لمولود بن الموهوب، رجز شافي وتبر صافي في نظم الكتاب المسمى بالكافي في علمي العروض والقوافي، المطبعة الرسمية التونسية، 1310هـ1893م.

[86]- انظر: لمولود بن الموهوب، رجز شافي وتبر صافي في نظم الكتاب المسمى بالكافي في علمي العروض والقوافي، المطبعة الرسمية التونسية، 1310هـ1893م.

[87]- انظر: لمولود بن الموهوب، رجز شافي وتبر صافي في نظم الكتاب المسمى بالكافي في علمي العروض والقوافي، المطبعة الرسمية التونسية، 1310هـ1893م.

وقد كان عرض القنائي الخواص مسائل علمي العروض والقوافي في كتابه كالتالي: العلم الأول: علم العروض وفيه مقدمة، وبابان، وخاتمة. المقدمة في أحرف التقطيع والأجزاء التي تتكون منها التفاعيل. الباب الأول في ألقاب الزحاف والعلل. الباب الثاني في أسماء البحور، وأعاريضها، وأضربها. والخاتمة في ألقاب الأبيات وغيرها.

والعلم الثاني: علم القوافي، وفيه خمسة أقسام: الأول: في تعريف القافية واختلاف العلماء في تحديد حروفها. الثاني: في حروفها، والثالث: في حركاتها. والرابع: في أنواعها. والخامس: في عيوبها.

انظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عباد بن شعيب القنائي المعروف بالخواص، الكافي في علمي العروض والقوافي، تحقيق عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية،

القاهرة، الطبعة الأولى 1427هـ 2006م.

[88]- محمد بن أب المزمري، روائق الحلل في ألقاب الزحافات والعلل، مخطوط رقم: 20452، مخطوطات مكتبة تمبكتز، مالي.

[89]- مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار.

[90]- مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار.

[91]- انظر: الجيلالي بوعافية، درر النحور في فك البحور للمزمري دراسة وتحقيق، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب أفريقيا، أدرار الجزائر، العدد السابع، سبتمبر 2015م.

[92]- مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار.

[93]- مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار.

[94]- محمد الطاهر فضلاء، كتاب أعلام الجزائر، محمد السعيد أبهلول في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه، دار هومة، الجزائر 2004م.

[95]- انظر: لمولود بن الموهوب، رجز شافي وتبر صافي في نظم الكتاب المسمى بالكافي في علمي العروض والقوافي، المطبعة الرسمية التونسية، 1310هـ1893م.

وقد كان عرض القنائي الخواص مسائل علمي العروض والقوافي في كتابه كالتالي: العلم الأول: علم العروض وفيه مقدمة، وبابان، وخاتمة. المقدمة في أحرف التقطيع والأجزاء التي تتكون منها التفاعيل. الباب الأول في ألقاب الزحاف والعلل. الباب الثاني في أسماء البحور، وأعاريضها، وأضربها. والخاتمة في ألقاب الأبيات وغيرها.

والعلم الثاني: علم القوافي، وفيه خمسة أقسام: الأول: في تعريف القافية واختلاف العلماء في تحديد حروفها. الثاني: في حروفها، والثالث: في حركاتها. والرابع: في أنواعها. والخامس: في عيوبها.

انظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عباد بن شعيب القنائي المعروف بالخواص، الكافي في علمي العروض والقوافي، تحقيق عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى 1427هـ 2006م.

[96] - انظر: الجيلالي بوعافية، درر النحور في فك البحور للمزمري دراسة وتحقيق، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب أفريقيا، أدرار الجزائر، العدد السابع، سبتمبر 2015م.

[97] - بوعبد الله لعبيدي، منهج الشرح عند الشيخ أطفيش من خلال كتابه إيضاح الدليل إلى علم الخليل، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 12، سنة 2011، ص413.

[98] - بوعبد الله لعبيدي، منهج الشرح عند الشيخ أطفيش من خلال كتابه إيضاح الدليل إلى علم الخليل، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 12، سنة 2011، ص414 وما بعدها.

وانظر أيضا: عبد الناصر عساف، إتمام الأنس في عروض الفرس لطاهر الجزائري قراءة في النص والتحقيق، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد91، الجزآن 4/3، 1439هـ/2018م، ص331.

[99]- ابن مرزوق الحفيد، المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، تحقيق ودراسة مجاهدي صباح، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بن بلة وهران، إشراف محمد مليانيـ الموسم الجامعي 2015/2014م، ص 86.

[100]- انظر مثلا: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، الوافي في معرفة القوافي، تحقيق ودراسة نجاة بنت حسن بن عبد الله نولي، طباعة ونشر الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1418ه/1997م، ص 49،47، 187، 226، 308، وغيرها من الصفحات...

[101] - ديمة الشكر، علم العروض في عصر النهضة، النشرة الإخبارية للدراسات الشرقية، المجلد التاسع والخمسون، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى دمشق، سنة 2010، ص 54.

[102] - ماجد أبو ماضي، السير جمالي اللغوي والأدبي في كتاب تحفة الأدب للدكتور محمد بن أبي شنب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 85، الجزء الأول، محرم 1431ه/كانون الثاني 2010م. ص 84.

[103]- انظر: انظر: عبد الجليل مرتاض، فضاءات لغوية في المتوسط الكافي للعلامة موسى الأحمدي نويوات، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 15، صيف 2006، ص 174.

[104]- انظر: ما جد أبو ماضي، السبر الجمالي اللغوي والأدبي في كتاب تحفة الأدب للدكتور محمد بن أبي شنب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 85، العدد 01، ص 89.

[105]- انظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، الوافي في معرفة القوافي، تحقيق ودراسة نجاة بنت حسن بن عبد الله نولي، طباعة ونشر الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1418ه/1997م.

انظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، نزهة الأبصار في أوزان الأشعار، دراسة وتحقيق حسام الدين مصطفى محمد، 1436ه/2015م.

وانظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي، نزهة الأبصار في أوزان الأشعار، تحقيق ودراسة أمين عبد الله سالم، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، 1437ه/2016م.

[106]- انظر: الشيخ طاهر الجزائري، إتمام الأنس في عروض الفرس، تحقيق محمد نعيم الميداني، مكتبة دار الدقاق، دمشق سورية، 2016م.

[107]- انظر: الشيخ طاهر الجزائري، تمهيد العروض إلى فن العروض، مطلعة ولاية سورية، دمشق، 1304ه/1886م.

[108] - صابر الحباشة، الأبعاد التّداولية في شروح التّلخيص للقزويني، الدّار المتوسطية للنّشر، تونس بيروت، الطبعة الأولى، 1431ه/2010م، ص 19/18.

التوجيه اللغوي للمعاني القرآنية في تفسير هود بن محكم الهواري الجزائري

أ.د/أبوبكر بوقرين- مدير مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات

-جامعة عمار ثليجي بالأغواط-

مقدمة:

لقد طالعنا القرن الثالث الهجري بعدد من العلماء الأعلام في شتى مجالات العلوم والحضارة، فنجد منهم في التفسير الإمام الطبري، وفي الحديث الإمام البخاري ومسلم، وسيبويه في النحو، والرازي في الطب، وفي التاريخ اليعقوبي، وفي الأدب الجاحظ، وغيرهم من العلماء الذين رسموا صورة الحضارة الإسلامية في هذا القرن في مختلف الفنون والعلوم.

ومنهم هود بن محكم الهواري الجزائري، الذي مثّل في هذا القرن مرحلة مهمة في تطوير التفسير جمعت بين الاهتمام بالأثر، وتوجيه المعاني القرآنية توجيها لغويا.

كما أنه يمثل اتساع المد الحضاري الإسلامي من الكوفة والبصرة وبغداد إلى شمال إفريقيا، وسعة التأثير والتأثر العلمي في باب التفسير بين مذاهب العقيدة المختلفة.

وعلى هذا، نضع السؤال التالي بين يدي هذا البحث: ما هي صور التوجيه اللغوي للمعاني القرآنية في تفسير هود بن محكم؟ ومن هو هود الهواري؟ وما تفسيره؟

وللوصول إلى هذا المنجز اللساني في تفسير هود، وجب أن نتعرف على هود بن محكم الجزائري، ونعرف تفسيره قبل البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس، ولذلك تمثلت عناصر البحث في ثلاث خطوات، التعريف بالمفسر، ثم التعريف بالتفسير، وأخيرا عرض صور التوجيه اللغوي للمعاني القرآنية في تفسيره، بداية من الكلمة إلى التركيب ثم النص والخطاب، وقد اخترنا من تفسيره سورة الفاتحة والبقرة نموذجا، وختمنا بحثنا هذا بخاتمة سجلنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

واخترنا عنوانا لهذا البحث هو: التوجيه اللغوي للمعاني القرآنية في تفسير هود بن محكم الهواري الجزائري، لتحقيق الغاية الكبرى لهذا الملتقى الذي يبحث في: جهود علماء الجزائر القدامى في خدمة اللغة العربية قراءة في المنجز اللساني، ضمن المحور الأول بعنوان: الإنتاج اللغوي لعلماء الجزائر ومضامينه المعرفية والمنهجية.

ومنهج البحث الذي نعتمده في عرض صور التوجيه اللغوي للمعاني القرآنية في تفسير هود هو المنهج الاستقرائي التحليلي، فقد قمنا بجمع الأمثلة من تفسير سورة الفاتحة والبقرة، ثم صنفناها ورتبناها وفق التحليل اللساني؛ انطلاقا من الكلمة إلى التركيب ثم النص والخطاب، مع التعليق على بعض الأمثلة وتحليل أسلوب المفسر في كيفية توظيفه للغة في توجيه الدلالة، ثم الانتقال بعدها إلى استنتاج قواعد عامة في تفسير هود من خلال النموذج المدروس.

هذا، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع للتعريف بالتفسير والمفسر منها: فؤاد سزكين في: تاريخ التراث العربي، ومحمد بن رزق في: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، أما في البحث عن الأمثلة في التفسير فقد اعتمدنا: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي، مع النظر أحيانا في بعض التفاسير للوقوف على المعنى المختار عند هود.

ونفترض في الأخير أننا سنقدم نموذجا مهما في مجال التفسير يمثل بحق علماء الجزائر، وحضارة الإسلام في القرن الثالث الهجري، أولا: لقدمه؛ فهو يعتبر أقدم تفسير لعالم جزائري، وثانيا: لمضمونه؛ فهو التفسير الذي مثل مرحلة مهمة من تاريخ التفسير في الجمع بين المأثور والرأي مع الانفتاح على مختلف المدارس العقدية والفكرية، فنجد فيه صورا من البراعة اللسانية في توجيه المعاني القرآنية يستمدها من روح الزمان الحضاري وعمق المكان الفكري.

1 - التعريف بالمفسر:

المصادر التي أشارت إلى هود بن محكم شحيحة، ومنها: تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، إذ يقول عنه: (هو هود بن محكم الهوّارى، كان أبوه قاضيا في عهد الإمام أفلح الرّستمي (عاش من سنة 208 هـ/ 823 م- 258 هـ/ 871 م)، مؤلف تفسير القرآن للإباضية الذى وصل إلينا، وعاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.)[1] فمن

هذا التعريف المقتضب نستنتج نسبته إلى أبيه القاضي، والعهد الذي عاش فيه عهد الإمام أفلح الرستمي[2]، والفترة التي عاشها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وأن تفسيره هذا كتب على مذهب الإباضية.

أما نسبته إلى قبيلة هوارة فقد ذكرها المحقق لتفسير هود بقوله: (..قبيلة هوارة هي من قبائل البرانس البربرية وقد سكنت بطونها عدة مواطن في إفريقية والمغرب. وسكنت بطون منها جبل أوراس ونواحيه..)[3] فهو بالتالي عالم جزائري، من أوائل من كتبوا في تفسير كتاب الله العزيز.

هذا، وقد اشتهرت سيرة أبيه القاضي أكثر منه، كما يبين ذلك شريفي، بقوله: (إن محكما الهواري معروف لدينا أكثر من ابنه هود، ذلك أن ابن الصغير وهو قريب عهد بعصره، قد حفظ لنا نبذة عن حياته، ومواقفه الجريئة في القضاء فهو يصفه لنا قاضيا عدلا تقيا ورعا قويا في دينه متينا في أخلاقه يجهر بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم..)[4] فمن كانت هذه سيرة أبيه الحكم الورع التقي، فلا عجب أن يكون ذلك المفسر الورع التقي الذي نشأ في هذه البيئة الكريمة.

فقد قضى هود فترة صباه وشيئا غير قليل من شبابه في موطنه بأوراس حيث أخذ جل علومه،[5] وكانت مدينته تاهرت قد ازدهرت فيها الحياة العلمية في عهد الدولة الرستمية وخاصة في عهد الأئمة عبد الوهاب وابنه أفلح وحفيده أبي اليقظان.. واشتدت فيها المناظرات العلمية وساد التسامح بين المذاهب والطوائف..[6]

فهذه البيئة العلمية التي نشأ فيها هود لا شك أنها أثرت في تكوينه، وصبغته بصبغة تجمع بين الاهتمام بالأثر وإعمال العقل، فهل نجد في تفسيره هذا الجمع بين النقل والعقل؟

2 – التعريف بالتفسير:

القرن الثالث الذي كتب فيه تفسير هود، امتاز بتدوين العلوم وجمع مسائلها وترتيب أبوابها، واتسعت دائرة اهتمامهم العلمي لتشمل إلى جانب العلوم الدِّينية العلوم العقلية، فألفوا في: علم القراءات والتفسير وعلوم الحديث وعلم الفقه والأصول وتدوين علم النحو واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا وعلم الطب[7] وغيرها من العلوم الدينية والعقلية.

ولقد بلغ تطور التفسير في القرن الثالث مرحلة راقية من الشمول والجمع بين مدرستي الأثر والرأي، وفي هذا القرن تضمنت كتب "التفسير: الأحاديث النبوية المفسرة وأقوال الصحابة التفسيرية" وكذا أقوال التابعين.[8]

كما بدا الاتجاه اللغوي في التفسير واضحا في أواخر القرن الثاني الهجريّ وأوائل القرن الثّالث إذ نشأ علم النّحو، ونضجت علوم اللغة على أيدي الرّوّاد أمثال أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد الفراهيديّ، وغيرهم...[9]

فهذه الملامح المميزة لهذا القرن نجدها واضحة في تفسير هود، فنجده يكثر النقل عن ابن عباس والحسن وغيرهما، ويستشهد بالحديث النبوي، ويهتم بالقراءات ووجوه الدلالات، ويوجه المعاني القرآنية بالأدلة اللغوية.

فإنا نجده يقول في تفسيره مبينا أهمية علوم القرآن وخاصة العربية منها: (..وإنه لا يعرف تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة خصلة: المكي والمدني والناسخ والمنسوخ والتقديم والتأخير والمقطوع والموصول والخاص والعام والإضمار والعربية.)[10]

أما من أشاروا إلى تفسير هود ووصفوه وأثبتوا نسبته إليه، نجد منهم: محمد بن رزوق في كتاب: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، غير أنه وضعه في أمثلة الرأي المذموم، بحسب معياره الخاص الذي حكم به على المفسرين وصنفهم، فقال عنه: (..تفسير هود بن محكم الهواري الإباضي من خلال كتابه تفسير كتاب الله العزيز، مؤلف هذا التفسير هو هود بن محكم الهواري إباضي من علماء النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة والنصف الأول من القرن الثالث جزائري من أهل المنطقة.)[11]، وأحسب أن مثل هذه الأحكام تفتقر إلى الموضوعية العلمية وأنها لم تعرف للمفسر والتفسير قدره العلمي.

وقد أوضح بالحاج بن سعيد شريفي، محقق تفسير هود، أن أقدم مصدر أشار إلى تفسير الشيخ هود الهواري هو كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا.[12]

وظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرنًا منسيا مغمورًا إلى أن ظهرت مخطوطاته المتفرقة في بعض الخزائن الخاصة، وهي خزائن لعلماء من القرون الأربعة الأخيرة

يحتفظ بها أبناؤهم وحفدتهم وهي موجودة في وادي ميزاب جنوب الجزائر بمدن العطف، وبني يسجن، والقرارة، وفي جزيرة جربة، بالبلاد التونسي.[13]

وقد أضاف شريفي -نقلا عن ابن خلدون في العبر وأبي عبيد البكري في المغرب- أن المصادر الإباضية القديمة هي وحدها التي أشارت إلى هذا التفسير، وهي تتفق بشأنه على أمور ثلاثة:

1 – صاحب هذا التفسير هو الشيخ هود بن محكم الهواري

2 – أثبتت كتب السير والتاريخ اسم المؤلف في الطبقة السادسة من طبقات العلماء وهم الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي.

3 – ينتسب هذا العالم إلى قبيلة هوارة البربرية التي كانت تسكن بطون منها ولاتزال جبال أوراس ونواحيها بغرب إفريقية الإسلامية بلاد الجزائر الآن.[14]

وانتهى شريفي إلى خلاصة مفادها: (.. بعد أكثر من عشر سنوات من التحقيق والمقارنة والاستقراء أستطيع أن أقول بدون تردد إن الشيخ هودا الهواري اعتمد اعتمادا كثيرا إن لم أقل اعتمادا كليا على تفسير ابن سلام البصري...)[15]

وقال أيضا عن هذه الصلة الوثيقة بين التفسيرين: (..ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنوانًا غير الذي وجدته في المخطوطات لكان العنوان هكذا: تفسير الشيخ هود الهواري.. مختصر تفسير ابن سلام البصري، لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود الهواري ما في ذلك شك، وهذا هو عين الحقيقة والصواب. والأمانة العلمية تقتضيني أن أجلو هذا وأبينه في تقديمي للكتاب)[16]

وبين أن هذا الاختصار لا يعد عيبا في تفسيرنا هذا بل هو مزية له وإضافة علمية ماكان لنا أن نجد ثمرتها لو لم يكن هذا التفسير بين أيدينا الآن، وإن كان بينهما قرن من الزمان. يقول موضحا: (..فهو يعد بحق أول مختصر لتفسير ابن سلام البصري ولو لم يكن له من مزية إلا أنه حفظ لنا تفسير ابن سلام في صورته الكاملة أو القريبة من الكمال لكفاه فخرا وفضلا، لأن مخطوطات تفسير ابن سلام لا تزال ناقصة، وإذا ما قورن تفسير الهواري بتفسير ابن أبي زمنين فإنه يعتبر أقدم عهدا

منه وأقرب إلى زمن المؤلف وأكبر حجما وأغزر مادة وأكثر فائدة لأنه حوى من الآثار ومن الأخبار المفيدة ما لا يوجد في تفسير ابن أبي زمنين..)[17]

فهذا هو تفسير هود وهذا زمنه وهذه شخصيته التي تعرفنا عليها، فكيف جمع لنا هود بين النقل عن الصحابة والتابعين، وتوجيه المعاني القرآنية توجيها لغويا يبين به المقصد والمعنى الذي رجحه في كتاب الله العزيز؟

3 - صور التوجيه اللغوي للمعاني القرآنية في تفسير هود:

نستعرض وإياكم المنجز اللساني لهود بن محكم من خلال تفسيره لسورة الفاتحة والبقرة، وكيف وجه المعاني القرآنية توجيها لغويا، فقد اخترنا أمثلته ورتبناها ترتيبا لسانيا من البنية الصغرى إلى الكبرى، فبدأنا بالصرف والإعراب ومثلنا لبراعته في اختيار الكلمة وتصريفاتها وما يترتب عليها من تغير إعرابي ودلالي، ثم دراسة المعجم ودلالة الكلمة وأثرها في معنى الآية القرآنية، لننتقل بعد دراسة الكلمة إلى دراسة التركيب واختلاف الوجوه الإعرابية والدلالية للجملة، التي قد تكون أيضا بسبب تنوع القراءات القرآنية، ودراسة بعض الظواهر التركيبية البلاغية كدراسة المحذوف في التركيب وما يترتب عليه من تقدير، ودراسة الأمثال وما يتطلبه من إدراك لمعاني الصور البيانية، وننتهي بعد ذلك إلى دراسته الفواصل البيانية وأثرها في الدلالات القرآنية، لنختم عرض هذه الصور التوجيهية باعتماده تفسير القرآن بالقرآن، والذي يمثل نظرة كلية للمعاني القرآنية، فيشفع بالمعنى الواضح في سياقه، للمعنى الغامض في سياق آخر.

3 – 1 - اهتمامه بالصرف والإعراب:

نجده يأتي بالكلمة ووجوه تصريفها وإعرابها مبينا معناها في هذه الحالات كقوله في شرح كلمة (مالك) من سورة الفاتحة: (..(مالك يوم الدين) ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبابكر وعمر كانوا يقرأونها (مالك يوم الدين) وتفسيرها على هذا المقرإ مالكه الذي يملكه من قبل المِلك وبعضهم يقرأونها (ملك يوم الدين) يعنون بهذا المقرإ أنه من قبل المُلك وبعضهم يقرأها (مالكَ يوم الدين) يجعلها نداء وتفسيره على الدعاء: يا مالك يوم الدين ..)[18] فنجد هنا دلالات الكلمة تختلف باختلاف تصريفها وإعرابها بين: مالك وملك ومالكَ يوم الدين.

ونجده يلاحظ فرقا تصريفيا بين كلمتين من جذر واحد أولاهما ثلاثية والثانية رباعية وتختلف دلالتهما باختلاف القراءة. يقول: (.. (بما كانوا يكذبون) مخففة، أي بقولهم: إنا مؤمنون وليسوا بمؤمنين إذ لم يستكملوا فرائض الله ولم يوفوا بها. فهذا تفسير من قرأها بالتخفيف. ومن قرأها بالتثقيل (بما كانوا يكذّبون) فهو يريد بعض العمل أيضا تكذيب. يقول: إن التكذيب تكذيبان: تكذيب بالقول وتكذيب بالعمل..)[19] فهذه ملاحظة دقيقة في زيادة المعنى بزيادة التضعيف بين معنى القول في التخفيف ومعنى العمل في التشديد، أو معنى صدور الكذب منهم في التخفيف، وتكذيبهم ما صدر من النبي صلى الله عليه وسلم بالتثقيل، وهو أشنع، فكان أشد في الصوت أيضا.

وكذلك نجده في قوله تعالى يميز بين التنكير والتعريف في قوله: (..(اهبطوا مصرا) يعني مصرا من الأمصار، وتفسير الكلبي: اهبطوا مصر بغير ألف يعني مصر بعينها..)[20]

3 – 2 - اهتمامه بالمعجم لبيان دلالة الآية:

وفي اهتمامه بدلالة الكلمة من خلال علاقتها بما معها من الكلمات في التركيب، يشرح كلمة المرض بالنفاق، مؤكدا نسبته إلى القلب كما في سياق الآية. يقول: (..(في قلوبهم مرض) يعني بذلك النفاق. يقول: في قلوبهم نفاق، فنسب النفاق إلى القلب...)[21]

وفي قوله تعالى: (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يبين معنى كلمة الكتاب ومعنى كلمة الفرقان بقوله: (..الكتاب: التوراة، والفرقان: حلالها وحرامها..)[22]

وكذلك في قوله تعالى: (صبغة الله) يبين معنى كلمة (صبغة) بقوله: (..(صبغة الله) أي: دين الله (ومن أحسن من الله صبغة) أي: ومن أحسن من الله دينا)[23]

أما في قوله تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم) فيشرح معنى كلمة (يزكيكم) بقوله: (..أي: ويطهركم من الشرك)، ثم يشرح كلمتي الكتاب والحكمة من قوله تعالى: (ويعلمكم الكتاب والحكمة) يقول: (..الكتاب: القرآن والحكمة: السنة.)[24]

ويبين معنى الآية: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) ببيان معنى كلمة (أندادا) فيقول: (..أي: أعدالا يعدلونهم بالله، يعني: ما يعبدون من دون الله (يحبونهم) أي: يحبون آلهتهم التي يعبدون (كحب الله) إذ جعلوهم آلهة كحب المؤمنين الله، قال الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) من المشركين لآلهتهم.)[25]

كما نجده يبين اختلاف المعنى المعجمي للكلمة بحسب اختلاف الأمصار كما في معنى كلمة (القرء) من قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) يقول: (..والقرء: الحيض في قول أهل العراق، وفي قول أهل المدينة القرء: هو الطهر.)[26]

وكذلك نجده في أغلب الآيات القرآنية يكتفي ببيان دلالة الكلمة ليبين بها معنى الآية، ففي قوله تعالى: (فمن يكفر بالطاغوت) يقول: (..الطاغوت هو الشيطان..)[27] وفي قوله تعالى: (تعرفهم بسيماهم) يقول: (..(تعرفهم بسيماهم) أي: بعلاماتهم (لا يسألون الناس إلحافا) أي: إلحاحا..)[28] فيصل بذلك إلى معنى الآية بمعنى الكلمة المفردة.

3 - 3 - اهتمامه بالإعراب وقضايا التركيب:

نجد هود بن محكم يهتم بالإعراب على وجه واحد في الغالب ولا يذكر وجوه الإعراب في الحالة الواحدة، ففي قوله تعالى: (مثلا ما بعوضة فما فوقها) يقول في (ما): (..وما هاهنا كلمة عربية ليس لها معنى؛ زيادة في الكلام، وهو في كلام العرب سواء: بعوضة فما فوقها، وما بعوضة فما فوقها..) [29] فنجده قد قدم وجها واحدا في إعراب (ما) وهي أنها زائدة، بينما نجد أنها تكون بمعنى (الذي) كما في تفسير الطبري: (وأما "ما" التي مع "مثل"، فإنها بمعنى "الذي"، لأن معنى الكلام: إن الله لا يستحيي أن يضرب الذي هو بعوضةً في الصغر والقِلة فما فوقها - مثلا.) [30] وقد تكون صفة للنكرة[31] وغير ذلك من وجوه إعرابها ودلالاتها.

وعلى إثر ذلك نجده لا يقدم أكثر من وجه إعرابي في التركيب الواحد، بل يكتفي بأقرب الوجوه إلى المعنى الظاهر، كما في قوله تعالى: (وإن منها لما يهبط من خشية الله) يقول: (..واللام هاهنا صلة.)[32]، ففعل معها مثلما فعل مع (ما) في المثال السابق، واعتبرها صلة، ولم يذكر أنها للابتداء مثلا وأن وظيفتها الدلالية التوكيد.

في حين نجده يهتم ببعض القضايا التركيبية في نظم القرآن كاهتمامه بالتقديم والتأخير وبيان المعنى من ذلك كما في قوله تعالى:(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) يقول: (..(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) قال الحسن: إنما سألوا عن قتال فيه. وهذا تقديم وتأخير: يقول: يسألونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام عن قتال فيه..)[33]

3 - 4 – اهتمامه بالقراءات واختلاف الدلالات:

وهذه تعد من الصور البارزة في تفسير هود فهو يهتم كثيرا بالقراءات واختلاف المعاني المترتب عليها، كما في قوله تعالى: (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) [34] يقول فيها: (..وهي تقرأ على ثلاثة أوجه: بالتاء جميعا (تردون وتعملون) والوجه الآخر بالياء، يقول للنبي: (يردون ويعملون) والوجه الثالث يقوله لهم: ..يردون .. تعملون..) [35] فهنا وجه الآية إلى ثلاثة معان بحسب القراءات.

وكذلك في قوله تعالى: (ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم) يقول: (..أي: ولا تُسأل عنهم إذا أقمت عليهم الحجة، وهي تقرأ على وجه آخر (ولا تَسأل عن أصحاب الجحيم) فمن قرأها بالنصب قال: النبي عليه السلام سأل عن أمه..)[36] فاختلفت الدلالة باختلاف القراءة كما بينها، وإن كان المعنى الثاني مجافيا للبلاغة في مقام التأنيس كما أشار ابن عاشور رحمه الله.[37]

3 - 5 – اهتمامه بتقدير المحذوف في الخطاب:

فإذا كان في التركيب محذوف فإن هود بن محكم يسعى إلى تقديره لبيان المعنى في الآية القرآنية، كما في قوله تعالى: (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم) يقول: (.. (فاذكروني أذكركم) فاذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي. (واشكروا لي ولا تكفرون) أي ولا تكفروني النعمة وهذا الكفر في هذا الموضع كفر النعم.)[38] فتقدير المفعول بعد (تكفرون) يحتاج إلى بيان، قدّره بالنعمة، فأصبح المعنى: ولا تكفروني النعمة، والأمر نفسه في الشكر، أما في الذكر قبله فمفعوله مذكور، ومضمونه أو كيفيته محذوفة، فقدر ذكرهم بالطاعة له، وذكره بالرحمة لهم.

وقد يجمع بين بيان معنى الكلمة وتقدير المحذوف في التركيب حتى يتضح الأمر، فيقول مثلا في: (.. قوله تعالى: (قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) بمحمد وأصحابه، وتفسير الاستهزاء في هذا الموضع: إنما نحن مخادعون محمدا وأصحابه..)[39] فنجده قد قدر المحذوف (بمحمد وأصحابه) وبين دلالة الاستهزاء بالخداع.

ويقول أيضا في تقدير المحذوف من: (..قوله تعالى: (فهم لا يرجعون) أي: إلى الإيمان. يعني أنهم لا يتوبون من نفاقهم.)[40] فهنا يقدر المحذوف أيضا ولكنه لا يبين سبب الحذف ومقصده البلاغي، أو تعدد الدلالة بسبب الحذف.

ويقول في تقدير المحذوف من قوله تعالى: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا): (..أي وجوهكم في الصلاة (فثم وجه الله) أي فثم الله، وقال بعضهم: فثم قبلة الله..) [41] فالفعل (تولوا) محذوف ما بعده، قدره بالوجوه، والوجه مذكور في: (فثم وجه الله) فأوله بحذف المذكور (وجه)، أو تعويضه بالقبلة بدل الوجه، وهذه من مسائل الاعتقاد التي تناقش في بابها.

وكذلك نجده يبين معنى الآية بتوضيح معنى المفردة وتقدير محل وقوع معناها، دفعا لما قد يقع من اللبس في المعنى، في قوله: (..(الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) أي: من الشاكين؛ أنهم يعرفون أنك رسول الله ويعرفون الإسلام.[42] يبين محل الشك هنا، فيم كان؟ فالشك منه صلى الله عليه وسلم لم يكن في الحق المخبر عنه، وإنما في علمهم بما استيقنته قلوبهم وجحدوه.

وكذلك يفعل في سائر الآيات التي تحتاج إلى تقدير محذوف، فتجده يقول في: (..قوله تعالى:(فلا تخشوهم) في أمر الله، أي: امضوا على ما أمركم به (واخشوني) أي: في تركه..)[43] وفي: (.. قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم) أي في الآخرة (ولا هم يحزنون) أي على الدنيا.) [44]

وفي آية الدين يتوسع في المعنى ليفيد إفادة متعلقة بالبيع في حال الدين من خلال قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل)، يقول هود: (..(وليكتب بينكم كاتب بالعدل) بين البائع والمشتري، يعدل بينهما في كتابه، لايزيد على المطلوب، ولا ينقص من حق الطالب.)[45] ثم يقف على معنى السفيه والضعيف فيتوسع في معناه بالجهل والعجز والخرق والحمق، فيقول: (..(فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا) يعني جاهلا بالأموال[46] أو عاجزا أو أخرق أو أحمق (أو لا يستطيع أن يمل هو) يعني: الذي عليه الحق لا يحسن أن يمل..)[47]

وفي ختام سورة البقرة نجده يميز بين معنيين يقدر فيهما المحذوف من الخطاب في النسيان والخطأ فيقول: (..(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا) هذا فيما يتخوف العبد فيه المأثم، أن ينسى أن يعمل بما أمر به، أو ينسى فيعمل بما نهي عنه. (أو أخطأنا) هذا فيما يتخوف فيه العبد المأثم أن يخطئ فيكون منه أمر يخاف فيه المأثم لم يتعمده، فوضع الله ذلك عنه..)[48]

وعليه، فإن هذه الصورة من صور توجيه المعنى بتقدير المحذوف نجدها ميزة كثيرة الورود في تفسير هود، فهو إما يقدر المحذوف أو يتوسع في المعنى أو يقدر المحذوف مميزا بين مفردتين في سياق واحد.

3 - 6 – اهتمامه بتأويل الأمثال:

ومن اهتمامه بتأويل الأمثال يؤول الظلمات بالشدة والرعد بالخوف والبرق بنور الإسلام والقرآن. فيقول: (..قوله تعالى: (أو كصيب من السماء) .. مثل المنافق والصيب المطر .. (فيه ظلمات ورعد وبرق) قال بعضهم " كان المنافقون إذا أصابوا في الإسلام رخاء وطمأنينة طابت أنفسهم بذلك وسروا به في حال دنياهم، وإذا أصابتهم فيه شدة لم يصبروا عليها ولم يرجوا عاقبتها، فالظلمات هي الشدة، والرعد هو التخوف إذا تخوفوا أن تأتيهم شدة، والمطر فيه الرزق وتكون فيه الظلمة والرعد والبرق، فضرب الله ذلك مثلا، والبرق مثل نور الإسلام في تفسير الحسن وقال ابن عباس: هو نور القرآن. وهو واحد.)[49]

وفي قوله تعالى: (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) يقول في تأويلها: (..وهذا كراهية من المنافقين للجهاد لأنهم لم تكن لهم حسبة في الشهادة والجهاد في سبيل الله.)[50] فنظر بذلك إلى حال المنافق مع الموت وأوّل الصواعق بداعي الجهاد يدعوهم فيمتنعون من السماع بوضع أصابعهم خشية السماع لطلب الموت في سبيل الله.

وفي قوله تعالى: (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار) يبين معنى المثل وغايته بقوله: (..والإعصار الريح الشديدة التي فيها النار(فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) يقول: هل منكم من يود ذلك؟ على وجه الاستفهام أي: ليس منكم من يود ذلك، يقول: فاحذروا ألا تكون منزلتكم عند الله كذلك، أحوج ما تكونون إلى أعمالكم يحبطها ويبطلها، فلا تقدرون منها على شيء، فكما لا يسركم ذلك في حياتكم، فكذلك لا يسركم ذلك في الآخرة، وهذا مثل ضربه الله لكم لعلكم تتفكرون.)[51] فهو لا يقف عند بيان معنى المثل ظاهريا فحسب، بل يظهر لك الغاية من ضرب المثل.

3 - 7 – اهتمامه بالفواصل البيانية:

ومن الصور المميزة عند هود في توجيه المعاني القرآنية اهتمامه بالفواصل البيانية، خاصة ما تعلق منها بالأسماء الحسنى، فهي تعد ظاهرة تركيبية، وصوتية جمالية، ومعجمية دلالية، وبلاغية بيانية، ولها أثر في الانسجام النصي والتماسك الدلالي، ولذلك أخرنا ذكرها إلى ما بعد الحديث عن القضايا التركيبية من إعراب وتقدير للمحذوف وضرب للأمثال.

فتجده يتناولها بطريقة تشبه ما وقفنا عليه في تقدير المحذوف، يقول: (..في قوله تعالى: (واعلم أن الله عزيز) أي: في ملكه (حكيم) أي: في أمره... (والله واسع) لخلقه (عليم) بأمرهم.)[52] وكذلك في قوله تعالى: (واعلموا أن الله غني حميد) يقول: (..أي غني عما عندكم لمن بخل بصدقته، حميد لمن احتسب بصدقته.)[53]

وهذا التوسع في معنى الفاصلة البيانية يعرض لك به المعنى المجمل للآيات القرآنية، فيقول مثلا في قوله تعالى: (والله واسع عليم) (..أي واسع لخلقه عليم بأمرهم.)[54] ربطا لمعنى الفاصلة القرآنية بالمعنى العام للآيات قبلها.

كما تجده يربط بين معنى الفاصلة القرآنية وما قبلها في سياق الآية القرآنية، كما يقول في قوله تعالى: (..(وما تنفقوا من خير) من مال[55] (فإن الله به عليم) أي يحفظه لكم حتى يجازيكم به.[56]

3 - 8 - تفسير القرآن بالقرآن:

وتفسير هود بن محكم يتميز أيضا برؤية شاملة لمعاني الخطاب القرآني، فنجده يفسر الآية بغيرها من آي القرآن. فيفسر الكلمة بمعنى يثبته من آية أخرى كما في قوله: (..قال تعالى:(فإن لم تفعلوا) أي فإن لم تستطيعوا (ولن تفعلوا) أي ولن تقدروا على ذلك ولا تفعلونه، أي ولا تستطيعونه. وهذا الحرف يثبت أن الاستطاعة مع الفعل كقول الحوارين (هل يستطيع ربك) أي: هل يفعل ربك.)[57] فأول الآية بتأويل الثانية في سياق آخر.

وفي قوله تعالى: (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) يقول في بيان معنى (الميثاق): (..وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وتفسيره في سورة الأعراف..)[58] يشير إلى قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على

أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين).الأعراف: 172.

ويربط بين معنى الآية في سورة البقرة بالمعنى في سورة غافر ربطا مباشرا بقوله: (..(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) .. وهو قوله (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) غافر: 11)[59]

وقد يأتي هود بالكلمة ويبين معناها ثم يستدل على ذلك المعنى بآية أخرى فيقول: (.. (وإنها لكبيرة) أي لثقيلة، يعني الصلاة (إلا على الخاشعين) والخشوع هو الخوف الثابت في القلب، وقال بعضهم: (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) أي: إلا على المتواضعين، وهو قوله: (ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) الأنبياء 90. أي متواضعين.) [60]

وقد يميز بين معنيين مستدلا على الفرق بينهما بآية أخرى من كتاب الله، يقول: (..(جنفا أو اثما) الجنف أن يوصي بجور وهو لا يتعمد الجور كقوله: (غير متجانف لاثم) المائدة: 3، أي: غير متعمد لإثم، والإثم أن يوصي بجور وهو يعلم أنه جور.)[61]

كما نجده يستدل على معنى الآية بأكثر من آية ليزيد المعنى وضوحا فيقول: (..(ولبيس[62] المهاد) وهو كقوله: (لهم من جهنم مهاد) ومثل قوله: (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) والمهاد والفراش واحد.)[63] رغم أن كلمة الفراش لم ترد في الآيات المستدل بها ولكن ورد ما يدل عليها: (من تحتهم).

ونجده يفسر الكلمة بالكلمة إذا وردت بصيغة أخرى ليبين المعنى الأصلي للكلمة في بابها اللغوي، يقول: (..(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة) أي ولا صداقة إلا للمتقين. وهو مثل قوله: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) الزخرف 67 والأخلاء من باب الخليل.) [64]

فهذه أهم الصور التي وقفنا عليها من خلال تأمل تفسير هود لسورة الفاتحة والبقرة، وهي كما ترى صور من التوجيه اللغوي للمعاني القرآنية تؤكد اشتمال أسلوب هود على جميع المستويات اللغوية في تحليل المعاني القرآنية، ونترك المجال للخاتمة في عرض أهم النتائج والأحكام المتوصل إليها.

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه من صور التوجيه اللغوي لمعاني القرآن عند هود بن محكم الهواري الجزائري، يمكن تسجيل جملة من النتائج لهذا البحث، تسهم في إثراء موضوع الملتقى الباحث عن المنجز اللساني عند علماء الجزائر قديما، أهمها:

- مثّل هود بن محكم الهواري الجزائري في هذا القرن مرحلة مهمة في تطوير التفسير جمعت بين الاهتمام بالأثر، وتوجيه المعاني القرآنية توجيها لغويا عقليا.
- كما أنه يمثل اتساع المد الحضاري الإسلامي من الكوفة والبصرة وبغداد إلى شمال إفريقيا، وسعة التأثير والتأثر العلمي في باب التفسير بين مذاهب العقيدة المختلفة.
- هود بن محكم الهوّارى، كان أبوه قاضيا في عهد الإمام أفلح الرّستمي (عاش من سنة 208 هـ/ 823 م- 258 هـ/ 871 م)، مؤلف تفسير القرآن للإباضية، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.
- البيئة العلمية التي نشأ فيها هود لا شك أنها أثرت في تكوينه، وصبغته بصبغة تجمع بين الاهتمام بالأثر وإعمال العقل، وتفسيره يشهد بذلك.
- الملامح المميزة للقرن الثالث الهجري نجدها واضحة في تفسير هود، فنجده يكثر النقل في تفسيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين، ويوجه المعاني بالأدوات اللغوية في المختار عنده من الدلالات.
- هود الهواري يهتم في تفسيره بالكلمة ووجوه تصريفها وإعرابها مبينا معناها في الحالات المحتملة، أو يلاحظ الفرق التصريفي بين كلمتين من جذر واحد، أو يميز بين التنكير والتعريف، ليهتدي إلى معنى الآية من خلال وجوه تصريف الكلمة.
- كما يهتم بدلالة الكلمة من خلال علاقتها بما معها من الكلمات في التركيب، أو يبين الاختلاف الدلالي المعجمي للكلمة بحسب اختلاف الأمصار، وفي أغلب الآيات القرآنية يكتفي ببيان دلالة الكلمة ليبين بها معنى الآية.
- ويهتم بالإعراب على وجه واحد في الغالب ولا يذكر وجوه الإعراب في الحالة الواحدة، بل يكتفي بأقرب الوجوه إلى المعنى الظاهر أو المختار عنده، ويهتم ببعض القضايا التركيبية في نظم القرآن كاهتمامه بالتقديم والتأخير وبيان المعنى في ذلك.

- يهتم بالقراءات واختلاف المعاني المترتب عليها، ويبين اختلاف الدلالة باختلاف القراءة.
- فإذا كان في التركيب محذوف فإن هود بن محكم يسعى إلى تقديره لبيان المعنى في الآية القرآنية، أو يجمع بين بيان معنى الكلمة وتقدير المحذوف في التركيب حتى يتضح، وكذلك نجده يبين معنى الآية بتوضيح معنى المفردة وتقدير محل وقوع معناها، دفعا لما قد يقع من اللبس في المعنى، أو يتوسع في المعنى، أو يميز بين معنيين يقدر فيهما المحذوف من الخطاب.
- كما لاحظنا اهتمامه بتأويل الأمثال، فتجده يؤول الظلمات بالشدة والرعد بالخوف والبرق بنور الإسلام والقرآن، ولا يقف عند بيان معنى المثل ظاهريا فحسب، بل يظهر لك الغاية من ضرب المثل.
- ومن الصور المميزة عند هود في توجيه المعاني القرآنية اهتمامه بالفواصل البيانية، خاصة ما تعلق منها بالأسماء الحسنى، فهي تعد ظاهرة تركيبية، وصوتية جمالية، ومعجمية دلالية، وبلاغية بيانية، ولها أثر في الانسجام النصي والتماسك الدلالي، فتجده يتناولها بطريقة تشبه ما وقفنا عليه في تقدير المحذوف، وهذا التوسع في معنى الفاصلة البيانية يعرض لك به المعنى المجمل للآيات القرآنية، كما تجده يربط بين معنى الفاصلة القرآنية وما قبلها في سياق الآية القرآنية.
- وتفسير هود بن محكَّم يتميز أيضا برؤية شاملة لمعاني الخطاب القرآني، فنجده يفسر الآية بغيرها من آي القرآن. فيفسر الكلمة بمعنى يثبته من آية أخرى، وقد يميز بين معنيين مستدلا على الفرق بينهما بآية أخرى من كتاب الله، أو يفسر الكلمة بالكلمة إذا وردت بصيغة أخرى ليبين المعنى الأصلي للكلمة في بابها اللغوي.
- هذا المنجز اللساني الوافر في تفسير هود يدل على شمولية تعامله مع مختلف الظواهر اللغوية، واستعمالها في توجيه المعاني القرآنية، من ظواهر صوتية صرفية، وصرفية دلالية، وصرفية تركيبية، وتركيبية بلاغية، وبلاغية نصية، ونصية خطابية.
- وكل ظاهرة جمع فيها بين ملاحظة مستويين من مستويات التحليل اللساني تصلح أن تكون موضوع بحث في تفسير هود بن محكم الهواري الجزائري.

الإحالات:

1 - فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى - د سعيد عبد الرحيم، أعاد صنع الفهارس: د عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام النشر: 1411 هـ - 1991 م، ج1، ص96.

2 - اتسم عهد «أفلح» بالهدوء والاستقرار، وبلغت الدولة فى عهده أوج ازدهارها، ونشطت التجارة، وأقبل الناس من كل مكان قاصدين العاصمة «تيهرت»، وتُوفِّى الإمام «أفلح» فى سنة (240هـ)، إثر حزنه الشديد على وقوع ابنه «أبى اليقظان» فى أيدى العباسيين.(موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ج6، ص35)

3 - بالحاج بن سعيد شريفي، في التحقيق والتعليق على كتاب: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري من علماء القرن الثالث الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ج1، ط1 1999م، ص8.

4 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 11 . 12.

5 - ينظر: شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص14.

6 - ينظر: شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 15.16.

7 - ينظر: د. مجدي باسلوم، مقدمة تحقيق كتاب: تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت 333هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م ج1، ص 59 إلى 70.

8 - ينظر: حكمت بن بشير بن ياسين، مقدمة تحقيق كتاب: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية، الطبعة: الأولى، 1431 هـ، ص 9.

9 - ينظر: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود في كتاب: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، ج1، ص86.

10 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص71.

11 - محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، أصل هذا الكتاب: رسالة دكتوراة، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1426 هـ، ج2، ص804.

12 - ينظر: شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص19.

13 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 5.

14 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص6.

15 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 24.

16 - طرهوني، محمد بن رزق، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، ج2، ص805.

17 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص38.

18 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص76.

19 - نفسه، ج1، ص83.84.

20 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص112.

21 - نفسه، ج1، ص83.

22 - نفسه، ج1، ص104.

23 - نفسه، ج1، ص 152.

24 - نفسه، ج1، ص 158.

25 - نفسه، ج1، ص 163.

26 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 215.

27 - نفسه، ج1، ص 241.

28 - نفسه، ج1، ص 252.

29 - نفسه، ج1، ص90.

30 - أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (224 - 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود شاكر، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: 7780، الطبعة: بدون تاريخ نشر، ج1، ص404.

31 - أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ، ج1، ص77.

32 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص118.

33 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 203.

34 - في الآية خطأ (ويوم) كتبت: (قوم) . شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص122.

35 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص122.

36 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص140، 141.

37 - محمد الطاهر ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس
سنة النشر: 1984 م [1404 هـ]، ج1، ص693.

38 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 158.

39 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص85.

40 - نفسه، ج1، ص86.

41 - نفسه، ج1، ص138.

42 - نفسه، ج1، ص 157.

43 - نفسه، ج1، ص 158.

44 - نفسه، ج1، ص 253.

45 - نفسه، ج1، ص 258.

46 - ورد في الهامش كلام للمحقق مفاده: (..في مخطوطتي: ق، وع : (جاهلا بالإملاء) ويبدو فيه تصحيف، صوابه ما جاء في: د : (جاهلا بالأموال) لأن السفيه هو الذي لا يحسن التصرف في المال.) شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 259. وأحسب أن السفيه قد يكون سفيها في المال والإملاء معا وسياق الآيات في الإملاء والمال معا.

47 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 259.

48 - نفسه، ص 264.

49 - نفسه، ج1، ص87.

50 - نفسه، ج1، ص87.

51 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 248.

52 - نفسه، ج1، ص 245.

53 - نفسه، ج1، ص 249.

54 - نفسه، ج1، ص 250.

55 - (ملاحظة للتصحيح والتنبيه) كلمة:-من مال- لم تميز في تفسير هود المطبوع بأنها شرح. وإنما كتبت داخل الآية.

56 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 253.

57 - نفسه، ج1، ص89.

58 - نفسه، ج1، ص91.

59 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص91.

60 - نفسه، ج1، ص103.

61 - نفسه، ج1، ص 172.

62 - للتصويب: مكتوبة في التفسير (لبس)

63 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 195.

64 - شريفي، تح: تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، ج1، ص 238.

قائمة المصادروالمراجع

1- مدونة البحث: هود، بن محكم الهواري الجزائري

تفسير كتاب الله العزيز، تح: بالحاج بن سعيد شريفي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج1، الطبعة الأولى، 1999 م.

2- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف.

الجواهر الحسان في تفسير القرآن .تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

3 - ابن جزي الكلبي الغرناطي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو القاسم. التسهيل لعلوم التنزيل .تحقيق: عبد الله الخالدي. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، 1416 هـ.

4 - سزكين، فؤاد.

تاريخ التراث العربي .ترجمة: محمود فهمي حجازي. مراجعة: عرفة مصطفى، وسعيد عبد الرحيم. إعداد الفهارس: عبد الفتاح محمد الحلو. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411 هـ/ 1991 م.

5 – الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن .تحقيق: محمود شاكر. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، بدون تاريخ.

6 - الطرهوني، محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي، أبو الأرقم المصري المدني.

التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا .المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر

والتوزيع، الطبعة الأولى، 1426هـ

7 - ابن عاشور، محمد الطاهر.

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد .تونس: الدار التونسية للنشر، 1404 هـ / 1984م.

8- ابن كثير، ماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر

تفسير القرآن العظيم، تح: حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية، الطبعة: الأولى، 1431 هـ

9 - الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور.

تفسير الماتريدي .مقدمة التحقيق: مجدي باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1426 هـ / 2005 م.

منهج الإمام الثعالبي في تفسيره " الجواهر الحسان في تفسير القرآن"

-دراسة وصفية-

أد/ سليمة عياض - وحدة البحث اللساني وقضايا اللّغة العربية -ورقلة-
aiad.s70@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا المقال إلى التعريف بأحد أعلام المغرب العربي العلّامة عبد الرحمان الثعالبي الجزائري الأصل، مفسّر من أعيان الجزائر ومن صلحائها الأبرار، والتعريف بهذا العالم سيكون من خلال تفسيره: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" وهو تفسير بالمأثور نقل فيه أقوال السلف الصالح، وميّز فيه بين الصحيح والضعيف.

وسيقف هذا المقال أوّلا على تحديد منهج المفسّر في تفسيره هذا، من خلال التعرّض لطريقته التي يسلكها في تفسير السور القرآنية، وكذا تحديد موقفه من التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول، ثمّ تعرّج المداخلة على المحاور الكبرى التي تضمّنها هذا التفسير والتي توضّح مواقفه في كثير من المسائل، ومنها العقيدة، والفقه والأصول، القراءات، والإسرائيليات إلخ...كما ستتناول هذه المداخلة الجانب اللغوي في هذا التفسير من خلال الوقوف على مواطن اهتمامه بمستويات اللغة ومنها دلالة الألفاظ، وكذا بالإعراب ،وغيرها من المستويات.

الكلمات المفتاحية: منهج؛ تفسير، الثعالبي، مسويات لغوية، دلال؛ إعراب

1-التعريف بالشيخ عبد الرحمن الثعالبي:

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري نسبة إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عمّ الرسول -صلى الله عليه وسلم-،من كبار علماء الجزائر في القرن التاسع الهجري.

ولد الثعالبي سنة 784هـ بناحية وادي يسر على نحو ست وثمانين كيلومترا بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر، وهو موطن آبائه وأجداده الثعالبة، أبناء ثعلب بن علي من عرب المعقل فنشأ نشأة علم وصلاح وتقوى. وتوفي سنة 875هـ.[1]

2-التعريف بالتفسير

لقد خلّف الثعالبي علما غزيرا تشهد له مؤلّفاته وتصانيفه الكثيرة التي تركها ،والتي شرّقت وغرّبت واعتنى النّاس بدراستها وتدريسها والانتفاع بها ؛ قال عبد الرحمان الجيلالي عن آثاره العلمية:" ترك ما يزيد على التسعين مؤلّفا بين رسائل وشروح وحواش وتعاليق وكتب مستقلّة في الوعظ والرقائق والتذكير والتفسير والفقه والحديث واللغة والتراجم" [2]،ومن أشهر ما صنّف كتابه في التفسير ،والذي سمّاه بـ:"الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، والذي طبع أكثر من مرة، أوّلها في الجزائر سنة1327م،وهي طبعة قديمة للمطبعة الثعالبية، وتمّت دون عناية أو تحقيق، وله طبعة أخرى قديمة بعناية محمد بن المصطفى ابن الخوجة بالجزائر سنة 1905م.وله أيضا طبعتان حديثتان الأولى بتحقيق عمار طالبي – المؤسسة الوطنية للكتاب، والثانية بتحقيق محمد الفاضلي – المكتبة العصرية – بيروت سنة 1417هـ. ويعتبر تفسير الإمام الثعالبي التفسير الوحيد الذي وصل إلينا من القرن التاسع على ما ذكره المؤرّخ أبو القاسم سعد الله رحمه الله[3].

وقد أدرك الإمام الثعالبي الأهمية الكبيرة لتفسير كتاب الله عزّ وجلّ فاشتغل بهذا العلم الجليل، وألّف هذا التفسير الذي جعله ذخرا له عند الله يوم يلقاه، وقد وصفه في عدّة مواضع منه، وتكلّم عنه كذلك في كتابه "المرائي" [4]. و يعدّ تفسير ابن عطية المسمى بـ 'المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز' الأصل لكتاب الثعالبي 'الجواهر الحسان'؛ إذ ذكر في موضع من تفسيره فيقول: 'لقد أودعته بحمد الله جواهر من الدرر، وقد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن عطية، وزدته فوائد جليلة من غيره، وليس الخبر كالعيان، توخيت فيه بحمد الله الصواب، وجعلته ذخيرة عند الله ليوم المآب، لا يستغني عنه المنتهي، وفيه كفاية للمبتدئ يستغنى به

عن المطوّلات، إذ قد حصل منه لبابها، و كشف عن الحقائق حجابها'[5].وهذا التفسير ذو نزعة صوفية وعظية يهتم بالقضايا الاجتماعية.[6]

3-أمانته العلمية:

ميّز تفسير الثعالبي دقّة النقل والأمانة العلمية، والعزو والإسناد لكل المرويات والأخبار، وكذا نسبة جميع الأقوال والنصوص إلى مصادرها ومظانّها، فلا يقتصر في النقل منها على المعنى فقط، بل يورد النصّ بلفظه، وهو ما يبيّن سعة علمه وكثرة اطّلاعه.

4-المنهج العام للتفسير:

أتى الإمام الثعالبي بحظّ وافر من الشروط الواجب توفّرها في المفسّر والتي تحدّث عنها العلماء[7].فهو قد فسّر كتاب الله بعضه ببعض، وفسّره بما فسّره من أنزل عليه، وهو محمد -صلى الله عليه وسلم-، وبما فسّره الصحابة والتابعون، كما استخدم اللغة وشرح الغريب، وتعرّض لتصريف بعض الكلمات، وأكثر من المسائل الإعرابية، ثمّ هو بعد ذلك يذكر مسائل في أصول الدين، وأصول الفقه، وفروعه وأسباب النزول، وإيراده بعض الإسرائيليات، واحتجاجه بالقراءات المتواترة، وذكره الشاذّ منها،وغير ذلك. وسيتضح ذلك في المنهج التفصيلي لهذا التفسير.[8]

5-المنهج التفصيلي للثعالبي في تفسيره:

-الطريقة التي يسلكها في تفسير السور القرآنية:

-يهتمّ المصنف في تفسيره بذكر المكي والمدني، وأسماء السورة وعدد آياتها وفضلها، وأسباب النزول، ومن ذلك قوله في مستهلّ تفسيره لفاتحة الكتاب: قال ابن عبّاس وغيره: إنّها مكيّة؛ ويؤيّد هذا أنّ في سورة الحجر:"ولقد آتيناك سبعا من المثاني"(الحجر 87)، والحجر مكية بإجماع وفي حديث أبي بن كعب أنها "السبع المثاني". ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه كانت قط في الإسلام صلاة بغير "الحمد لله رب العالمين"، وروي عن عطاء بن يسار وغيره أنها مدنية. وأما أسماؤها فلا خلاف أنه يقال لها: فاتحة الكتاب. واختلف هل يقال لها: أمّ الكتاب؟

فكره ذلك الحسن بن أبي الحسن وأجازه ابن عباس وغيره. وفي تسميتها:"أمّ الكتاب حديث رواه أبو هريرة، واختلف هل يقال لها: أمّ القرآن فكره ذلك ابن سيرين وجوّزه جمهور العلماء. وسمّيت المثاني لأنّها تثنّى في كل ركعة، وقيل لأنّها استثنيت لهذه الأمّة.[9]

وأمّا عن فضلها، فيذكر أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في حديث أبي بن كعب، أنّها لم ينزل في التوراة،ولا الإنجيل، ولا في الفرقان مثلها، ورُوي أنّها تعدل ثلثي القرآن، وهذا العدل إمّا أن يكون في المعاني، وإمّا أن يكون تفضيلا من الله تعالى لا يعلّل...[10]

-التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي عند الثعالبي:

التفسير بالمأثور يتناول ما كان تفسيرا للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيرا للقرآن بالسنّة، وما كان تفسيرا للقرآن بالموقوف على الصحابة أو التابعين على رأي.[11]

وقد اختار الإمام الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان" منهج التفسير بالمأثور لتفسير القرآن، وذلك نظرا لأهميته الكبيرة في باب التفسير، وكذا للقيمة العلمية التي يضفيها عليه، لذا جعله الصبغة الغالبة عليه.[12] وممّا يؤكّد ذلك:

-عقده في هذا التفسير لفصل تحت عنوان: "فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسّرين".[13]

-نوعية المصادر التي رجع إليها في تفسيره، والتي نقل منها مادّته العلمية، والتي تعدّ من مصادر التفسير بالمأثور، كالمحرر الوجيز لابن عطيّة، وجامع البيان لابن جرير الطبري وغير ذلك.[14]

-وصف الباحثين والدّارسين وتصنيفهم لجواهر الحسان ضمن التفسير بالمأثور.[15]

فأمّا عن تفسيره لكتاب الله بعضه ببعض، فقد كان موقفه واضحا حيث قدّمه على غيره، وجعله أصلا في التفسير، ومنه مثلا في تفسير قوله تعالى:" فأزلّهما الشيطان عنها"(البقرة 36)، فقد تعرّض لمعنى "أزلّهما" بقوله: مأخوذ من الزلل، ثمّ

يحكي اختلافهم في كيفية هذا الإزلال فيقول: وقال جمهور العلماء: أغواهما مشافهة، بدليل قوله تعالى:" وقاسمهما " (الأعراف 21).

كما اهتم الثعالبي بتفسير القرآن بالسنّة وقد أكّد على ذلك بقوله: وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد وهو يقول أيضا: "وليس لأحد مع الحديث إذا صح نظر". وهذا النوع من التفسير كان حاضرا بكثرة عند الثعالبي، ومن ذلك في تفسير قوله تعالى: "وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل"(الأنفال 60)، قال: وفي صحيح مسلم: "ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي".[16]

وعند تفسيره لقوله تعالى وإن كان ذو عسرة" (البقرة280) قال: "كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه لعلّ الله يتجاوز عنّا، قال: فلقي الله فتجاوز عنه" وفي صحيح مسلم: "من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه" وفي رواية "من أنظر معسرًا أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة"، وفي رواية "من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله. والجدير بالذكر أنه كما كان يكثر من الأحاديث الصحيحة فقد كان أيضا يكثر من الأحاديث الضعيفة ومن ذلك قوله: في تفسير الآية السالفة: وقد روى ابن المبارك في (رقائقه) قال : أخبرنا ابن لهيعة قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد أن رجلا قال : يا رسول الله كيف لي أن أعلم كيف أنا ؟ قال : "إذا رأيت كلما طلبت شيئا من أمر الآخرة وابتغيته يسر لك ،وإذا أردت شيئا من الدنيا وابتغيته عسر عليك ،فأنت على حال حسنة ،وإذا رأيت كلما طلبت شيئا من أمر الآخرة وابتغيته عسر عليك ،وإذا أردت شيئا من أمر الدنيا وابتغيته يسر لك ،فأنت على حال قبيحة" .

وأمّا عن آثار السلف من الصحابة والتابعين فقد حشا بها كتابه، ونجده يزيّن تفسيره بالنقل عنهم، ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: " إذا جاء نصر الله والفتح" (النصر 1) أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لعائشة:" ما أراه إلّا حضور أجلي"، قال الثعالبي: وتأوّله عمر والعبّاس بحضرة النبي فصدّقهما. قال ونزع هذا المنزع ابن عبّاس وغيره.[17]

وأمّا عن موقفه من التفسير بالرأي فقد أخذ به وجوّزه في تفسيره بضوابط علمية، منها الاستناد إلى ما قاله العلماء وما اقتضته قوانين العلوم كالنحو والصرف والبلاغة والأصول وغيرها.

وملامح التفسير بالرأي عنده تظهر من خلال نقله ممّن سبقه من المفسّرين الذين عرفوا بالاجتهاد والنّظر، كأبي حيّان السفاقسي وغيرهما من العلماء ممّن اشتهر بتفسير القرآن بالرأي، بيد أنّه لم يكن يتوسّع في الأخذ به ،إذ كان شديد الحرص في التمييز بين ما يجوز فيه الاجتهاد، وبين ما لا يجوز فيه بحال من الأحوال ومن أمثلة ذلك تفسيره" ينزّل الملائكة بالرّوح" (النحل 2)،حيث يقول: قال مجاهد: الرّوح: النبوّة،وقال ابن عبّاس الرّوح الوحي، وقال قتادة: بالرحمة والوحي، وقال الربيع بن أنس: كلّ كلام الله روح، ومنه قوله تعالى: "أوحينا إليك روحا من أمرنا"،(الشورى52)،وقال الزجّاج: الرّوح ما تحيا به القلوب من هداية الله عزّوجلّ، وهذا قول حسن، قال الدّاوودي: عن ابن عبّاس: قال: الرّوح خلق من خلق الله، وأمر من أمر الله على صور بني آدم ،وما ينزل من السماء ملك إلّا ومعه روح كالحفيظ عليه لا يتكلّم ولا يراه ملك، ولا شيء ممّا خلق الله، وعن مجاهد الرّوح خلق من خلق الله لهم أيد وأرجل. انتهى والله أعلم بحقيقة ذلك، وهذا أمر لا يقال بالرأي، فإن صحّ فيه شيء عن النبي -صلى الله عليه و سلم- وجب الوقوف عنده انتهى.[18].

6-النزعة الصوفية في منهجه:

وإذا كان منهج الثعالبي منهجا تحقيقيا في أساسه وطابعه العام فإنه لم يخل من نزعة صوفية واضحة؛ إذ كان هو نفسه صوفيا سنيا لا يذهب مذهب الحلول والغوص في مذهب وحدة الوجود، وهو ينقل في تفسيره نصوصا عن القشيري والمحاسبي من رعايته، ومن مختصرها للعز بن عبد السلام، ومن كتاب سنن الصالحين لأبي الوليد الباجي، ومن التنوير لابن عطاء الله السكندري، وعن صاحب التشوف المغربي، وعن أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي الصوفي، وعن أبي مدين البجائي التلسماني وعن أبي الحسن الشاذلي وغيرهم[19]. وكان الإمام الثعالبي علامة كبيرا ونابغة في علم التصوف، وألّف العديد من المصنفات في

التصوف استندت على صحيح الكتاب والسنة، والتوفيق بين الشريعة والحقيقة الصوفية، واقتدى فيها بأستاذه الروحي الإمام الغزالي في مقاومة معالم البذخ وألوان الترف والانحلال، ومحاربة الغفلة عن قيم الإيمان، ورفض الفتن والمجادلات العقلية والعصبيات المذهبية[20] .

ومفهوم الولي عنده مفهوم قرآني، قال في تفسير قوله تعالى: "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"(يونس 62): وأولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة، وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى الله فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي ومن صوفياته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: "الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض"(آل عمران 191)،حيث قال: ونقل عن ابن عطية قوله : وحدثني أبي رضي الله عنه عن بعض علماء المشرق قال: كنت بائتًا في مسجد الأقدام بمصر فصليت العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع في كساء له حتى أصبح ،وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا ،فلما أقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل ،فاستقبل القبلة فصلى مع الناس فاستعظمت جرأته في الصلاة بغير وضوء ،فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لأعظه فلما دنوت منه سمعته وهو ينشد:

منسحق الجسم غائب حاضر منتبه القلب صامت ذاكر

منقبض في الغيوب منبسط كذاك من كان عارفًا ذاكرا

يبيت في ليله أخا فكر فهو مدى الليل نائم ساهر

قال: فعلمت أنه ممن يعبد بالفكرة، فانصرفت عنه.

وهذا أيضا الذي ذكره لا محل له من أهل الصدر الأول وهم أخشى الناس وأتقاهم، وقد حرم المسكين من قيام الليل ومناجاة الخالق سبحانه وتعالى والاقتراب منه في السجود، والتفكر في آيات الله وهو بين يدي الله، ليس وهو نائم أو سارح! غفر الله لنا تقصيرنا.

7-موقفه من العقيدة:

وأما من الناحية الكلامية فمنهجه منهج الأشعري يؤول آيات العقائد تأويل الأشعرية ويوجهها توجيههم، ولنأخذ مثالا على ذلك قال في قوله تعالى:" ثم استوى على العرش"(الفرقان 59(، والمعتقد في هذا أنه سبحانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزّها عن المماسّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته كان الله ولا شيء معه، كان سبحانه قبل أن يخلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان.

وله ردود على المعتزلة وغيرهم، وقد هاجم الزمخشري الذي ذهب إلى أنّ "لن" في قوله :"لن تراني" (الأعراف 143) لتأبيد النفي لينفي رؤية الله سبحانه، وهنا نرى أن الثعالبي ينقد تفسير الزمخشري كما أنه لا يحبذ مطالعته متأثرا في ذلك ببعض شيوخه الأشاعرة الذين يرغبون عنه لاعتزاله.

وفي قول:" ليس عليك هداهم"(البقرة 272) قال: ثم أخبر سبحانه أنه يهدي من يشاء، وفي الآية رد على القدرية، وطوائف المعتزلة، ثم بين تعالى أن النفقة المقبولة ماكان ابتغاء وجه الله، وفي الآية تأويل وهو أنها شهادة من الله تعالى للصحابة أنهم إنما ينفقون ابتغاء وجه الله سبحانه فهو خبر عنهم لهم فيه تفضيل.

وقال في قوله تعالى:" واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت"(البقرة 281) ويومًا نصب على المفعول، لا على الظرف، وجمهور العلماء على أن هذا اليوم المحذر منه: هو يوم القيامة والحساب والتوفية، وقال قوم: هو يوم الموت، والأول أصحّ، وهو يوم تنفطر لذكره القلوب، وفي هذه الآية نصّ على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الإنسان، وهذا رد على الجبرية.

8- موقفه من الإسرائيليات:

لم تخل أكثر كتب التفسير من الروايات الإسرائيلية إلّا البعض منها، ومن تلك القلّة كتاب الجواهر الحسان للثعالبي، فقد ردّ كثيرا من الروايات الإسرائيلية إلّا

البعض منها، التي تتعارض وقواطع الدين، كالطعن في عصمة الأنبياء، ونسبة ما لا يليق بمقامهم إليهم، فما كان ضعيفا ردّه، وما صحّ من الأخبار وجب تأويلها بما لا يتعارض مع الثابت القطعي في الدّين.

لذلك أعرض الإمام الثعالبي في تفسيره عن ذكر ما أورده ابن عطيّة في المحرّر الوجيز، عن كثير من الآثار والأخبار التي يشتمّ منها رائحة الأخبار الإسرائيلية، ولا سيّما إذا كانت تعارض القطعيّ في الدين، والأمثلة عن إعراض الإمام الثعالبي عمّا أورده ابن عطيّة في تفسيره كثيرة، منها ما ذكر ابن عطيّة من الأخبار في قصّة آدم عليه السلام وأكله من الشجرة وإخراجه من الجنّة.[21]وإنّما نقل عنه خبرا بصيغة التمريض فيما يتعلّق بهبوط آدم وحوّاء وتعيين الأماكن وكذا الحيّة.[22]

وذكر الشيخ الإمام الثعالبي كلام القاضي عياض فيما وردت به الأخبار، ونقله المفسّرون في قصّة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عبّاس –رضي الله عنهما-في خبرهما وابتلائهما، قال:"فاعلم أكرمك الله أنّ هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم-وليس هو شيئا يؤخذ بقياس، ثم قال: وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءاتهم [23]

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:" هو الذي خلقكم من نفس واحدة فتعالى الله عما يشركون (الأعراف 189،190)، فنقل عن ابن عطية قوله: وروي في قصص ذلك أنّ الشيطان أشار على حوّاء أن تسمّي هذا المولود عبد الحارث-وهو اسم إبليس-وقال لها: إن لم تفعلي قتلته، فزعموا أنّهما أطاعاه حرصا على حياة المولود، فهذا هو الشرك الذي جعلا لله في التسمية فقط.[24]

وعلّق الإمام الثعالبي على ما أورده ابن عطيّة بقوله: وينزّه آدم وحوّاء عن طاعتهما لإبليس، ولم أقف بعد على صحّة ما روي في هذه القصص، ولو صحّ لوجب تأويله، ثمّ قال نعم، روى الترمذي عن سمرة بن جندب عن النبي –صلّى الله عليه وسلّم-قال: لمّا حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد فقال لها: سميه عبد الحارث، فسمّته عبد الحارث فعاش ذلك، وكان من وحي الشيطان وأمره، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب انفرد به عمر بن إبراهيم عن قتادة.[25]

وعلّق الإمام الثعالبي على هذا الحديث بقوله: وهذا الحديث ليس فيه أنّهما أطاعاه، وعلى كلّ حال الواجب التوقّف لمن اجتباه الله وحسن التأويل ما أمكن.[26]

ثمّ نقل كلام ابن العربي في توهين هذا الخبر وتزييفه، وعدّه من الإسرائيليات التي ليس لها أصل ولا يعوّل عليه.ا[27]

والحاصل أنّ منهج الإمام الثعالبي في تعامله مع الإسرائيليات هو ردّ كل خبر من هذا القبيل إذا كان يتقاطع مع ما هو قطعيّ في ديننا، وأمّا ما كان من الروايات لإسرائيلية، وليس فيها ما يخالف القطعيّ، ولا يعارض دلائل الشرع فهو على قاعدة " لا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم" والله أعلم.[28]

إلا أن ذلك لا يعني أنه أهمل الإسرائيليات تماما بل إنه ذكر جملة منها ومن ذلك: ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى:" ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه"(258). قال: "ألم تر" تنبيه وهي رؤية القلب ،والذي حاجّ إبراهيم هو نمروذ بن كنعان ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة، قاله مجاهد وغيره . قال قتادة : هو أوّل من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل قيل : إنه ملك الدنيا بأجمعها، وهو أحد الكافرين ،والآخر بختنصر، وقيل : إنّ النمروذ الذي حاجّ إبراهيم هو نمروذ بن فالخ ،وفي قصص هذه المحاجة روايتان إحداهما : ذكر زيد بن أسلم أن النمروذ قعد يأمر للناس بالميرة، فلما جاء قوم قال : من ربكم وإلهكم ؟ فيقولون : أنت ،فيقول : ميروهم ،وجاء إبراهيم عليه السلام يمتار ،فقال له : من ربك وإلهك [قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، فلمّا سمعها نمروذ قال: أنا أحيي وأميت، فعارضه إبراهيم بأمر الشمس فبهت الذي كفر وقال : لاتميروه، فرجع إبراهيم إلى أهله دون شيء ،فمرّ على كثيف رمل كالدقيق فقال: لو ملأت غرارتي من هذا ،فإذا دخلت به فرح الصبيان حتى أنظر لهما ،فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان ،وجعلا يلعبان فوق الغرارتين ،ونام هو من الإعياء ،فقالت امرأته : لو صنعت له طعامًا يجده حاضرًا إذا انتبه ،ففتحت إحدى الغرارتين، فوجدت أحسن ما يكون من الحواري ،فخبزته ،فلما قام وضعته بين يديه ،فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الدقيق الذي سقت ،فعلم إبراهيم أن الله يسر لهم ذلك.

9-موقفه من الفقه والأصول:

لم ينهج الثعالبي منهجا فقهيا مبسوطا في تفسيره، وعن ذلك يقول: "تركت ذلك خشية التطويل وإذ محلّ بسطها كتب الفقه". وعليه فهو يتعرض للمسائل الفقهية دون تفصيل، ويرجّح غالبا قول مالك على اعتبار أنّ بلاد المغرب مالكية المذهب ومن ذلك:

. ما ذكره في تفسير قوله تعالى: "ولا تباشروهنّ"، حين قال: قالت فرقة: المعنى: ولا تجامعوهنّ، وقال الجمهور: ذلك يقع على الجماع فما دونه، ممّا يُتلذذ به من النساء، وعاكفون أي: ملازمون، قال مالك رحمه الله وجماعة معه: لا اعتكاف إلا في مساجد الجماعات. وروي عن مالك أيضًا أن ذلك في كل مسجد، ويخرج إلى الجمعة كما يخرج إلى ضروري أشغاله. قال ابن العربي في (أحكامه) : وحرم الله سبحانه المباشرة في المسجد، وكذلك تحرم خارج المسجد، لأنّ معنى الآية ولا تباشروهن وأنتم ملتزمون للاعتكاف في المساجد، معتقدون له . وقال أيضا: قال ابن العربي: قال علماؤنا: وفي الآية دليل على أن ملك اليمين لا حقّ لها في الوطء والقسم، لأن المعنى: فإن خفتم أن لا تعدلوا" في القسم، فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، فجعل سبحانه ملك اليمين كلّه بمنزلة الواحدة، فانتفى بذلك أن يكون للأمة حق في وطء أو قسم، انتهى من الأحكام .

10-موقفه من القراءات القرآنية

إنّ علم القراءات من أشرف العلوم الشّرعية منزلة، وأعظم الفنون الدّينية رتبة وأقدمها نشأة، فبها يُصان كتاب الله العزيز من كل تحريف، وتُعلم ألفاظ الوحي وتَسلم من كل تصحيف. وقد عُني بها بعد النبيِّ المختار -عليه أزكى السّلام والأنوار- وأصحابِه الأطهار مِنْ كلِّ خَلَف عدولُه، ومن كل عصر خيارُه، فاستحقوا بذلك المرتبةَ الأسمى والمنزلة العليا، فكانوا من أهل الله وخاصّته، مصداقا لما جاء في الأثر:" إن لله أهلين من النّاس". وقد كان الإمام الثعالبي من بين العلماء الذين اهتمّوا بالقراءات في تفاسيرهم، وقام بتوجيهها، ولم يقتصر في ذلك على طريقة واحدة؛ بل تعدّدت أساليبه، واختلفت حسب تنوّع القراءات واختلافها، فاستعمل في ذلك التوجيه بالنظير من الآيات القرآنية، والتوجيح بالاعتماد على رسم المصحف،

والتوجيه بالقراءة الشاذّة، والتوجيه بالحديث النبوي الشريف، والتوجيه بالمعنى التفسيري، والاستدلال بأسباب النزول للآية، والتوجيه بلغة العرب، والتوجيه الصرفي والنحوي، والتوجيه الفقهي، وسأكتفي للتمثيل بثلاثة أنواع منها:

-التوجيه بالاعتماد على رسم المصحف

ذكر في تفسير قوله عزّوجلّ:" وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ "(الأعراف 43)، قال الثعالبي: "وقرأ ابن عامر وحده "ما كنّا لنهتدي" بسقوط الواو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، ووجهُهَا أنّ الكلام متّصل مرتبط بما قبله.[29]

-التوجيه بالقراءة الشاذّة:

وأمّا عند تفسيره لقوله تعالى:" وتلك نعمة تمنّها عليّ" (الشعراء 22). فقد قال الثعالبي: قال قتادة: هذا من موسى على جهة الإنكار على فرعون لعنه الله، كأنّه يقول: أَوَ يصِحّ لك أن تعدّ علي نعمة ترك قتلي من أجل أنّك ظلمت بني إسرائيل وقتلتهم؟ أي: ليست بنعمة؛ لأنّ الواجب كان: ألّا تقتلني ولا تقتلهم، ولا تستبعدهم، وقرأ الضحّاك:" وتلك نعمة ما لك أن تمنّها عليّ"[30]،قال الثعالبي: وهذه قراءة تؤيّد هذا التأويل.[31]

-التوجيه الفقهي:

وقال الثعالبي عند تفسيره لقوله عزّ وجلّ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ "(المائدة 6):قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بن عاصم، وأبو يعقوب، ويخلف، وحمزة: "وأرجُلِكم" بالخفض، وقرأ نافع والكسائي، وابن عامر وحفص عن عاصم بالنّصب، وهو معطوف على: "وأيديكم" وما قبله ،وحكمهما الغسل[32]. قال: ومن قرأ بالخفض جعل العامل أقرب العاملين ،وجمهور الأمّة من الصّحابة والتّابعين على أنّ الفرضَ في الرجلين الغَسْلُ، وأنّ المسح لا يجزئ. ثمّ نقل كلام ابن العربي في "القَبَسِ"، وأقرّه :" ومن قرأ: "وأرجُلِكُم" بالخفض"، فإنّه أراد المسح على الخفّين،وهو أحد

التأويلات في الآية. انتهى، وهذا هو الذي صحّحه في أحكامه.[33]

موقفه من اللغة

اهتمّ الإمام الثعالبي بالجانب اللغوي كثيرا في تفسيره، وبرز ذلك من خلال شرحه للمفردات وتأصيلها. ومثال ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى:" أولى لك فأولى"(القيامة 34): حيث يقول: وقوله: "أولى لك" وعيد،و"فأولى" وعيد ثان، وكرّر ذلك تأكيدا، ومعنى"أولى لك" الازدجار والانتهار؛ والعرب تستعمل هذه الكلمة زجرا؛ ومنه:(فأولى لهم طاعة)، ويروى أنّ النبيّ-صلآ الله عليه وسلّم- لبّب أبا جهل يوما في البطحاء وقال له: إنّ الله يقول لك: "أولى لك فأولى"، فنزل القرآن على نحوها، وفي شعر الخنساء من المتقارب:

هَمَمْتُ بِنَفْسِيَ بَعْضَ الْهُمُومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِيَ أَوْلَى لَهَا[34]

وهو أيضا يتعرض في تفسيره للإعراب والنحو، ومن ذلك ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى: «جند ما هنالك" (ص 11): حيث يقول:"وما في قوله:"جند مّا" زائدة مؤكّدة، وفيها تخصيص، وباقي الآية بيّن. وقال أبو حيّان:"جند" خبر مبتدأ محذوف،أي: هم جند، وما زائدة أو صفة أُريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم، أو الاستخفاف؛ لأنّ الصفة تستعمل على هذين المعنيين و"هنالك" ظرف مكان يشار به إلى البعيد في موضع صفة لـ"جند"، أي: كائن هنالك، أو متعلّق بـ:"مهزوم"، انتهى.[35]

الخاتمة

-يعدّ تفسير الثعالبي واحدا من التفاسير المهمة لثراء مادته التفسيرية واللغوية.

-بدا أثر تفسير ابن عطية واضحا وجليّا في تفسير الثعالبي فقد استفاد منه هذا الأخير أيّما استفادة، وهذا ما صرّح به في مقدّمته.

- لم يحد الثعالبي في تفسيره عن مناهج المفسّرين الأوائل في التقديم للسورة وتصنيفها في المكي أو المدني وتسميتها وذكر عدد آياتها وأسباب النّزول وفضلها.

-يصنّف تفسير الثعالبي في التفسير بالمأثور فقد فسّر القرآن بالقرآن، وفسّره بالسنّة، وفسّره بالوقوف على أقوال ومواقف الصحابة والتابعين.

-توخّى الثعالبي في تفسيره الأمانة العلمية بردّ الأقوال إلى أصحابها وأخذها من مصادرها ومظانّها.

- انتهج الثعالبي منهج الأشاعرة في تأويل آيات العقائد وتوجيهها، وأنكر على المعتزلة والجبرية.

-برزت النزعة الصوفية كثيرا في هذا التفسير، من خلال استدلاله بأقوال المتصوّفة ومنهم محيي الدين بن عربي.

-اهتمّ الثعالبي بالقراءات وكان يقوم بتوجيهها وفق الطرق والأساليب المعروفة ومنها: التوجيه بالنظير من الآيات القرآنية، وبالاعتماد على رسم المصحف، والقراءات الشاذة وغيرها من الطرق والأساليب.

-استند الثعالبي في تفسيره على المذهب المالكي في توجيه آيات الأحكام والمسائل الفقهية التي تستوقفه في ثنايا التفسير.

-تبنّى الثعالبي موقفا وسطا من الإسرائيليات فلم يأخذها جملة ولم يردّها جملة، بل وضع شروطا للأخذ بها ويتمثّل أهمّها في عدم تعارضها مع القطعي من الدين.

- لم يهمل القرطبي الجانب اللغوي في تفسيره فكان يهتم بالمفردة القرآنية ويردّها إلى أصولها، كما اهتمّ بأوجه الإعراب، واستشهد بكلام العلماء والنحاة في المسائل اللغوية التي تعترضه.

الإحالات:

[1] ينظر ترجمته في المصادر والمراجع الآتية: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الحجوي محمد بن الحسين، بيروت لبنان دار الكتب العلمية، ط1416،1هـ،1995م، ج2، ص 307، ومعجم المؤلفين، كحالة عمر رضا، اعتنى به وصححه وأخرجه مكتب تحقيق التراث، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ط1، د ت، ج5 ص 192.

[2] تاريخ الجزائر العامّ، عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، مرازقة وأبو داود وشركاهما، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، ط2 جديدة،1385هـ- 1965م، ج2 ص282.

[3] تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله بيروت دار الغرب الإسلامي، ط1998،1، ج1 ص121.

[4] كتاب المرائي، الثعالبي، مطبعة الثعالبية،1324هـ، ج1، ص (180،179).

[5] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان الثعالبي، تح عمّار الطالبي، المؤسّسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985، ج4 ص158.

[6] التفسير والمفسّرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، ط1426،1، ج2 ص (699،700).

[7] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ج4، ص(من 174 إلى 201)

[8] الجواهر الحسان، ج1، ص99.

[9] الجواهر الحسان، ج1 ص (162،161).

[10] الجواهر الحسان، ج1، ص162.

[11] مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، حققه واعتنى به فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ص12.

[12] ينظر: عبد الرحمان الثعالبي ومنهجه في التفسير، ب حث مقدّم لنيل شهادة الماجستير في التفسير، إعداد: رمضان يخلف، إشراف: مساعد مسلم آل جعفر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، السنة الجامعية،1991-1992م، ص52.

[13] الجواهر الحسان، تح عمّار طالبي، ج1، ص20.

[14] ينظر: عبد الرحمان الثعالبي ومنهجه في التفسير، ص52.

[15] ومن بينها: التفسير والمفسّرون للذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ج1، ص178، وعبد الرحمان الثعالبي ومنهجه في التفسير، ص52.، وكذلك مقدّمات تحقيق تفسيره.

[16] الجواهر الحسان، ج1 ص 100.

[17] نفسه

[18] الجواهر الحسان، ج3 ص 410ن411.

[19] مقدّمة عمار طالبي في الجواهر الحسان.

[20] الثعالبي قطب التصوف وعلوم الشريعة،الاتحاد القاهرة ،2 سبتمبر 2010، الساعة 09 و49 بتوقيت قرينيتش.

[21] منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تعامله مع المرويات من خلال تفسيره –الجواهر الحسان-عبد المجيد بيرم جامعة الجزائر مجلة الإحياء، العدد 14، ص186 وينظر: المحرّر الوجيز،ابن عطيّة ج1 ص187.

[22] الجواهر الحسان، ج1 ص71.

[23] ينظر:الجواهر الحسان، ج1 ص71.

[24] الجواهر الحسان، ج1، ص95.

[25] نفسه، ج1 ص96.

[26] الجواهر الحسان، ج1، ص96.

[27] نفسه الصفحة نفسها.

[28] منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تعامله مع المرويات من خلال تفسيره –الجواهر الحسان-عبد المجيد بيرم جامعة الجزائر، مجلّة الإحياء، العدد 14، ص187.

[29] الجواهر الحسان، ج3 ص31.

[30] الجواهر الحسان، ج4 ص226.

[31] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[32] معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، للطباعة والنشر والتوزيع. ج2 ص (231،232).

[33] الجواهر الحسان، ج2 ص(352،357).

[34] ينظر جواهر الإحسان ج5 ص526.

[35] ينظر جواهر الإحسان ج5 ص57.

الدرس اللغوي في كتاب الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز: لعبد الرحمن الثعالبي دراسة في التعالق بين المستويات اللسانية

أ.د /سارة بوفامة -جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة-

boufamasara@gmail.com

الملخص:

يحظى التراث الجزائري الإسلامي بثروة لغوية وتفسيرية غنية، أسهم فيها علماء الجزائر في خدمة القرآن الكريم من زوايا معرفية متعددة. ويُعدّ عبد الرحمن الثعالبي(875هـ) من بين أعلام الجزائر الذين تركوا بصمة متميزة في حقل التفسير، من خلال مؤلفه **الجواهر الحسان في تفسير آي القرآن** وهو تفسير فقهي ومؤلفه **الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز**، الذي مزج فيه بين التفسير البياني والتحليل النحوي، وهو مدونة الدراسة.

وتسعى الدراسة إلى مقاربة المدونة لسانيا، عبر تتبع منهج الثعالبي في تحليل آيات القرآن الكريم، واستجلاء كيفية توظيفه المستويات اللسانية؛ – الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية – في تفسير القرآن الكريم، مع التركيز على العلاقة التفاعلية بين الإعراب والمعنى.

فتتمحور إشكالية الدراسة حول التساؤل الآتي:

إلى أي مدى أسهم التعالق بين المستويات اللسانية (الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية) في تفسير آيات القرآن الكريم عند عبد الرحمن الثعالبي؟ وهل يمكن اعتبار هذا التعالق منهجًا لغويًا تأويليًا يمكن استثماره في الدراسات التفسيرية المعاصرة؟

تبرز أهمية هذا البحث في كونه يُعيد قراءة نص تراثي جزائري من منظور لساني، مما يسهم في الكشف عن الجهود اللغوية التفسيرية في الفكر الإسلامي الجزائري، ويُسهم في تأصيل منهج لغوي في تفسير القرآن الكريم. كما يهدف إلى:

- الكشف عن ملامح الدرس اللساني في كتاب الذهب الإبريز.
- تحديد طبيعة العلاقة بين النحو والدلالة في كتاب الذهب الإبريز.
- إبراز آليات التعالق بين المستويات اللسانية المختلفة في تفسير القرآن الكريم.
- محاولة استخلاص ملامح المنهج اللغوي الذي اتبعه الثعالبي.
- دراسة إمكانية توظيف هذا المنهج في مقاربات تفسيرية حديثة.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة وسعيا نحو الأهداف التي يرومها البحث اعتمدت المنهج الوصفي، فهو الأنسب لتحقيق ذلك.

مقدمة:

يُعدّ كتاب الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز للإمام عبد الرحمن الثعالبي من المصنفات التراثية المتميزة التي تجمع بين عمق الدرس النحوي ودقة التحليل الدلالي وجمال المقاربة البلاغية. إذ يشكل عملا لسانيا متكاملا يكشف عن وعي المؤلف بتعالق مستويات اللغة وتفاعلها في إنتاج المعنى القرآني.

ومن خلال تتبع منهجه في تفسير النص القرآني، يتبين أنّ الثعالبي لم يتعامل مع اللغة على أنها مستويات منفصلة، بل رآها شبكة من العلاقات المتداخلة بين المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، والبلاغي، وهو ما يجعله من أبرز العلماء الذين مهدوا – بوعي أو بغير وعي – للفكر اللساني الحديث القائم على التكامل بين المستويات اللسانية.

وعليه، يروم هذا البحث الكشف عن مستويات التحليل اللساني في كتاب الذهب الإبريز، واستنطاق آلياتها وأبعادها المنهجية والدلالية، بغية إبراز القيمة العلمية لهذا التراث الجزائري في إثراء الدرس اللساني العربي المعاصر.

أولا: المؤلف والمؤلَف

إن الإمام أبا زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت. 875 هـ/ 1470 م) هو أحد أبرز علماء المغرب الإسلامي في القرن التاسع الهجري، وقد ترك خلفه ثروة علمية غزيرة ومتنوعة تغطي معظم الفنون الشرعية والعربية. يُقال إن مؤلفاته تجاوزت التسعين مصنفاً بين كتاب ورسالة.[1]

أولاً: في علوم القرآن والتفسير: يُعدّ هذا المجال الأكثر شهرة للإمام الثعالبي، وتدل مؤلفاته فيه على إتقانه لعلوم اللغة العربية (النحو، الصرف، الدلالة) في خدمة النص القرآني.

1. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي): وهو أشهر أعماله وأضخمها، ويُعتبر من التفاسير التي تعتمد على التفسير بالمأثور، مع عناية بالجانب الفقهي واللغوي. ويعد من أهم التفاسير التي ظهرت في القرن التاسع الهجري بالجزائر العاصمة.[2]

2. الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز: وهو موضوع الدراسة، ويُعنى بالتدقيق في إعراب غريب القرآن وبيان مشكلاته النحوية.

3. الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز: (ويُشار إليه أحياناً كجزء من الكتاب السابق أو عمل مستقل).

4. تحفة الإخوان في إعراب بعض آي من القرآن: يُركز على الجانب النحوي والإعرابي للآيات.

5. المعجم المختصر في غريب القرآن.

ثانياً: في الفقه وأصوله

اعتنى الثعالبي بالمذهب المالكي، وكتب في الفقه ما يوضح تطبيقات القواعد الشرعية:

1. جامع الأمهات في أحكام العبادات: (مختصر في الفقه المالكي).

2. روضة الأنوار ونزهة الأخيار: كتاب يجمع بين مناقب الإمام مالك وبعض الأحكام الفقهية.

3. شرح على مختصر خليل بن إسحاق: (وهو شرح على أهم متون الفقه المالكي).

ثالثاً: في الحديث والسيرة النبوية

له مصنفات في الحديث وبيان سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، وهي:

1. الأنوار في آيات النبي المختار: في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

2. رياض الصالحين وتحفة المتقين: وهو في الوعظ والأخلاق (ويختلف عن كتاب رياض الصالحين للإمام النووي).

3. الأربعون حديثاً في الوعظ: مجموعة من الأحاديث المختارة.

رابعاً: في التصوف والزهد والعقيدة

يُعرف الثعالبي بكونه فقيهاً متصوفاً، وتظهر النزعة الصوفية في عدد من كتبه:

1. حقائق التوحيد: في العقيدة وأصول الدين.

2. الإرشاد لما فيه من مصالح العباد: يجمع بين التوجيه الوعظي والنصائح الصوفية.

3. الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات.

4. العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة.

5. رياض الأنس في علم الدقائق وسير أهل الحقائق.

خامساً: كتب متنوعة في (الأدب والرحلات والتاريخ)

• غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد: وهو كتاب عن رحلته العلمية لطلب العلم.

• جامع الهمم في أخبار الأمم: في علم التاريخ (يقع في جزئين).

• الجامع الكبير: (في علوم متنوعة).

• النصائح وجامع الفوائد.

إن هذا التنوع في المؤلفات وتخصصاتها يُبرز المكانة العلمية لعبد الرحمن الثعالبي بعده عالما جامعا، حيث لم يقتصر علمه على فن واحد، بل استخدم أدواته اللغوية والفقهية لخدمة فروع المعرفة الشرعية، مما جعل تراثه مرجعاً أصيلا في المغرب الإسلامي.

- **التعريف بكتاب الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز ومنهجه وقيمته العلمية:**

يُعدّ كتاب "الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز" للإمام الجزائري عبد الرحمن الثعالبي (أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف) (المتوفى سنة 875 هـ) عملاً مرجعياً يجسد المنزع اللغوي والنحوي في خدمة النص القرآني. فيركّز الكتاب بشكل أساس على الجانبين الإعرابي والبياني للآيات الكريمة، مما يصنفه في خانة التفاسير التي تعنى بعلوم العربية. تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه لا يقتصر على الجانب الإعرابي الجاف، بل يتجاوزه إلى ربط التحليل النحوي بالمعنى، والكشف عن الجوانب البلاغية والبيانية للآيات القرآنية. مما يبرز هذا المنهج التكاملي لرؤية الثعالبي الشاملة للغة القرآن، حيث يرى أن الإعراب ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة رئيسة للوصول إلى فهم أعمق لمقاصد الشارع ودلالات النص المعجز.

ذكر الثعالبي في مقدمة الكتاب الهدف من تأليفه وذكر مصادره التي اعتمد عليها فيقول:" وها أنا أشرع إن شاء الله تعالى في إعراب ما تيسر عليّ إعرابه من آي القرآن، وتفسير غريبه، وذكر أحاديث وفوائد لا يستغنى عنها، معتمدا في ذلك على الله سبحانه، وهو المسؤول سبحانه أن يجعله خالصا لوجهه، وقد اختصرت لباب مافي ابن عطية ...ولباب مافي الصفاقسيّ، ولباب مافي أبي البقاء....[3] وهذا هو نهجه رحمه الله في إيعاز النصوص لأصحابها، وبيان أقوال العلماء والمفسرين في مصنفه هذا وفي غيره، فيقول في تفسيسر الجواهر الحسان في تفسير القرآن:"فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية.."

1. منهج الكتاب ومحتوياته:

يتميز "الذهب الإبريز" بمنهج يزاوج بين التفسير اللغوي الدقيق والتحليل النحوي العميق:

* **علم الإعراب:** يشكّل الإعراب العمود الفقري للكتاب. يعالج الثعالبي التراكيب الصعبة، ويبين أوجه الإعراب المحتملة، ويفاضل بينها، مسلطاً الضوء على أن اختلاف الإعراب قد يؤدي إلى اختلاف في الدلالة والمعنى. وهذا التركيز يخدم مبدأ رئيسياً في فهم النص القرآني، وهو أن فهم النحو هو مفتاح لفهم المعنى.

* **تفسير الغريب:** يعنى الكتاب بشرح غريب القرآن، وهي المفردات التي قد تكون غير مألوفة أو تحمل دلالات خاصة تحتاج إلى شرح لغوي مستفيض. وهذا الجانب يخدم علم اللغة والدلالة مباشرة.

2. قيمة الكتاب اللغوية والعلمية:

تكمن القيمة العلمية لـ "الذهب الإبريز" في جوانب متعددة:

* **التأصيل النحوي للتفسير:** يُمثل الكتاب نموذجاً لدمج علم النحو بشكل منهجي في عملية التفسير. حيث لا يقف الثعالبي عند حدود المعنى الظاهر، بل ينقب في بنية الجملة وكيفية ارتباط الكلمات ببعضها لتوليد المعنى القرآني المعجز.

* **مرجعية المصادر:** اعتمد الثعالبي في كتابه على مصادر لغوية وتفسيرية، مثل تفسير ابن عطية الأندلسي (المحرر الوجيز) واختصار تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي وكلاهما يتميزان بالمنهج اللغوي القوي، وكتاب المجيد في إعراب القرآن المجيد للصفاقسي، والتبيان في إعرابه القرآن للعكبري، هذا الاعتماد يدل على الوعي النقدي والمنهجي لدى الثعالبي بضرورة البناء على جهود الأئمة السابقين في حقلي اللغة والتفسير.[4]

* **إضافة علمية ومنهجية:** يركز الكتاب على الجانب الإعرابي الذي كثيراً ما يكون غائباً عن التفاسير التي تهتم فقط بالجانب الفقهي أو العقدي، مما يجعله مصدراً ثميناً للدارسين في علوم العربية واللسانيات ولغة القرآن الكريم.

ثانيا: تعالق المستويات اللسانية: النظام المتكامل للغة

تُعَدّ اللغة نظاماً مُعَقَّداً ومتعدّد الطبقات، ولا يمكن فهم وظيفتها الكلية إلا من خلال دراسة المستويات التي تتكوّن منها وكيفية تفاعلها. المستويات اللسانية الأربعة الرئيسية هي: الصوتيات/الفونولوجيا، الصرف/المورفولوجيا، التركيب/النحو (Syntax)، وعلم الدلالة (Semantics). هذا التعالق ليس مجرد تتابع خطي، بل هو شبكة متكاملة يشتغل فيها كل مستوى مُدْخَلا أو مُؤَثِّرا في المستويات الأخرى، مما يضمن كفاءة وفعالية التواصل البشري.

يُعدّ مفهوم تعالق المستويات اللسانية من أبرز المفاهيم التي ظهرت في الدراسات اللسانية الحديثة، وهو يمثل رؤية تكاملية للغة بوصفها نظامًا من العلاقات المتشابكة التي تتفاعل فيما بينها لإنتاج المعنى. فاللغة ليست مجموعة من المستويات المنفصلة، بل هي كيان حيٌّ متكامل تتعالق فيه الأصوات والأبنية والتراكيب والدلالات والسياقات والمستوى الكتابي والسياقي " وترتبط هذه المستويات ببعضها بعلاقات عضوية لا تكاد تنفصم، وإنما جرى تقسيم اللغة لهذه المستويات للتسهيل والتيسير"[5].

أولًا: المفهوم العام

يُقصد بتعالق المستويات اللسانية تداخل العلاقات بين مستويات اللغة المختلفة: الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي، والتداولي. ويعني هذا التعالق أن كل مستوى لغوي يؤثر في غيره ويتأثر به، بحيث لا يمكن فهم ظاهرة لغوية بمعزل عن المستويات الأخرى. فاللغة بناء شبكيٌّ تتساند فيه المستويات جميعًا لتوليد الدلالة والتعبير عن المقاصد التواصلية. والذي لا خلاف فيه أن دراسة اللغة تقوم على مستويات (صوتي وصفي، وتركيبي ودلالي) تتداخل فيما بينها... لدرجة تغيب معها

الحدود والفوارق "فلا يمكن اعتبار التركيب والصيغة والمعجم والدلالة مستويات مختلفة متفاضلة عند التحليل اللغوي لأن صيغة العبارة وسلوكها اللغوي في التركيب إنما يحددهما مضمونها الدلالي والبناء التصوري الذي اتخذه ذلك المضمون"[6].

ثانيًا: الجذور النظرية للمفهوم

رغم أن المصطلح حديث النشأة في الدراسات اللسانية المعاصرة، إلا أن جذوره الفكرية متأصلة في التراث العربي. فقد أشار عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم إلى الترابط بين النحو والدلالة والبلاغة، وبيّن ابن جني في كتاب الخصائص العلاقة بين الأصوات والمعاني، كما نجد لدى سيبويه إشاراتٍ إلى تفاعل البنية النحوية مع الصرف والمعنى. وفي اللسانيات الحديثة، برز هذا المفهوم في المدرسة البنيوية مع دي سوسير، وتعمّق في اللسانيات الوظيفية والنصية.

1. الفونولوجيا وتأثيرها على المورفولوجيا والتركيب:

يبدأ بناء اللغة على مستوى الفونولوجيا (وظائف الأصوات). فالأصوات (الفونيمات) نفسها لاتحمل معنى في ذاتها، لكنها ذات وظيفة تمييزية، وتجميعها يكوّن وحدات ذات المعنى؛ مورفيمات ومونيمات. وهذا هو مفهوم الوظيفة التمييزية-. وقد اشتقت مدرسة براغ[7] من المبادئ السوسيرية إضافة إلى الفكر البنوي والعلامة اللغوية مبدأ القيمة الذي يخضع للمخالفة والمشابهة[8] ليؤسسوا للتحليل الفونولوجي فكرة الوظيفة التمييزية للوحدة انطلاقا من الوحدات الصوتية الصغرى المكونة لهذه الوحدة مثل التقابل بين الوحدتين الصوتيتين/ ر/و/غ/ في الوحدتين / راب/ و/ غاب/ تقابل صوتي متميز لأنه يعطينا معنيين متميزين ومختلفين ويتم التقابل على أساس الاستبدال Commutation أي أننا نستبدل الراء بالغين فتحصل على وحدة جديدة (معنى جديدة) وهكذا. ويؤكد تروبتسكوى ظاهرة التقابلات الصوتية التي تنطلق من مفهوم المخالفة والمشابهة غير الكاملة قائلا إن الدور الأساس في الفونولوجيا لا يأتي من الوحدات الصوتية في ذاتها، ولكن من التقابلات المميزة[9] ويظهر التعالق في هذين المستويين بوضوح في:

• **القيود الفونولوجية على التشكيل الصرفي**: في كثير من اللغات، تخضع إضافة سوابق أو لواحق صرفية (مثل علامات الجمع أو التصريف) لقيود صوتية صارمة. فمثلاً، في الإنجليزية، يختلف نطق علامة الجمع اللاحقة {-s} اعتماداً على الصوت الذي تنتهي به الكلمة الجذعية (مثل cat-s تنطق /s/، بينما dog-s تنطق /z/). هذا يُظهِر كيف أن القواعد الصوتية تُرَشِّح القواعد الصرفية.

• **التنغيم ووظيفته النحوية/الدلالية:** في اللغات التي تستخدم التنغيم، قد يؤدي تغيير نغمة الصوت إلى تغيير نوع الجملة (من تقريرية إلى استفهامية) أو تغيير المعنى الدلالي للكلمة ذاتها. التنغيم: هو تنوع في درجة الصوت يرتبط ارتباطا مباشرا بالتأثيرات الانفعالية من فرح أو حزن، أو غضب وتهكم أو استهزاء أو استغراب أو تعجب أو استفهام وغيرها من المشاعر التي تنعكس على شكل تغيرات تنتاب صوت المتكلم أثناء التعبير عنها[10]

فالتنغيم عنصر تحويلي، يحول الجملة من الإخبار إلى الاستخبار ويرتبط التنغيم بأمن اللبس فالتنغيم ظاهرة صوتية يصدرها المرسل ويفهمها المرسل إليه، أما إن وردت مكتوبة فلابد من وجود قرائن تحدد نوع التركيب اللغوي إن كان تعجبا أو نفيا أو إخبارا أو استخبارا[11]

2. **المورفولوجيا؛ الوصل بين الصوت والتركيب**

يُمثّل علم الصرف (المورفولوجيا) الجسر بين الأصوات المجرّدة والتراكيب النحوية. الوحدات الصرفية (المورفيمات) هي أصغر الوحدات الحاملة للمعنى.

• تكوين الكلمات ودوره في النحو: تحديد نوع الكلمة (اسم، فعل، صفة، إلخ) يتم على المستوى الصرفي، وهذا التحديد هو الذي يسمح للكلمة بالاندماج في بنية الجملة (التركيب). فمثلاً، إضافة مُورفيم اشتقاقي قد يُحَوِّل الفعل إلى اسم (كإضافة اللاحقة {-tion} لتحويل construct إلى construction في الإنجليزية)، وهذا التغيير يفرض عليها موقعاً ووظيفة نحوية مختلفة جذرياً في الجملة.

" والملاحظ في الأبنية القرآنية أنها استعملت على وفق أمرين:

الأمر الأول أنها استعملت على وفق الدلالات المشهورة المعروفة من معاني الأبنية المصادر وصيغ المبالغة والجموع وغيرها مما هو مقرر في كتب اللغة.

والأمر الآخر أنه خص أبنية بدلالات خاصة كالأعين والعيون، والقعود والقاعدين، والصوم والصيام وغيرها. إذ القرآن لا يستعمل بنائين مختلفين من مادة لغوية واحدة بدلالة متماثلة بل لابد أن يخص بناء أو لفظا باستعمال معين أو دلالة خاصة."[12]

3. التركيب والمعنى: العَلاقة التركيبية والدلالية

يُعَدّ مستوى التركيب (النحو) هو البنية العظمى التي تنظّم الكلمات في عبارات وجمل ذات معنى.

• سيطرة النحو على الدلالة (Principle of Compositionality): المبدأ الأساسي في اللغة هو أن معنى الجملة الكلي ليس مجرد مجموع معاني كلماتها المفردة، بل هو نتاج التفاعل التركيبي بين هذه الكلمات. فترتيب الكلمات يؤثر حتماً على المعنى (مثلاً، "أكل علي تفاحة" تختلف دلالتها جذرياً عن "أكل تفاحة علي" على الرغم من أن المورفيمات هي ذاتها).

• التأويل الدلالي للبنى النحوية: الوظائف النحوية (مثل الفاعل، المفعول به، المبتدأ) ليست مجرد خانات شكلية، بل إنها تخدم وظائف دلالية (مثل الفاعل كـ "المرتكب/الآجنت"، والمفعول به كـ "المتلقي/المتأثر"). هذا التأويل يوضح التعالق الوثيق بين الشكل النحوي والوظيفة الدلالية.

فالأصل "أن ننظر إلى اللغة نظرة متكاملة لا يستقل فيها الشكل عن المضمون، ولا المعنى عن ظروف الاتصال ومقاصد المتكلمين" [13]، وكتاب سيبويه نموذج واضح لذلك إذ نجد بين طياته: "الوقوف على نظم الكلام وتأليفه، وبسبب هذا الفهم كانت عنايته في الكتاب بدراسة أساليب العرب، والتعرف على الخصائص الأسلوبية له مثل التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والمعاني المختلفة للأدوات والحروف، وأثر ذلك كله في صحة النظم أو فساده."[14] كما يظهر هذا الجمع في ذروته

عند صاحب نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني(473ه) إذ يؤكّد من خلالها العلاقة الوثيقة بين علمي النحو والبلاغة " فليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلّ بشيء منها." [15]

إن تعالق المستويات اللسانية يُظهِر أن اللغة ليست مجموعة عشوائية من القواعد المتباينة، بل هي نظام هرمي متكامل. القواعد الفونولوجية تقيد المورفولوجية، والمورفولوجية تمد التركيب بالوحدات اللازمة، والتركيب ينظّم الوحدات ليتمكن علم الدلالة من إنتاج المعنى. يتطلّب الفهم العميق لأي ظاهرة لغوية، سواء كانت تاريخية أم نفسية أم اجتماعية، تحليلاً متوازناً يراعي كيفية تأثير هذه المستويات في بعضها البعض.

ثالثا: مستويات التحليل اللساني في كتاب الذهب الإبريز

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه لا يقتصر على الإعراب وفقط، بل يتجاوزه إلى ربط التحليل النحوي بالمعنى، والكشف عن الجوانب البلاغية والبيانية للآيات القرآنية. يعكس هذا المنهج التكاملي رؤية الثعالبي الشاملة للغة القرآن، حيث يرى أن الإعراب ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة رئيسة للوصول إلى فهم أعمق لمقاصد الشارع ودلالات النص المعجز.

اعتمد الثعالبي في "الذهب الإبريز" على عدة مستويات متكاملة من التحليل اللساني، يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

1. المستوى النحوي (الإعرابي)

يُعدّ المستوى النحوي الركيزة الأساسية في كتاب الثعالبي، حيث يركز على إعراب الكلمات والجمل القرآنية، وتحديد وظائفها الإعرابية، وعلاقاتها التركيبية. يهدف هذا التحليل إلى بيان التركيب اللغوي للآية، وكيف يسهم هذا التركيب في تحديد المعنى. يعتمد الثعالبي في إعرابه على آراء النحاة، ويناقش أحيانًا مسائل الخلاف النحوي ويرجح بينها بناءً على الأدلة.

مثال تطبيقي: إعراب "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"[16]

يقدم الثعالبي في بداية كتابه إعرابًا تفصيليًا للاستعاذة، وهو ما يعكس منهجه في تحليل أدق التفاصيل النحوية. يمكن تحليل هذه العبارة على النحو الآتي:

• أعوذ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. الفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره "أنا". هذا التحليل يوضح أن الفعل يدل على حدث مستمر يقوم به المتكلم.

• بالله: الباء حرف جر يفيد الاستعانة أو المصاحبة. "الله" لفظ الجلالة اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. الجار والمجرور متعلقان بالفعل "أعوذ"، مما يدل على أن الاستعانة والالتجاء هي بالله وحده.

• من الشيطان: "من" حرف جر يفيد الابتداء أو التبعيض. "الشيطان" اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. الجار والمجرور متعلقان بالفعل "أعوذ"، أي أن الاستعاذة تكون من الشيطان.

• الرجيم: صفة لـ "الشيطان" مجرورة وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخره. هذه الصفة توضح طبيعة الشيطان المطرود من رحمة الله.

يُظهر هذا المثال كيف أن الثعالبي لا يكتفي بالإعراب الشكلي، بل يربط كل عنصر إعرابي بالمعنى والدلالة، مما يجعل التحليل النحوي وسيلة للتفسير.

2. المستوى الصرفي

يتناول الثعالبي في "الذهب الإبريز" الجوانب الصرفية للكلمات، حيث يحلل أبنية الألفاظ وتصريفاتها، وكيف تؤثر هذه الأبنية في المعنى. يُعدّ هذا المستوى مكملاً للمستوى النحوي، ففهم بنية الكلمة يساعد على فهم وظيفتها الإعرابية ودلالتها.

مثال تطبيقي: تحليل صيغتي "الرحمن" و "الرحيم"[17]في إعراب "بسم الله الرحمن الرحيم"، يتطرق الثعالبي إلى تحليل هاتين الصفتين من الناحية الصرفية والدلالية:

• الرحمن: صيغة "فعلان"، وهي صيغة مبالغة تدل على سعة الرحمة وشمولها. هذه الصيغة تدل على كثرة الرحمة ودوامها، وتشمل جميع المخلوقات.

• الرحيم: صيغة "فعيل"، وهي صيغة مبالغة تدل على ثبوت الرحمة ووصولها إلى المرحوم. هذه الصيغة تدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

يُبرز الثعالبي الفرق الدلالي بين الصيغتين، حيث يرى أن "الرحمن" أعم وأشمل في دلالته على الرحمة التي تشمل جميع المخلوقات، بينما "الرحيم" أخص بالمؤمنين. هذا التحليل الصرفي الدلالي يوضح عمق فهم الثعالبي للغة القرآن، وكيف أن اختيار الكلمة وصيغتها يحمل دلالات عميقة تسهم في فهم المعنى القرآني.

3. المستوى الدلالي (المعجمي)

يهتم الثعالبي بشرح معاني المفردات القرآنية، خاصة الألفاظ الغريبة أو التي تحمل دلالات متعددة. يعتمد في ذلك على معاجم اللغة وتفاسير السابقين، ويهدف إلى إزالة أي غموض في فهم النص القرآني.

مثال تطبيقي: تفسير الألفاظ في الاستعاذة

عند تفسير "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، يقدم الثعالبي شرحًا لمعاني بعض الألفاظ:

• أعوذ: من العوذ، وهو الالتجاء والاعتصام والتحصن. هذا الشرح يوضح أن الاستعاذة ليست مجرد قول باللسان، بل هي فعل قلبي يدل على اللجوء إلى الله تعالى طلبًا للحماية.

• الشيطان: من "شطن" إذا بَعُدَ، فهو البعيد عن الخير وعن رحمة الله. هذا التفسير اللغوي يوضح طبيعة الشيطان ككائن متمرد بعيد عن الطاعة.

• الرجيم: المرجوم بالحجارة، أو المطرود من رحمة الله. هذه الدلالة توضح أن الشيطان مطرود ومبعد عن كل خير، مما يزيد من أهمية الاستعاذة منه.

يُظهر هذا المستوى اهتمام الثعالبي بالجانب المعجمي، وكيف أن فهم دلالات الألفاظ هو مفتاح لفهم المعنى العام للآية.

4. المستوى البلاغي والبياني

لا يغفل الثعالبي الجانب البلاغي في تحليله، حيث يشير إلى وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وكيف أن اختيار الألفاظ وتراكيب الجمل يسهم في إبراز المعاني البلاغية. يربط الثعالبي بين الإعراب والبلاغة، موضحًا كيف أن التراكيب النحوية تخدم الأغراض البلاغية.

مثال تطبيقي: الحكمة من ترتيب صفتي "الرحمن الرحيم"[18]

في "بسم الله الرحمن الرحيم"، يشير الثعالبي إلى الحكمة البلاغية من تقديم صفة "الرحمن" على "الرحيم":

• الرحمن: تدل على الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات في الدنيا.

• الرحيم: تدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الآخرة.

يُبرز الثعالبي أن هذا الترتيب البلاغي يدل على التدرج من العام إلى الخاص، وأن رحمة الله تشمل الجميع في الدنيا، ثم تختص بالمؤمنين في الآخرة. هذا التحليل يكشف عن عمق فهم الثعالبي للجوانب البلاغية في القرآن، وكيف أن الترتيب اللفظي يحمل دلالات عميقة.

رابعا: تعالق المستويات اللسانية في كتاب "الذهب الإبريز "لعبد الرحمن الثعالبي :تحليل لساني تطبيقي:

اللغة نظام متكامل في خدمة النص القرآني:

يُعدّ كتاب **"الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز "**للإمام عبد الرحمن الثعالبي مرجعاً مميزا، يجسد تطبيق المنهج اللساني القديم لفهم النص الديني .وينطلق الثعالبي من مبدأ أن فهم القرآن لا يكتمل إلا بإتقان علوم اللغة

العربية، مُظهِراً بذلك التداخل والتعالق العميق بين المستويات اللسانية الأربعة الصوتية، والصرفية، والتركيبية والدلالية.

1.تعالق المستوى التركيبي بالمستوى الدلالي

يمثل التركيز على **الإعراب** بعده محورا في "الذهب الإبريز"، حيث يُعامل النحو بعده أداة ضرورية لكشف المقاصد الدلالية والبلاغية .هذا هو النمط الأكثر بروزاً للتعالق اللساني في الكتاب:

أ .الإعراب، مدخلا لتعدد المعنى

يوضح الثعالبي كيف أن الوجه الإعرابي المختار يُحدد الدلالة المستفادة من الآية، فكل احتمال نحوي يفتح باباً لتأويل مختلف:

التعالق	الآية	الظاهرة اللغوية
تحليل إعراب "خيراً :"هل هو مفعول به ثانٍ لـ "يجعل"، أم هو وصف لمصدر محذوف ")جعلاً خيراً("؟ يربط الثعالبي كل وجه إعرابي بدرجة الخير المقصودة، مُثبتاً أن **التركيب يوجه التفسير الدلالي**.	فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا البقرة: (216)	**التعدد الإعرابي**

ب .التقديم والتأخير والوظيفة البيانية

يُسلط الضوء على ظاهرة العدول عن الترتيب الأصلي للجملة ليس عشوائياً، بل هو قرار تركيبي ذو وظيفة دلالية عليا:

التعالق	الآية	الظاهرة اللغوية
يوضح أن تقديم الضمير المنصوب **"إِيَّاكَ "**على الفعل يدل على **الحصر والقصر**) أي :لا نعبد إلا أنت(، وهي دلالة نحوية تخدم المعنى العقدي **للتوحيد المطلق**.	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ الفاتحة: 5	**التقديم والقصر**

2. تعالق المستوى الصرفي بالمستوى الدلالي

يظهر هذا التعالق في اهتمام الثعالبي بتحليل مبنى الكلمة وعلاقتها بجذرها اللغوي

لتحديد دلالتها في سياق النص:

أ .دلالة الصيغة الصرفية

يقارن الثعالبي بين الأوزان المختلفة للجذر اللغوي نفسه لتوضيح المعنى المصاحب الذي أضافته الصيغة:

التعالق	الآية	الظاهرة اللغوية
يشير إلى أن استخدام صيغة **"فَعَّلَ)** "فَجَّرْنَا (المشددة يدل على **المبالغة والتكثير** في الفعل)تفجير الأرض بالعيون(، وهي دلالة بلاغية تُضاف إلى المعنى الأصلي للجذر، وتتطلب فهماً صرفياً دقيقاً.	{وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا مقابل (12 :القمر) (بالتخفيف) "تَفْجُرَ"	**اختلاف الصيغ**

ب .تحليل الجذروالدلالة السياقية

عند تفسير غريب القرآن، يبدأ الثعالبي بتفكيك الكلمة إلى جذرها الأساسي ثم يحدد الدلالة التي استقرت لها في السياق القرآني:

التعالق	الآية	الظاهرة اللغوية
يربط الثعالبي فعل "يبيتون "بالجذر)ب.ي.ت(، لكنه يوضح أن صيغة الفعل المضارع في هذا السياق تحمل دلالة **الاستمرارية والدوام** على العبادة الليلية، مما يرفع من دلالة مدح المتقين.	وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا الفرقان : 64)	**الجذروالاشتقاق**

3. تعالق المستوى الفونولوجي والمستويات العليا

رغم قلة التركيز المباشر على الصوتيات، يلامس الثعالبي هذا المستوى عبر معالجته **للقراءات القرآنية المتواترة**:

الظاهرة اللغوية	الآية	التعالق
تغير الحركة الإعرابية	وَلَا يَأْمُرَكُمْ {مقابل وَلَا يَأْمُرُكُمْ} ${آل عمران(80 :	(الفتحة أو الضمة)يوضح أن التغيير الصوتي في حركة آخر الفعل يغير الوظيفة **التركيبية** للفعل، وبالتالي يغير سياقه **الدلالي** بالكامل (هل هو معطوف على سياق النصب، أم جملة مستأنفة مستقلة؟) التغيير الصوتي البسيط هنا له أثر كبير في النحو والمعنى

-منهج الثعالبي في التحليل اللساني

بناء على الأمثلة التطبيقية السابقة نجد أن منهج الثعالبي في "الذهب الإبريز" يتسم بخصائص عديدة نجملها فيما يأتي:

1. المنهج التكاملي

يجمع الثعالبي بين الإعراب والتفسير، ويربط بين المستويات اللغوية المختلفة (النحوية، الصرفية، الدلالية، والبلاغية). لا ينظر إلى كل مستوى بمعزل عن الآخر، بل يرى أنها تتكامل لخدمة فهم النص القرآني. هذا التكامل يجعله يقدم تفسيرًا شاملاً للآيات، لا يقتصر على جانب واحد.

2. المنهج المقارن

يعرض الثعالبي آراء النحاة والمفسرين المختلفة، ويناقش مسائل الخلاف بإنصاف وموضوعية. لا يتعصب لرأي واحد، بل يرجح بين الآراء بناءً على الأدلة اللغوية والشرعية. هذا المنهج يعكس سعة اطلاعه وعمق تفكيره، وقدرته على الموازنة بين الأقوال المختلفة.

3. المنهج التطبيقي

يطبق الثعالبي القواعد النحوية والصرفية على النص القرآني مباشرة، ويوضح الوظائف النحوية للكلمات، ويبين أثر الإعراب في فهم المعنى. هذا الجانب التطبيقي يجعل كتابه مرجعًا عمليًا للدارسين، حيث يمكنهم من خلاله رؤية كيفية تطبيق القواعد اللغوية على آيات القرآن الكريم.

خاتمة

- ✓ يُعدّ كتاب "**الذهب الإبريز في إعراب وتفسير كتاب الله العزيز**" للثعالبي نموذجًا متميزا في الدراسات القرآنية التي تجمع بين عمق التحليل اللغوي وشمولية التفسير. لقد أظهر الثعالبي من خلال منهجه التكاملي والمقارن والتطبيقي، أن الدرس اللساني بمستوياته المختلفة (النحوية، الصرفية، الدلالية، والبلاغية) هو مفتاح أساس لفهم النص القرآني واستنباط أسراره البيانية والمعنوية. إن هذا العمل يمثل إضافة قيمة للمكتبة الإسلامية، ويؤكد على الدور المحوري للغة في خدمة علوم القرآن.
- ✓ يُعدّ أبرز ما يميز كتاب الذهب الإبريز هو هذا التكامل المنهجي بين المستويات اللغوية؛ فلا يدرس الثعالبي ظاهرة صوتية أو تركيبية بمعزل عن أثرها الدلالي، بل يسعى إلى تفسيرها في ضوء المعنى المقصود.
- ✓ فهو يجمع بين التحليل النحوي والصرفي والدلالي والبلاغي في شبكة متكاملة، تجعل اللغة عنده بنية حيّة لا مستويات متفرقة. وهذا الاتجاه يعكس ما يمكن تسميته بـ"الوعي اللساني الكلي" في الفكر العربي القديم، وهو ما يسبق النظريات اللسانية الحديثة التي تؤكد ترابط المستويات في بنية اللغة.
- ✓ يتضح من خلال ما سبق أنّ الثعالبي في الذهب الإبريز لم يكن مفسّرًا لغويًا فحسب، بل كان لغويًا ذا رؤية متكاملة تدرك أن المعنى لا يُبنى إلا بتضافر المستويات اللسانية.
- ✓ فالصوت يدلّ على التركيب، والتركيب يوجّه الدلالة، والدلالة تُستثمر في المقاصد البلاغية، في شبكة تفسيريّة دقيقة.
- ✓ وقد أظهر الكتاب بذلك أن التراث العربي يمتلك جذور اللسانيات التكاملية قبل ظهورها في الفكر الغربي.
- ✓ إنّ إعادة قراءة الذهب الإبريز من منظور لساني حديث تفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين اللغة والفكر والدين في الثقافة العربية الإسلامية.

الإحالات:

[1] ينظر: الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز: عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري. تح: محمد شايب شريف وأبو بكر بكر بلقاسم ضيف. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2018م، ط، ص9.

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن الثعالبي. تح: عمار طالبي. عالم المعارف، الجزائر، طبعة خاصة،2011، ج1، ص هـ

[3] الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، ص21.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص21.

[5] ضوابط الفكر النحوي: محمد عبد الفتاح الخطيب. دار البصائر، القاهرة، 2006، ص10.

[6] -مدخل إلى النحو العرفاني: عبد الجبار بن غريبة. مسكلياني للنشر، كلية الآداب والفنون الإنسانية منوبة، 2010، ط1 ص 45.

[7] - تأسست سنة1928، على يد تروبتسكي (1923) ورومان جاكيسون (1882).

[8] - القيمة من المبادئ التي تؤسس اللسانيات وهي الدلالة التي يكتسبها أي عنصر في سياق معين، تشبها للعناصر اللغوية بالوحدات الاقتصادية، فأنه قيمة لأية عملية لابد أن تخضع في نظره لأمرين هما به. / المشابهة: فكل عملة يجب أن تشابه غيرها ولو مشابهة غير كاملة. ينظر: علم اللغة العام، ص 134/ التفكير الدلالي عند العرب ص 69.

[9] Troubestkoy principes de phonologie. Paris, klienchsiek ,1948, p47.

[10] - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، القاهرة، 1979 م، دط، ص 228.

[11] - ينظر: أمن اللبس في النحو العربي - دراسة في القرائن-: بكر عبد الله خورشيد: 1427.2006، ص89-90.

[12] من أسرار البيان القرآني: فاضل صالح السامرائي. دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 1431هـ-2010م، ص7.

[13] -في اللسانيات التداولية-مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: خليفة بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، 2012م، ط2، ص128.

[14] - أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: قيس إسماعيل الأوسي، بين الحكمة، بغداد، د ت، ص 30.

[15] - دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، شركة القدس، ط3، 1413 هـ 1992م، ص 81.

[16] ينظر: الذهب الإبريز: ص22

[17] ينظر: المصدر نفسه: ص22

[18] الذهب الإبريز: ص22.

قائمة المصادر والمراجع:

1. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، القاهرة، 1979 م، دط.
   اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، القاهرة، 1979 م، دط.
2. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، القاه اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، القاهرة، 1979 م، دط.
3. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: قيس إسماعيل الأوسي، بين الحكمة، بغداد، د ت.
4. أمن اللبس في النحو العربي - دراسة في القرائن-: بكر عبد الله خورشيد: 1427.2006.
5. التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث- الأصول والاتجاهات خالد خليل هويدي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1،2012..
6. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، شركة القدس، ط3، 1413 هـ 1992م.
7. الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز: عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري. تح: محمد شايب شريف وأبو بكر بكر بلقاسم ضيف. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2018م، ط1
8. ضوابط الفكر النحوي: محمد عبد الفتاح الخطيب. دار البصائر، القاهرة، 2006.
9. في اللسانيات التداولية-مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: خليفة بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، 2012م، ط2.
10. مدخل إلى النحو العرفاني: عبد الجبار بن غريبة. مسكلياني للنشر، كلية الآداب والفنون الإنسانية منوبة، 2010، ط1.
11. من أسرار البيان القرآني: فاضل صالح السامرائي. دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 1431هـ- 2010م.
12. Troubestkoy principes de phonologie. Paris , klienchsiek ,1948

الإعراب مدخلاً للتفسير القرآني قراءة نحوية في كتاب "تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن " للثعالبي ت875هـ

أ.د. نسيمة شمام- جامعة خنشلة-

chamam.nassima@univ-khenchela.dz

الملخص

تَنْحُو هذه المداخلة - الموسومة بـ الإعراب مدخلاً للتفسير القرآني: قراءة نحوية في كتاب تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن للثعالبي إلى إبراز الصلة الوثيقة بين علمي النحو والتفسير، وإجلاء الدور الذي يؤديه الإعراب في كشف الدلالات القرآنية وتحديد المعاني، إذ انطلقت الإشكالية المركزية للبحث من :كيف يمكن أن يكون الإعراب مدخلاً لفهم وتفسير النص القرآني؟

تناولت المداخلة جملة من المحاور، أولها تعريف الإعراب القرآني باعتباره أداة لبيان العلاقات النحوية وتوجيه المعنى، ثم تعريف علم التفسير بوصفه علماً مَعنيًّا ببيان معاني النص القرآني وأحكامه. كما قدّم ترجمة للإمام عبد الرحمن الثعالبي، مبرزاً مكانته العلمية ومؤلفاته، وفي مقدمتها كتاب *تحفة الإخوان* الذي يعدّ نموذجاً عملياً لتوظيف الإعراب في خدمة التفسير. وقد اتضح من خلال دراسة منهج الكتاب أنه يقوم على عرض الآية، ثم إعراب مفرداتها فجملها، وربطها بالمعنى التفسيري وتوضيح المصطلحات النحوية مثل المبتدأ والخبر... بما يخدم الفهم الدلالي للآيات.

خلص البحث إلى أن الإعراب ليس مجرد صناعة نحوية؛ بل مدخلاً أساساً لفهم معاني القرآن الكريم، إذ إنه يساهم في إزالة الغموض وضبط الدلالات، كما ويؤكد أن دراسة النحو إنما تُراد وتطلب خدمةً للنص القرآني وتوجيه المعنى التفسيري.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير، النحو، الإعراب، المعنى.

مقدمة

يُعدّ القرآن الكريم النصّ المرجعي الأعلى في الثقافة الإسلامية ومصدر التشريع والبيان والهداية. وقد انصرف علماء الأمة منذ عصوره الأولى على اختلاف تخصصاتهم إلى خدمته شرحا وتفسيرا كلٌّ حسب مرجعيته ومنهجه، فكان للمفسرين عناية بإبراز الدلالات والمعاني، وللفقهاء اهتمام باستخراج الأحكام، كما كان لعلماء اللغة والنحو دورٌ بارز في ضبط النص القرآني بغية الحفاظ عليه خاليا من اللحن واللَّبس والغموض، فبرز منهم القراء والمفسرون أمثال أبي عمرو بن العلاء (ت154ه) والكسائي(ت189ه) والزجاج (ت311ه) وغيرهم الكثير ممن شغلوا بنص القرآن وما يتضمنه من معانٍ مخبوءة وراء الحركة الاعرابية والوقف ، ومن هنا نشأ مجال خصب في الدرس اللغوي عرف بالإعراب القرآني جمع بين الصناعة النحوية والفهم الدلالي للنص.

فالإعراب من هذا المنطلق ليس غايةً في ذاته، بل وسيلة من وسائل التفسير؛ فبقدر ما يكشف من علاقات تركيبية، يفتح آفاقًا لفهم دلالات

النص القرآني. وقد أدرك علماء العربية منذ القرون الأولى هذا الدور، فظهر التأليف في إعراب القرآن، ابتداءً من أعمال المبرد والزجاج، وصولاً إلى مؤلفات لاحقة مزجت بين النحو والتفسير. وفي هذا الإطار يأتي كتاب (تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن، للإمام عبد الرحمن الثعالبي)، الذي يمثّل نموذجًا واضحًا لتوظيف الإعراب في خدمة التفسير، جامعًا بين الصنعة النحوية والغاية الدلالية.

تتجلى أهمية هذا الموضوع في أنه يبرز التداخل السلس بين علوم القرآن وعلوم العربية، ويكشف عن كون النحو ليس علماً تجريدياً، بل مدخلاً أساساً لفهم كلام الله تعالى، وضمانًا لدقة المعنى القرآني. كما أنّ اختيار الثعالبي -من علماء الغرب الإسلامي في القرن التاسع الهجري- يتيح فرصة لدراسة مساهمة المدرسة المغاربية في التأليف النحوي والتفسيري، إلى جانب ما هو شائع من جهود في المشرق.

تنطلق إشكالية هذه المداخلة من التساؤل المركزي :كيف يكون الإعراب مدخلاً

لتفسير القرآن الكريم؟ وتتفرع عنها تساؤلات فرعية:

- ما المقصود بالإعراب القرآني؟
- ما علاقة الإعراب القرآني بعلم التفسير؟
- ما منهج الثعالبي في كتابه تحفة الإخوان؟
- كيف ساهم الاعراب في توجيه الدلالة التفسيرية لبعض الآيات القرآنية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، اعتمدت المداخلة منهجا وصفيا تحليليا، يقوم على توضيح الإطار النظري للإعراب القرآني والتفسير، ثم عرض ترجمة علمية للثعالبي، قبل الانتقال إلى دراسة منهجه في كتابه، وتحليل بعض الأمثلة التطبيقية التي تبرز أثر المصطلحات النحوية كالمبتدأ والخبر والحال ... في تفسير معاني الآيات.

من أجل ذلك، تعزم هذه المداخلة إبراز الدور التفسيري للإعراب، وإلى تأكيد فكرة أن دراسة علم النحو القرآني ليست تقعيدا لغويا فحسب، بل مدخل رئيس لفهم النص القرآني، وعبد الرحمن الثعالبي في كتابه تحفة الإخوان قدّم مثالاً عملياً على هذا التوجه.

ولإعطاء هذا الكتاب وصاحبَه حقهما في الابــانة اتبعت الخُطاطة الآتية:

- مقدمة
- تعريف الإعراب القرآني
- تعريف التفسير
- ترجمة عبد الرحمن الثعالبي
- منهج الكتاب (مدعما بأمثلة توضيحية من الكتاب)
- شرح مصطلحات نحوية (مدعما بأمثلة توضيحية من الكتاب)
- خاتمة

وآثرت أن أختم المداخلة بتوصيات ترتكز في معظمها على ضرورة التعريف بجهود علماء الجزائر القدامى في خدمة اللغة العربية.

1) تعريف الإعراب القرآني

يعَدّ إعراب القرآن علمًا مستقلاً [1] في مجال الدراسات القرآنية، على الرغم من أنّه يقوم على قواعد علم النحو الذي يبحث في تخريج التراكيب القرآنية على وفق الأصول النحوية المقررة عند النحاة، بهدف بيان المعاني المستفادة من الحركات الإعرابية ووظائف الكلمات داخل السياق القرآني.

من أجل ذلك، يعده المختصون فرعا من فروع التفسير يعالج النص من زاوية لغوية نحوية، لتحديد مواقع الكلمات: أهي فاعل أم مفعول... ووظيفتها النحوية كالفعلية أو المفعولية.

يرى ابن هشام الأنصاري(ت761ه) في مقدمة كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب أن إعراب القرآن، "هو ما يُبيّن به المعنى ويُميز به بعض الكلام من بعض"[2]، فإعراب القرآن عنده أداة أساسية لفهم المعاني المقصودة في القرآن الكريم، فهو الذي يوضح عن العلاقات بين الكلمات ويوضح المقصود من الكلام، ويفصل بين المعاني المختلفة للكلام المتشابه.

في حين استرسل بدر الدين الزركشي (ت794ه) في البرهان في علوم القرآن في الشرح قائلا " وَالْإِعْرَابُ يُبَيِّنُ الْمَعْنَى وَهُوَ الَّذِي يُمَيِّزُ الْمَعَانِيَ وَيُوقِفُ عَلَى أَغْرَاضِ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَرَّقُوا بِالْحَرَكَاتِ وَغَيْرِهَا بَيْنَ الْمَعَانِي ...وَعَلَى النَّاظِرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْكَاشِفِ عَنْ أَسْرَارِهِ النَّظَرُ فِي هَيْئَةِ الْكَلِمَةِ وَصِيغَتِهَا وَمَحَلِّهَا كَكَوْنِهَا مُبْتَدَأً أَوْ خَبَرًا أَوْ فَاعِلَةً أَوْ مَفْعُولَةً أَوْ فِي مَبَادِئِ الْكَلَامِ أَوْ فِي جَوَابٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَعْرِيفٍ أَوْ تَنْكِيرٍ أَوْ جَمْعٍ قِلَّةٍ أَوْ كَثْرَةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِك،يَجِبُ عَلَيْهِ مُرَاعَاةُ أُمُورٍ:أَحَدُهَا... أَنْ يَفْهَمَ مَعْنَى مَا يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ مُفْرَدًا كَانَ أَوْ مُرَكَّبًا قَبْلَ الْإِعْرَابِ فَإِنَّهُ فَرْعُ الْمَعْنَى ... وَمِنْ ذَلِكَ تُقَاةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ آل عمران 28 ، فِي نَصْبِهَا ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى تَفْسِيرِهَا فَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى الِاتِّقَاءِ فَهِيَ مَصْدَرٌ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾نوح 17، وَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ أَيْ أَمْرًا يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ فَهِيَ نَصْبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ وَإِنْ كانت جمعا كرام ورماة فَهِيَ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ" [3]

فالإعراب عند الزركشي أداة أساسية لفهم معاني القرآن، فالْإِعْرَاب فَرْعُ الْمَعْنَى، ودلل على كلامه بآيات من القرآن متى ما تغير فيها المعنى تغيرت الحركة الاعرابية فتغيّر الْإِعْرَاب.

وأكد جلال الدين السيوطي(ت911ه) في الإتقان في علوم القرآن أن "مِنْ فَوَائِدِ هَذَا النَّوْعِ مَعْرِفَةُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْإِعْرَابَ يُمَيِّزُ الْمَعَانِيَ وَيُوقِفُ عَلَى أَغْرَاضِ الْمُتَكَلِّمِينَ "[4].

يرى السيوطي أن الإعراب يعين في تحديد المعنى الصحيح للآيات، فبه يمكن التمييز بين المعاني المختلفة التي قد تحملها الكلمات ونتمكن من معرفة المعنى المقصود في السياق القرآني.

مما سبق، يمكن القول أن إعراب القرآن: علمٌ يهتم ببيان مواقع الكلمات والتراكيب في الآيات القرآنية وبيان وظائفها النحوية، بغية الكشف عن المعاني الدقيقة التي تترتب على اختلاف الحركات الإعرابية فالإعراب، بما يخدم التفسير ويثري الفهم.

ج/ العلاقة بين إعراب القرآن وعلم النحو

إعراب القرآن ليس بديلاً عن النحو، وإنما هو تطبيقٌ له على النص القرآني، لكنه يتجاوزه في كثير من المواطن، إذ يقدم للقارئ تراكيب بديعة قد لا تتكرر في كلام العرب إلا قليلاً، ما يفتح آفاقًا جديدة لفهم علم النحو نفسه، من أجل ذلك، نشأ عند العلماء مجال في الدرس يسمى التخريج النحوي للآيات، أي بيان وجه انتمائها إلى قاعدة معينة من قواعد النحو، ولتوضيح الفكرة نسوق المثال الآتي: قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ البقرة: 93. فكلمة ٱلْعِجْلَ مفعول به ثانٍ، والتقدير: أُشربوا في قلوبهم حُبَّ العجل، لولا الإعراب لما اتضح أن المقصود هو حب العجل، لا ذاته، وهذه لطيفة معنوية دقيقة كشفها الإعراب.

د/ إعراب القرآن كجزء من التفسير

يُعدّ الإعراب مدخلا تفسيريا مُهمًّا، إذ يساهم في بيان المعنى المراد لله تعالى من خلال دلالة البنية النحوية، ولذلك، قال جار الله الزمخشري (ت538ه)

في الكشاف : " ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة اللَّه، وحرص على استيضاح معجزة رسول اللَّه بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات، طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع إليه، وردّ عليه فارسا في علم الإعراب "[5]، فمن لم يعرف النحو فليس له أن يتكلم في التفسير ذلك أن علم المعاني مرتبط أشد الارتباط بمواقع الكلمات. ويمكن سوقُ المثال الآتي، من التفسير: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الإخلاص 1-2.

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ خبر بعد خبر. وهذا الإعراب يبرز جانبًا من التوكيد والرسوخ في المعنى، إذ يثبت بعد وحدانيته أنه ٱلصَّمَدُ أي المرجع المطلق، ليجمع بين التنزيه والكمال في تركيب موجز.

فعلم إعراب القرآن علمٌ تطبيقيّ يربط بين النحو والتفسير، يهدف إلى إظهار المعاني القرآنية على وجهها الصحيح، ومنع الالتباس، وتجليه إعجاز القرآن البلاغي .وهو بذلك رافدٌ أساسٌ للدراسات القرآنية واللغوية، ومفتاح لفهم أعمق للنص الكريم.

هـ/ أهمية علم إعراب القرآن :

علم الإعراب ليس مجرد تحديد وظائف الكلمات من رفعٍ ونصبٍ وجرٍّ وجزم، بل هو أداة لفهم دقيق لمعاني القرآن، إذ قد يختلف المعنى باختلاف الإعراب. والإعراب بهذا المعنى يكشف عن المقاصد ويزيل اللبس، ويُبرز بلاغة التركيب القرآني.

- كشف المعاني الخفية واللطائف المكنونة

الإعراب يُبرز معاني دقيقة قد لا تُدرك بمجرد القراءة السطحية. فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ البقرة 124.

كلمة إِمَاما هنا مفعول به ثانٍ ل جاعل، ولو كانت حالاً بإعراب إِمَاما حالاً من الكاف؛ لأفاد أن الإمامة حالٌ مؤقتة لا دائمة. لكن بكونها مفعولاً به ثانياً، دلَّ الإعراب على

الثبات.

– بيان جانب من الإعجاز اللغوي في القرآن

الإعجاز القرآني يظهر في دقة التراكيب وسعة الدلالات التي يتيحها الإعراب. نحو **قوله تعالى:**﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْد وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات 47.

كلمة مُوسِعُون خبر إنّ مرفوع، أي نحن قادرون على الإيجاد والتوسيع. ولو كانت موسِعين وأُعربت حالاً لأفادت معنىً مقيدًا بالفعل السابق فقط، لكن برفعها دلّ الإعراب على استمرارية القدرة، وهو أدق في الدلالة على الإعجاز.

وقوله تعالى:﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الفجر 22.

نُصبت صَفًّا صَفًّا على أنها حال، وهذا الإعراب يصور مشهداً بديعاً للحشود الملكية مصطفّةً بأبهى نظام، ولو أُعربت مفعولاً مطلقاً لفقد التصوير البليغ معناه، فالإعراب هنا جعل التركيب أكثر تصويراً وجمالاً.

و/ أشهر المصنفات – العتيقة - في علم اعراب القرآن الكريم

صنف في علم اعراب القرآن - قبل الثعالبي- مصنفات كثيرة منذ القدم، نذكر منها الكتب الآتية:

- إعراب القرآن، لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت206ه).
- إعراب القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت209ه).
- إعراب القرآن، للأخفش الأوسط (ت215ه).
- إعراب القرآن، لأبي حاتم السجستاني (ت255ه).
- إعراب القرآن، لابن قتيبة الدينوري (ت276ه).
- إعراب القرآن، لأبي العباس أحمد الشيباني المعروف بثعلب (ت291ه).
- معاني القرآن وإعرابه لأبي اسحاق ابراهيم الزجاج (ت311ه).
- تفسير مشكل إعراب القرآن، للمعافى بن زكريا النهرواني (ت390ه) .
- غريب إعراب القرآن، لأبي الحسين أحمد بن فارس(ت395ه).

- الملخص في إعراب القرآن، للخطيب التبريزي (ت502ه).
- الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني (ت643ه) .
- إعراب القرآن لأبي عبد الله محمد النحاس (ت698ه).
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العُكبري البغدادي الحنبلي (ت 616ه).

ز/ ضوابط إعراب القرآن الكريم

حتى نعرب القرآن الكريم وجب الالتزام بمجموعة من القواعد والمبادئ والضوابط . كي نقارب المعنى المقصود في النص القرآني، ونتجنب التأويلات الخاطئة، ويمكن تقسيم ضوابط إعراب القرآن الكريم إلى:

- ضوابط المعنى
- ضوابط الرسم والقراءات
- ضوابط الصناعة الإعرابية [6]
- **ضوابط المعنى**

المقصود بضوابط المعنى؛ القواعد الأساسية التي ينبغي على المفسر أو النحوي مراعاتها عند إعراب القرآن الكريم، حتى يكون الإعراب منسجمًا مع المعنى الصحيح وموافقًا لقواعد اللغة العربية السليمة. ويمكن إجمال هذه القواعد في النقاط الآتية:

-**أن يفهم معنى ما يريد إعرابه مفردًا أو مركبًا:** أي أن الإعراب لا يُبنى على الشكل وحده، بل يجب أن يكون مبنيًّا على فهم المعنى، فالعالِم إذا أراد أن يعرب كلمة أو جملة، عليه أن يفهم معناها أولا، نحو قوله تعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر28، لا يمكن أن نعرب "الله" فاعلاً، لأن المعنى سيكون فاسدًا (كأن الله يخشى العلماء!)، والصواب أن "العلماءُ" هم الفاعل. ففهم المعنى هو الذي وجّه الإعراب.

- **توافق الإعراب مع كلام العرب:** أي أن يكون الوجه الإعرابي الذي يُعتمد موافقًا لقواعد اللسان العربي الفصيح كما استقر في القرآن والحديث والشعر العربي،

فلا يجوز أن نحمّل النص القرآني إعرابًا غريبًا أو محدثًا لم يُعرف في كلام العرب، نحو قوله تعالى :﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ النساء 95، جاءت كلا منصوبة على الاشتغال أو أنها مفعول به مقدّم، وهذا موافق لأساليب العرب. فلا يصح أن تُعرب على وجه شاذ لا يقرّه كلامهم.

- **النظر إلى السياق في مواضع احتمال اختلاف الإعراب:** أي إذا كان التركيب يحتمل أكثر من وجه إعرابي، فالمرجّح هو ما ينسجم مع السياق العام للآية، السياق يشمل المعنى السابق واللاحق والمقام الذي وردت فيه الآية، نحو قوله تعالى :﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان 8، كلمات: مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، يمكن إعرابها مفعولًا به ثانيًا، أي يطعمون الطعام المسكينَ، أو مفعولًا به لأجله أي إطعامًا لأجل المسكين. وبالنظر إلى السياق أنها مفعول به ثانٍ.

فهذه القواعد الثلاثة تبين أن الإعراب وسيلة خادمة للمعنى القرآني، لا غاية مستقلة عنه، وحتى نصل إلى هذا الغاية وجب: الفهم الصحيح للمفردة والتركيب، ومطابقة قواعد اللسان العربي، ومراعاة السياق القرآني عند تعدد الأوجه الإعرابية.

○ضوابط الرسم والقراءات

المقصود بضوابط الرسم والقراءات؛ الضوابط العلمية التي ينبغي مراعاتها عند التعامل نحويًّا مع القراءات القرآنية، أي كيف نوازن بين الإعراب وبين ورسم المصحف والقراءات القرآنية، ويمكن إجمال هذه الضوابط في ثلاث:

- **الوجه الإعرابي الموافق لرسم المصحف:** يرجع إلى الوجه الإعرابي الموافق لرسم المصحف، فالقول الخارج عن رسم المصحف مردود، المقصود أنّ أيّ اجتهاد نحوي في تفسير آية أو توجيه إعرابها يجب أن يبقى في حدود الرسم العثماني للمصحف، فلا يُقبل تأويل أو إعراب يقتضي تغيير بنية الكلمة المكتوبة في المصحف، فإن وردت كلمة مرسومة بحذف أو بزيادة معينة في الرسم العثماني، فلا يجوز للإعراب

أن يتجاوز هذا الرسم، لأن الرسم أصل معتمد في نقل النص.

-**لا يجوز رد القراءة بالإعراب إنْ ثبتت:** لا يجوز رد القراءة القرآنية بالإعراب إن ثبتت صحتها، هذا الضابط يعني أنّ ثبوت القراءة المتواترة مقدّم على الاعتراض النحوي، أي إذا وردت قراءة قرآنية صحيحة وثبت تواترها، لا يصح رفضها بحجة أنها مخالفة للقاعدة النحوية، لأن القاعدة نفسها تُبنى على ما ورد من القرآن، فالقرآن أصل للنحو، وليس النحو أصلاً على القرآن، فبعض القراءات التي قد تبدو شاذة نحويًا عند المتأخرين، هي في الأصل مقبولة لأنها متواترة.

-**عدم تفضيل قراءة متواترة على مثلها بالإعراب:** لا تُفضل قراءة متواترة على مثلها بالإعراب، ما تواتر قراءة يخرج على وجه إعرابي قوي، أي لا يجوز القول: هذه القراءة أولى أو أفضل من الأخرى لمجرد أنّ وجهها الإعرابي أوضح أو أقوى، فالقراءتان إذا كانتا متواترتين، فكلتاهما صحيحة ومعتمدة، ولا تُفاضل بينهما بميزان النحو، وإنما يُقال: كل قراءة لها وجهها الإعرابي الذي يوجّهها العلماء بما يتوافق مع قواعد النحو، فاختلاف القراء في رفع كلمة أو نصبها في آية ما، إذا كانتا عن قراءتين متواترتين، فلا نقول إن الرفع أصح من النصب لمجرد أن أحدهما أقوى نحويًا.

فهذه الضوابط الثلاثة تؤكد قاعدة أساسية في التعامل مع نص القرآن: الرسم العثماني والقراءات المتواترة هما الأصل، والإعراب تابع لها ووسيلة لبيانها.

فلا يجوز للإعراب أن يُغيّر أو يُعارض رسمًا ثابتًا أو قراءة متواترة، ولا يُستخدم النحو للمفاضلة بين القراءات الصحيحة، بل لتوضيح أوجهها مجتمعةً.

- **ضوابط الصناعة الإعرابية**

تقوم الصناعة الإعرابية على جملة من الضوابط التي تضمن سلامة التحليل النحوي، وتحميه من التكلف أو مخالفة الاستعمال العربي الأصيل. وهذه الضوابط ليست مجرد قواعد نظرية، بل هي أدوات عملية يعتمدها النحاة والمفسرون عند التعامل مع النصوص، وبخاصة النص القرآني.

- **مراعاة صحة المعنى وتجنب ما لم يثبت في العربية:** الأصل في الإعراب أن يُبنى على كلام العرب لفظًا ومعنى، فلا يُخرَّج لفظ على وجه لا شاهد له في لسان العرب، الغرض من هذا الضابط حماية الصناعة الإعرابية من التكلف، والتزام معيارية اللغة كما وردت في الشعر، والخطابة، والنصوص القرآنية، نحو: إذا ورد تركيب قرآني لا يحتمل إلا وجها واحدًا معروفًا في كلام العرب، فلا يجوز أن يُؤوَّل بوجه شاذ لم يثبت في الاستعمال.

- **استيفاء الأوجه الإعرابية المحتملة، مع ترجيح الأقوى :** فإذا كان اللفظ يحتمل أكثر من وجه إعرابي صحيح، فعلى الباحث أن يذكر هذه الأوجه، ثم يوجّه الإعراب إلى الوجه الأقوى والأقرب للمعنى، هذه المنهجية تمنع الاقتصار على وجه واحد وإغفال بقية الأوجه ، كما تمنع الأخذ بالوجه الأضعف على حساب ما هو أنسب للسياق، مثاله قوله تعالى :﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ البقرة 124، يمكن أن يُعرب ابراهيم مفعولًا به مقدم ، و ربه فاعل، وهو الوجه الأرجح؛ ويُحتمل أن إبراهيم فاعلا ، و ربه مفعولًا به ، لكن السياق يمنع الاعراب الثاني.

-**ما لا يتطلب تأويلًا أولى مما يتطلبه:** تقول القاعدة أن التفسير المباشر الظاهر أولى من المؤوَّل؛ فمتى أمكن حمل الكلام على معنى واضح بلا تكلف، فلا يُعدل عنه إلى معنى يحتاج إلى تأويل أو افتراضات بعيدة، وهذا يحقق مقصدًا بلاغيًا مضمونه؛ أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب المبينة عن أغراضهم، فلا ينبغي صرفه عن ظاهره إلا بدليل.

- **مراعاة ما يشابه ويناظر التراكيب:** فإذا ورد تركيب في القرآن يشبه تراكيب عربية أخرى، وجب حمله على ما يماثله، أي أن الصناعة الإعرابية تقوم على القياس والمماثلة، فلا يُفرد النص بتوجيه خاص يخالف ما استقر في نظائره، فإذا وردت جملة فعلية على نسق معين، وورد مثلها في موضع آخر من القرآن أو الشعر، فالأصل أن يُعربا على نسق واحد.

- .**مو افقة أدلة الشرع الحكيم:** يجب أن يكون التوجيه الإعرابي منسجمًا مع المعنى الصحيح شرعًا، لأن الصناعة الإعرابية ليست غاية بذاتها، وإنما أداة لفهم النص

القرآني الذي هو مصدر التشريع، نحو قوله تعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر28، لو أُعرب الله فاعلًا لاختل المعنى، وصار مخالفًا لمقتضى الشرع والعقل، فكان إعرابه مفعولًا به مقدّمًا، والعلماء فاعلًا مؤخرًا أوفق وأسلم .

و/ فضل اعراب القرآن

ورد في الآثار أقوال كثيرة تدلل على الأهمية الجليلة للإعراب القرآني، فإجادته تعطي صاحبه مفتاحا لفهم الكلام، وفي هذا الباب أورد القرطبي في تفسيره الآتي: «حدثنا يحيى بن سليمان الضبي قال حدثنا محمد - يعني ابن سعيد حدثنا أبو معاوية عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن جده عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه .» حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن الهيثم قال حدثنا آدم - يعني ابن أبي إياس قال حدثنا أبو الطيب المروزي قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : - من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات فإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة فإن أعربه وكل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة وروى جويبر عن الضحاك قال : قال عبد الله بن مسعود :جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات ، وأعربوه فإنه عربي ، والله يحب أن يعرب به . وعن مجاهد عن ابن عمر قال: أعربوا القرآن. وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد قال: قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: لبعض إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه. وعن الشعبي قال: قال عمر رحمه الله: من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد. وقال مكحول: بلغني أن من قرأ بإعراب كان له من الأجر ضعفان ممن قرأ بغير إعراب. وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : - أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي ".[7]

والواضح فيما ذكر القرطبي، أن المقصود بالإعراب إقامة الحركة الاعرابية مقامها حين الرفع أو النصب أو الخفض، لما لذاك من فضل في توجيه المعنى وإصابته، فقول النبي صلى الله عليه وسلم: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه .[8] فأعربوا القرآن :

أي اتقنوا العربية بفهم بقواعدها النحوية والصرفية والبلاغية ...، حتى تتمكنوا من فهم معاني القرآن الكريم فهماً صحيحاً . أما قوله والتمسوا غرائبه :فيعني بها أن تبحثوا عن المعاني العميقة والأسرار البلاغية والتشريعية التي يحتويها نص القرآن الكريم.

ففي هذا الحديث –إن صح سندا ورواية - حثٌّ على تعلم اللغة العربية، وتدبر ما يخفيه نظمها وتراكيبها من بديع اللفظ والعبارة، ففضل إعراب

القرآن . يتجاوز البعد الفني النحوي إلى البعد الشرعي والحضاري، إذ هو عبادة مضاعفة الأجر، ووسيلة لتأمل النص، وحماية لسلامة العربية، وتأكيد على أن النحو وُضع أول ما وُضع لخدمة القرآن وصيانته..

ز/ أهمية إعراب القرآن:

لعلم الإعراب فضل عظيم في التفسير القرآني، إذ لا يقتصر دوره على بيان العلاقات النحوية بين الكلمات، بل يتعداه إلى تحديد المعنى وضبط الدلالة الشرعية والبلاغية. ويمكن تلخيص ذلك في ثلاث نقاط رئيسة:

-**تحديد المعنى الصحيح** :الإعراب الصحيح للكلمات والجمل يحدد المعنى المقصود، ويمنع الوقوع في أخطاء في الفهم .

-**استنباط الأحكام الشرعية** :الإعراب الصحيح يساعد على استنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية .

-**إبراز البلاغة القرآنية** :إعراب القرآن يبرز بلاغته وفصاحته، ويظهر إعجازه البياني.

يتجاوز دور إعراب القرآن الكريم حدود الصناعة النحوية ليصبح وسيلة دقيقة لضبط الدلالة القرآنية. فأول ما يحققه الإعراب الصحيح هو تحديد المعنى المراد من الآيات، ومنع القارئ من الوقوع في أخطاء الفهم، كما يتجلى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر 28، حيث إن الإعراب هو الذي يحدد

الفاعل والمفعول فهو أداة أساسية في استنباط الأحكام الشرعية، إذ قد يترتب على ضبط الكلمة حكم فقهي مختلف، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة 228، حيث إن المعنى الفقهي للقرُء يتأثر بالإعراب وتوجيهه الدلالي. ويضاف إلى ذلك أن الإعراب يكشف عن جماليات الأسلوب القرآني وإعجازه البياني، من منطلق تعدد وجوه الإعراب التي تفتح المجال أمام ثراء المعنى دون أن يقع تضاد أو تناقض، مما يدلل على أن الإعراب ليس عملاً شكليًا، بل مدخل أساس للتفسير القرآني، تتكامل فيه الدلالة النحوية مع المقاصد الشرعية والبلاغية للنص.

2) ترجمة عبد الرحمن الثعالبي

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبى، الجزائرى، المعروف بعبد الرحمن الثعالبي؛ وليٌّ من أولياء الله العارفين الزاهدين الذين اتفق الناس على صلاحهم وإمامتهم، وأثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح في مصر وتونس.وأسّس مدرسة علمية في الجامع الأعظم بالعاصمة، خرّج عدداً من العلماء المشهود لهم بصلاحهم وعلمهم، من بينهم محمد بن يوسف السنوسي، أحمد الزروق، محيّي الدين المغيلي التلمساني، وكان الامام الثعالبي علاَّمة كثيرَ التصنيف، فكتب مثلاً لا حصراً:

- الأنوار المضيئة في شرف النبيّ وخير البرية: كتاب في السيرة النبوية وفضائل الرسول ﷺ.
- الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين: شرح على متن (المرشد المعين) لابن عاشر في العقيدة والفقه والتصوف.
- الجمع والبيان لما وقع في القرآن: كتاب في علوم القرآن، يعالج فيه القراءات واللغة والبلاغة.
- الجواهر الحسان فى تفسير القرآن: تفسير جامع اعتمد فيه على أقوال المفسرين المتقدمين، مع عناية بالجانب اللغوي والبلاغي.

- الذهب الإبريز فى غرائب القرآن العزيز: كتاب في علوم القرآن يعرض غرائب ولطائف ومعانٍ دقيقة ترتبط بالبيان القرآني والإعجاز اللغوي. يتميز بتركيزه على الجانب المعجمي واللغوي والتفسيري، فيعرض الألفاظ الغريبة أو غير المألوفة، ويبين دلالاتها من جهة اللغة والإعراب، يعد مكملًا لكتابه الجواهر الحسان في تفسير القرآن ومتقاطعا مع كتابه تحفة الإخوان.
- تحفة الإخوان فى إعراب بعض آيات القرآن: كتاب مل نحوي تفسيري يعرض نماذج من إعراب القرآن لبيان أثر النحو في التفسير.

أدركته المنية سنة خمس وسبعين وثمانمائة من الهجرة ت875هـ ، ووري الثرى في مدينة الجزائر.[9]

3) مصادر الثعالبي من كتب التّفسير التي استند اليها في كتابه تحفة الاخوان

كتاب تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن، كتاب مخطوط لم يحظ بالتحقيق والنشر بعد، على الرغم من أهميته في الدرسين النحوي والبلاغي وعلوم القرآن التي تعود بالنفع على طلبة العلم المبتدئين منهم خاصة، فقد ذكره إسماعيل باشا الباباني اسم كتاب الثعالبي تحفة الاخوان في إعراب بعض آيات القرآن في كتابه إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، في الجزء الاول ص239

هذا الكتاب -**تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن** - يقف ضمن سلسلة مؤلفاته العديدة، ويعكس منهجه الخاص في التفسير والإعراب، لكنه لا يُذكر غالباً منفرداً كمؤلف مستقِل بمعاينه لمصادره التفصيلية على نحو الكتاب ' الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز' وهو كتابه الاقرب مضمونا وشكلا لتحفة الاخوان فقد قال عبد الرحمن الثعالبي في مقدمة الذهب الإبريز : وها أنا أشرع إن شاء الله تعالى في إعراب ما تيسّر علي إعرابه من آي القرآن، وتفسير غريبه ، وذكر أحاديث وفوائد لا يستغنى عنها .

، وقد اعتمد على ثلاثة مصادر رئيسية:

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.

- المجيد في إعراب القرآن المجيد لإبراهيم الصفاقسي.
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاع الكعبري.

أما بالنسبة لـ **تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن** ، فلم يذكر الثعالبي صراحة المصادر التي استقى منها، لكن يُمكن الاستنتاج أنه اتبع نهجه العام في الاستناد إلى التفسير بالمأثور، أي القرآن ثم السنة وأقوال الصحابة والتابعين، مع عناية التوثيق وسند المرويات، وهذا منهجه في تفسيره (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) و(الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز) ،وربما هو لم يذكر المصادر لأن تحفة الاخوان ليس تفسيرًا مطولًا، بل عمل تعليمي نحوي تفسيري، يركز على إعراب بعض الآيات من القرآن الكريم، فكأنه انتخاب من كتابيه السابقين (الجواهر الحسان -الذهب الإبريز).

4) مصادرشبيهة بتحفة الإخوان

حتى نقترب أكثر من كتاب تحفة الاخوان للثعالبي، وجب علينا إجراء مسح للمكتبة الاسلامية والعربية التي درست المجال نفسه بالمنهج نفسه، بحثا منّا عن مواطن تميّز وتفرد الثعالبي في كتابه.

5-أ / **مصادرشبيهة من حيث العنوان**

هناك كتب كثيرة في المكتبة الاسلامية تحمل العنوان نفسه؛ تحفة الاخوان وفي مجال البلاغة أو النحو أو علوم القرآن. منها مَثلا لا حصرا:

- تُحفة الإخوان في علم البيان، المؤلف: عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)
- تُحفة الإخوان شرح العوامل، المؤلف: مصطفى بن ابراهيم الكليبولي (ت 1176 هـ)
- تُحفة الاخوان شرح فتح الرحمن، المؤلف: الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي الشبامي الشافعي الحضرمي (ت 1336هـ).
- تُحفة الإخوان في بيان أحكام تجويد القرآن، المؤلف: المقرئ حسن إبراهيم الشاعر(ت1400هـ)
- تُحفة الإخوان بذكر أربعين حديثًا في فضل القرآن، المؤلف: حاتم بن محمد شلبي

الحنبلي

- تُحفة الإخوان في صفات الرحمن، المؤلف: محمد محمد عبد العليم الدسوقي

5-ب/ مصادر شبيهة من حيث المضمون

معلومٌ أن كتاب تحفة الإخوان للثعالبي لا توجد منه نسخ على الرتّاب أو الشابكة بأي صيغة من الصيغ، لكن هناك بعض الكتب تدرج ضمن الإعراب والتحليل القرآني وتتقاطع مع تحفة الإخوان من حيث النهج والمادة والغرض من التأليف، منها مثلا:

- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: أبو اسحاق ابراهيم الزجاج (ت 311هـ)
- مشكل إعراب القرآن، المؤلف: مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت 437هـ)
- الملخص في إعراب القرآن، المؤلف: الخطيب التبريزي (ت 502هـ)
- إملاء ما من به الرحمن، المؤلف: أبو البقاء العُكبري البغدادي الحنبلي (ت 616هـ)
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المؤلف: المنتجب الهمذاني (ت 643هـ)
- المجيد في إعراب القرآن المجيد، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد الصفاقسي (ت 1118هـ)

فلو أخذنا أشهر مصدر من بين المذكورة آنفا كتاب ' **معاني القرآن وإعرابه** '[10] لأبي إسحاق الزجاج أشهر كتب التفسير اللغوي والنحوي، إذ يعد من أوائل المصادر في إعراب القرآن الكريم التي ربطت الإعراب بالمعنى، وذلك بتوضيح الدلالات الناتجة من تغير الحركة الاعرابية. فيركّز فيه على توضيح المعاني الدقيقة للآيات من خلال قواعد النحو والصرف، وذلك بإعراب مفردات وجمل آيات القرآن وشرح تراكيبها، فالكتاب يجمع بين التفسير اللغوي والنحوي، فيبدأ بذكر الآية أو المقطع، ثم يفسر مفرداته ويبين وجوه الإعراب، يوضح وجوه الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين، ويُرجّح ما يراه صواباً. واستند فيه على المشهور من القراءات القرآنية والشواهد الشعرية والنثرية من كلام العرب. فكان نهجه أن يأتي بالآية أوجزء منها، ثم يعمد إلى شرح معاني المفردات في سياقها الذي وردت

فيه، ويورد وجوه الإعراب المحتملة لها من خلال طرح آراء النحاة البصريين والكوفيين ويرجح أحدها، ثم يوضح أثر القراءات القرآنية على الإعراب. ثم يردف بشواهد شعرية أو نثرية من كلام العرب.

وهذا الكتاب تحديدا كان له الأثر العظيم في كل كتب اعراب القرآن التي أتت بعده بخاصة كتاب تحفة الاخوان .

5) منهج كتاب تحفة الإخوان في اعراب بعض آيات القرآن

اتبع كتاب **تحفة الإخوان في اعراب بعض آيات القرآن** منهجية محددة وواضحة، تنسجم ومنهجَ تدريس الأندلسيين والمغاربة من ميل موضوعي للاختصار والإيجاز والتبسيط، وقد انجلى أسلوب الثعالبي في هذا الكتاب في النقاط الآتية:

-انتقاء الكلمات المشكلة عند الفواصل أو علامات الوقف في الآيات القرآنية، فيتوقف عندها بالشرح والتبسيط وبيان الأثر البلاغي الذي أضفته على التركيب كله .

-اعتمد طريقة المحاورة (سؤال جواب)، فيقول مثلا: قد تسأل وتقول: ...؟ لتوضيح ما أشكل فهمه، وهي طريقة تعليمية فعالة لشد الانتباه.

-يقدم جواب السؤال بدقة إعرابية موجزة وذلك بـتحديد إعراب وعلة اعرابها على هذا النحو

-انتقاء الإعراب الأيسر إن كان للفظ احتمالات اعرابية كثيرة .

-توحيد الإعراب للنظائر في مواطن مختلفة، إذا كانت من القواسم البلاغيّة والإعرابية.

ويمكن إجمال منهج الثعالبي في هذا الكتاب في النقاط الآتية:

- طريقة الترتيب
- طريقة الدراسة
- طريقة الإعراب
- طريقة الترتيب

يتبع الثعالبي الترتيب المصحفي للسور؛ رتب عبد الرحمن الثعالبي كتابه وفق ترتيب مصحف المدينة؛ فبدأ من سورة الفاتحة فالبقرة، حتى سورة هود في الجزء الأول، ثم تليه الأجزاء حتى الفرّقان. فيقوم في كل جزء بتقديم إعراب تفصيلي للكلمات الواقعة عند رؤوس الآيات أو الفواصل القرآنية شارحا لها. متوقفا عند العلامة الاعرابية والعلة، فهو يختار بعض الآيات التي تحتاج إلى إيضاح إعرابي أو لغوي، ولا يُعرّب كامل السورة بالضرورة.

- **طريقة الدراسة**

لا يُعرب الثعالبي الآية كاملة إلا إذا كان فيها ما يحتاج إلى توضيح فإنه يتوقف عند جزئياتها، فهو يركّز على المَواطن التي تثير تساؤلًا أو حيرة عند المتعلم من ناحية النحو أو التركيب أو البلاغة، لذلك نراه يُدرج إشارات بلاغية أحيانا تكون ذات صلة بالإعراب، فيقوم حينها بتوضيح الفروق الدقيقة في المعاني عند اختلاف الإعراب لأن اختلاف المبنى دليل دائم على اختلاف المعنى.

وقد عرض لنا الثعالبي أفكاره بوضوح وإيجاز دقيق خالٍ من الغموض أو التعقيد حين عرض كل المسائل النحوية، وهذا هو ديدن المدرسة المغاربية والأندلسية التي طالما جنحت إلى التيسير والاختصار قصد الفهم والحفظ (ييسر الكلام ليفهم ويختصر ليحفظ) زيادة على ذلك كله، تأثّر الثعالبي في تصنيف كتابه (قصدا أو بغير قصد) بكتب النحو والإعراب المتقدمة مثل

-**معاني القرآن وإعرابه** أو **إعراب القرآن** لأبي إسحاق ابراهيم الزجاج (ت311هـ)
-**مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب** (ت 437هـ)، الذي يعد من أوائل المؤلفات المتخصصة في الإعراب التحليلي للنص القرآني مع التركيز على المواضع النحوية المشكلة التي قد يلتبس فهمها، فهذا الكتاب يختار المواضع المشكلة نحويًا فلا يفسر جميع الآيات، بل يركّز على المواطن التي وقع فيها خلاف أو تعدد أوجه الإعراب. ، فذكر الآية أو المقطع ر: يبدأ بذكر النص القرآني أو الكلمة المعنية. فقط ثم يورد أوجه الاعراب المحتملة للنحويين (بصريين وكوفيين) مع توضيح حججهم. وبعدها يختار الوجه الأصح بناءً على القواعد النحوية وشواهد اللغة، مع الإشارة أحيانًا

إلى أثر القراءات القرآنية على الإعراب، ثم إنه لا يكتفي بذلك فقط بل يربط الإعراب بالمعنى التفسيري، مبيّنًا أثر كل احتمال إعرابي في المعنى.

-وهنا يبدو منهجه شبيها بمنهج الزجاج في كتابه المذكور سابقا-

-**إملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء العُكبري** (ت 616هـ)، يمتاز هذا الكتاب بأنه يعرب جميع كلمات القرآن الكريم من الفاتحة إلى الناس ببيان وجوه القراءات المختلفة فيها، مما يجعله مصدرا مُهمًا في علمي الاعراب والقراءات، فيورد نص الآية أو الجزء منها ثم يبين إعراب كل كلمة أو تركيب نحوي

ثم يذكر وجوه القراءات القرآنية إن وُجدت، مع توجيهها نحويًا مع توضيح الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين. كما أنه يحرص على ربط الإعراب بالمعنى التفسيري وتكييفها بأسلوب تعليمي وتوضيحي يناسب طلاب العلم.

- **طريقة الإعراب**

اعتمد الثعالبي طريقة الإعراب التحليلي وهي " الطريقة المتبعة في بيان إعراب الجملة، تقوم – هذه الطريقة- على تفصيل موقع كل كلمة ووظيفتها النحوية بدقة، مع شرح سبب الإعراب وربطه بالقواعد، لا الاكتفاء بذكر علامة الإعراب فقط، ويكون الانتقال فيها من الأعم إلى العام ومن الخاص إلى فالأخص " [11] ، أي أننا نقوم بتحديد نوع الجملة أهي اسمية أم فعلية، ثم نحلل داخلها أهي مبتدأ، خبر، فاعل، مفعول به ووظيفتها النحوية. كالفاعلية والمفعولية، ثم نحدد علامة الإعراب الأصلية أو الفرعية لكل كلمة انطلاقا من موقعها ووظيفتها .

ونقصد بالانتقال من العام إلى الخاص أن نبدأ بتحديد المكونات العامة للجملة نحو: المبتدأ والخبر، ثم ينتقل إلى تحديد الكلمات الخاصة وتفصيل إعرابها التفصيلي، وتساعد هذه الطريقة في فهم القواعد النحوية بشكل أعمق وكيفية تطبيقها، كما تضمن تحليلًا دقيقًا لكل كلمة داخل الجملة، كما وتربط بين علامات الإعراب والقواعد النحوية التي تحددها . مما يساهم في الأخير في جعل عملية تعليم النحو أكثر فعالية وفهمًا ومتعة.

وهذا بالضبط ما قام به الثعالبي في كتابه تحفة الاخوان، إذ قام بإيراد الآية أو الجملة القرآنية، ثم يقوم بإعراب كلماتها كلمةً كلمة.

يذكر وظيفة الكلمة النحوية (مثل: فاعل، مفعول به، خبر، حال...)، ويشرح تركيب الجملة إن اقتضى الأمر.

يعتمد إعرابًا مدرسيًا تقليديًا، لا يثقل على القارئ بكثرة التفريعات النحوية غير المطلوبة.

مما سبق يتضح: أنّ نهج كتاب الثعالبي «تحفة الإخوان في إعراب آيات القرآن" يمتاز بالدمج بين التحليل النحوي والتحليل الإعرابي للآيات القرآنية، مع الحرص على تبسيط الإعراب وتوضيح اللطائف اللغوية بإيجاز.

إذًا منهج الثعالبي في **تحفة الإخوان في اعراب بعض آيات القرآن** منهج سلس يبدأ فيه بالإعراب الدقيق للكلمات والتراكيب ثم ينتقل لبيان الأثر الدلالي للنحو في توجيه المعنى وبعدها يربط بين الصناعة النحوية والبعد البلاغي والشرعي.

وفي عمله هذا إشارة مهمة أن الإعراب ليس غاية في ذاته، بل مدخل ضروري لفهم المعنى القرآني واستنباط دلالاته.

فأسلوب الكتاب سهل موجز واضح بسيط متناسق عند تكرار المفردات في أكثر من سورة . مما يساهم في فهم المعنى الصحيح عند الوقف. وهذه الميّزات تجعل الكتاب مرجعا قيّما مفيدا لطلاب الشريعة وعلوم القرآن وكذا القراء والمتخصصين في التجويد والتلاوة.

6) أمثلة تطبيقية من كتاب " تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القران "

نماذج تطبيقية من كتاب **تحفة الإخوان في اعراب بعض آيات القرآن** للثعالبي، مع التنبّه إلى أن الكتاب يركز على الكلمات المشكلة عند الفواصل ورؤوس الآيات :

مثال 01: الآيات (1–3) من سورة البقرة: قال الحق سبحانه:

﴿ الٓمٓ (1) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (3)﴾

الاعراب: الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ

الم :حروف مقطعة، لا محلّ لها من الإعراب أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذه ألم)

ذلِكَ :اسم إشارة مبني في محل رفع، مبتدأ.

الكتاب :بدل من ذلِكَ مرفوع.

لا ريب :لا نافية للجنس + ريب اسمها منصوب، كأنّه منبّه.

فيهِ :جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف.

هدىً :خبر ثانٍ مرفوع مُقدر.

للمتقين :جار ومجرور متعلق بـ"هدى[12].

الَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (3)

الذين :اسم موصول مبني، في محل جر صفة لـ"المتقين."

يُؤمنون... يُنفقون :أفعال مضارعة مرفوعة بالواو، والواو ضمير فاعل[13].

تعليق:

يبدو اعراب الثعالبي للكلمات سريعا وغير تفصيلي لكنّه كافٍ ومتوقف عند أهم جزئيات الاعراب بل ومضيفا للطائف بديعة؛ فمثلا الاعراب التفصيلي أو التجزيئي

لـ: ذلِكَ هو: ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع، مبتدأ. لـ: اللام للبعد . ك: الكاف للخطاب

أما شرحه هو فإعرابه الكتاب: بدل مرفوع، كافية، لكنه آثر أن يوضح أنها بدل من اسم الاشارة (ذلك)، من منطلق القاعدة النحوية (كل ذي " ال" بعد اسم الاشارة بدل).

أما الاضافة المقدمة في الاعراب فإشارته بعد اعراب لا ريب :لا نافية للجنس + ريب اسمها منصوب، أنها أتت كأنها منبّه.

ويقصد بذلك أن تركيب (لا ريب) جاء على أسلوب التنبيه والإيقاظ للمخاطَب: أي انتبه! لا شك ولا ارتياب فيما يُلقى عليك. أي أنّ (لا) هنا ليست مجرّد أداة نفي، بل صياغتها نفيًا للجنس يُعطي معنى التوكيد والتنبيه: بمعنى (ليس هنا أدنى ريب) فكأنها صيحة: تنبَّه. فيها قوة في نفي الشك (لا ريب)، وكأننا به ينادي المخاطب أن يستيقظ من غفلته.

فإذا عدنا الى أبي إسحاق ابراهيم الزجّاج وكتابه معاني القرآن وإعرابه - الذي ذكرنا أن الثعالبي تأثر بمنهجه- نجده يقدم الاعراب الآتي:[14]

-الم: حروف مقطعة لا محل لها.

-الحروف المقطَّعة عند الزجّاج هي أسماء للسور أو إشارات إلى إعجاز القرآن من جنس الحروف التي يتكلم بها العرب. من جهة الإعراب: لا محلّ لها من الإعراب وهو رأي أغلب النحاة، لأنها من قبيل التسمية.

-ذلك :اسم إشارة مبنيّ في محل رفع مبتدأ.

-الكتاب :خبر المبتدأ مرفوع بالضمة.

-والمعنى: هذا هو الكتاب الكامل، أي القرآن. وقد ذكر الزجّاج هنا أن الإشارة بـ(ذلك) للتفخيم والتعظيم إذ يُشار للبعيد ليدل على رفعة المنزلة.

-لا :نافية للجنس.

-ريب :اسمها منصوب. والخبر محذوف تقديره: فيه. أي: لا شك فيه.

-هدى :خبر ثانٍ للمبتدأ (ذلك)، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو هدى.

-للمتقين :جار ومجرور متعلق بـ(هدى). أي: كائن هدى للمتقين.

مما يحيل على أن للثعالبي لمسته الخاصة في تلمس بديع ولطيف النص القرآني، وأنه لم يكن مقلد للزجاج إلا في طريقة الشرح والتبسيط والايجاز.

مثال 02: الآية 6-7 من سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ

ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (6) خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (7) ﴾

الاعراب:

إنّ :من أخوات كان

الذين كفروا :اسم إن منصوب + جملة كفروا في محل رفع خبر.

سَواءٌ :خبر معنى في محل رفع يعني التساوي في الحالة سواء أُنذِر أو لم يُنذَر.

على هم... غشاوة :جملة خبرية تكملة.

ولهم عذاب عظيم :مستأنفة تأتي بعد ذلك إكمالًا للخبر [15]

بلاغيًّا يُعد هذا المثال من أسرار الإيجاز والتقسيم، حيث عرّف المنافقين ثم ختم بخاتمة شمولية تعبر عن استحقاقهم للعذاب.

تعليق:

نلاحظ في هذا الموضع سرعة أكبر في الاعراب، كأن الاعراب موجه إلى عارف وليس متعلم بخاصة حينما أعرب إن من أخوات كان، فيقصد أنّها جاءت هنا بمعنى (ما) النافية العاملة عمل ليس، أي أنها من أخوات كان وهذا مذهب بعض النحويين القدامى[16] –الكوفيين خاصة الكسائي والفراء- الذين أجازوا أن تأتي (إنْ) بمعنى (ما) النافية، فتعمل عمل (ليس) أو (كان) في بعض التراكيب. أي أن (إنْ) قد تكون عندهم حرف نفي، لا حرف توكيد. فيصير المعنى :ما الذين كفروا سواءٌ عليهم، فهو هنا لا ينكر أنها للتوكيد، لكنه يورد الوجه الآخر للتنبيه إلى أنها أتت لاحتمال بلاغي أو نحوي والمعنى المراد هو: ما الذين كفروا يستوي عليهم إنذارك وعدمه. فيكون الاعراب على هذا النحو: إنْ: نافية، عاملة عمل ليس.، الذين كفروا: اسمها مرفوع، سواء: خبرها منصوب. لكن الثعالبي هنا جعلها من أخوات كان فقط من حيث المعنى، لأنه أعرب الذين كفروا :اسم إن منصوب + جملة كفروا في محل رفع خبر،

مما يدلل على أنه يركز على المعنى المقصود من الآية.

فقوله غِشَٰوَة، جملة خبرية تكملة، أي أن كلمة غِشَٰوَة منصوبة على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: على أبصارهم غشاوةٌ، فهي جملة خبرية جاءت تتملة لوصف حالهم، بعد أن قال الحق سبحانه: خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ وقوله وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيم مستأنفة، أي جملة جديدة غير داخلة مع الجملة السابقة، لأنها جاءت بعد تمام الخبر الأول، لتكون إضافة أو إكمالًا، فهي مستقلة في الإعراب، لكنها متصلة في المعنى.

وهنا يرى الثعالبي أن هذا النسق من أسرار الإيجاز والتقسيم:

بدأ بتعريف المنافقين بصفاتهم؛ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة. ثم خُتم بوصف جزائهم الجامع ولهم عذاب عظيم، هذا التقسيم يُظهر تدرّجًا بليغًا:

-بيان حال الباطن ومكانه القلب

-بيان حال الفهم ووسيلته السمع

-بيان حال الادراك ووسيلته البصر

-ثم جملة جامعة خاتمة فاصلة في حالهم وجزائهم يوم القيامة: جزاؤهم عذاب عظيم.

مثال 03 .الآيات (165–167) من سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ (165)إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ (166)وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّة فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ (167)﴾

الاعراب: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ

-ومن الناس :الواو استئنافية، من الناس جار ومجرور في محل رفع خبر مقدّم أو متعلّق بمحذوف.

-من يتخذ" : من اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر.

-يتخذ: فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر، والجملة صلة الموصول.

-من دون الله :جار ومجرور متعلق بـ(يتخذ)

-أنداداً :مفعول به أول منصوب بالفتحة.

-يحبونهم :جملة فعلية في محل نصب حال من "أنداداً" أو من ضمير الموصول.

-كحب الله :جار ومجرور، الكاف للتشبيه، و"حب" مضاف، و"الله" مضاف إليه[17].

بلاغيا: الكناية هنا عن فئة بشرية منحرفة في الاعتقاد: (من الناس من يتخذ) أي صنف مخصوص. الفعل المضارع يتخذ يرسم صورة الاستمرار والتجدد. كحب الله فيها تشبيه تمثيلي يقارن حبهم لآلهتهم الباطلة بحب المؤمنين لله، وهو من باب التوبيخ والتعريض.

في الآية 167 :كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ

كذلك: الكاف للتشبيه، (ذلك) اسم إشارة في محل نصب مفعول مطلق لفعل محذوف (أي: مثل ذلك الإراءة).

-يريهم :فعل مضارع مرفوع، والفاعل (الله)، والهاء والميم مفعول به أول، و"أعمالهم" مفعول به ثانٍ.

-حسرات :حال منصوب (أي: في حال كونها حسرات).

-عليهم :جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ "حسرات."

بلاغيا: المضارع "يريهم" استُعمل في سياق المستقبل الأخروي (يوم القيامة) لتأكيد حتمية الوقوع وكأنه حاضر ماثل، وهذا من باب التصوير البلاغي الذي يحوّل الغيب إلى مشهد منظور. في الجمع بين "الذين اتُّبعوا" و"الذين اتَّبعوا" استعمال أسلوب

التمثيل والمقابلة، ليُرى المفارقة بين الفريقين: التابع يتبرأ، والمتبوع يتنصّل. النتيجة: تصوير حسرة لا خلاص منها، إذ تُجسّد الأعمال نفسها في صورة ندامة متجددة، كامِل من التركيب والتحليل، والترتيب البلاغي في استخدام الماضي المستقبَل لإظهار الجزاء الموعود. هنا استعمال أسلوب التمثيل للمقارنة بين "الذي اتبع" و"الذي ٱتُّبِعُواْ ."

تعليق:

وضحت الآية مقابلة قوية بين الضلال والإيمان (مَن يتخذ من دون الله أندادًا، والذين آمنوا أشد حبًّا لله، كحب الله) :فيها حذف تقديري بلاغي، أي: كحبّ المؤمنين لله، حذف المضاف وأبقى المضاف إليه لتعظيم معنى المحبة لله.

واستعمال الماضي (تبرّأ) في مقام المستقبل (يوم القيامة) يشيع معنى تحقيق الوقوع، وهو أسلوب قرآني لعرض المستقبل في صورة الماضي لإظهار الجزاء الموعود كأنه حاضر مشاهد.

و(كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) :فيه تشبيه تمثيلي؛ عرض لأعمالهم في هيئة الحسرات، كما يُعرض الشيء للعيان، مما يضاعف أثر الندامة.

و(وما هم بخارجين من النار) هو تقرير قطعيّ بالنفي المؤكد بالباء، لتثبيت معنى الخلود.

مثال 04: آيتا 224–225 من سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم (224)

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيم (225)﴾

ولا تجعلوا :ناهية + فعل مضارع مُجزوم.

اللَّهَ :مفعول به أول.

عرضةً :مفعول به ثانٍ منصوب، كناية عن الأمر بالاستهانة بذكر الله.

لأيمانكم :جار ومجرور متعلق بـ عرضة بمعنى: عرضة لأيمانكم.

أن تبرّوا وتتّقوا :...مصدر مؤول يعمل مفعولًا لأجله أو بدلًا[18].

ثم بعد :**لا يؤاخذكم... بِاللغو... ولكن... بما كسبت** ...بلاغة التوضيح والإسناد بين الفعل والسبب والأثر.

تعليق:

حينما أعرب ولا تجعلوا بأنها ناهية + فعل مضارع مجزوم، ثم بيّن موقع لفظ الجلالة وعرضة كمفعولين، فإنه أرسى الأساس لفهم أن النهي هنا موجّه لعدم الاستهانة باسم الله بجعله عُرضة للأيمان المتكررة أو الكثيرة، وهذا ينسجم مع وظيفة الإعراب في تحديد العلاقات التركيبية التي تقود إلى ضبط الدلالة.

فقوله إن عُرْضَة كناية عن الأمر بالاستهانة يظهر كيف يوظّف المصطلح النحوي ليكشف الدلالة الكامنة وراء التركيب، فهو لم يقف عند حدود مفعول به ثانٍ وإنما أوضح أثر ذلك في المعنى التفسيري.

ثم إنه حينما جعل عُرْضَة مفعولًا لأجله أو بدلًا، فإنه فتح المجال لتعدد الأوجه الإعرابية، وفي هذا إثراء للدلالة، حيث يَظهر أن النهي ليس عن الحلف في ذاته، بل عن تعطيل مقاصد البر والتقوى والإصلاح بسبب الاكثار الحلف.

فالثعالبي هنا تنبّه إلى بلاغة الإسناد بين الفعل والسبب والأثر في قول الحق سبحانه لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ

وهذا التعليق البلاغي يُظهر أن النحو عنده ليس آليًا جامدًا، بل وسيلة لإبراز الايقاع الدلالي والبياني للآيات.

مثال 05: الآية 5 في سورة الجمعة، قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

عند الوقف على كلمة أَسْفَارًا تثار إشكالات في الإعراب وهو ما يناقشه الثعالبي بتساؤل مباشر ثم يجيبه. أَسْفَارًا: مفعول به منصوب للفعل يحمل، وعلامة نصبه الفتحة، وذلك لأن المعنى يَحْمِلُ أَسْفَارًا يحصل عند الوقف أيضًا لكون الفعل

مطلقًا نكرة تنصب من غير شرط الاتيان بالكثير.[19]

تعليق:

أسلوب الثعالبي في شرح هذه الآية بسيط وأقرب ما يكون إلى الأسلوب التعليمي، إذ يبدأ بإثارة تساؤل مُهم عند الوقف عند كلمة أَسْفَارًا، *التي* قد يُتوهم أن الإعراب يختل، لأن كلمة أسفارًا منصوبة بالفعل يحمل. فإذا وقف القارئ عندها، فهل يختل المعنى أو يتوقف العمل النحوي؟

أوضح الثعالبي أن كلمة أسفارًا مفعول به منصوب للفعل يحمل حتى حين الوقف.

لأن الفعل يحمل فعل متعدٍّ، والوقف لا يلغي عمل الفعل ولا يغيّر العلائق النحوية داخل التركيب.

فقوله: يحصل عند الوقف أيضًا لكون الفعل مطلقًا نكرة تنصب من غير شرط الاتيان بالكثير .

يقصد به أن يحمل فعل متعد يستدعي مفعولًا به، والمفعول به أسفارًا كافٍ لتحقيق المعنى سواء واصل القارئ التلاوة أو وقف عنده، فلا حاجة لاشتراط استمرار الكلام أو إيراد مزيدٍ من ألفاظ بعده لتأكيد نصبه. أما بلاغيا فكلمة أسفارًا أتت نكرة للتكثير والتهويل.

ومن لطائف ما توقف عنده في هذا الباب، أهمية الوقف والوصل ودورهما في توجيه المعنى في الآيات القرآنية من ذلك مثلا:

-قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ نوح 22

يتساءل الثعالبي: هل كلمة كُبّارًا، نعت لـ مكرًا أم حال منه؟ وهل يتأثر الإعراب إذا وقفنا عند مكرًا ؟

يرى الثعالبي أن: مكرًا مفعول مطلق منصوب، كُبّارًا يجوز فيه وجهان: [نعت للمصدر مكرًا أو حال، على معنى أنهم مكروا مكرًا عظيمًا حال كونه كبيرًا]، عند الوقف على مكرًا لا يختل المعنى ولا الإعراب؛ لأنه قد تمّ المصدر بالفعل، لكن

الوصل بـ كبارًا يعطي قوة بيانية أكبر من قبيل التهويل.

- قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ البقرة 167

يتساءل الثعالبي: لو وقف القارئ عند أعمالهم، هل يضيع التعلّق النحوي لكلمة حسرات؟

يرى الثعالبي أن: أعمالهم، مفعول به أول لـ يريهم، وحسرات مفعول به ثانٍ منصوب، فإذا وقف القارئ على كلمة أعمالهم، فقد تمّ المعنى الأول (رؤية الأعمال). لكن عند الوصل، يظهر معنى جديد: أن تلك الأعمال تُرى على هيئة حسرات. مما يحيل على أنّ الوقفَ جائزٌ هنا، لكنه يُفوّت لطيفة بلاغية.

- .قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾البقرة 167

يتساءل الثعالبي: هل تركيب مِنَ النَّارِ، متعلق بالفعل بخارجين أم هو خبر لمحذوف؟

يرى الثعالبي أن: بخارجين خبر ما، ومن النار: جار ومجرور، متعلّق بـ بخارجين، فإن وقف القارئ عند بخارجين، يبقى الإعراب صحيحًا لكن المعنى ناقص. أما بالوصل بـ مِنَ النَّارِ فإنه يوضح مفعول الخروج ويكمل الصورة.

إذا الثعالبي يعمد إلى: إثارة ذهن القارئ بسؤال تنبيهي: ماذا يحدث إن وقفنا هنا؟ فيقول له بإيجاز: إن تم المعنى، يوضح أن الإعراب لا يتأثر، وإن لم يتم المعنى بالوقت يرشد القارئ إلى جمال الوصل.

-قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ تُرْكَبُوهَا﴾ سورة النحل08

عند الوقف على تُرْكَبُوهَا: تُرْكَبُوهَا: فعل مضارع مبني للمجهول + واو الجماعة + ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل، مبني على الضمّ، والضمير يعود على الخيل والبغال والحمير[20].

تعليق:

هذا أسلوب الثعالبي في تسهيل الإعراب عند الوصل والوقف، إذ يرى أن : وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ: معطوفات منصوبة على المفعولية به لأنها مفعول به لفعل

محذوف تقديره: وخلق.

فـ تُرْكَبُونَهَا: تُعرب

تُركبون: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع.

واو الجماعة: في محل رفع نائب فاعل، وهي القائم بالفعل بعد البناء للمجهول.

ها: ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول، عائد على (الخيل والبغال والحمير).

فبالوقف؛ يبقى التركيب سليمًا تمامًا، إذ تكتمل الجملة :أن الله خلق هذه الحيوانات لتُركب. وهنا يتساءل الثعالبي: هل يتأثر المعنى إذا وقفنا على كلمة: تُرْكَبُونَهَا؟ فيجيب : لا، لأن الفعل مع فاعله (نائب الفاعل هو الواو ومفعوله الضمير ها، وقد تمت الجملة شكلا، لكن عند الوصل بما بعده بعبارة وزينة ينجلي لنا وجه بلاغي جديد؛ وهو أن الحيوانات لم تُخلق للركوب فقط، بل للزينة كذلك أيضًا. وعليه يصبح الوقف جائزًا نحويًا، لكن الوصل أوضح في إتمام المعنى البلاغي.

نستشف من كل ما سبق تحليله والوقوف عنده أن أسلوب الثعالبي في التحليل هو تحري الجمع بين الإعراب التحليلي، والوظيفة الدلالية للكلمات، وكذا التعليق البلاغي القائم على اللطائف اللغوية المكتنزة في الآيات القرآنية؛ كل ذلك بأسلوب رشيق موجز يوصل القصد بأوجز عبارة .

7) شرح مصطلحات نحوية في كتاب تحفة الاخوان

في تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن للإمام عبد الرحمن الثعالبي، نلاحظ أنّه لم يرد أن يجعل كتابه مطوّلًا على منوال كتابي أبي حيان أو العكبري، أو كتابه هو الجواهر الحسان فى تفسير القرآن، بل اختصر وأوجز في كثير من المواضع . لذلك كثيرًا ما نجد فيه مصطلحات نحوية يمرّ عليها بسرعة فهو لا يطيل في تعريف المصطلحات، بل يكتفي بالإشارة إليها ويطبّق مباشرة على موضع الإشكال، تاركًا القارئ حرية الممارسة والذوق النحوي، من ذلك :[21]

أ) **مصطلحا المبتدأ والخبر:** المبتدأ: الاسم المرفوع العاري عن العوامل اللفظية. أما

الخبر: ما يتم به معنى المبتدأ.

الثعالبي كثيرًا ما يقول" :هذا مبتدأ، وخبره محذوف تقديره كذا "عند وجود حذف، مثل قوله في بعض الآيات} :سلامٌ هي حتى مطلع الفجر{، فيقدّر الخبر: سلامٌ هي مستقرّة."

ب) **مصطلح المفعول المطلق: المفعول** المطلق مصدر منصوب يأتي لتوكيد الفعل أو لبيان نوعه أو عدده. نحو: ومكروا مكرًا كُبّارًا.

يوضح الثعالبي أن المصدر هنا ليس توكيدًا، بل مبيّن للنوع، أي: مكرًا عظيمًا.

ج) **مصطلح الحال:** الحال وصف منصوب يبيّن هيئة صاحبه، يوضّح الثعالبي في مواطن عديدة أن بعض الكلمات قد تُعرب حالًا لا نعتًا إذا أفادت بيان هيئة الفعل لا وصف الذات. نحو: مكرًا كُبّارًا يرى أن "كبارًا" حال، لأنه يصف هيئة المكر نفسه.

د) **التمييز:** التمييز اسم نكرة منصوب يفسّر إبهامًا في جملة. نحو: أشدّ حبًّا لله، حيث إن حبًّا هنا تمييز منصوب، لأنه يفسّر اسم التفضيل أشدّ؛ من منطلق القاعدة الإعرابية كل اسم منصوب بعد صيغة أفعل يعرب تمييزا.

ه) **مصطلح البدل: البدل** تابع يوضّح المقصود من متبوعه، يبيّن الثعالبي في بعض المواضع أن كلمةً ما تحتمل أن تعرب بدلاً أو عطف البيان،ويفرق بينهما بقوله: البدل يقوم مقام المبدل منه، بينما عطف البيان يوضّحه لا غير .

و) **مصطلحا المضاف والمضاف إليه: المضاف** والمضاف إليه تركيب يرد كثيرًا في القرآن،يشرح الثعالبي أن المضاف قد يعمل في المضاف إليه من جهة الإعراب، نحو : كحب الله، ف حب مضاف، والله لفظ جلالة. مضاف إليه.

ز) **مصطلح التوكيد: التوكيد** يتكرر عند بيان متى يكون المصدر أو الحرف للتوكيد. وهو من التوابع أيضا، نحو: وما هم بخارجين من النار، والباء هنا زائدة غرضها التوكيد.

ح) **مصطلحا الموصول وصلته:** لفظ الذي وأشباهه :اسم موصول، وصِلته جملة في محل رفع أو نصب أو جر، نحو: والذين آمنوا أشد حبًّا لله ، يقول الثعالبي:

الذين مبتدأ، وصِلتها آمنوا.

ط)**مصطلحات الظرف والجار والمجرور:** يحرص الثعالبي على تحديد التعلّق بأي فعل أو خبر، نحو: في النار، يوضح أنه متعلّق بمحذوف خبر مقدّم، أو بـ(خارجين) على قراءة أخرى.

والملاحظ هنا أن المصطلحات التي قدمها الثعالبي في كتابه تحفة الاخوان مصطلحات بصرية حتى تحديده لمعانيها والمقصود منه هو تحديد النحاة القدامى نفسه، ومرد ذلك جملة من الأسباب:

-شيوع المدرسة البصرية في الغرب الإسلامي، كان للغرب الإسلامي ارتباط وثيق بتراث البصرة النحوي، عبر تلامذة الخليل وسيبويه ومن تبعهم، وبالتالي فإن الثعالبي – وهو عالم في المغرب الأوسط – وجد أن أوضح وسيلة لشرح القرآن وإعرابه هي استخدام المصطلحات التي يفهمها المتعلمون والمتخصصون في عصره، أي المصطلحات البصرية.

-التوحيد الاصطلاحي لتيسير الفهم، المصطلح البصري صار لغة مشتركة بين المفسر والنحوي والبلاغي، ما جعل استخدامه ضرورة علمية حتى يفهم المخاطَب المقصود، فلو استخدم مصطلحًا كوفيًا مثل المسند والمسند إليه بدل المبتدأ والخبر، لكان أوهم القارئ أنّه يخرج عن السياق النحوي المألوف.

-الرغبة في تأكيد شرعية عمله النحوي؛ بما أنّ الثعالبي لم يكن نحويًا صِرفًا، بل لغويًا ومفسرًا، فإن التزامه بالمصطلحات البصرية المعيارية كان تثبيتًا لعلميته واندراجه في السلسلة النحوية المعترف بها حينذاك.

-الوظيفة التفسيرية للمصطلحات، هذه المصطلحات ليست مجرد أسماء لأبواب نحوية، بل لها وظيفة تفسيرية مباشرة: فالمبتدأ والخبر؛ يحددان من المتحدث عنه وما الخبر عنه. والحال؛ يكشف هيئة الفعل أو صاحبه. والصفة؛ تبين خصائص الموصوف وتضبط المعنى بدقة.

وهنا ينجلي البعد البلاغي الذي قصده الثعالبي، فهو لا يكتفي بضبط الإعراب شكليًا، بل يبين أثر كل مصطلح في تحديد المعنى القرآني وإبراز الإعجاز البلاغي

للنص.

-البعد البلاغي في استعمال المصطلحات، حين يستعمل الثعالبي مصطلح الحال مثلًا، فهو لا يعني مجرد تركيب نحوي، بل يبرز صورة بلاغية تُفهم من تركيب الحال: كأن يبين كيف أن الحال يصور مشهدًا متحركًا في الآية.، وعندما يحدد الخبر، فإنه يربطه بـ وظيفته الدلالية في إتمام المعنى وتوكيده، لا كعنصر شكلي فقط.

إذًا استخدام الثعالبي للمصطلحات النحوية البصرية في تحفة الإخوان ليس مجرد اتباع لتقليد مدرسي، بل هو؛ التزام بالمعيار النحوي السائد في عصره

ووسيلة لضمان وضوح التفسير وربطه بعلوم النحو المتداولة ومدخل لتطويع المصطلح النحوي خدمةً للبلاغة القرآنية وكشف وجوه الإعجاز.

وبهذا يتأكد أنّ المصطلحات النحوية عند الثعالبي أدوات وظيفية، وليست مجرد علامات شكلية، إذ تُمكّنه من الجمع بين النحو والبلاغة والتفسير في بناء فهم متكامل للقرآن.

خاتمة

ينبلج لنا بعد هذه الفسحة العلمية في رحاب كتابه تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن مع عبد الرحمن الثعالبي، أنّ الإعراب القرآني ليس

صناعة نحوية شكلية، وإنما هو مدخل أساس إلى التفسير، إذ يساهم بشكل كبير في توجيه المعنى القرآني وضبط دلالاته المقصودة. وقد أجلى البحث أن العلاقة بين الإعراب والتفسير علاقة وطيدة كيف لا والإعراب إبانة والتفسير إبانة، إضافة إلى أنّ فهم النصّ القرآني لا يكتمل من دون إدراك بنى تراكيبه وما تحمله من احتمالات دلالية.

لقد قدّم الثعالبي من خلال هذا الكتاب الموجز نموذجاً تطبيقياً يجمع بين النحو والتفسير، حيث عرض الآيات، ثم فصّل إعراب كلماتها وجملها، وأبرز

أثر ذلك في توجيه المعنى. ومن خلال هذا المنهج، تجلّت قيمة المصطلحات النحوية . مثل المبتدأ والخبر، الحال، نائب الفاعل، والبدل . في الكشف عن دقائق المعنى، ودفع الإشكالات المحتملة، وتوضيح المقاصد القرآنية.

ومن ثَمَّ، يمكن القول أنّ هذا البحث أفضى إلى نتائج، أهمّها:

- ✓يقدم الثعالبي جهدا مهمّا يضاف إلى جهود علماء الغرب الإسلامي في ربط النحو بالتفسير. وهو جهد لا يقل عن نظيره في الشرق الاسلامي.
- ✓امتاز جهد ب الثعالبي بالتفرد في تفسير وتخريج بعض الآيات القرآنية.
- ✓كتاب الثعالبي شاهد تطبيقي على التداخل الوثيق بين النحو والتفسير، حيث يوظف القاعدة النحوية لخدمة الفهم القرآني.
- ✓دراسة كتاب تحفة الإخوان تَنِمُّ عن وعي علماء ذاك الزمن بضرورة توظيف القواعد النحوية لخدمة النص القرآني وتفسيره.
- ✓الإعراب القرآني أداة مهمة لفهم دلالات النصّ، تتجاوز الجانب الشكلي إلى البعد الدلالي.
- ✓الإعراب القرآني ليس عملا نحويا تجريديا بل مدخل أساس إلى التفسير.
- ✓يساهم الإعراب في إزالة الغموض وتحديد المعنى المراد بدقة.
- ✓ تأكيد التكامل بين علوم العربية والتفسير، إذ ينظر الثعالبي إلى النحو والإعراب بوصفهما وسيلتين لا غنى عنهما لفهم النص القرآني. وهذا يبرز رؤية تكاملية عنده، إذ لم يتعامل مع النحو كعلم مستقل فحسب، بل كأداة متفاعلة مع البلاغة والتفسير، وهو اتجاه يضعه ضمن مدرسة علماء الغرب الإسلامي الذين وعوا بوظيفة النحو في خدمة النصوص الشرعية.
- ✓ إبراز القيمة البلاغية للإعراب: لم يقف الثعالبي عند حدود الإشارة إلى مواقع الكلمات إعرابًا، بل سعى إلى كشف الأثر البلاغي الذي يترتب على الإعراب .فكان يبيّن في مواضع كثيرة، كيف أن الحركة الاعرابية توجه المعنى وتضيف بعدًا بلاغيًا

يعمق المعنى، ليس هذا فحسب ولكن أحيانا موقع الكلمة في التركيب ومعناها البلاغي هو من يحدد اعرابها حتى لو كانت الحركة نفسها ويدلل لماذا هي حال وليست تمييزا مثلا.

✓وهذا المنحى يجعله من أوائل من أسهموا في ربط النحو بالبلاغة التطبيقية في خدمة التفسير.

✓ تحويل الإعراب من بعد شكلي إلى بعد دلالي، إذ تجاوز الثعالبي النظر إلى الإعراب بوصفه مجرد ضبط لأواخر الكلمات، بل جعله مفتاحًا للكشف عن الدلالات العميقة للنص القرآني. فالعلامة الإعرابية عنده أداة لتفكيك المعنى وتحديد المقصود من الخطاب الإلهي بدقة.

✓ إسهام في ترسيخ المنهج التفسيري القائم على القاعدة النحوية، يُعدّ الكتاب شاهدًا عمليًا على أن التفسير بالقاعدة النحوية ليس أمرًا تجريديًا، بل ممارسة راسخة في التراث الاسلامي؛ فقد قدّم الثعالبي نماذج تطبيقية متنوّعة لتفسير الآيات انطلاقًا من مواقع الكلمات في التركيب والسياق

من أجل ذلك، ينبغي أن يُدرَس الإعراب بعدّه وسيلة مهمة لفهم القرآن الكريم وتدبّر معانيه للوصول الى مقاصده ومَعامّه، مما يدلل على حاجتنا المسيسة اليوم إلى إحياء هذا الضرب من الدراسات الاسلامية الجامعة بين علوم اللغة (صوتا وصرفا ونحوا وبلاغة ...) وعلوم التفسير في خدمة النصّ القرآني، لأن هدفنا الأسمى من دراسة اللغة العربية هو خدمة القرآن الكريم بتبيان إعجازه وتقريب معانيه لقرائه ليسهل تدبّره والعمل به كما أمر الحق سبحانه، فهل سنرى مستقبلا تخصصات تُعنى بهذا الجانب التكويني المهم لعقل وفكر ووجدان الطالب المسلم؟

توصيات

- ضرورة التعريف بجهود علماء الجزائر القدامى التي خدمت اللغة العربية والقرآن الكريم.
- إنشاء مراكز بحثية متخصصة في مجال الإعراب القرآني تُعنى بجمع جهود العلماء

الجزائريين في هذا الميدان، وربطها بجهود المشرق والمغرب الإسلامي، بما يسهم في إبراز الهوية العلمية للجزائر في خدمة القرآن واللغة.

- إعداد فهارس علمية رقمية للمخطوطات؛ توفير قواعد بيانات إلكترونية متخصصة تشمل كل ما يتعلق بمؤلفات علماء الجزائر في الإعراب والتفسير، مع بيانات ببليوغرافية دقيقة تضم اسم المخطوط ومكان وجوده وحالته وموضوعه - لما عانيته شخصيّا من الحصول على هذه المخطوط -.
- تشجيع البحوث الأكاديمية لدراسة جهود علماء الجزائر
- تخصيص موضوعات بحثية تتناول بالدراسة والتحليل جوانب مختلفة من *تحفة الإخوان*، مثل: منهج الثعالبي النحوي، علاقته بالبلاغة، مقارنته بجهود معاصريه في المشرق.
- تحقيق كتاب تحفة الاخوان، وكل المخطوطات الموجود في مكاتب وزوايا الجمهورية، وتخصيص فرق للقيام بهذا العمل بعدّه واجبا وطنيا وقوميا.
- طباعة كتاب تحفة الاخوان وتوفيره بالصيغ الالكترونية المختلفة.
- عقد ندوات ومؤتمرات دورية تكون مخصّصة لجهود علماء الجزائر في علوم القرآن، مع نشر أعمالها في كتب جماعية أو مجلات علمية محكمة، ما يضمن التوثيق العلمي والانتشار الأكاديمي.
- إصدار طبعات محققة نقدية متعددة، على أن تكون وفق مناهج علم التحقيق الحديثة، مع شروح وهوامش توضح المصطلحات النحوية والبلاغية، لتيسير الاستفادة من الكتاب للمتخصصين وغير المتخصصين.
- إدماج التقنيات الرقمية في خدمة الكتاب وتصميم تطبيقات أو منصات تعليمية تفاعلية لشرح إعراب القرآن بالاستعانة بكتاب *تحفة الإخوان*.
- إدراج خاصية الإعراب الآلي للآيات مع توضيح الوجه البلاغي، بما يعزز تعليم العربية بالذكاء الاصطناعي.
- ادراج كتاب تحفة الاخوان ونظائره من الكتب ضمن المقررات المدرسية فيتعلم الطالب الاعراب ويفقه شيئا من القرآن.
- ترجمة مختارات من الكتاب إلى لغات أجنبية (الفرنسية أو الإنجليزية أو اسبانية)،

لتعريف الباحثين غير العرب بمكانة علماء الجزائر ومساهماتهم في النحو والتفسير والبلاغة.

- تشجيع النشر الشعبي إلى جانب النشر الأكاديمي وذلك تبسيط محتوى تحفة الإخوان ونشر مقالات أو كتيبات مدرسية موجهة لتلاميذ الثانوية والطلبة الجامعيين، بما يرسخ الوعي بأن الإعراب مفتاح لفهم القرآن.
- إحياء التقليد العلمي لعلماء الزوايا والمدارس القرآنية، من خلال إدماج نصوص مختارة من الكتاب في مناهج مدارس حفظ القرآن، تأكيدًا على أن النحو ليس علماً تجريدياً، بل وسيلة لفهم القرآن الكريم.

الإحالات:

[1] علم اعراب القرآن الكريم يدرج ضمن مجال النحو القرآني، الذي دعا فيه المتخصصون إلى جعله علما مستقلا عن النحو التقليدي فلا يعقل أن تكون الضوابط نطبقها على النص القرآني هي نفسها التي نطبقها على النص البشري، فلا يمكن أن نعرب مثلا: (خُلقت السموات؛ خُلق: فعل ماضٍ مبني للمجهول/ بل، فعل ماض لم يسمَّ فاعله على رأي الكوفيين)

[2] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، ط2 1969م،

[3] ينظر. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، لبنان، ج 1، ط1(1957م)، ص301-302-303

[4] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ج2(1974م)، ص309

[5] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط1(1998م)، ج1، المقدمة ص02

[6] يوسف بن خلف العيساوي، علم إعراب القرآن الكريم تأصيل وبيان، دار الصميعي، السعودية، ط1 (2007م) ، ص237 وما بعدها

[7] شمس الدين القرطبي، تفسير القرطبي، ج1، ص39

[8] ذكر غير واحد من الفقهاء والمحدثين أن نص هذا الحديث ضعيف الإسناد، كما قال الهيثمي في المجمع إن سنده ضعيف.

[9] ينظر.محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون، ج1، ص177

[10] كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي اسحاق ابراهيم الزجاج يشير إليه العلماء بـ إعراب القرآن للزجاج، فالكتابان واحد لأن الزجاج لم يؤلف كتاباً منفصلاً باسم "إعراب القرآن" وحده، بل جمع التفسير اللغوي والإعراب في كتاب واحد، إضافة إلى أن بعض الدارسين يرجحون أنه منسوب للزجاج ويشك في أنه له، وعلى الرغم من ذلك انبرى أبو علي الفارسي
(ت377هـ) -وهو تلميذه- إلى تصحيح كثير من المسائل الواردة في الكتاب.

[11] ينظر. فخر الدين قباوة، المورد النحوي الكبير؛ نماذج من التحليل النحوي في الإعراب والأدوات والصرف، دار الفكر، سورية، ط5(1994م)، ص04

[12] عبد الرحمن الثعالبي، تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن، مخطوط، خزانة (المكتبة الوطنية الجزائرية)، رقم: (1234/ن)، ورقة 45 ب.

[13] المصدر نفسه، ورقة 10

[14] ينظر. أبو اسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، لبنان ، ج1، ط1(1988)، ص 62 إلى 70

[15] عبد الرحمن الثعالبي، تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن، ورقة 17

[16] أشهر النحويين القدامى الذين أجازوا عمل (إنّ) عمل (ليس) الكسائي (ت 189ه) وكذلك الفرّاء (ت 207ه) في كتابه معاني القرآن: حينما قال إنْ قد تأتي نافية بمعنى ما نحو: قوله تعالى ﴿إِنِ الكافرون إلا في غرور﴾ الملك: 20، أي :ما الكافرون إلا في غرور. وأيضا النحوي البصري المعروف أبو العباس يزيد المبرّد (ت 285ه) في كتابه المقتضب، حينما قال يجوز أن تأتي (إن) نافية مهملة، أو عاملة عمل ليس، نحو: إن أحدٌ خيرٌ منك، بمعنى :ما أحدٌ خيرٌ منك.، أما الزجاج (ت 311ه) في معاني القرآن واعرابه: يذكر هذا الوجه في بعض المواضع، لكنه يرجّح أن إن للتوكيد غالبا. وأما الزمخشري (ت 538ه) فقد أشار في الكشاف أن حملها على (ما) أخت ليس جائز، لكنه قليل في القرآن.

[17] عبد الرحمن الثعالبي، تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن، ورقة 24

[18] المصدر نفسه، ورقة 51

[19] المصدر نفسه، ورقة62

[20] المصدر نفسه، ورقة28

[21] المصدر نفسه.

جهود علماء الجزائر القدامى في الدرس النحوي، و أثر ابن مالك و ابن آجروم فيها تعليما وتأليفا

أد. عبد القادر تواتي (جامعة البويرة)

اهتم الجزائريون باللغة العربية وعلومها المختلفة، واحتفوا بعلم النحو وأولوه عناية خاصة؛ وأسهموا في تطور درسه بالتعليم والتأليف منذ القرن الرابع الهجري، ثم ازداد هذا الاهتمام وبرز بشكل واضح في القرن السابع الهجري وما بعده. ولا خلاف بين الباحثين اليوم أنّ للنحويين الجزائريين القدامى جهودا علمية وتعليمية معتبرة في الدرس النحوي العربي، أسهمت في إثرائه، وخدمت اللغة العربية، وحافظت على مقومات الهوية الثقافية واللغوية للأمة. وقد تميزت جهودهم في هذا المجال بالأصالة والتأليف المستقل من جهة، والتكيف مع السياقات الثقافية السائدة في زمانهم من جهة أخرى؛ على أنّ نشاطهم في التعليم والتصنيف لم يخل من أثر للاتجاهات اللغوية والمدارس النحوية المعروفة في عصرهم.

ونسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى إبراز جهود الجزائريين في خدمة الدرس النحوي ابتداء من القرن السابع الهجري (ق13م) إلى بدايات القرن الرابع عشر الهجري (ق20م)، مع تسليط الضوء على أثر ابن مالك(ت672ه) وابن آجروم(ت723ه) في مناهجهم العلمية وطرائقهم التعليمية وأنماطهم في التأليف والتصنيف: **فمن هم أبرز أعلام النحو في الجزائر في هذه الفترة؟ وفيمَ تتمثل إسهاماتهم في الدرس النحوي؟ وكيف كان حضور ابن مالك و ابن آجروم في نشاطهم النحوي تعليما وتأليفا؟ وما أثر هذه الجهود اللغوية والنشاطات النحوية في المحافظة على اللغة العربية وحماية الهوية الثقافية الجزائرية؟**

وقد قسّمنا البحث على فصلين: **الأول خاص بالتعليم والتدريس، وهو بعنوان: حضور ابن مالك و ابن آجروم في نشاط التدريس والتعليم النحوي في الجزائر**: وهو في مبحثين: الأول: حضور مؤلفات ابن مالك في الدرس النحوي الجزائري تعليما

وتدريسا بدأنه بتعريف موجز لابن مالك وأهم مؤلفاته، ثم انتقلنا إلى إبراز حضوره في النشاط التعليمي بالمدارس الجزائرية القديمة. أما المبحث الثاني فبعنوان: حضور مقدمة ابن آجروم في الدرس النحوي الجزائري تعليما وتدريسا، وذكرنا فيه ما يتعلق بأثر المقدمة الآجرومية في النشاط التعليمي للجزائريين القدامى على الطريقة السابقة مع ابن مالك. **أما الفصل الثاني فأفردناه للتأليف والتصنيف، وهو بعنوان: أثر ابن مالك وابن آجروم في نشاط التأليف والتصنيف النحوي في الجزائر:** وهو أيضا في مبحثين اثنين: الأول بعنوان: أثر ابن مالك في حركة التأليف والتصنيف النحوي في الجزائر. أبرزنا فيه أثر ثلاثة من مؤلفاته هي الألفية والتسهيل ولامية الأفعال، ورصدنا ما وضعه الجزائريون حولها من مؤلفات باختلاف مناهجهم وأنماطهم في التصنيف. والمبحث الثاني: أثر المقدمة الآجرومية في حركة التأليف النحوي في الجزائر، حاولنا فيه تتبع المؤلفات التي وضعها النحاة الجزائريون القدامى حول هذا المتن على الطريقة التي اتبعناها مع مؤلفات ابن مالك في المبحث السابق. وختمنا الدراسة بذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدنا في تحرير فصول هذا البحث المنهجين: **التاريخي** للتتبع والرصد والترتيب الزمني التاريخي للأعلام والمؤلفات، **والوصفي** لبيان واقع حال الدرس النحوي بنشاطيه: التعليم والتأليف، في الفترة الزمنية المدروسة، مستعينين في ذلك كله بجملة من المصادر والمراجع القديمة والحديثة منها: البستان لابن مريم، وبغية الوعاة للسيوطي، والضوء اللامع للسخاوي، وتاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، وأعلام الفكر والثقافة في الجزائر ليحيى بوعزيز، وفهرست معلمة التراث الجزائري لبشير ضيق، ومعجم أعلام الجزائر لعادل نويهض. دون أن ننسى الدراسات الأكاديمية السابقة في هذا الموضوع ومنها: شرح الآجرومية لدى الجزائريين، وهي أطروحة لعيسى عزري. وألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين حركة التأليف نموذجا، وهو مقال لمراد مزعاش بمجلة كلية الآداب جامعة قسنطينة. وجوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، وهو مقال لبلحاج جلول بمجلة مقامات. والآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، وهو مقال لعبد القادر بقادر بمجلة الأثر. وله

أيضا مقال بجلة السياق بعنوان: جهود النحويين الجزائريين خلال العهد العثماني، والجهود النحوية لعلماء منطقة توات، وهي أطروحة لعبد الله عماري. وله أيضا مقال بمجلة اللغة العربية للمجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر بعنوان: علماء النحو في توات وتأثرهم بالعلماء المتأخرين.

- الفصل الأول: حضور ابن مالك و ابن آجروم في نشاط التعليم والتدريس النحوي في الجزائر:

نقف في هذا الفصل بمبحثيه مع حضور ابن مالك وابن آجروم في الدرس النحوي الجزائري، وأثر مؤلفاتهما في النحاة الجزائريين تعليما وتدريسا، ونبدأ بابن مالك لسبقه، ثم نتبعه بحديث مثله عن ابن آجروم ومقدمته، مع الإشارة إلى الأمور المشتركة في تعامل الجزائريين مع متني الألفية والآجرومية، ومنهجهم التكاملي وطريقتهم التدريجية في تعليمهما، فقد اهتم الجزائريون بهذين المتنين اهتماما ظاهرا، وتأثروا بهما في درسهم النحوي تعليما وتأليفا، قال أبو القاسم سعد الله: «وقد أخذت الآجرومية وألفية ابن مالك حظا وافرا من عناية الجزائريين.»[1]

وقد رأينا البدء بالتعليم لأنه أسبق من التأليف عادة، وأن جل المؤلفات التي خلفها النحاة الجزائريون حول الآجرومية والألفية وغيرهما إنما كانت في بدايتها شروحا نظرية لها وإضافات وتعليقات منهم عليها، قدموها لطلبتهم خلال دروسهم وما يتطلبه مقام التعليم من شرح واستطراد، «فالشروح في حقيقة الأمر كانت عبارة عن دروس قدمت للطلبة في حلقات الدرس أولا، ثم قيّدت ودوّنت على الأوراق في دفاتر أو مؤلفات ليكون نفعها أعم وفائدتها أكثر، وهو ما أشار إليه هؤلاء الشراح فقد نبه وأماء إليه محمد بن عامر الأخضري البسكري(ت950هـ/1543م) في شرحه (على الألفية)...وقال المقري التلمساني (ت1041هـ/1632م): "فقد كنت أروم وضع تقييد على ألفية ابن مالك؛ ليكون لي حظ في دعاء قارئها، ويضرب لي بسهم وإن قل في ثواب شارحها، وأوردت في بعض لأماكن أسئلة تأنيسا وتنشيطا للطالب، وتدريبا وفوائد وتنبيهات ينتفع بها المبتدئ."[2] ...فالشرح موجه لطلبة العلم.»[3] قبل أن يصبح كتابا مدوّنا، وهذا ما كان عليه الحال في منطقة توات، فإن علماءها المتأثرين بمصنفات المتأخرين من النحاة المشارقة والمغاربة «كانوا يعالجون المباحث النحوية

قصد تعليم الناشئة إما بالمتن أو الشرح عليه، وإذا صادف ذلك غموضا أو نقصا كتبوا على حاشية الكتاب ما يعالج ذلك، ثم يأتي من ينشرون تلك المصنفات فيطبعونه مع الشرح، وأحيانا يجعلون الشرح على الهامش والحاشية في صلب الكتاب والعكس أحيانا، وإذا تصدى أحد المدرسين لتدريس هذه المجموعة المؤلفة من المتن والشرح والحاشية أضاف إليها تقريرات قد تطبع مع تلك المجموعة في بعض أطراف الكتاب. هذا وقد يكون لهذا النظام في التصنيف فوائد من ناحية التدرج في التحصيل العلمي فالمتعلم يحفظ أولا المتن ويتفهم ما تضمن من حقائق موجزة، ثم ينتقل إلى الشرح وهو أوسع وأوفى من المتن، ليرتقي بعد ذلك إلى الحاشية والتقريرات ليستوفي ما فيها من زيادات في الشرح.»[4] وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى هذه الطريقة المنتهجة لدى النحويين الجزائريين التي يبنون فيها مرلفاتهم على دروسهم التعليمية فقال صدد حديثه عن الزجاي: «وممن اعتنى بالتأليف في النحو أيضا محمد الزجاي فقد ذكر في ترجمته أن له شرحا على ألفية السيوطي وعلى التسهيل لابن مالك وعلى لامية الأفعال في التصريف...والزجاي مثل سعيد قدورة والأنصاري، كان يعلق على الكتب التي كان يتناولها في درسه فيوضحها لطلابه وقد يزيد على ذلك شواهد وتبسيطا وأخبارا ، ولا نظن هذه التآليف إلا موجهة للطلبة فقط.»[5] فالزجاي كغيره من الشيوخ والمعلمين لا يكتفي بالتدريس، بل يستغل ما جمعه من مادة علمية خلال سنوات التعليم الطويلة، ويضيف إليها وينقص منها، ويرتبها ويحوّلها إلى مصنفات تعليمية باقية تستفيد منها الأجيال اللاحقة وتكون صدقة جارية لأصحابها.

المبحث الأول: حضور مؤلفات ابن مالك في الدرس النحوي الجزائري تعليما وتدريسا:

نفرد هذا المبحث لابن مالك، ونبدأه بنبذة مختصرة من ترجمته وذكر أشهر مؤلفاته مما له أثر في الدرس النحوي الجزائري، ثم نردفه ببيان حضور تلك المؤلفات في المدارس الجزائرية، وأثرها في تعلم النحو وتعليمه عند الجزائريين.

1- ابن مالك(600-672هـ/1203-1273م) ومؤلفاته:[6] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، الطائي الجيانيّ الأندلسي المالكيّ ثم الدمشقي الشافعيّ، النحويّ

اللغويّ، ولد سنة 600هـ بجيّان من بلاد الأندلس، وبها تلقى علومه ومعارفه الأولى.[7] وتتلمذ لغير واحد من شيوخها منهم الشلوبين وثابت بن خيار، وقرأ كتاب سيبويه ودرس المذهب المالكي في الثلاثين من عمره، ثم رحل إلى المشرق وسمع من شيوخ آخرين منهم السخاوي وابن يعيش، ثم تصدر بحلب ودمشق لتدريس العربية والقراءات، «وقد شاع عند كثير من منتحلي العربية أن ابن مالك لا يعرف له شيخ في العربية ولا في القراءات، وليس كذلك...بل أخذ العربية في بلاده عن ثابت بن خيار كما تقدم، وحضر عند الأستاذ أبي علي الشلوبين نحو عشرين يوما، وأخذ عن االسخاوي العربية والقراءات، ولما دخل حلب لازم حلقة ابن يعيش، ثم حضر عند تلميذه ابن عمرون ولزمه وكان ذهنه من أصح الأذهان.»[8] ويبدو أن هذه الإشاعة مصدرها أبو حيان الأندلسي الجياني(ت745هـ)، حيث كان شديد الاعتراض على ابن مالك بسبب المعاصرة، وكان يقول عنه إنه «كان منفردا بنفسه، لا يحتمل أن ينازع أو يجادل، ولا يباحث، وإنه لم يكن ممن لازم في هذا الفن إماما مستبحرا به، ولا يعلم له فيه شيخ، فهو لم يجلس في حلقة الشلوبين إلا نحوا من ثلاثة عشر يوما.»[9] وكلام الأقران بعضهم في بعض لا يعتد به للسبب المشار إليه، وقد ذكر أحمد عبد الله المغربي ما يزيد عن عشرة شيوخ لابن مالك وردت الإشارة إليهم في بعض المصادر منهم: أبو رزين الكلاعي الأندلسي(ت628هـ) وأبو صادق المصري الكاتب(ت632هـ) وابن أبي الصقر(ت635هـ) وعلم الدين السخاوي(ت643هـ) وابن يعيش الحلبي(ت643هـ) وأبو علي عمر الشلوبين(ت645هـ) وجمال الدين ابن الحاجب(ت646هـ) وابن عمرون(ت649هـ).[10]

أما تلاميذ ابن مالك فكثر، أخذوا عنه النحو خاصة قال ابن الجزري: «أخذ عنه العربية غير واحد من الأئمة؛ غير أني لا أعلم أحدا قرأ عليه القراءات»[11] وجمع أحمد عبد الله المغربي تلاميذه الذين ذكرتهم مختلف المصادر فذكر منهم: ابنه بدر الدين محمد بن مالك. وشرف الدين النووي(ت676هـ)، وشمس الدين ابن جعوان الأنصاري(ت682هـ)، وأبو البركات التنوخي(ت695هـ)، وأبو الحسن العطار(ت724هـ)، وابن جماعة(ت726هـ)، وبهاء الدين ابن النحاس (ت698هـ،).[12]

وقد توفي ابن مالك بدمشق سنة 672هـ وصلي عليه بالجامع الأموي ودفن بسفح قاسيون.[13] وترك مؤلفات كثيرة في النحو والصرف والقراءات، و«ألف كتبا ملأت الدنيا وشغلت الناس إلى اليوم.»[14] وهي متنوعة: فمنها المنثور، ومنها المنظوم، ومنها المختصر والمطوّل، وأشهرها: الخلاصة الألفية، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، وللكافية الشافية في النحو، وتحفة المودود في المقصور والممدود، ولامية الأفعال في الصرف، ورسائل حول الفرق بين الظاء والضاد في الإملاء، وحوز المعاني في اختصار حرز الأماني في القراءات.[15] وقد ذكر عدنان عبد الرحمن الدوري مصنفات ابن مالك ثم قال: «وهي كما قيل غزيرة المسائل، ولكنها على الناظر بعيدة الوسائل، وهي مع ذلك كثيرة الإفادة، موسومة بالإجادة، وليست هي لمن في هذا الفن في درجة ابتدائه، بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه»[16] والغريب أن أبا حيان الأندلسي الذي نسبت إليه الإشاعة المعروفة حول شيوخ ابن مالك، يقول عن قيمة كتاب التسهيل: «إن أحسن موضوع في علم النحو وأجلّه كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، وأحسن ما وضعه المتأخرون من المختصرات وأجمعها للأحكام كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمد الجيّاني الطائي المقيم في دمشق.»[17] وقد صنف كتابه التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل في نحو 14 جزءا.

وأقوال العلماء في ابن مالك وعلمه وتصانيفه كثيرة، منها قول تلميذه النووي الذي عدّه « إمام أهل اللغة والأدب في هذه الأعصار بلا مدافعة»[18] وأشار الإمام الذهبي -بعد حديثه عن علمه الواسع- إلى دينه وأخلاقه فقال: «كان واحد العصر في علم اللسان، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها والاطلاع على وحشيها، فصار إماما فيها، أما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكان الأئمة الأعلام يتحيّرون فيه ويتعجّبون من أين يأتي بها، وكان إماما في القراءات وعللها...هذا مع ما هو عليه من الدين المتين، وصدق اللهجة، وكثرة النوافل، وحسن السمت، ورقة القلب، وكمال العقل والوقار والتؤدة.»[19] فرحم الله ابن مالك وجعل ما بثه من علم نافع وما تركه من مؤلفات قيّمة في ميزان حسناته؛ ولأجل هذا لا نستغرب إذا تأثر الناس به واهتموا بعلمه ومؤلفاته.

2- حضور مؤلفات ابن مالك في النشاط النحوي الجزائري تدريسا وتعليما:
تأثر الدرس النحوي الجزائري في مرحلته الأولى بالنحو المشرقي، ثم جاءت المرحلة الثانية ابتداء من القرن السابع الهجري حيث هيمن على نشاطهم النحو المغربي والأندلسي،[20] ويعد ابن مالك وابن آجروم من أكثر النحاة الأندلسيين والمغاربة أثرا في الدرس النحوي الجزائري، ويمكن بيان ذلك وإبرازه في المظاهر الآتية:

أ- نشاط التحصيل والرحلة من أجل طلب العلم وأخذ الألفية وغيرها: شد كثير من الجزائريين -قبل جلوسهم للتعليم أو التأليف- الرحال إلى حواضر العلم ومظانّه، داخل الوطن وخارجه؛ لطلب العلم وأخذ الألفية وشروحها وغيرها عن الشيوخ المجازين فيها، ولم يكتفوا بأخذها من الصحف، ومن هؤلاء العلماء الرحالة إبراهيم بن محمد المشدالي(ق9هـ/15م) الذي لقي السخاوي بالحرمين وسمع منه تصانيفه وشروح الألفية قال السخاوي(ت643هـ): «لقيني بكل من الحرمين وسمع مني أشياء من تصانيفي وغيرها ومن ذلك دروسي في شرحي للألفية.»[21] وذكر أيضا أنه لقي عبد الله بن يوسف الحسناوي البجائي(ق9هـ/15م) في مصر قال: «أخذ عني الألفية وقرأ عليّ الموطأ بتمامه.»[22] ومنهم محمد التواتي الذي كان يلقب بسيبويه زمانه فقد شد الرحال إلى القرويين بفاس وعاد منه إلى قسنطينة ودرّس فيها مدة طويلة، ومن تلامذته الكثيرين محمد بن راشد الذي جاء من زواوة ودرس عليه كتاب شرح المرادي على ألفية ابن مالك حتى أتقنه، وبعد ذلك جلس ابن راشد للتدريس في قسنطينة فكان يدرس لطلابه كتاب توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي.[23] وعبد الكريم بن محمد التواتي(ت1042هـ/1633م) الذي التقى مفتي الجزائر سعيد بن إبراهيم قدورة(ت1066هـ/1655م) لما رحل هذا المفتي إلى حدود بني عباس ببشار، وقرأ عليه الألفية فقد «التقى به الشيخ في مدينة بني عباس التابعة لولاية بشار في جنوب الغرب الجزائري فجعل منه إماما نحريرا في علم النحو، وفي شهر سفر من عام سبعة عشر بعد الألف ابتدأ معه قراءة ألفية ابن مالك.»[24] ولما أنهى عبد الكريم بن محمد التواتي رحلة الطلب وحلس للتعليم أخذ عنه جماعة منهم محمد بن علي الوقروتي(ت1062هـ/1653م) فقد «درس على عبد الكريم بن محمد التواتي(ت1042هـ/1633م) النحو حتى لم يكد يعرف إلا به.»[25] أما محمد بن

أبّ المزمّري(1160هـ/1750م) فقد «سافر إلى سجلماسة لحضور مجلس أبي إسحاق بن إبراهيم السجلماسي في الألفية أياما؛ ليرجع بعدها للاشتغال بالنظر والمراجعة لشروح الألفية وغيرها من كتب النحو.»[26] وكذلك محمد بن أبي القاسم الهاملي(1315هـ/1897م) الذي زار زاوية ابن أبي داود في زواوة، وجلس في حلقة مؤسسها وأخذ عنه علوم العربية وفنونها،[27] وعلم العربية عند القدامى يعني علم النحو والصرف، مقابل علم اللغة المراد به المعاجم، وهذا وغيره يدل على أن الدرس النحوي في الجزائر كان في الزوايا ونحوها من المساجد والكتاتيب، وأن العربية وفنونها كانت من المقررات الأساسية فيها، وأن طلب العلم كان كثير منه عن طريق الرحلة ولقاء العلماء، والسماع عنهم والقراءة عليهم، والحصول على إجازاتهم في متونه المشتهرة بينهم يومئذ؛ ومنها الألفية والآجرومية وشروحها، كما فعل هؤلاء المذكورين وأمثالهم .

ب- نشاط التدريس وتعليم الألفية وغيرها، وما يتعلق به من مناهج وطرائق:

والتعليم في ذلك الوقت لم يكن كما هو عليه اليوم من حيث مكانه ووسائله، ولا من حيث مناهجه وطرائقه: أما أماكنه فهي: المعاهد والزوايا والمساجد والكتاتيب وبيوت العلماء.[28] أما وسائله فبسيطة مما هو متاح في تلك العصور كالألواح الخشبية، والقلم القصبي، والدواة بحبرها المصنوع من صوف الغنم ونحو ذلك. أما المقررات اللغوية ومادة الدرس -وهي الأهم هنا بعد الشيخ المعلم- فقد كانت متأثرة بمؤلفات المغاربة والأندلسيين، وأبرزها عندهم الألفية واللامية والآجرومية وشروحها قال سعد الله: «أما العلوم اللغوية ونحوها فقد كانت لا تخرج أيضا عن المواد التقليدية...وهذه أهم هذه العلوم: النحو بالآجرومية وألفية ابن مالك وشروحها كالمكودي، والصرف بلامية ابن مالك في التصريف.»[29] وما أشار إليه سعد الله وغيره من ضعف المستوى بسبب الاعتماد على الحفظ وشيوع التصوف واعتماد الإلهام والأحلام والرؤى مصدرا للعلم عند بعض المدرسين، فهي حالات خاصة تطوى ولا تروى، وشذوذ عن الخط العلمي الرزين العام الذي كان عليه الدرس النحوي الجزائري؛ فيحفظ ولا يقاس عليه، قال جلول بلحاج: «كان ميدان التأليف في النحو كما هو في غيره من سائر العلوم الشرعية قد سبقت إليه تآليف كثير من غير الجزائريين في المشرق

والمغرب، فلا غرابة أن يتم اعتماد كثير من تلك التآليف مقررات مشهورة وربما تم اعتماد ما عليها من الشروح والحواشي أيضا. ونذكر هنا ألفية ابن مالك في النحو وكتاب التسهيل في العربية له أيضا، ولامية الأفعال في التصريف لابن مالك المذكور. قد صارت جميعا مقررات للحفظ والتدريس والتأليف. وكذا شاع من شروحها شروح ابن عقيل والمكودي...كما شاعت كتب ابن هشام...إن النحاة الجزائريين قد اطلعوا على كل ذلك وغيره وقبلوا اعتماد كثير منه كمقررات علمية ناجحة وتولوا تدريسها تحفيظا وشرحا للطلاب وتأليفا حول موضوع مادتها.»[30] وقد ذكر ابن مريم التلمساني في بستانه عددا من الشيوخ الذين اختصوا في تدريس ألفية ابن مالك من خلال شروحهم الخاصة، أو بالاعتماد على بعض الشروح المتداولة والمعروفة في عصرهم،[31] ومن الشروح الجزائرية على الألفية التي كانت مشهورة في المعاهد والمدارس حفظا وتعليما في ذلك الوقت (هدية السالك في بيان ألفية ابن مالك) لابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1406م)[32] فهذا هو منهجهم وتلك هي مقرراتهم، وما خالفها مما أشير إليه محض استثناء وحالات معزولة لا تمس بالمنهج العام المهيمن على نشاطهم النحوي تعلّما وتعليما.

أما العملية التعليمية وطرائقهم في التعليم، فقد كانوا في ذلك على طريقة يتدرجون فيها من العام إلى الخاص، تشبه ما يسمى في المناهج المعاصرة (بالجذع المشترك)، حيث يبدأون بمقررات موحّدة لجميع الطلاب دون استثناء تشمل: حفظ القرآن الكريم والمتون المختصرة التي تتضمن المبادئ الأولى في اللغة العربية،[33] ثم يتدرجون بالمتعلم نحو التخصص الذي يختاره كل طالب لنفسه: فمن يريد التخصص في علوم اللغة والتعمق في فنونها مثلا ينتقل به من ذلك إلى حفظ المتون اللغوية المختصرة، وأشهرها الجزولية والآجرومية في النحو، ثم قطر الندى، ثم الألفية في المرحلة ما قبل الأخيرة، فمن أراد التبحر بعد ذلك فعليه بالمطولات ومصادر النحو المعروفة وشروحها وحواشيها. فطرائق التدريس كانت «وفق التقاليد المستمرة هنا بعموم المغرب الإسلامي وخصوص الجزائر.»[34] والغالب عليها أن يبدأ المتعلم فيها بحفظ القرآن الكريم بتلقيه سماعا عن شيخه وكتابته في لوحه بثمن الحزب أو ربعه بحسب قدرة كل طالب واستعداداته، ثم يكرره ويردد قراءته مع

الشيخ ومع باقي الطلبة ممن سبقوه في الحفظ حتى يحفظه عن ظهر قلب، ثم يعرضه على الشيخ سماعا، فإذا أجازه انتقل إلى غيره وهكذا حتى يتم حفظ الكتاب كله، فإذا استظهره كله انتقل إلى كتاب آخر غالبا ما يكون متنا مختصرا في علوم الدين ومنها العربية، كل ذلك مع مراعاة حال الطلبة واستعداداتهم والفروق الفردية بينهم، وقد اشتهر عن محمد بن أبّ المزمّري الأدراري(ت1160هـ/1746م) أنه «كان يراعي القدرات العلمية والمكتسبات القبلية لهؤلاء المتعلمين ومستواهم وأعمارهم وهذا ما يتطلب انتقاء المادة العلمية كل حسب مستواه وقدراته وهي طريقة مفيدة لمراعاتها التدرج في تلقين المادة التعليمية.»[35]

وكان حفظ المتون المقررة في كل علم وفن عن ظهر فلب كما يحفظون القرآن الكريم، هو السائد والمعوّل عليه في التعليم، بل هو أساس العملية التعليمية وعمودها، فإذا تمّ ذلك أتبع بالشرح الذي يقدمه الشيوخ باختلاف درجاتهم العلمية، مع مراعاة مستوى الطلاب وما تتحمله عقولهم ومداركهم، «والاعتماد على الحفظ كان سائدا في مختلف العلوم؛ لوجود المقررات المحددة في مختلف الفنون العلمية بما فيها النحو؛ فقد كان كتاب التسهيل، ثم ألفية ابن معط الزواوي(ت628هـ)، وبالخصوص ألفية ابن مالك للطبقات العليا، ومقدمة ابن آجروم وغيرها لصغار الطلبة...كما أن طبقات المدرسين كانت تنقسم وباستمرار إلى المكلفين بصغار الطلبة، وإلى المعينين لكبارهم وهكذا.»[36] ولقد عُرف الجزائريون بحفظ متون النحو بل وحفظ بعض الشروح وإدراك مسائلها عن ظهر قلب حتى أصبحوا لا يجدون في ذلك أي معاناة ولا عنت ولا مشقة.[37] ولم يكن ذلك شأن الجزائريين وحدهم، بل هو منهج عام لدى أهل المغرب عامة حيث كانوا وفقا لابن خلدون[38] يعتمدون على تلقين لعلوم للمتعلمين، ثم يتبعون ذلك بالشروح مع مراعاة عقول الطلبة واستعداداتهم للتلقي والقبول.[39]

وتحتاج مهنة التدريس إلى معلم متقن ومتفنن له زاد علمي كاف حصّله خلال مرحلة الطلب، وتجربة ومهارات اكتسبها بطول الممارسة، وهذا ما كان يتميز به معلمو النحو الجزائريون، فهذا عبد الرحمن بن محمد الوقّاد(ت1057هـ/1647م) يقول عنه المؤرخون إنه كان «بارعا في تدريس اللغة العربية وقواعدها.»[40] ولا يمكن

أن يوصف بالبراعة في العربية وقواعدها دون أن يكون درسه متضمنا للألفية والآجرومية. ثم إن المعلمين من حيث التكوين ومؤهلات التدريس مختلفون: فمنهم من هو ذو تكوين موسوعي يصانع في علوم كثيرة ويدرّس عدة فنون، وهي سمة بارزة في تاريخنا الثقافي، ومنهم من انصرف إلى علم واحد يحصله بإتقان ويبلغه بتفان وإخلاص، فقد «كان بعض المدرسين قد اشتهروا بتدريس مادة معينة كالفقه، وبعضهم كان يجمع في دروسه عدة علوم، وقد كان الغالب عليهم الجمع بين علوم مختلفة، فنجد مثلا في ترجمة أحمد الزكّوطي المعروف بأبركان أنه كان يقرئ تلاميذه في تلمسان حوالي ثمانية علوم من رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه إلى ألفية ابن مالك في النحو.»[41]

ج- الاهتمام المبكر بالألفية وكتب ابن مالك: تشير المصادر والمراجع التي اهتمت بتاريخ الدرس النحوي الجزائري، أن اهتمام الجزائريين بألفية ابن مالك بدأ في وقت مبكر جدا من القرن السابع الهجري الذي عاش فيه مؤلفها «ويعد أبو علي الحسن بن عبد الله بن ويحيان الراشدي التلمساني(ت685هـ/1286م)، أول جزائري وربما أول مغربي ومشرقي- بعد صاحبها وابنه بدر الدين-، يشرح الألفية في هذا الوقت المبكر من القرن السابع الهجري،[42] فقد توفي ابن ويحيان بعد ابن مالك ب13 سنة فقط، وهذا يخالف ما ذكره الكتاني عن المكودي(ت807هـ) أنه أول من شرح الألفية في فاس والمغرب كله،[43] والأمر واضح من خلال تاريخ وفاة كل منهما أن شرح أبي علي أسبق، وغاية الأمر أن شرح المكودي اشتهر أكثر منه. وشرح الألفية أيضا أبو العباس الداري القسنطيني(ت772هـ)، وابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ)، كما شرح لامية الأفعال محمد بن يحيى بن مسفر الباهلي البجائي(ت744هـ)، وشرح التسهيل أبو عبد الله المقري(ت759هـ) وأبو العباس العنابي(776هـ) وأحمد بن محمد الزبير التنسي(ت801هـ) وكل هذه المؤلفات كانت في الخمسين سنة الأولى بعد وفاة ابن مالك، وسيأتي بيان ذلك مرتبا ترتيبا زمنيا في الفصل الثاني من هذا البحث، وهو يدل على االأثر الكبير والحضور المبكر لابن مالك ومؤلفاته في الدرس النحوي الجزائري.

د- اعتماد الألفية مقررا دراسيا للمراحل التعليمية العليا بعد الآجرومية: تأثر الجزائريون في المرحلة الثانية من تاريخ درسهم النحوي بمؤلفات المغاربة والأندلسيين، و«كان ميدان التأليف في النحو كما هو في غيره من سائر العلوم الشرعية قد سبقت إليه تآليف كثير من غير الجزائريين في المشرق والمغرب؛ فلا غرابة أن يتم اعتماد كثير من تلك التآليف مقررات مشهورة وربما تم اعتماد ما عليها من الشروح والحواشي أيضا. ونذكر هنا ألفية ابن مالك في النحو وكتاب التسهيل في العربية له أيضا، ولامية الأفعال في التصريف لابن مالك المذكور. قد صارت جميعا مقررات للحفظ والتدريس والتأليف. وكذا شاع من شروحها شروح ابن عقيل والمكودي...إن النحاة الجزائريين قد اطلعوا على كل ذلك وغيره، وقبلوا اعتماد كثير منه كمقررات علمية ناجحة وتولوا تدريسها تحفيظا وشرحا للطلاب وتأليفا حول موضوع مادتها.»[44] وقد بدأ اهتمام الجزائريين أول أمرهم بالألفية قبل الأجرومية؛ لأن تأليفها أسبق من الناحية التاريخية،[45] أما الذي استقر عليه الحال في مدارسهم وطرائق تعليمهم فهو تمييزهم بين مقررات المبتدئين وصغار الطلبة، ومقررات غيرهم من طلاب التخصص والتبحر بغض النظر عن تقدم صاحب المقرر أو تأخره؛ لذلك وجدناهم يتخذون المطولات من كتب النحو «وبالخصوص ألفية ابن مالك للطبقات العليا، ومقدمة ابن آجروم وغيرها لصغار الطلبة...كما أن طبقات المدرسين كانت تنقسم وباستمرار إلى المكلفين بصغار الطلبة، وإلى المعينين لكبارهم وهكذا المقررات في المراحل التعليمية التي تأتي بعدها.»[46] إن اهتمام الجزائريين بالألفية كان أسبق من الناحية التاريخية من اهتمامهم بالآجرومية، لكن طرائق التعليم عندهم اقتضت تقديم المتأخر وتأخير المتقدم، وأصبحت دراسة الألفية عندهم «في مرحلة متأخرة من مراحل تعليم الطلاب علم النحو؛ لأنها تمثل مرحلة التعليم العالي بعد تجاوز مرحلة الجزولية والآجرومية أو غيرهما من المتون الميسرة والسهلة التي تقدم في المراحل الأولى للتعليم، فإذا أراد المتعلم أن يستزيد ويتعمق في علم النحو انتقل إلى متون أخرى تكون أكثر عمقا وإحاطة بهذا العلم، فينتقل إلى دراسة المقدمة الأزهرية، ثم إلى دراسة قطر الندى، وعادة ما تمثل ألفية ابن مالك المرحلة الأخيرة والخلاصة التي ينبغي أن ينتهي إليها المتخصص والغائص في علم النحو. فيكون لازما على المتعلم

حفظها أولا ثم الانتقال إلى دراستها ومعرفة مسائلها من خلال الشرح. فهي بمثابة مقرر المرحلة النهائية الجامعية ذات المستوى العالي. ومن شاء أن يتوسع فيه أي في النحو فعليه بالمطولات والشروح الكبرى التي وضعت على ألفية ابن مالك.»[47] وفي هذه الذي نقلناه إشارة إلى ما انتهى إليه الدرس اللغوي من اعتماد ألفية ابن مالك مقررا للتدريس في المعاهد العلمية العليا في المرحلة النهائية من التعليم مراعاة لمبدأ التدرّج في العملية التعليمية.

هـ- الألفية خبز الجلوس: ونختم الحديث عن مظاهر اهتمام الجزائريين بالألفية في مدارسهم ومجالسهم بما نقله ابن مريم عن الشيخ سيدي محمد بن سعيد المدعو الحاج المناوي الورنيدي، فقد ذكر عنه أنه كان يقول: «ألفية ابن مالك عندنا كخبز الجلوس.»[48] وهذا تعبير بلاغي راق جدا وتشبيه بليغ، فيه مدح للألفية ويدل على مكانة هذه المنظومة النحوية وقيمتها الكبيرة عند الجزائريين، فهي مقرر أساسي لا غنى عنه كما لا غنى للمجالس وموائدها عن الخبز والطعام، أو قل هي لعقول طلبتهم ومقررات مدارسهم كالخبز لأبدانهم والطعام لمجالسهم، ومعروف إلى اليوم أن الخبز مكوّن رئيس في الطبق الجزائري وبه يكنّون عن الطبق كله من باب تسمية الشيء بجزئه إشارة إلى أهميته؛ كتسمية النحو إعرابا، والحج عرفة ونحوه، وذلك لأن العلم غذاء الأرواح والعقول، كما أن الخبز غذاء البطون والأجسام، وهذا كله إنما يدل على قيمة الألفية والمكانة الكبيرة التي حظيت بها في مجالس النحويين الجزائريين حتى جعلوها كقوت موائدهم وطعامهم اليومي.

المبحث الثاني: حضور مقدمة ابن آجروم في الدرس النحوي الجزائري تعليما وتدريسا:

ننظر في هذا المبحث في أثر ابن آجروم في تعليم النحو في الجزائر بالطريقة التي نظرنا بها في أثر ابن مالك، فنفتتحه بترجمة موجزة للتعريف به وبمقدمته، ثم نتبع ذلك بالحديث عن حضوره في الدرس النحوي الجزائري عامة، وأثر مقدمته في النشاط التعليمي منه خاصة.

1- ابن آجروم(672-723هـ/1273-1323م) ومؤلفاته: هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي أبو عبد الله النحوي المشهور بابن آجروم، والمشهور في (آجَرُّوم) أنها بمد

الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء، ولكنها قد «تقرأ بفتح الهمزة وبمدّها، وضم الجيم وبفتحها، وضم الراء المشدّدة، وتقرأ الجرومية بدون همز، وبالكاف، وقيل بجيم بربرية بين الجيم والقاف...وكان مولد مؤلف الجرّومية عام اثنتين وسبعين وستمائة، وكانت وفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.»[49] وبنسب ابن آجروم إلى صنهاجة وهي بلدة أو قبيلة مغربية مشهورة، وهو من أهل فاس مولدا وإقامة ووفاة. ومن الموافقات الغريبة أن تكون سنة وفاة ابن مالك هي نفسها العام الذي ولد فيه ابن آجروم![50] وقد درس ابن آجروم على شيوخ عصره، وتأثر بالكوفيين، وكانت «له تآليف وأشياخ منهم أبو حيّان...وكان كثيرا ما يتبع الكوفيين في التعبير كقوله بالخفض.»[51] وأما تلامذتة فكثيرون، وهم من بلدته فاس أو ممن قصده من البلاد المجاورة، وفي مقدمتهم ابنه عبد الله «فما من شك أنه قد تلقى العلم على يديه عدد كبير من الطلبة؛ لاسيما من أهل فاس، إضافة إلى الطلبة الذين يرتحلون إليها، ومن هؤلاء ابنه أبو محمد عبد الله بن محمد. ومحمد بن علي بن عمر الغساني النحوي، والقاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي»[52] ويذهب بعض الباحثين إلى أن أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن كحيل البجائي(ت869هـ) من تلامذة ابن آجروم الذين أخذوا المقدمة عنه مباشرة، وقيل: أخذها عن ابنه عبد الله،[53] وهو الأقرب إلى القبول.

وقد ترك ابن آجروم عدة مؤلفات في النحو والقراءات والفرائض فهو «نحوي مقرئ وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنفات وأراجيز في القراءات وغيرها...والغالب عليه النحو والقراءات..ووصف بالأستاذ.»[54] ومن مؤلفاته: كتاب فرائد المعاني في شرح حرز الأماني في شرح الشاطبية، والبارع في قراءة نافع، ونظم الاستدراك على هداية المرتاب،[55] وتبقى (الآجرومية) أهم مرلفاته وأشهرها وإليه نسبت وبها عرف واشتهر.

2- الآجرومية مضمونها ومنهجها ومميزاتها وما قيل فيها: الآجرّومية وتقرأ أيضا (الجرومية) بدون همز، وبالكاف، وقيل بجيم بربرية بين الجيم والقاف.[56] متن نثري نحوي مختصر، وهي أشهر كتب ابن آجروم، قال عبد العزيز بن هنية: «الآجرومية متن نحوي نثري يقرأ بفتح الهمزة وبمدها، وضم الجيم وبفتحها، وضم الراء المشددة،

وتقرأ الجرومية بدون همز، والجاري على الألسنة فتح الهمزة وتسكين الجيم وضم الراء مخففة...ولم يسم المصنف كتابه إنما سمي به فقيل: الآجرومية أو الجرومية من باب النسبة إلى ابن آجروم بحذف الصدر(ابن).»[57] وسمى هذا المتن أيضا المقدمة الآجرومية قيل: «لأنه يتقدم على غيره من الكتب المطولة تسهيلا على المبتدئين.»[58] كمقدمة الجيش، وذلك لأن مؤلفه أفرده لفئة المبتدئين قبل أن ينتقلوا إلى غيره من المؤلفات الأخرى وذلك ليسرها، وأبرز ما يميزها وضوح العبارة وبساطة الأسلوب وإيجاز المعنى، ولعل هذا ما جعلها تحظى باهتمام المتأخرين خصوصا المؤدبين ومعلمي النحو في الكتاتيب والمدارس.[59]

ولما كانت الآجرومية متنا نحويا مختصرا هدفه تيسير تعليم النحو والإعراب للناشئة، فإن صاحبها اقتصر فيها على النحو دون الصرف، وعلى الإعراب بأركانه وأنواعه دون باقي أبواب النحو، فتم في ستة أبواب تتعلق كلها بالإعراب هي: باب الكلام وأقسامه، باب الإعراب وعلاماته، باب الأفعال، باب المرفوعات من الأسماء، باب المنصوبات من الأسماء، باب المخفوضات. وهي الأبواب التي ينبغي للمبتدئين معرفتها وهو ما يسمى بالضروري من علوم النحو لإقامة اللسان وتفادي اللحن.[60] وهو في هذا يشبه كثيرا متن المرشد المعين في الضروري من علوم الدين في العقيدة والسلوك والفقه لعبد الواحد بن عاشر(ت1040ه) وكلاهما من فاس.

وتتميز المقدمة الآجرومية بعدة مميزات في متنها وخصائص في منهجها، من ذلك أنها كتاب تعليمي جنح به صاحبه نحو التسهيل والتبسيط والاختصار الشديد في الأبواب وإغفال كثير منها، والاهتمام بالتقسيم وذكر الأنواع، واعتماد المنهج الاختياري الانتقائي الذي يقوم على المزج بين المذاهب النحوية والاختيار منها دون تعصب أو تحامل؛ لذلك جاءت المقدمة مزيجا من المصطلحات البصرية والكوفية حتى قال السيوطي: «استفدنا من مقدمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو؛ لأنه عبر بالخفض وهو عبارتهم وقال: الأمر مجزوم وهو ظاهر في أنه معرب وهو رأيهم وذكر في الجوازم كيفما والجزم بها رأيهم وأنكره البصريون فتفطن.»[61] كما خلت من الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية، واقتصرت من ذلك على الأمثلة السهلة المتداولة بين الطلبة، ونزّهت من العلل والتعليل، واكتفت بالراجح عند مؤلفها الذي

تعمد ترك الخلافات والمذاهب، وربما كانت هذه المميزات سببا من أسباب انتشارها وتلقي الناس لها بالقبول على مر العصور.[62] حيث أقبل عليها أهل المشرق والمغرب حفظا وتعليما، وخدموها بالحفظ والتعليم والشروح وغيرها مما سنراه في هذا المبحث وفي الذي يليه.

3- حضور ابن آجروم في الدرس النحوي الجزائري وأثر مقدمته في النحويين الجزائريين تعليما وتدريسا: رغم أن الآجرومية متن مختصر، فإنها قد حظيت بقبول قل نظيره بين متون النحو المعروفة، وانتشرت انتشارا واسعا في المغرب والمشرق والعالم كله، ونالت اهتماما كبيرا من العلماء والطلبة، من العرب والعجم والمسلمين والمستشرقين، وترجمت إلى عدة لغات،[63] واعتنى بها الناس حفظا وتعليما ونظما وشرحا «ولما كانت هذه المقدمة مختصرة صغيرة الحجم، فقد تصدى لشرحها كثيرون قديما وحديثا وقد زادت هذه الشروح عن المائتين.»[64] ناهيك عن الأنظام والحواشي والتقريرات والاختصارات التي أنجزت حولها قديما وحديثا، كما اتخذ متنها وكثير من شروحها مقررات دراسية في كبرى الجامعات المغاربية والمدارس العربية فقد «كانت هذه المقدمة مرجع المدرسين في القرويين والزيتونة والجامع الأخضر والأزهر الشريف؛ حيث كانت تدرس في السنة الأولى، ثم تدرس المقدمة الأزهرية في الثانية، ثم قطر الندى وبل الصدى في الثالثة، ثم ألفية ابن مالك في الرابعة.»[65] أما حضورها في الدرس النحوي الجزائري فيمكن إبرازه في الآتي:

أ- الاهتمام المبكر بالآجرومية تعلّما وأخذا لها عن الشيوخ: لم يكن الجزائريون في منأى عن هذا الاهتمام العالمي المشار إليه آنفا بالآجرومية، ففي المرحلة الثانية من مراحل درسهم النحوي التي تميزت بهيمنة المصادر المغربية والأندلسية، بدأ اهتمام الجزائريين بالآجرومية، وتشير كثير من المصادر إلى أن ذلك كان في وقت مبكر جدا، ولعل بدايته كانت في حياة ابن آجروم نفسه، حيث يذكر بعض الباحثين إلى أن أبا العباس بن كحيل البجائي(ت869هـ) كان من تلامذته، وأنه أخذ المقدمة عنه مباشرة أو عن ابنه عبد الله، قبل أن يعود إلى الجزائر ليعلمها لطلبته في مدارس بجاية.[66] والأقرب إلى القبول أن يكون قد أخذها عن ابنه؛ إذ بين وفاته ووفاة صاحبها 146 سنة كاملة، وهي مدة طويلة تستبعد معها المعاصرة والتلقي المباشر عنه. أما أول

شرح جزائري للآجرومية فقيل: هو الدرة النحوية في شرح معاني الجرّومية لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الحسني المعروف بالشريف ابن يعلى التلمساني(ت771هـ/1370م).[67] قال عيسى العزري: «وهو أول شرح لها فيما أعلم...وذلك أنه شرحها لما رحل إلى فاس ووجد ابن مؤلفها يدرسها فأخذها عنه وشرحها.»[68] وليس بين وفاة ابن يعلى ووفاة ابن آجروم سوى 48 سنة وهي مدة معقولة خلافا لسابقتها. وذكر بعضهم أن عبيد الله بن أبي القاسم الثعالبي(ت787هـ) صاحب (الجواهر السنية في شرح المقدمة الآجرومية) أخذ الآجرومية عن منديل وهو أحد أبناء ابن آجروم. ثم انتهت إلى أن محمد بن يحيى بن مسفر الباهلي البجائي(ت744هـ) له تعليق على الآجرومية، وشرح على لامية الأفعال لابن مالك في هذا الوقت المبكر أيضا، ولا يمكنه أن يعلق عليها في ذلك العصر دون أن يأخذها إجازة عن الشيوخ ويشرحها لتلاميذه في دروسه.

ب- شدة عنايتهم بها وخدمتهم لها: بدأت عناية الجزائريين بهذا المتن في وقت مبكر كما سلف، فتأثروا به وأقبلوا عليه فحفظوه، ثم اتخذوه مع الجزولية وألفية ابن معط الزواوي مقررا تعليميا للطلاب في مدارسهم،[69] وكانوا سباقين إلى العناية به كعنايتهم بألفية ابن مالك أو أشد، وخدموه بالحفظ والتعليم، والتحمل والأداء على طريقة القدامى،. والتدريس والشروح والحواشي، وحوّلوه إلى منظومات يسهل حفظها، وفي ذلك يقول أبو القاسم سعد الله: « وقد أخذت الأجرومية وألفية ابن مالك حظا وافرا من عناية الجزائريين، فألف محمد الصباغ القلعي (الدرة الصباغية في شرح الجرومية)، وهو عمل يدل على سعة معلومات صاحبه في علم النحو، رغم أنه كان، كما عرفنا، من المهتمين بعلم التصوف، إذ هو أول من كتب طويلا عن أحمد بن يوسف المليانى في (بستان الأزهار). وقد أشار الصباغ إلى ظروف تأليف (الدرة) وطريقته فقال إنه ألفها في زمان كثير شره، وقليل نفعه وخيره...ومع شغل البال، وتراكم الهموم والأهوال، كما ذكر أنه قرأها على شيخه محمد بن منصور المستغانمي فأجازه بها، أما عن طريقته فقال: إنه كان يهدف إلى وضع تقييد على الأجرومية "لنفسي، ولمن هو مبتدي مثلي من أبناء جنسي...وتكلمت على إعرابها، ولم

أر أحمدا أعربها قبليّ، ومن المفيد أنه ذكر اسمه فيها هكذا: محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ الهواري.»[70]

واستمرت عناية الجزائريين بالآجرومية بعد ذلك، وأخذت تزداد جيلا بعد جيل، فيأخذها الطلبة عن هؤلاء الأشياخ المجازين فيها بالسند العالي الذين أحذوها سماعا وقراءة عن ابن آجروم أو أبنائه وتلامذته وتلامذة تلامذته، ويعلمونها لطلابهم بالطريقة التي تعلموها، ففي القرن الحادي عشر مثلا نجد عبد الكريم بن محمد التواتي(ت1042هـ/1633م) يقول عن لقائه بشيخه محمد بن عبد الكريم القراري وأخذه الآجرومية عنه: «ولما التقيته وسلمت عليه قال لي: في أي كتاب تقرأ الآن؟ فقلت: في ألفية ابن مالك. فقال: أين بلغت فقللت له: الموصول. فقال: أنت موصول إن شاء الله...ومن جملة ما أخذت عنه الآجرومية بالكامل.»[71] فالمنهج في ذلك أن يأخذ الطلبة المتن عن أشياخهم المجازين لا عن الكتب والصحف، ثم يتولون تعليمها لغيرهم بالطريقة التي تعلموها، وعلى الطريقة المعهودة عند المتقدمين في أخذ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وسائر العلوم الشرعية، حتى إنهم ليكتبونها في ألواحهم كما يكتبون القرآن، ويحفظونها بالترداد ويتعاهدونها بالتكرار والقراءة الجماعية كما يفعلون مع كتاب الله عز وجل، ولا يزال ذلك مستمرا في بعض الزوايا والكتاتيب إلى يومنا هذا، وقد كنا شهودا عليه زمن الطلب في زوايا منطقة القبائل، وكتاتيب منطقة الغرب الجزائري، وغيرها، وكذلك الحال في كثير من زوايا الجنوب.

ج- الآجرومية أوّل المقررات النحوية على المبتدئين قبل الألفية: أشرنا إلى هذه الطريقة التعليمية في تدريس النحو في المدارس الجزائرية القديمة عند الحديث عن تعليم ألفية ابن مالك، وقلنا إن اهتمام الجزائريين بالآجرومية كان في مرحلة التعليم الابتدائي بعد حفظ القرآن الكريم مباشرة، وقبل الانتقال إلى المرحلة الجامعية حيث الاهتمام بما هو أطول منها وأشمل كقطر الندى والألفية. ولقد كان متن الآجرومية من أول المقررات على الطلبة المبتدئين في المدارس والزوايا بعد القرآن الكريم،[72] وذلك لاختصاره وسهولة حفظه خلافا لغيره من المطولات التي تحتاج إلى همة قد لا تتهيأ للمبتدئين، كما أنها متن نثري وهو أسهل على فهم المبتدئ من النظم، وإن كان الأمر في الحفظ معكوسا، ويمكن القول بأن الآجرومية أصبحت بعد مدة

قصيرة من تأليفها الكتاب المدرسي الأول الذي يقدم لطالبي العربية المبتدئين في الأمصار ومنها المدارس الجزائرية،[73] ووجد فيها الشيوخ والطلبة الكثير من السهولة المفتقدة في غيرها من المتون والمنظومات. وقد ذكرت نادية توهامي أن الآجرومية والجزولية كانتا من الكتب الممهدة في دراسة علم النحو في المغرب العربي كله، حيث «يبدأ المتعلم عندهم بهذين المتنين وخاصة متن الآجرومية ليسره واختصاره وسهولة لغته وألفاظه على المبتدئين واقتصاره على رؤوس المسائل وابتعاده عن الاستشهادات والاستدلالات الكثيرة، وهو كاف لتعلم النحو ومعرفة الضروري منه. ثم إذا أراد الطالب الاستزادة من النحو فلا مناص من انتقاله إلى المتون الأخرى الأكبر منه حجما والأكثر عمقا كالأزهرية والقطر، «وعادة ما تمثل ألفية ابن مالك المرحلة الأخيرة والخلاصة التي ينبغي أن ينتهي إليها المتخصص والغائص في علم النحو. فيكون لازما على المتعلم حفظها أولا ثم الانتقال إلى دراستها ومعرفة مسائلها من خلال الشرح. فهي بمثابة مقرر المرحلة النهائية الجامعية ذات المستوى العالي.»[74] وهي الطريقة التعليمية نفسها التي كانت متبعة في الزيتونة والأزهر والقرويين كما سبق ذكره.

د- الآجرومية باب النحو وملح الطعام: ونختم القول على مكانة الآجرومية عند الجزائريين وشدة اهتمامهم بها وأثرها في درسهم النحوي، بعبارة تشبه العبارة التي ختمنا بها الكلام على مكانة الألفية، وردت على لسان أبي القاسم سعد الله: حيث قال «وكانت الآجرومية هي ملح الطعام عند مدرسي وطلاب الجزائر.»[75] فهذه العبارة كأختها الواردة في شأن الألفية، أسلوب بليغ، وتشبيه بديع، يدل على قيمة الآجرومية بين الجزائريين، ومكانتها العظيمة في مدارسهم ودروسهم؛ فلئن كانت الألفية بطولها وشمول مباحثها خبز مجالسهم وطعامهم، فإن الآجرومية باختصارها ويسرها ملح ذلك الطعام، وكما أن االملح لا يستغنى عنه ولا يحلو طعام إلا بمقدار منه، فكذلك الآجرومية لا يستغني عنها مدرس، ولا يعد طالبا للعلم عندهم من لا يحفظها، ولا تخلو مدارسهم وزواياهم وكتاتيبهم من هذا المتن المختصر، ولا تحلو دروسهم إلا به؛ أو هي إشارة إلى أنه كما يبدأ الطباخ طهوه الطعام بمقدار معين من الملح، كذلك يبدأ معلم النحو الجزائري درسه بمقدار محدد من النحو وهو متن الآجرومية، وقد أشار

بن مريم مكانة الآجرومية وشدة اهتمام الجزائريين بها تدريسا، حيث إنه لما ذكر عددا من الشيوخ الذين اختصوا في تدريس ألفية ابن مالك من خلال شروحهم الخاصة أو بالاعتماد على بعض الشروح المتداولة والمعروفة حتى أصبحت عندهم كخبز المجالس، ذكر أيضا في مواضع أخرى من كتابه البستان[76] عددا ممن اختصوا بتدريس الآجرومية أو التأليف حولها حتى أصبحت عندهم كملح الطعام. وإنما حظي متن الآجرومية بهذا الاهتمام الكبير عند النحاة الجزائريين لأهميته وسهولة حفظه، ويسره وبعده عن الغموض والتعقيد، وفي ذلك يقول خليفة بن الحسن القماري(ت1207هـ/1792م) وهو من الجزائريين الذين نظموا الآجرومية «في قصيدة لذيذة يطرب لها الناشئ ويرقص لها المبتدئ لسلاسة نظمها وعذوبة موسيقاها، وسماها (اللامية في نظم الآجرومية)...قال فيها:[77]

كل علم فانهض إليه، ولكن ... خصّ نحوا بالبدء والتقديم
إنما النحو باب كلّ، وهذا ...باب المتن لابن آجروم
فكأن الأستاذ حي يناجيـ ...نا ويبدي عجيبا من علوم
فاستنيروا بنوره واحفظوه ....واكرعوا من رحيقه المختوم
فإن من يحفظ المتون ويلقي ...أذن قلب لدرسه المحتوم
إنما العلم ما حفظت فصدق...إن في المتن جاء بالتفهيم

لقد اهتم الجزائريون باللغة العربية عموما فخدموها بما استطاعوا، وكانوا يرون النحو باب كل علم، ومقيم الألسنة، ومفتاح المعاني، ووسيلة لفهم نصوص الشرع واستنباط الأحكام، واهتموا بالآجرومية بصفة خاصة، وكانوا يسمونها باب النحو ويجعلونها مقررا للمبتدئين، ويرون أهميتها في درسهم كأهمية الملح للطعام.

الفصل الثاني: أثر ابن مالك وابن آجروم في نشاط التأليف والتصنيف النحوي في الجزائر:

أشرنا سابقا إلى تأثر الدرس النحوي الجزائري في مرحلته الثانية بمؤلفات الأندلسية والمغاربية، وأن هذا الأثر كان إلى نشاط التعليم والتدريس أسبق منه إلى نشاط التأليف والتدوين الذي اتخذت فيه مؤلفات بعض النحاة المغاربة والأندلسيين مقررات دراسية في الزوايا والمعاهد الجزائرية، وأن أكثر المؤلفات التي

تركها لنا النحاة الجزائريون كانت قبل أن تخطها أقلامهم دروسا شفهية تلقى على الطلبة في حلقات العلم بالمساجد والزوايا والكتاتيب،[78] وذلك أن هؤلاء المعلمين من النحاة الجزائريين أحبوا أن يمتد نشاطهم في خدمة اللغة العربية ونحوها من ميدان التدريس وتكوين الطلبة، إلى ميدان التأليف وتصنيف الكتب الذي هو أطول عمرا وأبقى أثرا، مستغلين في ذلك تجربتهم الطويلة وخبرتهم الكبيرة الممتدة عبر عشرات السنين في التعليم، وما تقتضيه من مطالعة وتحضير وجمع لمادة الدرس، لتحويل ما جمعوه إلى كتب، وقد كان أكثر ذلك متعلقا بمؤلفات المغاربة والأندلسيين التي اتخذوها مقررات تعليمية يحفظونها للطلبة ويشرحونها لهم بطرائق متنوعة تقربها من عقولهم، وكان هدفهم الأول من ذلك تعليميا يسهمون به في تيسير النحو وتبسيط مسائله وتوفير مادته للطلاب، كما كانت لكثير منهم أهداف دينية أخروية دفعتهم إلى التأليف دفعا؛ لتبقى مؤلفاتهم صدقة جارية لهم من بعدهم، فالتأليف «نشاط تابع للتدريس تعاطاه كثير من المدرسين قياما بواجب البحث العلمي، وهو ما يوفر للطالب مادة العلم مدونة في الكتب ميسرة في المكتبات، وهذا الذي يتعاطاه المؤهلون من المدرسين تمليه في كثير من الأحيان تقاليد العلم من ادخار الصدقات الجارية عبر بلاد الإسلام ومرات أخرى لإسعاف الطلبة بالمقررات العلمية التي يندر وجودها بين أيديهم...بل إن التقليد كان جاريا وإلى عهد قريب بتحبيس التآليف بأرض الحرمين وتركيا عند الباب العالي وبجوامع الأزهر والزيتونة والقرويين.»[79] إن هذه الأهداف تكشف لنا عن سر من أسرار التأليف عند الجزائريين الذين عمدوا إلى شرح كتب ألفها غيرهم ووضعت عليها الشروح والحواشي الكثيرة، فإذا علمنا أن هدفهم من ذلك إنما هو تيسير النحو والتنويع في طرائق تدريسه بمراعاة حال طلبتهم وظروف عصرهم، وابتغاء مرضات الله، ظهر السبب وزال الإشكال.

ونقف في هذا الفصل بمبحثيه مع حضور ابن مالك ثم ابن آجروم في الدرس النحوي الجزائري وأثر مؤلفاتهما في نشاط التأليف والتصنيف لدى النحاة الجزائريين، وذلك برصد مؤلفاتهم في هذا المجال وتتبعها، وتصنيفها باعتبار المناهج المختلفة التي اعتمدوها في التعامل مع مؤلفات السابقين، وقد جاءت متنوعة بين نظم لمنثور، وشرح لمنظوم، واختصار لمطوّل، وشرح لمختصر، وحواش وتقريرات على

تلك الشروح ، وسنعرض نحن هنا ما تمكنا من رصده منها معتمدين في سردها الاعتبار التاريخي والترتيب الزمني لمؤلفيها، ونبدأ ذلك مع تصانيفهم حول مؤلفات ابن مالك، ونثني بما خطته يمينهم حول مقدمة ابن آجروم.

المبحث الأول: أثر ابن مالك في حركة التأليف والتصنيف النحوي في الجزائر:[80]

نتتبع في هذا المبحث أثر ابن مالك في الدرس النحوي الجزائري من حيث نشاط التأليف والتصنيف، فنرصد مؤلفات الجزائريين التي خلفوها لنا وكانت مدوّنتها مؤلفات ابن مالك التي اتخذوها مادة للتأليف بالشرح أو غيره من المناهج المشار إليها، ونقتصر على أشهرها وأكثرها أثرا في النحاة الجزائريين وهي: الخلاصة الألفية بشروحها، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ولامية الأفعال.

1- حضور ألفية ابن مالك في نشاط التأليف: لقد تأثر النحاة الجزائريين بألفية ابن مالك، وقدموها على كثير من مؤلفاتهم المستقلة والأصيلة كألفية ابن معط، وخدموها تعليما وتدريسا، ثم لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا متنها وكثيرا من شروحها مادة لتآليفهم ومدونة لتصانيفهم، وقد كانت بداية اهتمام الجزائريين بالألفية في وقت مبكر جدا من تأليفها، وذكرنا أن ابن ويحيان الراشدي التلمساني(ت685هـ/1286م) قد يكون أول أندلسي ومغربي وربما مشرقي -بعد صاحبها وابنه- يشرح الألفية في هذا الوقت المبكر من القرن السابع.، ثم تكاثرت مؤلفات الجزائريين في هذا المجال، وتركوا لنا مكتبة نحوية عامرة بما أنتجته عقولهم وأنضجته تجاربهم الطويلة في العلم تحصيلا وتعليما، وخطته أقلامهم، وقد حاولنا تتبع ما له صلة بالألفية وشروحها وحواشيها وإثباتها مرتّبة بحسب المناهج المتنوعة التي اعتمدها نحاة الجزائر في تآليفهم، وبحسب السبق التاريخي لأصحابها، معتمدين في ذلك على ما ورد في المصادر التي اهتمت بهذا الجانب من تراثنا، ومستفيدين من الأبحاث والدراسات السابقة في هذا الموضوع.

أولا- شروح الجزائريين على ألفية ابن مالك: تمكنا من رصد 18 شرحا هي:

1. شرح الألفية، أبو علي الحسن بن عبد الله بن ويحيان الراشدي التلمساني(ت685هـ/1286م).[81]

2. المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو العباس تقي الدين أحمد بن محمد التميمي الداري القسنطيني(ت772هـ/1362م).[82]
3. هدية السالك في بيان ألفية ابن مالك، أبو العباس أحمد بن حسن بن قنفذ القسنطيني(810هـ/1407م).[83]
4. إيضاح المسالك شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد التلمساني(ت842هـ/1438م).[84]
5. النوازل النحوية في شرح الألفية، محمد بن محمد بن إسماعيل الراعي النميري الغرناطي القسنطيني(ت853هـ/1450م).[85]
6. شرح ألفية ابن مالك، أبو إسحاق إبراهيم بن فائد الزواوي القسنطيني(857هـ/1454م).[86]
7. شرح الألفية، يحيى بن عبد الرحمن العجيسي التلمساني(863هـ/ 1458م).[87]
8. منهج المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو العباس تقي الدين أحمد بن محمد الشمني القسنطيني(ت872هـ/1465م)[88]
9. شرح رجز ابن مالك في النحو، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالقَلَصادي الأندلسي التلمساني(ت891هـ/1486م).[89]
10. شرح ألفية ابن مالك، محمد الصغير بن عامر الأخضري البسكري(ت950هـ/1543م).[90]
11. التحفة المكية في شرح الأرجوزة الألفية، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041هـ/1631م).[91]
12. بغية السالك على ألفية ابن مالك، عبد الله بركات بن عبد الرحمن باديس الجزائري(1107هـ/1696م)،[9392]
13. شرح ألفية ابن مالك، محمد بن سليمان بن إدريسو اليسجني الإباضي(1313هـ/1896م).[94]
14. شرح الأبيات الأخيرة من ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الرحمن الغول الديسي(ت1339هم1921م).[95]

15. منظومة في تحقيق مسائل نحوية على طرق الحواشي، البكري بن عبد الرحمن التنلاني البكروي التواتي(ت1339هـ/1921م).[96]
16. الآلة الفوتوغرافية في تصوير محاسن الألفية، الغوثي بن محمد بن أبي علي التلمساني(ت1351هـ/1932م).[97]
17. المسالك في ألفية ابن مالك، احميدة بن الطيب الإبراهيمي الجزائري(1362هـ/1943) شرح فيه 800 بيتا ولم يكمله.
18. الدرة المحمدة في تحقيق معاني المشبهة، محمد بن عبد الله بن محمد عبد الكريم بن الصالح بن البكري،[98]

ثانيا: حواشي الجزائريين على الألفية:[99] والحواشي شرح للشروح أو ما غمض منها، وهو من مناهج التأليف التي انتشرت في القرون الماضية، وقد رصدنا 14 حاشية جزائرية على شروح الألفية المشهورة، وهي متنوعة فبعضها عل شرح المكودي، وبعضها على شرح الأشموني، وبعضها على شرح المرادي، وبعضها على شرح السيوطي، وبعضها على شرح ابن غازي، وبعضها على شرح الأزهري، وهي بحسب ترتيبها التاريخي:

1. حاشية على شرح المكودي، أبو الطيب الحسن بن يوسف العبداوي التلمساني(ت1023هـ/1614م).[100]
2. حاشية رقم الأيادي على تصنيف المرادي، سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بقدوة(ت1066هـ/1656م).[101]
3. فتح اللطيف شرح أرجوزة المكودي في التصريف، عبد الكريم بن محمد بن الفكون القسنطيني(1073هـ/1663م).[102]
4. حاشية على شرح المرادي، أبو زكرياء يحيى بن محمد الشاوي(ت1096هـ//1685م).[103]
5. السائح في حواشي المتن والشارح، أبو محمد عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري(1195هـ/1781م).[104]
6. حاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو عبد الله محمد بن محمد البليدي المالكي(ت1164هـ/1751م).[105]

7. فتح الهادي على شرح ابن غازي والمرادي، أبو زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجرة الصغير(ت1179هـ/1767م).[106]
8. النكت الوفية بشرح المكودي على الألفية، أبو راس محمد بن أحمد الناصري المعسكري الراشدي(ت1238هـ/1824م).[107]
9. الدرة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة، أبو راس محمد بن أحمد الناصري المعسكري الراشدي(ت1238هـ/1824م).[108]
10. تقييد على شرح المرادي لألفية ابن مالك، أبو محمد أحمد بن محمد بن غازي الداودي التلمساني(ت1271هـ/1855م).[109]
11. تقاييد على شرح المكودي لألفية ابن مالك، أبو حامد العربي بن عبد القادر المرفي الغريسي(ت1311هـ/1893م).[110]
12. حاشية على تمرين الطلاب في صناعة الإعراب لخالد الأزهري، محمد بن يوسف أطفيش(ت1332هـ/1914م).[111]
13. حاشية على شرح المرادي، محمد بن يوسف أطفيش (ت1332هـ/1914م).[112]
14. حاشية على شرح السيوطي على ألفية ابن مالك، البكري بن عبد الرحمن التنلاني البكروي التواتي(ت1339هـ/1921م).[113]

ثالثا: شرح شواهد الألفية وشواهد شروحِها: وهو لون آخر من التأليف المتعلق بالمتون النحوية وشروحها، حيث يعمد المؤلف إلى تتبع شواهدها بالشرح والإعراب والبيان، وقد رصدنا ستة شروح جزائرية: بعضها شرح لشواهد المتن، وبعضها شرح لشواهد الشروح المختلفة على المتن كالمكودي والمرادي والأشموني وهي:

1. شرح شواهد الألفية، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد التلمساني(ت842هـ/1438م)،[114]
2. قيد الشوارد في شرح الشواهد (شرح شواهد المكودي)، عبد الله بركات بن عبد الرحمن باديس الجزائري (1107هـ/1696م).[115]
3. شرح شواهد شرح المرادي على الألفية، أبو زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجرة الصغير (ت1179هـ/1767م)

4. شرح شواهد ألفية ابن مالك، عبد الرحمن بن سعيد بن طريقة التلمساني(ت1227هـ/1812م).[116]
5. شرح شواهد المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني، محمد بن يوسف أطفيش(ت1332هـ/ 1914م)
6. فتح المالك في شرح شواهد منهج السالك للأشموني، عبد السلام بن عبد الرحمن السلطاني الجزائري(1377هـ/1958).[117]

رابعا: اختصار الألفية وتلخيصها: واختصار المتون الطويلة منهج من مناهج التأليف انتهجه النحاة الجزائريون، وهو في المنظومات يعد اختصارا ونظما في الوقت نفسه، لكن عدده قليل مقارنة بعدد الشروح والحواشي حيث لم نعثر إلا على ثلاثة اختصارات هي:

1. منظومة رجزية، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد التلمساني(ت842هـ/1439م).[118]
2. مختصر ألفية ابن مالك في النحو، عبد الوهاب بن أحمد التلمساني الشعراني(ت973هـ/1565م).[119]
3. تلخبص أبواب الألفية، البكري بن عبد الرحمن التنلاني البكروي التواتي(ت1339هـ/1921م)..[120]

خامسا: التعليقات على الألفية: والتعليقات أو التقريرات تأليف مرتبط بالشروح وحواشيها، وغالبا ما يكون تعقيبات وملحوظات وفوائد وملح ونكت وطرائف يسجلها المؤلف عليها، ولم نعثر من ذلك إلا على تعليقين لمؤلف واحد ذكرهما مراد مزعاش وهما:[121]

1. النكت الزكية بشرح الألفية، أبو العباس أحمد بن عمر بن أقد أحمد بابا الصنهاجي(ت1036هـ/1623م).
2. النكت الوفية بشرح الألفية، أبو العباس أحمد بن عمر بن أقد أحمد بابا الصنهاجي (ت 1036هـ/1623م).

2- مؤلفات أخرى لابن مالك اهتم بها الجزائريون وتأثروا بها تدريسا وتأليفا:

لم يكتف النحويون الجزائريون من تراث ابن مالك بالألفية، بل تأثروا بتصانيفه الأخرى في النحو والصرف، واهتموا بها وخدموها تعليما واتخذوها مدونة لتآليفهم، وإن لم يكن تأثرهم واهتمامهم بها كاهتمامهم بالألفية، وأشهرها: التسهيل، واللامية، ونحن نذكر هنا مؤلفات الجزائريين المتعلقة بها وهي كلها شروح لها، ونبدأ بالتسهيل ونثني باللامية.

أ- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:[122] وضع الجزائريون عدة شروح على كتاب التسهيل، تمكنا من رصد سبعة منها هي:

1. شرح التسهيل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المقري القرشي التلمساني(ت759هـ/1359م).[123]
2. شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، أبو العباس شهاب الدين الأصبحي العنابي الأندلسي(ت776هـ/1374م).[124]
3. شرح التسهيل لابن مالك، أحمد بن محمد الزبير التنسي(ت801هـ/1401م).[125]
4. شرح التسهيل، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد التلمساني(ت842هـ/1438م)[126]
5. شرح التسهيل لابن مالك، أبو زكرياء يحيى الشاوي(ت1096هـ//1685م).[127]
6. شرح التسهيل لابن مالك، محمد بن عبد الله الزجاي التلمساني(ت1226هـ/1818م).[128]
7. شرح التسهيل لابن مالك ، الفقيه محمد الزقاي.[129]

ب- لامية الأفعال:[130] وهي منظومة صرفية مختصرة أفردها ابن مالك لأبنية الأفعال، وقد حظيت باهتمام لافت من النحاة الجزائريين القدامى، «وإذا تتبعنا مسار التأليف عند العلماء الجزائريين وجدنا علم التصريف من بين العلوم التي حظيت باهتمام كبير لديهم فمنهم من خص لامية الأفعال لابن مالك بالشرح، ومنهم من اجتهد في التأليف في المواضيع الصرفية...وهذا غيض من فيض من التآليف التي تنبئ عن مدى تمكن أهل هذا الثغر من علوم العربية، والمطلع الناقد يلمس التباين

بين هذه المؤلفات نظما وشرحا ولكل طريقته ومنهجه في عرض المادة الصرفية والتعليق على مسائلها الدقيقة.» [131] وقد تمكنا من رصد 11 شرحا جزائريا عليها هي:

1. شرح لامية الأفعال، محمد بن يحيى المسفر الباهلي البجائي(ت744هـ/1343م).[132]
2. تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال، أبو عبد الله محمد بن العباس العبادي الشهير بان العباس التلمساني(ت871هـ/1467م).[133]
3. جامع الأقوال في صيغ الأفعال، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن شهاب الدين الخلوف(ت899هـ/1505م).[134]
4. شرح لامية الأفعال في التصريف لابن مالك، أبو العباس أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني(ت920هـ/1514م) [135]
5. شرح فتح المالك على لامية ابن مالك، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفكون القسنطيني(1073هـ/1663م).[136]
6. شرح لامية الأفعال، أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي البوني(ت1139هـ/1726م).[137]
7. شرح لامية الأفعال، محمد بن عبد الله الزجاي التلمساني (ت1226هـ/ 1818م)[138]
8. شرح لامية الأفعال، عبد الله التواتي(ت1257هـ/1842م).[139]
9. منح العقال في شرح لامية الأفعال، الشيخ محمد الكنتي(ق13هـ).[140]
10. شرح لامية الأفعال، عبد القادر بن إبراهيم السعداوي الصعبي النائلي المسعدي(ت1376هـ/1956م) [141]
11. شرح لامية الأفعال في التصريف لابن مالك، الفقيه محمد الزقاي.[142]

المبحث الثاني: أثر المقدمة الآجرومية في حركة التأليف النحوي في الجزائر:

كما تأثر الجزائريون بابن مالك وأرجوزته الألفية والتسهيل واللامية، تأثروا أيضا بابن آجروم ومقدته النثرية، وقد تجاوزت عنايتهم بها حفظا وتعليما، إلى خدمتها بالتأليف حول مادتها، وكان ذلك بمناهج مختلفة أيضا منها نظمها، وشرحها، وشرح شروحها وشواهدها، والتعليق على حواشيها وإعرابها، وربما كانت تآليفهم حولها أكثر

من تآليفهم حول الألفية، قال مراد مزعاش: «ثم كانت عنايتهم أي الجزائريين الفائقة بمتن الآجرومية لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي(ت723هـ) فكانوا أيضا من أوله شراحه...ثم توالت اهتماماتهم بها حتى تعدت **السبعين** عملا...وقمت بإحصاء الأعمال التي أقيمت حول الآجرومية بين الشرح والحاشية والإعراب والنظم وشرح النظم وشرح الشواهد والتلخيص فوجدتها **ثمانين** عملا.»[143] وقد حاولنا نحن هنا تتبع هذه المؤلفات في مظانها خلال الفترة المحددة في هذه الدراسة، مستأنيسين في ذلك كله بالدراسات السابقة في هذا المجال،[144] فتمكنا من رصد عدد معتبر من هذه التصانيف، نثبتها هنا مرتبة بحسب مناهج التأليف وأنماطه المعتمدة عند المتقدمين، وبحسب الترتيب التاريخي لمؤلفيها، على النحو الذي تقدم مع مصنفاتهم حول مؤلفات ابن مالك، على أن هناك أنماطا من التآليف اتبعها الجزائريون مع الآجرومية دون الألفية، منها نظمها باعتبارها متنا نثريا ثم شرح تلك المنظومات، وكذا إعرابها.

- **أولا: نظم الجزائريين للمقدمة الآجرومية:** نظم كثير من الجزائريين متن ابن آجروم فحوّلوه من النثر إلى النظم، وذلك لتسهيل حفظه، وربما نظمه الواحد منهم عدة مرات كما فعل أبو عبد الله محمد بن أبّ المزمري التواتي(ت1160هـ) حيث وضع فيها ثلاث منظومات ثم شرح بعضها كما سيأتي، ومنهم اكتفى بنظم المتن، وبعضهم تجاوزه بإضافة بعض المسائل غير لموجودة في الأصل، وقد رصدنا نحن في هذه الدراسة تسع منظومات، كلها كانت في الفترة ما بين القرن السادس عشر والقرن العشرين الميلادي وهي:

1. نظم الآجرومية، أبو سليمان داود بن إبراهيم الثلاثي الإباضي(967هـ/1560م).[145]
2. نظم الآجرّومية، أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني(ت1139هـ/1726م).[146]
3. كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم، أبو عبد الله محمد بن أبّ بن أحميد المزمري التواتي (ت1160هـ/1747م).[147]

4. منظوم ابن أبّ لمقدمة ابن آجروم، أبو عبد الله محمد بن أبّ بن أحميد المزمري (ت1160هـ/1747م) في 153 بيتا.[148]

5. نزهة الحلوم نظم مقدمة ابن آجروم، أبو عبد الله محمد بن أبّ بن أحميد المزمري التواتي(ت1160هـ/1747م).[149]

6. اللامية في نظم الجرومية، خليفة بن الحسن القماري(ت1207هـ/1792م).[150]

7. نظم الأجرومية، عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز ضياء الدين الثميني الإباضي (ت1223م 1808م).[151]

8. نظم متن الأجرومية، محمد بن سليمان إدريسو الإباضي الجزائري(ت1298هـ/1881م).[152]

9. نظم الآجرومية، مولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن الموهوب الفقيه المالكي والأديب الجزائري(1358هـ/1939م)[153]

- **ثانيا: شروح الجزائريين للمقدمة لآجرومية:** الآجرومية متن مختصر، ولا شك أن ذلك يقتضي شرحه، ولذلك فقد تصدى كثير من المغاربة والمشارقة له بالشر قال مراد مزعاش: ولمقدمته شروح كثيرة تفوق مائتي شرح.»[154] ولم يتخلف الجزائريون عن خدمة الآجرومية بالشروح لشدة الحاجة إليها في التعليم، وقد حاولنا تتبع إنتاجهم في هذا المجال فتمكنا من رصد سبعة وعشرين شرحا هي:

1. الدرة النحوية في شرح معاني الجرّومية، أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف ابن يعلى التلمساني(ت771هـ/1370م).[155]
2. الجواهر السنية في شرح المقدمة الآجرومية، أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم بن محمد الثعالبي(ت787هـ/1386م).[156]
3. شرح الآجرومية (الشرح الصغير)، أحمد بن علي بن منصور شهاب الدين الحميري البجائي(ت837هـ/1433م)[157]
4. شرح الآجرومية (الشرح الكبير)، أحمد بن علي بن منصور شهاب الدين الحميري البجائي(ت837هـ/1433م).[158]
5. شرح ألفاظ الآجرومية، محمد بن أبي القاسم البجائي(ت866هـ/1461م).[159]

6. شرح الآجرومية، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالقَلَصادي الأندلسي التلمساني(ت891هـ/1486م).[160]
7. الدر المنظوم في شرح مقدمة ابن آجروم، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن شعيب السنوسي التلمساني(895هـ/1490م).[161]
8. الدرر الصباغية في شرح الآجرومية محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي الصباغي(ت936هـ/1530م).[162]
9. شرح المقدمة الآجرومية، أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي(ت967هـ/1560م).[163]
10. الفتوحات القيومية في شرح الجرومية، أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن أقد(أقيت) بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الملقب بأحمد بابا السوداني(ت1036هـ/1627م).[164]
11. شرح الآجرومية، أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري المالكي السجلماسي الجزائري(ت1057هـ/1648م).[165]
12. شرح الآجرومية، عبد الكريم الفكون القسنطيني(ت1073هـ/1663م).[166]
13. شرح الآجرومية، أبو القاسم بن يحيى بن أبي القاسم الغرداوي المصعبي(ت1102هـ/1690م).[167]
14. حقائق الآجرومية، محمد بن أحمد المكني بابن شعيب (ألفه سنة1129هـ/1718م).[168]
15. كشف الغيوم على متن ابن آجروم، أبو عبد الله محمد بن أبّ بن أحميد المزمّري الأولفي التواتي(ت1160هـ/1747م).[169]
16. الدليل على الآجرومية، محمد الصالح بن سليمان العيسوي الرحموني الزواوي الأمشدالي الجزائري(1242هـ/1826م).[170]
17. مفيد الطلبة، أحمد الطيب بن محمد بن محمد الصالح بن سليمان العيسوي الأمشدالي الجزائري(ت1251هـ/1835م).[171]
18. شرح على الآجرومية، السعدي بن محد الصالح بن البكري(ت1261هـ/1846م).[172]

19. شرح الآجرومية، صالح بن موفق بن قويدر القسنطيني (ولد1277هم1860م).[173]
20. شرح الآجرومية، باي بن سيدي عمر بن محمد بن المختار الكبير الكنتي(ت1348هـ/1930م)[174]
21. المسائل التحقيقية في بيان التحفة الآجرومية، محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش الإباضي(ت1332هـ/ 1914م).[175]
22. شرح المقدمة الآجرومية، محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش الإباضي الجزائري(ت1332هـ/1914م).[176]
23. إتمام شرح الآجرومية، محمد بن عبد الرحمن الديسي(ت1341هـ/1922م)[177]
24. تفريج الغموم شرح على متن مقدمة ابن آجروم، محمد الحسن بن محمد بن أحمد القبلاوي(ت1353هـ/1934م) .[178]
25. شرح الآجرومية، أبو القاسم الداوي.[179]
26. شرح الآجرومية، أحمد التيجاني.[180]
27. شرح الآجرومية، الفقيه الزقاي.[181]

- ثالثا: شروح الجزائريين للمنظومات على الآجرومية: نظم بعض الجزائريين متن الآجرومية تسهيلا لحفظها، ثم عمدوا إلى تلك المنظومات التي وضعوها عليها فشرحوها ليسهل على الطلاب فهمها، ولا شك أن حاجة النظم إلى الشرح أشد من حاجة النثر. وقد رصدنا في هذا المجال خمسة شروح جزائرية كلها لمؤلفين من المتأخرين الذين عاشوا في القرن19 وبدايات القرن العشرين وهي:[182]

1. شرح نظم الآجرومية لابن الفخار، أبو القاسم البوزاغتي المجاجي(ت1301هـ/1884م).[183]
2. فوائد النحو الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، محمد علي المالكي(ت1367هـ/1947م).[184]
3. مقدمة العيّ المصروم على نظم ابن أبّ لمقدمة ابن آجروم، محمد بن المختار بادي بن المختار الكنتي التواتي(ت1388هـ/1968م).[185]

4. الدر المنظوم شرح نظم مقدمة ابن آجروم لابن أبّ المزمري، الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي(ت1399هـ/1978م).[186]
5. فتح الحي القيوم بشرح اللؤلؤ المنظوم في منثور ابن آجروم، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بسكر الجزائري (ولد 1976م).[187]

- **رابعا: شرح الجزائريين لشواهد الآجرومية:** كما شرح الجزائريون متن الآجرومية وما وضعوه عليها من منظومات، شرحوا أيضا شواهد شروحها، وهو منهج في التأليف معروف لدى المتقدمين، ويمكن عده ضربا من شرح الشرح، وفائدته التعليمية لا تخفى، وقد رصدنا ستة شروح كلها ترجع إلى الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس عشر والقرن العشرين وهي:

1. شرح شواهد السيد الشريف على ابن آجروم، محمد بن أبي القاسم البوجليلي(ت894هـ/1489م).[188]
2. بداية التعريف بشرح شواهد سيدي الشريف، الدقون(ت921هـ/1515م)[189].
3. فتح المولى بشواهد أبي يعلى، علي بن عبد القادر بن الأمين (ت1236هـ/1821م).[190]
4. فتح المولى في شرح شواهد ابن يعلى، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني(1073هـ/1663م).[191]
5. تسهيل الاجتهاد في تفسير أشعار الاستشهاد، محمد بن يوسف أطفيش الإباضي (ت1332هـ/ 1914م).[192]
6. شرح شواهد المقدمة الآجرومية، الفقيه محمد الزقاي.[193]

- **خامسا: حواشي الجزائريين على الآجرومية وشروحها:** شرح الجزائريون متن الآجرومية لشدة اختصاره وحاجة الطلاب والمبتدئين لشرحه والتوسع فيما أجمله أو اكتفى فيه بالإشارة، ثم نظروا في تلك الشروح فوجدوا بعضها في حاجة إلى شرح بعض عباراتها، فكان ذلك نواة لوضع الحواشي عليها، وقد رصدنا أربعا منها هي:

1. حاشية الأسرار العربية في شرح الدرة النحوية في معاني الجرّومية، قاسم بن محمد الشهير بابن القاضي(ت1022هـ/1613م).[194]

2. حاشية على شرح الآجرومية، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفكون القسنطيني(1073هـ/1663م).[195]
3. حاشية على شرح أبي القاسم الداوي، محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش الإباضي (ت1332هـ/ 1914م).[196]
4. حاشية على شرح الشريف بن يعلى الحسني للآجرومية، محمد بن يوسف أطفيش الإباضي (ت1332هـ/ 1914م).[197]

- **سادسا: تعليقات الجزائريين على الآجرومية:** عثرنا على تعليقين اثنين هما:

1. تعليق على الآجرومية، محمد بن يحيى المسفر الباهلي البجائي(ت744هـ/1343م)[198]ولعله أقدم مؤلف جزائري حول الآجرومية.
2. تعليق على الآجرومية، محمد البصيري بن سيد المختار الجكني(القرن13هـ).[199]

- **سابعا: إعراب الآجرومية:** وهي كالتعليقات قليلة مقارنة بالشروح:

1. نور السراجي في إعراب مقدمة الصنهاجي، محمد بن أبي القاسم البوجليلي(ت894هـ/1898م).[200]
2. إعراب الآجرومية، سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بقدوة(ت1066هـ/1656م).[201]

- **ثامنا: اختصارات الجزائريين للآجرومية:** ومن غرائب التأليف حول الآجرومية عند الجزائريين تلخيصها رغم اختصارها الشديد، ولعل ذلك استجابة لحالات تعليمية استدعتها لاسيما مع صغار الطلبة والمتعلمين الناطقين بغير العربية، غير أن هذا كان عملا نادرا، حيث لم نعثر إلا على عنوان واجد هو:

1- تلخيص الآجرومية، الطاهر بن علي بن بلقاسم العبيدي السوفي التوقرتي(ت1387هـ/1968م)[202] وهو تلخيص نثري.

خاتمة:

اتضح بما سبق عرضه في فصول هذه الدراسة ومباحثها، أن ابن مالك وابن آجروم كان لهما حضور بارز في الدرس النحوي الجزائري في الفترة الممتدة بين القرن السابع الهجري ونهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين، فقد اطلع النحاة الجزائريون على مؤلفاتهما لاسيما الخلاصة الألفية والمقدمة الآجرومية

في وقت مبكر، وتأثروا بهما، وحرصوا على أخذهما من مظانهما، واتخاذهما مقررات دراسية في زواياهم وكتاتيبهم ومدارسهم، كما بذل كثير منهم جهودا أخرى في هذا المجال فألفوا كتبا كثيرة حولها بالشرح والاختصار من أجل تسهيل حفظهما وفهمها على الطلاب، ويمكن إيجاز أهم النتائج المتوصل إليها في ما يلي:

- اهتم الجزائريون بالألفية اهتماما كبيرا، فشبهوها بخبز المجالس، وبالآجرومية حتى شبهوها بملح الطعام.

- توزعت العناية بمؤلفات ابن مالك وابن آجروم في الدرس النحوي الجزائري على نشاطين بارزين هما: نشاط التعليم، ونشاط التأليف.

- كان أخذ الألفية والآجرومية عن طريق الرحلة ولقاء الشيوخ المجازين فيها، ثم العودة إلى أرض الوطن وتحفيظهما وتعليمها للطلاب، ثم تحويل تلك الدروس والشروح الشفهية إلى كتب ومؤلفات، أبرز المظاهر العملية لعناية النحويين الجزائريين بهذين المتنين.

- هناك روايات تاريخية تفيد بأن بعض النحاة الجزائريين مثل عبيد الله بن أبي القاسم الثعالبي(ت787هـ) وابن كحيل البجائي(ت869هـ) أخذوا الآجرومية عن تلامذة ابن آجروم وفي مقدمتهم ابناه: عبد الله ومنديل.

- رغم أن تأثر الجزائريين بابن مالك كان أسبق من تأثرهم بابن آجروم لسبقه التاريخي، فإنهم رأوا أن طرائق التعليم والتدرج بالمتعلمين دفتعهم إلى تقديم الآجرومية والبدء بها في المرحلة الابتدائية، قبل الانتقال إلى الألفية في مرحلة لاحقة.

- ارتبط النشاط العلمي للجزائريين بالمؤسسات الدينية والعلمية الحاضنة له في تلك الفترة وهي الزوايا والمساجد والكتاتيب، لاسيما في حاضرة تلمسان، وقسنطينة، وبجاية، وتوات وغيرها من الحواضر العلمية المعروفة في تلك الفترة.

- كان حفظ المتون والتلقين أسلوبا شائعا وطريقة متفشية في التعليم في تلك الفترة، ولكل طريقة تعليمية محاسنها ونقائصها، غير أن الروايات التاريخية تنص على أن مدرسي النحو الجزائريين كانوا يراعون قدرات طلابهم ويسعون إلى تيسير النحو بالتفنن في طرائق التعليم وأساليبه، والتنويع في مناهج التأليف وأنماطه.

- بدأ اهتمام الجزائريين بأعمال ابن مالك تأليفا وتصنيفا في وقت مبكر من وفاته، حيث شرح الألفية ابن ويحيان المتوفى سنة (685ه)، وشرح محمد بن يحيى بن مسفر الباهلي البجائي المتوفى سنة(744ه) لامية الأفعال، وشرح كتاب التسهيل: المقري المتوفى سنة (759ه)، والعنابي المتوفى سنة (776ه).

- أما اختصار الألفية وشرح شواهدها فأوله منظومة ابن مرزوق الحفيد(ت842ه)، وفي هذا القرن أيضا ظهر عندهم شرح شواهد الآجرومية مع محمد بن أبي القاسم البوجليلي(ت894ه) في شرحه لشواهد السيد الشريف.

- بدأ اهتمام الجزائريين بالآجرومية تأليفا في وقت مبكر من رحيل صاحبها، حيث وضع محمد بن يحيى بن مسفر الباهلي البجائي المتوفى سنة (744ه) تعليقا عليها، كما شرحها ابن يعلى التلمساني المتوفى سنة (771ه) في الدرة النحوية، وأبو محمد بن أبي القاسم الثعالبي المتوفى سنة(787ه) في الجواهر السنية، أما نظمها فتأخر إلى منتصف القرن 10ه مع منظومة أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الإباضي(ت967ه)، أما شرح منظوماتها فظهر على رأس القرن14ه مع شرح أبي القاسم المجاجي(ت1301ه) لمنظومة ابن الفخار.

- تأخر ظهور الحواشي بينهم إلى بداية القرن 11ه مع حاشية الأسرار العربية في شرح الدرة النحوية في شرح معاني الجرومية لقاسم بن محمد ابن القاضي(ت1022ه)، وحاشية أبي الطيب العبداوي التلمساني(ت1023) على شرح المكودي.

- كان اهتمام النحويين الجزائريين بشرح مؤلفات ابن مالك وابن آجروم، أسبق وأكبر من اهتمامهم بباقي أنماط التأليف.

- جمع بعض النحويين الجزائريين بين التأليف حول الآجرومية والتأليف حول الألفية أو أحد مصنفات ابن مالك، وذلك كما فعل أبو الحسن القَلَصادي التلمساني الذي شرح الألفية والآجرومية، وعبد الكريم بن الفكون القسنطيني الذي شرح الآجرومية وشواهد شرح ابن يعلى وكتب حاشية على شرحها، كما أن له حاشية على شرح المكودي، وفتح الملك على لامية ابن مالك. وأبو العباس أحمد ساسي البوني

الذي شرح نظم الآجرومية وشرح لامية الأفعال. ومحمد بن يحيى الباهلي البجائي الذي شرح لامية الأفعال وكتب تعليقا على الآجرومية.

- خدم النحاة الجزائريون الآجرومية والألفية والتسهيل واللامية بمكتبة ضخمة من المؤلفات حولها، تجاوز عددها مائة كتاب، وهي متنوعة من حيث مناهجها إذ شملت أنماط التأليف الشائعة في عصرهم من شروح وحواش، وتعليقات، وأنظام، واختصارات، ويمكن بيان ذلك بالأرقام من خلال هذا الجدول:

الرقم	نمط التأليف	العدد				
		الآجرومية	الألفية	التسهيل	اللامية	المجموع
	الأنظام	9	-	-	-	9
	شرح المتن	27	18	7	11	63
	شرح النظم	5	-	-	-	5
	الحواشي	4	14	-	-	18
	شرح الشواهد	6	6	-	-	12
	العليقات	2	2	-	-	4
	إعراب المتن	2	-	-	-	2
	الاختصارات	1	3	-	-	4
مجموع المؤلفات		56	43	7	11	117

الجدول (1): مؤلفات الجزائريين حول الألفية والتسهيل واللامية والآجرومية

- بلغ عدد مؤلفات الجزائريين المتعلقة بكتب ابن مالك وابن آجروم 117 كتابا: 56 منها حول الآجرومية، و43 حول الألفية، و11 حول لامية الأفعال، و7 حول التسهيل.

- لوحظ على مؤلفات الجزائريين حول ابن مالك وابن آجروم كثرة الشروح (63) والحواشي (18)، وقلة غيرهما من أنماط التأليف.

- شروح الآجرومية في هذه الدراسة أكثر من شروح الألفية، لكن حواشيهم على شروح الألفية أكثر من حواشيهم على الآجرومية.

- تعادلت الألفية والآجرومية من حيث عدد مؤلفات الجزائريين حول شرح شواهدهما ب6 شروح لكل واحد منهما.

- نظم الجزائريون منثور الآجرومية، ولم ينثروا نظم الألفية.

- كان اهتمامهم باختصار الألفية أكبر وأسبق من اهتمامهم باختصار الآجرومية، وذلك بسبب طول الأولى وقصر الثانية.

- اكتفى بعض الجزائريين بشرح جزء من الألفية، وليس منهم من اكتفى بشرح جزء من الآجرومية لقصرها.

- هناك من أعرب متن الآجرومية، وليس بين ما رصدناه كتاب لإعراب متن الألفية، ربما لطوله.

- رغم قصر متن الآجرومية لم نجد من الجزائريين من حاول إتمامها بإضافة بعض الأبواب إليها نثرا، وإنما فعل ذلك بعض من نظمها.

- إن هذا البحث الذي كشق مدى حضور ابن مالك وابن آجروم في الدرس النحوي الجزائري، أثبت أيضا أن تأثر النحويين الجزائريين بهما لم يكن تأثرا سلبيا، بل كان تفاعلا إيجابيا، وتواصلا علميا وحضاريا واعيا، من خلال اختيار النحويين الجزائريين ما هو أليق ببيئتهم العلمية، مع الإضافة المتمثلة في تلك الشروح وسائر المؤلفات التي أسهموا بها في إثراء الدرس النحوي العربي وتيسيره، وإبراز حيويته وأبعاده الحضارية.

- لقد كان اهتمام الجزائريين بابن مالك وابن آجروم نموذجا للربط بين الأصالة العلمية عن طريق التأليف المبتكر الذي أثروا به في غيرهم كأثر ابن معط في ابن مالك، والتأثر بغيرهم والتكيّف مع نتاج عصرهم ومخرجات بيئتهم عن طريق الاستفادة من المؤلفات الجادة والتصانيف النافعة.

- إن البحث في هذا الموضوع أظهر كيف يمكن للنحويين أن يجمعوا بين التأثير والتأثر، والتعليم والتأليف، وكيف يكون درسهم جسرا للربط بين الماضي والحاضر، والمعرفة العلمية والهوية الثقافية. ونولا شك أن شاطهم إرث حي لا يزال أثره مستمرا في تشكيل الوعي الثقافي للأجيال، وليس مجرد تراث مادي أو نصوص جامدة تروى عن السلف.

- لقد أسهمت جهود النحاة الجزائريين في هذا المجال في تكوين أجيال من العلماء والطلاب المتمكنين من قواعد العربية المتشبعين بجمالها، وتأطير الدرس النحوي وتيسير قواعده وتقريبه من الناشئة.

- إن هذه الجهود العلمية والممارسات اللغوية باختلاف طرائقها وتنوع مناهجها وتعدد أنماطها، تبقى شاهدا على التفاعل العلمي للجزائريين مع ثقافة عصرهم، ومظهرا من مظاهر حبهم لغة الضاد، وتعلقهم باللسان العربي المبين، وعمق صلتهم بعلومه وفنونه، ودليلا من أدلة خدمتهم لهذه اللغة ومحافظتهم عليها؛ لتعزيز الهوية الثقافية وحمايتها، وتثبيت التواصل العلمي والديني وضمان استمراريته، وترسيخ الانتماء الحضاري وتأكيده، وتمتين الصلة بالتراث العربي الإسلامي والإسهام في إثرائه.

- ينبغي أن نعترف أن كثيرا من هذه المؤلفات الجزائرية حول تصانيف ابن مالك وابن آجروم، هي اليوم في حكم المفقود، أو لا تزال مخطوطا في رفوف الخزائن العامة والخاصة داخل الوطن وخارجه، تنتظر من ينفض عنها غبار النسيان ويرفع عنها حجاب التجاهل والجفاء؛ إذ رغم الجهود الفردية والجماعية المشكورة في هذا المجال؛ لاسيما تلك التي نهضت بها ثلة من الأساتذة والباحثين في جامعتي وهران والجزائر وغيرهما، فإن واقع حال هذا الكنز العلمي المرتبط بتاريخنا الثقافي وهويتنا ولغتنا، يتطلب مزيدا من الاهتمام، ويقتضي تضافر جهود جميع المهتمين؛ لإنقاذه من خطر الزوال والاندثار، ورد الاعتبار له بالتحقيق والطبع والنشر تمهيدا للاستفادة منه في مقررات التعليم من جهة، وفهرسته ورقمنته؛ ليصبح في متناول الباحثين وطلبة العلم من جهة أخرى.

وفي الختام، يجب أن نقرّ دون تردد بأن هذه الدراسة ما هي سوى اجتهاد يصيب ويخطئ، وأن الاستقراء فيها ناقص، والتتبع والرصد غير تامّين، ولا شك أنه قد فاتتنا فيها كثير من الأعمال الجزائرية حول ابن مالك وابن آجروم، لأسباب ذاتية وموضوعية، ولذلك يبقى هذا الموضوع مجالا صالحا للبحث والتقير، وبابا مفتوحا أمام الباحثين أفرادا وهيئات ومؤسسات؛ مع استغلال الوسائل الحديثة التي لم تكن

متاحة للسابقين، من أجل تتبع هذا التراث العلمي الجزائري في مظانّه، وجمعه وإحصائه وتصنيفه، وحمايته من الاندثار والاندراس

الإحالات:

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص16. ص188.

[2] - أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(1041ه)، التحفة المكية في شرح الأرجوزة الألفية، تح: أبو عبد العليم جمال عمراوي الجزائري، ط1. دار المحسن، الجزائر، ودار ابن حزم بيروت: 2015، ص28.

[3] - مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين حركة التأليف نموذجا، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة: 2017، مج16، ع2، ص52 وما بعدها

[4] - عبد الله عماري، علماء النحو في توات وتأثرهم بالعلماء المتأخرين، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى لغة العربية، الجزائر: 2022، مج24، ع1، ص873، و877، و880.

[5] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998، ج2، ص164.

[6] - ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد عبد الرحمن، ط1. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: 2005، ج1، ص128-./ وشمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ط1. دار الكتب العلمية، لبنان: 2006، ج2، ص160/ ومبروك حاسني، ألفية ابن مالك وأثرها في تيسير النحو وتجديده في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، دكتوراه الطور الثالث، إشراف بلقاسم غزيل، كلية الآداب واللغات، جامعة غرداية: 2022م، ص17 وما بعدها.

[7] - ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص160.

[8] - ابن مالك الطائي الأندلسي، فتاوى في العربية، تح: أحمد عبد الله المغربي، ط1. دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارت العربية المتحدة: 2004، ص11، 12.

[9] - محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي، ص404.

[10] - ابن مالك الطائي الأندلسي، فتاوى في العربية، تح: أحمد عبد الله المغربي، ص11، 12.

[11] - ابن الجزري، غاية النهاية، ص160.

[12] - يابن مالك الطائي الأندلسي، فتاوى في العربية، ص15، 16.

[13] - ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص60.

[14] - محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي، ص384، 385.

[15] - السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص131، 32

[16] - ابن مالك الطائي، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تح: عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد: 1978، مج1، ص42

[17] - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ط1. دار الكتب العلمية، بيروت: 1993م، ج1، ص106.)

[18] - ابن مالك الطائي الأندلسي، فتاوى في العربية، ص26.

[19] - ابن مالك الطائي، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، مج1، ص31- 33.

[20] - ينظر: مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين حركة التأليف نموذجا، ص49 وما بعدها.

[21] - شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان: 1985، ج1، ص123.

[22] - السخاوي، الضوء اللامغ، ج1، ص123.

[23] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص158.

[24] - عبد الله عماري، الجهود النحوية لعلماء منطثة توات، دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، رقلة: 2015، ص18.

[25] - عبد الله عماري، علماء النحو في توات وتأثرهم بالعلماء المتأخرين، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى لغة العربية، الجزائر: 2022، مج24، ع1، ص863-893.

[26] - عبد الله عماري، الجهود النحوية لعلماء منطثة توات، ص82.

[27] - بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، مجلة مقامات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة: 2001م، مج5، ع1، ص 12-14.

[28] - بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص14-17.

[29] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص351.

[30] - ينظر: بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص18-.

[31] - أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم التلمساني، البساتان في ذكر العلماء والأولياء في تلمسان، بعناية ومراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر: 1908م، ص26، 87، 95، 98، 143، 233، 309 وغيرها.

[32] - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص269.

[33] - عيسى شاغة، أهمية المتون النحوية في البرنامج التعليمي للزوايا الجزائرية، مجلة العمدة العلمية الدولية في اللسانيات وتحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة: ماي

2017، ع1، ص114، 123.

[34] - بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص14-17.

[35] - بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص14-17.

[36] - بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص16.

[37] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص58.

[38] - ابن خلدون، المقدمة، دار الشعب، القاهرة: 1969، ج1، ص734.

[39] - للتوسع في موضوع المتون ومناهج تعليمها في الزوايا الجزائرية ينظر:(عبد القادر بن زيان، المقاصد التعليمية في متون النحو العربي-دراسة في متن الآجرومية-، مجلة آفاق للعلوم، جامعة 3الجلفة، الجزائر: سبتمبر:2017، ع 09، ص11/ ومالك بابي، مناهج تدريس المتون والمنظومات اللغوية بالزوايا والمدارس القرآنية وأبعادها البيداغوجية والتعليمية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تمنغست: 2022م، مج11، غ1، ص1052-1068.)

[40] - عادل نويهض معجم أعلام الجزائر، ص343.

[41] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص350.

[42] - ينظر: بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص 12-14.

[43] - ينظر: مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين، ص77- 79.

[44] - بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص18-.

[45] - ينظر: مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين حركة التأليف نموذجا، ص49-.

[46] - بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص16.

[47] - نادية توهامي، النحو التعليمي في المغرب العربي، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة: 2013م، ع15، ص133.

[48] - ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء في تلمسان، ص266.

[49] - السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص238.

[50] - حايف النهان، مقدمة التحقيق على متن الآجرومية، ط2. دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت: 2011، ص11، 12.

[51] - خالد الأزهري، حاشية العلامة ابن الحاج على شرح متن الآجرومية، دط. دار الفكر، بيروت: 2009، ص12.

[52] - حايف النهان، مقدمة التحقيق على متن الآجرومية، ص13، 14.

[53] - حاج بنيرد، إسهامات علماء زواوة في الدرس النحوي بالجزائر، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر: 2020، مج22، ع4، ص141-162.

[54] - السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص238، 239.

[55] - حايف النهان، مقدمة التحقيق على متن الآجرومية، ص15.

[56] - السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص238.

[57] - عبد العزيز بن هنية، متن الآجرومية ومؤاخذات النحويين عليها، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ص303، 304.

[58] - خالد بن عبد الله باحميد، الأنصاري، شرح المقدمة الآجرومية، ط1. دار الاعتصام للنشر، الرياض: 1424هـ، ص7.

[59] - عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين دعاة الأصالة ودعاة التجديد، دكتوراه، الجزائر: 2005م، ص87.

[60] - عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين دعاة الأصالة ودعاة التجديد، دكتوراه، الجزائر: 2005م، ص87..

[61] - السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص238.

[62] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح: ورقلة: ديسمبر: 2015، ع23، ص169.

[63] - جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، موفم للنشر: 1993م، ج3، ص206.

[64] - عبد العزيز بن هنية، متن الآجرومية ومؤاخذات النحويين عليها، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ص303، 304.

[65] - المجلس الأعلى لغة العربية بالجزائر، أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23 و24 أفريل 2001م بالمكتبة الوطنية، الجزائر، ص158.

[66] - حاج بنيرد، إسهامات علماء زواوة في الدرس النحوي بالجزائر، ص141-162.

[67] - حققها عبد القادر ياشي، إشراف المختار بوعناني، ماجستير، جامعة السانية-وهران: 2010م.

[68] - عيسى العزري، شرح الآجرومية لدى الجزائريين –دراسة في المنهج والمحتوى-، أطروحة دكتوراه، قسم الغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة السانية-وهران: 2013م، ص27 / وينظر: قاني مولود، بداية التعريف بشرح شواهد سيدي الشريف ل: الدقّون(ت921هـ) دراسة وتحقيق، ماجستير، إشراف: الشريف مريبعي، كلية اللغات والآداب جامعة الجزائر2: 2011م، ص7.

[69] - ينظر: مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين حركة التأليف نموذجا، ص49 وما بعدها.

[70] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص16. / ع/ عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، ص188.

[71] - عبد الله عماري، الجهود النحوية لعلماء منطثة توات، ص26. /بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع، ص9-36.

[72] - محمد تيلولي، شروح الآجرومية وأثرها في تعليمية النحو، مجلة الإشعاع، ديسمبر: 2018م، مج5، ع2، ص73.

[73] - المجلس الأعلى لغة العربية بالجزائر، أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23 و24 أفريل 2001م بالمكتبة الوطنية، الجزائر، ص158.

[74] - نادية توهامي، النحو التعليمي في المغرب العربي، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ص133.

[75] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص16. / ع/ عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، ص188.

[76] - ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء في تلمسان، ص95، 143، 247، 265، 284، 285 وغيرها.

[77] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص16/ عيسى شاغة، أهمية المتون النحوية في البرنامج التعليمي للزوايا الجزائرية، ص119.

[78] - ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص164/ مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين، ص52 وما بعدها.

[79] - بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص18-.

[80] - ينظر: مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين حركة التأليف نموذجا، ص45-82/ وبلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص9 وما بعدها.

[81] - لعله أول أندلسي ومغربي يشرح الألفية في هذا الوقت المبكر من القرن السابع (تنظر ترجمته: بن الجزري، غاية النهاية، ج1، ص218.)

[82] - تنظر ترجمته: السيوطي، بغية الوعاة في طبقاة اللغويين والنحاة، تح: أبي الفضل إبرهيم، دط. بيروت: دت، ج1، ص 375.

[83] - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بير فونتانا الشرقية، الجزائر: 1906، ج2، ص127.

[84] - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1995، ج2، ص51، 58.

[85] - ينظر: شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص203.

[86] - هو في مجلد واحد. (السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص116.)

[87] - وهو في 4 مجلدات (ينظر: بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص 9-36.)

[88] - وهو في حكم المفقود. (بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص334.)

[89] - رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس: 1985، ص31.

[90] - حققه ياشي عبد القادر (ينظر: محمد بن عامر الأخضري، شرح ألفية ابن مالك، تح: ياشي عبد القادر، دكتوراه، جامعةوهران1: 2015م، ص32.)

[91] - وهو مطبوع بتحقيق جمال عمراوي (المقري، التحفة المكية، تح: جمال عمراوي الجزائري، ط1. دار المحسن، الجزائر، ودار ابن حزم، لبنان: 2015م).

[92] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص138- 165.

[93] - هو في 3أجزاء. وله عدة مخطوطات منها مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية (مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين ص55، الهامش1.)

[94] - وهو مخطوط في 400 ورقة بخزائن غرداية (بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص343.)

[95] - الديسي: نسبة إلى قرية الديس التي تبعد عن بوسعادة بنحو 14 كلم (ينظر: بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص344.)

[96] - مخطوط بالخزانة البكرية بزاوية سيدي البكري بأدرار، اقتصر فيه على شرح باب الكلام. (الحاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص108.)

[97] - بشير ضيف بن أبي بكر بن عمر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول، ط2، مراجعة عثمان بدري، مطبعة ثالة، الجزائر:2002، ص350.

[98] - اقتصر فيه على شرح باب الصفة المشبهة من الألفية، وهو مخطوط بخزانة سيدي بومدين بتمنطيط ولاية أدرار. (ينظر عبد القادر بقادر، جهود علماء توات في الدرس اللغوي من خلال الشروح دراسة وصفية تحليلية)

[99] - مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين، ص66-72.

[100] - هي مخطوط بمكتة جامعة الملك سعود بالسعودية رقم76163م ق19-50ب. (محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، دار كردادة للتوزيع والنشر، ط2. بوسعادة الجزائر: 2015م، ج1، ص217)./ وبشير ضيف، فهرشت معلمة التراث الجزائري، ص334.)

[101] - عبد القادر بقادر، دور علماء الجزائر في حفظ التراث اللغوي للغة العربية خلال العهد العثماني 1518م 1830م، مجلة السياق، مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدب ي بالجنوب

الجزائري، جامعة غرداية، مج7، ع1، ص22-40.

[102] - أرجوزة المكودي في التصريف هي (البسط والتعريف في نظم ما جل من التصريف)، والظاهر أنه تمم بهاباب الصرف من الألفية (غنية زغبيب وسليم مزهود، جهود اللغويين الجزائريين وأثرها في الدرس التراثي الصرفي العربي ص1020- 1051.)

[103] - وهي مخطوط بالمكتبة الأزهرية برقم: خاص463. وعام2987. (محمد محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص316.)

[104] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1994م، ج3،ص174.

[105] - وهي مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية رقم593. 15. (بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص242.)

[106] - هي حاشية على شرحي المرادي وابن غازي، وهي مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 261:2.(عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص132.)

[107] - هي حاشيته الصغرى على شرح المكودي (رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص74/ وبشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص341.)

[108] - هي حاشيته الكبرى على شرح المكودي في 380 صفحة وهي مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط الخزانة الكتانية برقم313/كـ(ينظر: بشير ضيف، فهرست معلمة، ص341. /بن دحمان شريف، الدرس النحوي في الجزائر في القرن الثامن عشر خصائصه وأشهر أعلامه، مجلة دراسات، مخبر الدراسات الصحراوية، كلية الآداب واللغات، جامعة بشار: 2013، مج2، ع1، ص81- 101.)

[109] - وهي مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس. (بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص333.)

[110] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص99، 203، 403.

[111] - وهي مخطوط بمكتبة القطب ببني يزقن. (عادل نويهض، معجم المفسرين، ج2، ص658.)

[112] - وهي مخطوط بمكتبة القطب ببني يزجن برقم أم.

[113] - عنوانها البهجة المرضية، ووهي مخطوط بخزانة أحمد البكري بتمنطيط-أدرار- (عباس بن الشيخ، جهود علماء منطقة توات في الدرس اللغوي والقرآني من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة، دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان: 2023م، ص1199، ص199)

[114] - وهي إلى باب كان فقط. (بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص341.)

[115] - حققه رابح شلوش لنيل درجة الماجستير بقسم اللغة العربية بتيزي وزو، 2010م.

[116] - حققته الباحثة أسماء موسى بضمن أطروحاتها بكلية الآداب بأكدال بالرباط. (مراد مزعاش،

ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين، ص79- 80.)

[117] - وهو في ثلاث مجلدات شرح فيه 1274 شاهدا، طبع بالمطبعة الأهلية بتونس عام1374م (أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص45.)

[118] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص341.

[119] - مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين، ص75، 76.

[120] - لخصها في 50 بيتا (عباس بن الشيخ، جهود علماء منطقة توات في الدرس اللغوي والقرآني من القرن12 إلى القرن14هـ، ص198.)

[121] - مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند النحويين الجزائريين، ص76.

[122] -تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، كتاب في النحو والصرف لابن مالك، في ثمانين بابا، و211 فصلا، غايته تسهيل النحو على الطلبة.

[123] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص345.

[124] - مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند الجزائريين حركة التأليف نموذجا، ص51.-.

[125] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص333.

[126] - ابن مريم، البستان، ص211/ وبشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص341.

[127] - عبد القادر بقادر، دور علماء الجزائر في حفظ التراث اللغوي للغة العربية خلال العهد العثماني، ص22-40.

[128] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص164.

[129] - بعبد القادر بقادر، دور علماء الجزائر في حفظ التراث اللغوي للغة العربية خلال العهد العثماني، ص22-40.

[130] - هي منظومة لأبنية الأفعال في 114 بيتا، نشرت مع بعض شروحها منها: خلاصة الأقوال على شرح لامية الأفعال لابن الناظم بدر الدين بن مالك.

[131] - مختار بزاوية، الشروح الجزائرية للمنظومات الصرفية، شرح اللطيف للفكون على أرجوزة المكودي أنموذجا قراءة في المنهج والمحتوى، مجلة المناهل، 2022م، مج3، ص39، 40.

[132] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص346. وقد حققها عيسى العزري في رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، 2007م.

[133] - هو مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم 2231. / وينظر ابن مريم، البستان، ص223/ بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص332.

[134] - عباس بن الشيخ، جهود علماء منطقة توات في الدرس اللغوي والقرآني من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة، ص190-.

[135] - عبد القادر بقادر، دور علماء الجزائر في حفظ التراث اللغوي للغة العربية خلال العهد

العثماني، ص22-40.

[136] - ينظر: بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص 9-36.

[137] - كما نظم الآجرومية وقطر الندى، وذكر له نحو ألف مؤلف(بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص333.

[138] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص164.

[139] - وله شرح شواهد العربية في كتاب سيبويه (بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص338.)

[140] - ينظر: عباس بن الشيخ، جهود علماء منطقة توات في الدرس اللغوي والقرآني من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة، ص190-.

[141] - غنية زغبيب وسليم مزهود، جهود اللغويين الجزائريين وأثرها في الدرس التراثي الصرفي العربي القرن الحادي عشر إلى منتصف القرن العشرين الميلادي، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر: 2022م، مج24، ع4، ص1020- 1051.

[142] - ينظر: عبد القادر بقادر، دور علماء الجزائر في حفظ التراث اللغوي للغة العربية خلال العهد العثماني، ص22-40.

[143] - مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند الجزائريين حركة التأليف نموذجا، ص49، الهامش4.

[144] - ينظر: عيسى العزري، شرح الآجرومية لدى الجزائريين –دراسة في المنهج والمحتوى-/ وعبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف.

[145] - يشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص335.

[146] - هي في 90 بيتا (بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص333)

[147] - عبد الله عماري، إسهام منطقة توات في الدرس النحوي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تمنغست: 2012م، ع1، ص186-201.

[148] - عبد الله عماري، إسهام منطقة توات في الدرس النحوي، ص186-201.

[149] - عبد الله عماري، إسهام منطقة توات في الدرس النحوي، ع1، ص186-201.

[150] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص162/بشير ضيف فهرست معلمة التراث الجزائري، ص334.

[151] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص336.

[152] - عبد الله عماري، إسهام منطقة توات في الدرس النحوي، ص186-201.

[153] - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص32.

[154] - مراد مزعاش، ألفية ابن مالك عند الجزائريين حركة التأليف نموذجا، ص49، الهامش2.

[155] - حققه عبد القادر ياشي، إشراف المختار بوعناني، ماجستير، جامعة السانية-وهران، 2010م. وتكمن قيمته في أنه من أوائل شروح الآجرومية قال عيسى العزري: «هو أول شرح لها فيما أعلم» (عيسى العزري، شرح الآجرومية لدى الجزائريين، ص27).

[156] - وقيل: إنه أخذ العلم عن ابن المصنف وهو منديل بن آجروم.(بشير ضيف، (فهرست معلمة التراث الجزائري، ص339.)

[157] - حققه المختار بوعناني، مجلة القلم، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، ع15، أوت 2010م. وع18، يناير2011م.

[158] - حققته سعاد آمنة البوعناني، ماجستير، جامعة السانية وهران:1998م.

[159] - وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية برقم 2923. (بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص346..)

[160] - هو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية برقم153(رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس: 1985، ص31)

[161] - بلحاج جلول، جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري، ص 9-36.

[162] - حققها: عطية هزرشي، إشراف: الشريف مريبعي، ماجستير، جامعة الجزائر: 2006م.

[163] - حققه بن ميلود التيجاني، ماجستير، ورقلة: 2010م.

[164] - حققها محمد ابن شماني بعنوان: الفتوح القيومية في شرح الجرومية لأحمد بابا الصنهاجي، ماجستير، بإشرف: أحمد عزوز، جامعة الشلف: 2009م.

[165] -الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر، ج1، ص79. /عيسى العزري، شرح الآجرومية لدى الجزائريين، ص1 وما بعدها.

[166] - عيسى العزري، شرح الآجرومية لدى الجزائريين –دراسة في المنهج والمحتوى-، ص1 وما بعدها.

[167] - حققه: يوسف خنفر، ماجستير، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة:2010م.

[168] - حققه: على بوشاقور بعنوان: حقائق الآجرومية السهولية البادية، ماجستير، جامعة وهران: 2003م. وطبعته دار الأوطان بالجزائر: 2017م

[169] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص342. وذكر أنه مخطوط عند السيد محمد بابا بمدينة عين صالح.

[170] - عيسى العزري، شرح الآجرومية لدى الجزائريين –دراسة في المنهج والمحتوى-، ص1 وما بعدها.

[171] - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص161/ وبشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص332.

[172] - عباس بن الشيخ، جهود علماء منطقة توات في الدرس اللغوي والقرآني من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة، ص183-.

[173] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص336.

[174] - ينظر: عبد الله عماري، إسهام منطقة توات في الدرس النحوي، ص186-201,

[175] - حققه: رشيد حيدرة، ماجستير، جامعة السانية وهران:2013م.

[176] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص174، 175,

[177] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص344.

[178] - وهي مخطوط في 68 صفحة (عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص174، 175)

[179] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص174، 175.

[180] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص331.

[181] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص340.

[182] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص174، 175,

[183] - بشير ضيف، فهرست معلمة الجزائر، ص340.

[184] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص174، 175,

[185] - بشير ضيف، فهرست معلمة الجزائر، ص241/ وقد حققه: الصديق حاج محمد، ماجستير، إشراف الشريف مريبعي، جامعة الجزائر: 2005م.

[186] - عباس بن الشيخ، جهود علماء منطقة توات في الدرس اللغوي والقرآني من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة، ص183-.

[187] - طبعه المجلس الإسلامي الأعلى-الجزائر. (عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، ص174، 175.)

[188] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص345.

[189] - حققه مولود قاني لنيل درجة الماجستير، إشراف: الشريف مريبعي، كلية اللغات والآداب جامعة الجزائر2: 2011م.

[190] - عبد القادر بقادر، دور علماء الجزائر في حفظ التراث اللغوي للغة العربية خلال العهد العثماني، ص22-40.

[191] - حققه ونشره أبو الأنوار بن المختار دحية، ط1. دار الخليل القاسمي، المسيلة الجزائر: 2007م.

[192] - وهو شرح لشواهد ثلاثة شروح على الآجرومية (عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، ص175)

[193] - عبد القادر بقادر، دور علماء الجزائر في حفظ التراث اللغوي للغة العربية خلال العهد العثماني، ص22-40.

[194] - عيسى العزري، شرح الآجرومية لدى الجزائريين –دراسة في المنهج والمحتوى-، ص27.

[195] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص175.

[196] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص175.

[197] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص175.

[198] - بشير ضيف، فهرست معلمة الجزائر، ص346.

[199] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص175.

[200] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص345.

[201] - عبد القادر بقادر، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر، دراسة في الأعلام وأنماط التأليف، ص175.

[202] - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص336. /وعادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص15.

منهج ابن أُبَّ المزمري في تيسير القواعد النحوية في نظم الآجرُّمية

أ.د/صفية مطهري - جامعة وهران1 -أحمد بن بلة

مقدمة:

تزخر الأمة العربية بتراث علمي وثقافي يمثل صورة حضارية للزمن الذي أنشئ فيه، ومرجعية علمية وثقافية لا يمكن الاستغناء عنها، إذ تجد فيه كل ما تصبو إليه نفس المتعلم من فنون وعلوم، ومستويات في التعليم؛ فالمبتدئ يجد بغيته، والمتعلم يجد طَلِبَتَهُ*، والمتخصص يجد ضالته.

وقد حظي علم النحو بقسط وفير من هذا التراث والتنوع والتعدد في المضمون، وفي المستوى التعليمي؛ فنجد فيه إلى جانب "أصول ابن السراج"، "الموجز"، وإلى جانب "تذكرة" أبي علي و"تكملته"، "الإيضاح"، وإلى جانب "خصائص" ابن جني و"سرُّ صناعة الإعراب "، "اللمع" و"الملوكي في التصريف"، وإلى جانب "مفصل" الزمخشري، "الأنموذج". وهكذا فقد كان من همِّ كل واحد من هؤلاء الأعلام أن يصنف كتابا للمبتدئين يشتمل على مبادئ النحو بأيسر عبارة وأقرب سبيل.

إن من هذه المختصرات المُوجَزات النافعات، متن الآجرُّمية الذي يعد خلاصة موجزة في قواعد النحو، صغيرة الحجم، عظيمة القدر، بالغة الأثر، فكم قرأها أناس، وكم أفاد منها طلبةٌ، وكم تأسس بها علماءُ، وكم ذاع صيتها، وانتشر ذكرها عبر الزمان والمكان. يقول عنها محمود الطناحي وهو من كبار محققي التراث العربي الإسلامي من جمهورية مصر: "وهذا متن الآجرُّمية، لا يطاوله متن آخر، ضبطا لقواعد اللغة، وحصرا لمسائله، ويسرا في صياغته، ولا يزال موضع التلقي والقبول إلى يوم الناس هذا"[1]

وبقدر ما كتب لهذا المتن من القبول والذيوع والانتشار، كان الاهتمام بنسخه وطبعه وشرحه ونظمه والعناية به، حتى لا تكاد مكتبة خاصة أو عامة للمخطوطات أو للمطبوعات تخلو من نسخة منه.

فمن يكون الإمام ابن آجرُّم يا ترى؟

التعريف بابن آجرُّم:

إنه العلامة المقري النحوي أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، الشهير ب ابن آجرُّم. ولد سنة 672هـ بفاس، وتوفي بها سنة 724هـ. وقد ذكرت العديد من المصادر اسمه محمدين، ومن هؤلاء اللاذقي في حاشية على الآجُرُّومية، حيث ذكر أن اسمه محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن داود، بأربعة محمدين. ونص أكثر ممن ترجم له ومن بينهم السيوطي في بغية الوعاة، أن كلمة آجرّوم "بفتح الهمزة الممدودة، وضم الجيم والراء المشددة"[2] وتعني هذه الكلمة بلغة البربر: الفقير الصوفي.

آثاره:

اشتغل العلامة ابن آجروم بالعلم تدريسا وتأليفا، وله مصنفات، وأراجيز في القراءات وغيرها، ومنها:

1-مقدمة الآجرومية في علم العربية.

2-فرائد المعاني في شرح حَرْز الأماني، وهو شرح على الشاطبية.

3-البارع في قراءة نافع وهو عبارة عم نظم.

4-الاستدراك على هداية المرتاب، وهو نظم كذلك.

لقد حظيت الآجرُّمية -أو كما كانت تسمى كذلك المقدمة الآجرُّمية، أو المقدمة الجرُّمية-بمكانة كبيرة، "وقد حصل لها من النفع والشيوع، ما لم يحصل لكتاب نحوي آخر، ولعل أحد أسباب ذلك عائد إلى مكانة مؤلفها وإخلاصه." [3] ويذكر الراعي الأندلسي[4] أن ابن آجروم ألف مقدمته اتجاه الكعبة الشريفة.[5]

وقد أكثر العلماء من الثناء على هذه المقدمة، ووصفها بما يليق بها، من ذلك ما

قاله أحد شراحها فيها: "هي مقدمة مباركة من أجلِّ ما أُلِّف في علم النحو، وهي قريبة المرام، سهلة الحفظ والتفهم، كثيرة النفع لمن هو مبتدئ مثلي، وضعها –رحمه الله- برسم ولده أبي محمد فانتفع بها، وانتفع بها جميع من قرأها"[6]

ويذكر المكودي أن مقدمة ابن آجروم من أجلِّ ما وضع في علم اللغة العربية من المقدمات المختصرة واللمع المشتهرة، ثم قال: فهي مفتاح علم اللسان ومصباح غيب البيان.[7]

موضوعاتها:

لقد وزع ابن آجروم متن آجروميته على خمسة وعشرين بابا هي:

1-أنواع الكلام 2-باب الإعراب 3-باب معرفة علامات الإعراب، وفيه فصل المعربات الذي فسمه إلى قسمين: قسم يعرب بالحركات وقسم يعرب بالحروف. 4-باب الأفعال 5-باب مرفوعات الأسماء 6-باب الفاعل 7-باب المفعول الذي لم يسم فاعله 8-باب المبتدأ والخبر 9-باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر 10-باب النعت 11-باب العطف 12-باب التوكيد 13-باب البدل 14-باب منصوبات الأسماء 15-باب المفعول به 16-باب المصدر 17-باب ظرف الزمان وظرف المكان 18-باب الحال 19-باب التمييز 20-باب الاستثناء 21-باب لا 22-باب المنادى 23-باب المفعول لأجله 24-باب المفعول معه 25-باب المخفوضات من الأسماء.

وقد تم اختصار هذه الأبواب الخمسة والعشرين في سبعة أبواب هي على النحو الآتي:

1-تعريف الكلام وبيان أقسامه وعلامة كل قسم.

2-باب الإعراب

3-باب معرفة علامات الإعراب.

4-باب الأفعال.

5-باب مرفوعات الأسماء.

6-باب منصوبات الأسماء.

7-باب مخفوضات الأسماء.

وقد ذكر التوابع تفصيلا في آخر باب مرفوعات الأسماء، وأورد المعرفة والنكرة في آخر باب النعت.[8]

منهج ابن آجروم في الآجرومية:

لقد اعتمد ابن آجروم منهجية معينة تتمثل في الآتي:[9]

1-كان يبدأ بذكر التعريف في الغالب لكل باب.

2-كان يعطي أهمية لتقسيم الأبواب وذكر الأنواع.

3-كان يمثل لكل المسائل والأقسام التي يذكرها.

4-لم يكن يتقيد بأحد المذاهب النحوية، وإنما كان يأخذ بما يرجحه هو، دون أن ينقل نقلا مباشرا عن أي[10] كتاب أو إمام معين.

5-لم يأت بمقدمة لكتابه يبين فيها مقصوده من التأليف ومنهجه فيه.

6-خلو الآجرومية من ذكر التعليلات النحوية والشواهد الشعرية.

7-اعتماده على الإيجاز في ذكر الأبواب.

8-إغفاله لبعض الأقسام والأبواب، طلبا للاختصار.

أما الأبواب التي أغفلها فمثل عدم ذكره لباب المفعول فيه، وباب أسماء الإشارة، وباب الأسماء الموصولة وغيرها.

طَبَعاتها:

تم طبع الآجرومية طبعات عديدة، وفي هذا يقول بروكلمان: "توجد مخطوطات منه في كل مكتبة، إلى جانب طبعات لا حصر لها"[11] من هذه الطبعات أذكر منها الآتي:

1-طبعت بروما في 1593م وهي أولى طبعاته.

2-طبعت بعناية علي علاء الدين الألوسي، بالمطبعة العلية السلطانية سنة 1897م.

3-طبعت بتصحيح العلامة أحمد الأمين الشنقيطي، بمطبعة السعادة.

4-طبعت بتحقيق محي الدين عبد الحميد بمكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة في 1950.

كما حققها وطبعها وترجمها العديد من المستشرقين إلى لغات عديدة، منها الإنجليزية والألمانية والمجرية والفرنسية.

شروحها:

لقد جاوزت شروح الآجرومية المائة، أذكر البعض منها:[12]

1-الدرة النحوية في شرح الجرومية لمحمد بن أحمد بن يعلى الحسني، وقد تحصل عليها من ابن صاحب الأجرومية، ولعل شرحه أول شرح لها.

2-شرح الآجرومية لأبي زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي.

3-شرح الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري ويعرف أيضا بالوقاد وهو أشهر شروحها.

4-شرح شهاب الدين أبي العباس البجائي.

5-الدرة البهية على مقدمة الآجرومية، لمحمد بن عمر بن عبد القادر الكفيري الدمشقي.

6-الكلمات الجلية في بيان المراد من الآجرومية، لأبي الحسين علي بن عبد البر الونائي الشافعي.

7-حاشية الشيخ عبد الله العشماوي على متن الآجرومية.

الكتب المؤلفة في إعراب ألفاظها:

ولأهميتها ألفت الكتب في إعراب ألفاظها من ذلك:[13]

1-إعراب الآجرومية للشيخ خالد الأزهري.

2-الفوائد السنية في إعراب أمثل الآجرومية، لنجم الدين محمد بن يحي بن تقي الدين بن عبادة الحلبي الشافعي الفرضي النحوي.

3-التحفة البهية في إعراب الآجرومية لمحمد بن عمر بن قاسم المعروف بالبقري الشافعي.

4-الأنوار المضية في إعراب ألفاظ الآجرومية، للكفيري الدمشقي.

5-الجوهرة السنية في إعراب الآجرومية لأحمد بن محمد بن تميم التميمي الداري الخليلي الحنفي.

6-الخريدة البهية في إعراب ألفاظ الآجرومية للشيخ عبد الله بن عثمان بن أحمد العجيمي.

7-الباكورة الجنية من قطاف إعراب الآجرومية للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الأثيوبي الهرري.

منظوماتها:

للآجرومية منظومات كثيرة، منها:[14]

1-اللمعة المضية نظم المقدمة الآجرومية، لبرهان الدين إبراهيم بن إسماعيل المقدسي النابلسي الحنبلي.

2-العلوية في نظم الآجرومية، لنور الدين السنهوري المالكي.

3-الدرة البرهانية في نظم الآجرومية، لبرهان الدين إبراهيم الكردي المقدسي الحنفي.

4-الدرة البهية في نظم الآجرومية، لشرف الدين يحي بن موسى بن رمضان العمريطي الشافعي، وهي من أشهر منظوماتها.

5-الحلة البهية نظم المقدمة الآجرومية، لأبي المكارم نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي الشافعي.

6-غرر النجوم في نظم ألفاظ ابن آجروم، لمحمد الكفيري.

7-نظم شرف الدين عبد الله بن محمد الشافعي الشبراوي.

8-الكواكب الجلية في نظم الآجرومية، لعبد السلام بن مجاهد النبراوي.

9-جمال الآجرومية لرفاعة بك الطهطاوي.

10-نظم علي بن نعمان الآلوسي.

11-نظم الآجرومية لمحمد المختار بن محمد يحي الولاني

12-نظم الآجرومية لمحمد حبيب الله بن يابي الجكني.

13-نظم أبي عبد الله محمد بن أبَّ أحمد بن عثمان الزمُّوري (ت1160هـ)، وقد نظمها أول مرة في مائة وأربعة وخمسين بيتا (154)[15] وأعاد نظمها مرة ثانية وثالثة وقيل رابعة، ولكن لم نعثر عليها.

وأبدأ من حيث انتهيت، وذلك أن هذه المنظومة تعد من أهم المنظومات التي لملم فيها صاحبها وبإحكام وبدراية تامة كل الأبواب النحوية الهامة التي يحتاجها الدارس والباحث على حد سواء. فمن هو ابن أب الزموري؟

التعريف بابن أبَّ الزموري:

إنه علم من أعلام وعلماء الجزائر، محمد بن أب بن محمد بن عثمان بن أبي بكر المزَّمَّري، نسبة إلى زمورة وهي قرية بالمغرب الأقصى معروفة بسوس الأقصى حسب رواية الحاج محمد الكنتي شيخ المدرسة الدينية بزاوية كنته، التواتي دارا وموطنا ووفاة.[16]

ولد ابن أب بقرية أولاد الحاج بلدية تيمقطن دائرة أولف بولاية أدرار في العقد الأخير من القرن الحادي عشر الهجري، حيث لم يعرف له الرواة تاريخا محددا لميلاده،

وقد اجتهد الشيخ باي بلعالم لإيجاد تاريخ تقريبي، فاستدل بمؤلَّف في العروض صنفه ابن أب في بداية حياته، وهو قصيدة في فك البحور، وهي من بحر الطويل، نظمها في سنة ستة عشر ومائة وألف للهجرة (1116هـ)، ورمز لها بقوله (وَيْقَشٍ) بحساب الجمل، حيث قال في آخرها:[17]

فَعولُنْ بتثمين حوى مُتقارِبٍ *** وقُلْ خَببٌ لَنْ والنظام قد انتهى

بحمد إله العرش في عام وَيْقَشٍ *** ولا حَوْلَ إلا بالإلهِ ولا قُوَى

تلقى القرآن ومبادئ العلم في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى زاوية كنته، ودرس على العديد من علمائها مثل الشيخ عمر الأكبر، في تنيلان(ت1152هـ)، والشيخ عبد الرحمن الجنتوري (ت1160هـ)[18] والشيخ سيد عمر بن محمد الرقادي (ت1175هـ)، كما لازم الشيخ علي بوسماح التلمساني، والشيخ أحمد التوجي.[19]

ومما يروى عن ابن أب الزموري أنه كان يستفتي مشايخه نظما ونثرا، فمن أسئلة النظم قوله:

هذا سؤال جاهلٍ فقيرٍ *** لله جانِ مذنبٍ حقيرٍ

للشيخ سيِّد أبي الأنوار *** العالم الولي ذي الأسرار

كما عرف بكثرة المطالعة إذ لا تجد كتابا ولا مخطوطا إلا وتلفي خطه فيه.[20] كان من العلماء الذين ربطوا منطقة توات بغيرها من البلدان، حتى عرف بصاحب الجوَلان، حيث صال وجال في المغرب الأقصى وفي مالي وفي تنبكتو وأوران بأرض السودان، إلى غير ذلك من البلدان التي كان يجوبها للاستفادة والإفادة.[21]

لقد نبغ ابن أب في علوم عديدة، حيث كان فقيها وإماما ومفسرا ومعلما للقرآن وحفظه، واشتغل بالعروض، كما كان نحويا بامتياز حتى أنه لقب بسيبويه زمانه.[22]

ومما يدل على عبقريته ومكانته العلمية، اهتمام تلامذته به، ومنهم الشيخ سيدي عبد الرحمن بن با عمر التنيلاني(ت1189هـ)، الذي أورد في فهرسته قائلا: "كان رحمه الله فقيها أديبا، نحويا، لغويا، تصريفيا، عروضيا، فائقا كل من لقيه في الفنون الثلاثة

الأخيرة، رائق الخط، شاعرا مجيدا مفلقا، لا يباري فيه ولا يجاري من صغره إلى الآن حتى قال في عنفوان شبابه مخبرا عن حاله:

إذا ساد بالإقدام عمرو وبالذكا *** تفرد إيّاس وبالجود حاتمُ

فإن شعاري صنعة الشعر فالذي *** يُنازِعني فيها فذاكَ ظالمُ

آثاره:

لقد خلف ابن أب المزمري مؤلفات عديدة ومتنوعة، فمنها المطبوع ومنها المخطوط. نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:[23]

1-قصيدة في فك البحور يقول في مطلعها:

بدأت بحمد الله ربِّ مصليا *** على أحمدَ الهادي الرضا علم الهدى

وأصحابِهِ والأكرمين وآله *** وبعدُ فخذْ فَكَّ البحور على الولا

وهي من بحر الطويل، نظمها سنة 1116هـ، وختمها قائلا:

فعولنْ بتثمين حوى متقارِب *** وقل خببٌ لن والنظام قد انتهى

بحمد إله العرش في عام ويقش *** ولا حولَ إلا بالإلهِ ولا قُوى

2-قصيدة في الإلغاز بالنحو شعرا:

صاح سلم على النحاة وسلهم *** حبذا حبذا إن أجابوا

ما مضاف إليه أعرب بالرف *** ع صريحا وذا لعمري عجاب

فأجابه ابنه ضيف الله بقوله:

فجواب سألت عنه قريب *** في حزبِ الأنبياءِ هداك الله

بعد إلا ولفظُه لفظُ رفْع *** ذا الجواب والعجب من مبداه

3-ومما يدل على عبقريته الفكرية العروضية، أنه ابتكر بحرا جديدا سماه المضطرب ليكون البحر السابع عشر، واختار له وزنا:

فعولن مفاعلن فاعلاتُ *** فعولن مفاعلن فعلاتُ

ونظم وفقه قصيدة من تسعة وثمانين بيتا، استهلها بقوله:

صَلِّ يا إلهِي ثم سَلِّمْ *** دائما على خير الأنام

ما دعاك أو لباك مُحْرِم *** قاصدا إلى البيت الحرام

وختمها بقوله:

لامتداح خير الخلق طرّا *** سيّدي الورى النورِالتهامي

يا محمدُ لا زلتَ تقْرا *** مِنْ إلهِنا أَزْكى السَّلامِ

4-ومن العلوم التي برع فيها كذلك، علم البلاغة، إذ نظم قصيدة في علم البديع، تتمثل في عشرة أبيات، نظمها فيما لا يستحيل بالانعكاس المسمى عند أهل البديع بالمقلوب، حيث يقول فيها:

أَدْرِ كلامَ كَابرٍ *** ربَّاكَ مَالَكَ رِدا

أدِّبْ وكُفَّ أرسُنا *** إنْ سَرَّ إفكٌ وبدا

أُدعُ صَلاحَ بائِنٍ *** نَئا بحالٍ صَعَدا

اِدمغْ تقوُّلَ خَنا *** أَنِخْ لوقت غُمِدا

أُدنُ لِرسمِ فَرِطٍ *** طِرْفٍ مُسِرٍّلِنِدا

اِدْرأْ جدال باسرٍ *** رَسا بلا دُجى رِدا

اِدْفأْ بحُرٍّ هادِنٍ *** نَداهُ رَجْبٌ أُفِدا

أَدْلجْ لصوب جنة *** تَنجُ بوَصْلٍ جُنِدا

اِدأَبْ لكل عُدَّةٍ*** تَدْعُ لِكُلٍّ بَأَدا

اِدْفَنْ إهانَةَ أَذَى *** إذا تَناهَى نَفَدا

5-روائق في ذكر ألقاب الزحاف والعلل، وهي أرجوزة في علم العروض ألفها سنة

1126هـ.

6-نظْم باب السهو من مختصر الأخضري في العبادات سنة 1128هـ، وسماه العبقري، وهو في 159 بيتا.

7-نظْم مقدمة الآجرُّمية، ألفه سنة 1120هـ، وهي في 154 بيتا، وهو أول نظم، ثم أتبعه بنظم ثان وثالث.

8-الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية، وهو شرح على همزية البصيري.

9-روضة النسرين في مسائل التمرين الواردة في شافية ابن الحاجب، وهي أرجوزة في التصريف.

10-منظومة في أمثلة المتعدي واللازم من الرباعي المجرد.

11-نظْمٌ على معاني بعض حروف الجر.

12-نيل المراد من لامية ابن المجراد، وهو شرح على لامية ابن المجراد في إعراب الجمل.

13-منظومة في إعراب التسبيح الذي يقال بعد صلاة التراويح.

ولابن أب المزمري مؤلفات أخرى كثيرة لا يمكن حصرها، وقد قال عنها الشيخ بلعالم "في كل وقت نعثر على مؤلف فيضاف إلى مؤلفاته، علما أنه يوجد الكثير منها في مركز أحمد بابا للدراسات والأبحاث بتمبكتو بمالي."[24]

وفاته:

في ظهر يوم الإثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة 1160هـ، انطفأت جذوة محمد بن أب المزمري بتيميمون ودفن بمقبرة سيدي عثمان أحد أولياء المنطقة. وقبره الآن يزار ويعرف بقبر العبقري، نسبة إلى مؤلَّفه الشهير المتداول في المنطقة "العبقري في نظم سهو الأخضري".

نظم الأجرومية: لم يكتف ابن أب المزمري بنظم واحد للأجرومية، بل أتبع ذلك

بمنظومتين، مما يدعو إلى التساؤل عن سبب تعدد نظمها، وما هي غاياته وأهدافه التي جعلته يعيد نظمها بعد أربع وعشرين سنة من النظم الأول.

لقد كان ابن أب فقيها ومعلما ومدرسا، وقد انتشر نظمه للأجرومية بين حلقات دارسيه، وقد لفت انتباهه بعض الملاحظات، فحاول استدراكها في المنظومات الأخرى. ولذا تعددت المنظومات وكانت على النحو الآتي:

-المنظومة الأولى: وهي أشهر منظوماته المعروفة والمتداولة بين الباحثين والدارسين، وجاءت في 154 بيتا من بحر الرجز ألفها سنة 1120هـ ويقول في مطلعها:[25]

قال ابنُ أُبّ واسمُهُ محمَّد اللهَ في كلِّ الأمورِ أحمَدُ

-المنظومة الثانية: وهي نزهة الحُلوم في نظم مقدمة ابن آجُرُّوم،[26] وهي في 140 بيتا ونظمها سنة 1144هـ، وهذا بعد 24 سنة من المنظومة الأولى. وقد شرحها محمد باي بلعالم تحت عنوان: الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، وقد جاء في مطلعها:

نحمدك اللهم يا من أنعما وعلَّم الإنسان ما لم يعلما

إلى أن يقول معرفا بعتبة المنظومة وبناظمها:

فذا كتاب "نزهة الحُلُومِ في نظم منثور ابن آجرُّومِ

وسجل كعادته تاريخ نظمها في الخاتمة قائلا:

وقد أتتك في حلاها "النزهة" حائزةً من الجمالِ كُنهَهْ

سنةَ أَرْبَعٍ وأَرْبَعِينَا للخمسِ والستِّ من المِئينا

-المنظومة الثالثة: وهي من بحر الطويل على روي اللام المطلقة، سماه "كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم"، نظمها في 1157هـ، يقول في مطلعها:

لك الحمد يا إلهي يا من تفضَّل ومنَّ علينا بالبيان وأَجْمَلا

ويقول بعد الافتتاح معرفا بمنظومة كشف الغموم:

وبعد فذا نظم يروق فمن يذق جناه إلى الكتب الكبار توصلا

أتى جامعا لبَّ المقدمةِ التي حوت لابن آجروم نثرا مفصلا

وسميته كشف الغموم لكشفه عن المرء غم اللحن ساعة يبتلا

ويعود الفضل في التعريف بهذه المنظومة إلى الشيخ محمد باي بلعالم الذي عثر عليها وهو يبحث عن المخطوطات في منطقة توات، ولم يجد لها أي شرح ولا تقرير ولا تقريظ[27]

كما سجل كعادته تاريخ نظمها قائلا:

وذا منتهى المرمى في عام سبعةٍ وخمسين بعد الألفِ والمائة انْجلا

وقد شرح هذه المنظومة الشيخ محمد باي بلعالم تحت عنوان: عون القيوم على كشف الغموم.[28]

منهج ابن أبَّ الزموري في نظم متن الآجرومية:

تعد هذه المنظومة من أول منظوماته الثلاث لمتن الآجرومية، حيث ألفها سنة 1120هـ، وقد صنفها ابن أب وفق المتن المنثور متن ابن آجروم.

وقد انتهج فيها منهجا وطريقة جاءت وفق مجموعة من الحيثيات هي:

1-التقديم والاستهلال:

تتصدر المنظومات الشعرية مقدمات يذكر فيها الناظم بعد الحمدلة والصلاة والسلام على النبي –صلى الله عليه وسلم-اسم الناظم وعنوان المنظومة، وموضوعها والغاية من نظمها، وهذا توثيقا لها وتوضيحا لمنهجه فيها. وقد درج ابن أب على ذلك، حيث قال في مطلعها معرفا بنفسه في نظمها:

قال ابنُ أُبَّ واسمُهُ محمدُ اللهَ في كلِّ الأمورِ أحمدُ

مصلياً على الرسولِ المنتقَى وآلهِ وصحبهِ ذوي التُّقى

وبعدُ فالقصدُ بذا المنظومِ تسهيل منثور ابن آجرّومِ

لمن أراد حِفظَه فَعَسُرا عليه أن يحفظَ ما قد نُثِرا

لقد افتتح ابن أبَّ المنظومة بذكر اسمه، ثم أتى بالحمدلة والصلاة والسلام على الرسول المنتقى وعلى آله وصحبه، ثم بين القصد من نظمها، وهو تسهيل حفظها لمن صعُبَ عليه منثور ابن آجرُّوم:[29].

2-تقسيم الأبواب:

لقد قسمها ابن أب إلى ثلاثين بابا، نوجزها في ثلاثة أقسام هي:[30]

1-قسم يتعلق بالكلام، وتناول فيه الكلام وما يتألف منه لأن علم النحو يتعلق بالكلام.

2-قسم يتعلق بالإعراب، وتناول فيه ماهية الإعراب وعلاماته، لأن لُبَّ علم النحو هو الإعراب.

3-وقسم يتعلق بالأفعال والأسماء، وعرض فيه للأفعال بأنواعها الثلاثة مبينا أحوالها، ليدلِف إلى الأسماء ملخصا محالّها الإعرابية، مبتدئا بالمرفوعات، فالمنصوبات، فالمجرورات، وذلك لأن قواعد الإعراب إنما تطبق في الأفعال والأسماء، وعلى هذا يكون القسم الأول تمهيدا للثاني والقسم الثاني تمهيدا للثالث.

3-أسلوب المنظومة:

تمتاز المنظومات الشعرية التعليمية بصفة عامة بأسلوب سلس خال من التعقيد يوظفه الناظم ويعتمد فيه على الإيجاز في اللفظ والتكثيف في المعنى، مما يجعلها سهلة ميسرة للفهم والحفظ معا، ولعل هذا ما لمسناه في نظم ابن أبَّ، حيث جاءت ألفاظ المنظومة سهلة، وعباراتها واضحة، مما جعلها تنتشر بين الطلاب، ولاقت إقبالا كبيرا دون غيرها من المنظومات الأخرى. يقول في مطلعها:[31]

إنَّ الكلامَ عندنا فلتستمِعْ لفظٌ مركَّبٌ مفيدٌ وُضِعْ

أَقْسامُهُ التي عليها يُبْنى اسمٌ وفِعْلٌ ثم حرفُ معنى

خاتمة المنظومة:

ولم يكتف ابن أب بهذا فقط، وإنما ألحق نظمه بخاتمة ذكر فيها تاريخ النظم مبينا أنها منظومة رائقة الألفاظ، دائمة النفع، يحتاجها كل مبتدئ، حيث يقول

قد تمَّ ما أُتيحَ لي أن أُنشئهْ في عامِ عشرين وألفٍ ومائهْ

مَنْظومَةً رَائِقةَ الألْفاظِ فكنْ لما حَوتهُ ذا اسْتِيقاظِ

جعلَها اللهُ لكلِّ مُبْتدي دائِمَةَ النَّفْعِ بجاهِ أَحْمَدِ

-دراسة محتوى المنظومة:

إن المنهج الذي اتبعه ابن أب الزموري في هذا النظم هو المنهج نفسه الذي اعتمده ابن آجروم في متن الآجرومية، إذ يظهر لقارئ نظم ابن أب أنه ساير ابن آجروم في متنه، ولم يحد عن آرائه. ومن هاهنا يمكننا أن نتبين المذهب النحوي في المنظومة، ومن خلالها نتبين معالم التأثر بالمذهب نفسه عند ابن آجروم.

لقد اعتمد ابن أب في هذه المنظومة على المذهب الكوفي. ويتجلى ذلك في عدة دلائل نسردها في الآتي:

1-استعماله مصطلح الخفض بدل الجر، وهو مصطلح كوفي، في حين يستعمل البصريون مصطلح الجر. من ذلك قوله في باب الكلام:[32]

فالاسم بالخفض وبالتنوين أو *** دخولِ أل يعرَف فاقفُ ما قفَوْ

أو بحروف الخفض وهي من إلى *** وعن وفي وربَّ والبا وعلى

ويبدو أنه اتبع في ذلك ابن آجروم عندما تحدث عن أنواع الكلام وأقسامه ومنها قوله: "والاسم يعرف بالخفض"[33] إلى أن يقول "وحروف الخفض"[34] ثم يعددها.

2-نواصب المضارع عنده عشرة حيث يقول:[35]

ونصبه بأن ولن وإذن وكي *** ولام كي لام الجحود يا أَخَيْ

كذاك حتى والجواب بالفا *** والواو ثم أو رُزِقْتَ اللُّطْفا

فجعلها ناصبة للمضارع بنفسها وهذا على مذهب الكوفيين، غير أن البصريين يرون أن (أن ولن وكي وإذن) فقط تنصب بنفسها الفعل المضارع، أما بقية الأدوات فتنصب بأن المضمرة بعدها.[36]

3-قوله بجزم فعل الأمر، حيث يقول:[37]

فالماضي مفتوح الأخير أبدا *** والأمر بالجزم لدى البعض ارتدى

وهذا مذهب الكوفيين الذين يرون أن الفعل قسمان: ماض ومضارع، أما الأمر فمقتطع من المضارع، ولذا قالوا بجزمه قياسا للأصل على الفرع[38] ونجد ابن أب الزموري يلمح إلى أن الجزم في فعل الأمر ليس بمذهبه، وإنما وجده في المتن المنثور لابن آجروم، وهو مكره عليه، وأن جمهور النحاة يرى غير ذلك.

4-تسميته لام التعليل لام كي، وفي ذلك يقول:

ونصبه بأن ولن وإذن وكي *** ولام كي لام الجحود يا أخَيْ

وهو مصطلح كوفي.[39]

5-لقد عَد ابن أب المزمري "كيفما" من أدوات الشرط الجازمة للفعل المضارع حيث يقول:[40]

وجزمه إذا أردت الجزما *** بلم ولمَّا وألم ألمّا

ولام الأمر والدعاء ثم لا *** في النهي والدعاء نلت الأملا

وإنْ وما ومن وأنّى مهما *** أيّ متى أيَّان أين إذْما

وحيثما وكيفما ثم إذا *** في الشعر لا في النثر فادرِالمأخذا

فقد ذكر كيفما مع جوازم الفعل المضارع وهي عنده تسعة عشر أداة جازمة هي: لم ولما وألم وألما ولام الأمر والدعاء، ولا في النهي والدعاء وإن وما، ومن، ومهما، وإذما، وأيُّ، ومتى، وأيان، وأين، وأنى، وحيثما وكيفما، وإذا في الشعر خاصة، فجعل كيفما جازمة للفعل المضارع متبعا في ذلك ابن آجروم، وهذا مذهب الكوفيين لأنهم يقولون بعملها كاسم شرط جازم للفعل المضارع بعدها في جملة الشرط، وهذا ما يخالفهم فيه البصريون، فهم يرون بعدم عملها.

6-ذكره لحروف الجر واستثناؤه "كي" منها، حيث يقول في حديثه عن علامات

الأسماء:[41]

أو بحروف الخفض وهي من إلى *** وعن وفي ورب والبا وعلى

والكاف واللام وواو والتا *** ومذ ومنذ ولعلَّ حتى

في حين لم يذكر "كي" لأن ابن آجروم لم يذكرها في المتن، وهذا مذهب الكوفيين الذين يجعلونها حرف جر أمرا ممتنعا.[42]

7-جعله اسم لا النافية للجنس المفرد النكرة معربا، حيث ذكر الناظم وهو يتحدث عن منصوبات الأسماء، اسم لا النافية للجنس قائلا:[43]

انصِبْ بلا مُنَكَّرا متصلا *** من غير تنوين إذا أفردتَ لا

تَقولُ لا إيمانَ للمُرْتابِ *** ومِثْلُهُ لا رَيبَ في الكتابِ

غير أن البصريين يرون أن اسم لا المفرد النكرة يكون مبنيا على الفتح في محل نصب، بينما يرى الكوفيون أنه معرب.[44]

8-لقد استعمل مصطلح النعت بدل الصفة حيث يقول:[45]

النعتُ قد قال ذوُو الألبابِ *** يتبعُ المنعوتَ في الإعرابِ

كذاك في التعريفِ والتنكيرِ *** كجاء زيدٌ صاحبُ الأميرِ

والنعت مصطلح كوفي؛ أما الصفة فهي مصطلح بصري.

9-عدم إشارته لعطف البيان: لم يذكر ابن أبَّ عطف البيان في باب الأسماء المرفوعة عندما تحدث عن التوابع، حيث إنه ذكر العطف والبدل ولم يذكر عطف البيان، واكتفى بذكر عطف النسق فقط في باب العطف، واكتفى بذكر البدل فقط في معرض حديثه عن البدل؛ وما هذا إلا مذهب الكوفيين. يقول في العطف:[46]

أقسامُه أربعةٌ فإن تُرِدْ *** إحصاءَها فاسمعْ لقولي تستفدْ

فبدل الشيءِ من الشيءِ كجا *** زيدٌ أخُوكَ ذا سرورٍ بَهِجا

وبدل البعضِ من الكلِّ كمن *** يأكل رغيفا نصفَه يعط الثمنْ

وبدلُ اشْتِمالٍ نحوُ رَاقَني *** مُحمَّدٌ جمالُه فَشَاقَني

وبدل الغلطِ نحوُ قد رَكِبَ*** زيدٌ حمارا فرسًا يبغي اللعِبَ

هكذا، وعلى الرغم من انتهاج ابن أب الزموري منهج الكوفيين في نظمه لمتن الآجرومية، وفي طرح قضاياها النحوية، إلا أن هذا لم يمنعه من الخروج عن مذهب أهل الكوفة والأخذ بمذهب أهل البصرة، وذلك في بعض القضايا النحوية، نذكر منها:[47]

1-لم يذكر واو رب مع حروف الجر، على الرغم من كون الكوفيين يعدونها جارة بنفسها في حين ينسب البصريون عملها إلى رب المحذوفة بعدها. من ذلك قوله:

فالاسمُ بالخفضِ وبالتنْوينِ أوْ دخولِ ال يعرفُ فاقفُ ما قفوْ

أو بحروف الخفض وهي مِن إلى وعَنْ وفي ورُبَّ والبا وعَلَى

والكَافُ واللامُ ووَاوٌ والتَّا وَمُذْ وَمُنْذُ وَلَعَلَّ حَتَّى

2-استعمل مصطلح الظرف عندما تحدث عن ظرف الزمان وظرف المكان، وهو مصطلح بصري لا يستعمله الكوفيون. وفي ذلك يقول:

الظرفُ منصوبٌ على إضمارِ في زمانيّا مكانيّا بذا يَفي

3-كان يرى أن جزم إذا للفعل المضارع يكون في الشعر بشكل مخصص، وهذا على خلاف مذهب الكوفيين الذين يجعلونها جازمة بصفة مطلقة، حيث يقول بعد أن سرد جوازم المضارع:

وحيثُما وكيفَما ثم إذا في الشعرِ لا في النثرِ فادرِ المأخذا

4-جعله ظن ناصبة لمفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وقد وافق في هذا مذهب البصريين، أما الكوفيون فكانوا يعدون ما كان خبرا منصوبا على الحالية بعد دخول ظن وأخواتها على المبتدأ والخبر، حيث يقول:

انصِبْ بأفعالِ القلوبِ مبتدا وخبراً وهي ظَننتُ وَجَدَا

تقولُ قد ظننتَ زيداً صادقاً في قوله وخِلتُ عمراً حاذقَا

5-أخذه برأي البصريين في عامل رفع اسم كان وخبر إن، في حين كان الكوفيون يرون أنهما مرفوعان على أصلهما، من ذلك قوله:

ورفعُكَ الاسمَ ونصبكَ الخبرْ بهذه الأفعالِ حكمٌ مُعْتبَرْ

ثم يقول في باب إن وأخواتها:

عملُ كانَ عَكسهُ لإنَّ أنْ لكنَّ لَيْتَ ولَعَلَّ وكأنْ

الخاتمة:

وصفوة القول، واستنادا إلى ما سبق ذكره، نستنتج أن ابن أبَّ المزمري في نظمه للآجرومية، كان يهدف إلى تيسير الفهم وتسهيل الحفظ لدى متعلمي القواعد النحوية، حيث كانت غايته تعلمية تعليمية، حاول من خلالها أن يجعلها نموذجا يقتدى به، فدبجها بأسلوب شعري سلس لا تعقيد فيه.

أما من حيث محتوى المادة العلمية، فقد كان يتخير الأنسب إليه، ولذا فإن ما ورد من آراء نحوية في النظم هو مزيج من آراء المدرستين –البصرية والكوفية- في الأبواب النحوية، حيث وجدنا ابن أبَّ قد فاضل بينها فاختار الأنسب منها. كما تجدر الإشارة في هذا المقام إلى التنويه بما خلفه علماؤنا الأجلاء من كنوز وذخائر في شتى المجالات المعرفية والعلمية والثقافية، لازالت –إلى يومنا هذا-في حاجة إلى دراسة وبحث مستفيض.

الإحالات:

[1]-مقالات العلامة محمود محمد الطناحي، صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، دار البشائر الإسلامية، بيروت 2002، ص:196.

*الطَّلِبَة: تجمع على طِلَبٍ ويقصد بها ذوو الحاجة ومنها طلاب العلم.

[2]-السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1979، ص1:238.

[3]-ابن آجروم، الآجرومية، تحقيق حايف النبهان، الكويت 2010، ص16

[4]-هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل المغربي الأندلسي، ثم القاهري، ويعرف بالراعي المالكي، توفي سنة 853هـ، له نظم حسن وشرح للألفية والجرومية. يراجع أبو الفلاح عبد الحي بن العِماد الحنبلي (ت1079هـ)، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979.

[5]-يراجع السيوطي، بغية الوعاة، ص1: 238

[6]-الشريف بن يعلى الحسني، الدرة النحوية في شرح الجرومية (المخطوط)، يراجع عبد القادر ياشي، تحقيق ودراسة الدرة النحوية في شرح الجرومية لأبي عبد الله الشريف التلمساني، مذكرة ماجستير، إشراف أ.د. المختار بوعناني، جامعة وهران، 2010، ص14.

[7]-المكودي، شرح متن الآجرومية، تحقيق أحمد بن عبد المولى المضني، المكتبة الإسلامية، ط1، القاهرة 2005، ص24.

[8]-يراجع ابن آجروم، الآجرومية، تحقيق حايف النبهان، ص18.

[9]-يراجع م س، ص19.

[10]

[11]-كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ط5، دار المعارف القاهرة، ص7: 414.

[12]-يراجع ابن آجروم، الآجرومية، تحقيق حايف النبهان، ص22-23-24.

[13]-يراجع ابن آجروم، الآجرومية، تحقيق حايف النبهان، ص23-24.

[14]-يراجع م س، ص24-25.

[15]-يراجع نظم الآجرومية لمحمد بن أب الزموري، إعداد عباسي مولاي بلقاسم بتاريخ 26 ذو القعدة 1237هـ، الموافق 14 أكتوبر 2015، حاسي لفحل، ورقلة.

[16]-يراجع الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية لمحمد بن أب المزمري (ت1160هـ)، تحقيق ودراسة امحمد مزياني، مذكرة ماجستير، جامعة شلف 2007-2008، ص12.

17 ـيراجع محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، مطبعة دار هومة الجزائر 2005، ص1: 103

ويقش: الكلمة بحساب الجمل تساوي: الواو =06، والياء=10، والقاف=100، والشين=1000 أي ما يعادل 1116هـ يراجع المختار بوعناني، المساعد على بحث التخرج، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية وهران، ص101.

18 ـيراجع م س، ص س.

19 ـيراجع م س، ص2: 569.

20 ـيراجع ابن أب المزمري، الذخائر الكنزية، في حل ألفاظ الهمزية، تحقيق امحمد مزايني، ص14.

21 ـيراجع محمد بن أب الزموري، الذخائر الكنزية ص13.

22 ـيراجع عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري، معجم أعلام توات، منشورات الرياحين، ط1، وزارة الثقافة الجزائر، 2013، ص318.

23 ـيراجع ابن أب المزمري، الذخائر الكنزية، ص14-17.

24 ـمحمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ص1: 98.

25 ـأبي عبد الله محمد بن أبَّ الزموري، نظم الآجرُّمية، أعده عباسي مولاي بلقاسم، 26 ذو القعدة 1437هـ، ص1.

26 ـيراجع محمد باي بلعالم، الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، طبع مطابع عمار قرفي، باتنة، ص4.

27 ـيراجع م س، ص س.

28 ـيراجع الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هومة، الجزائر 2005، ص1: 106.

29 ـأبي عبد الله محمد بن أبَّ الزموري، نظم الآجرُّمية، ص1.

30 ـيراجع خالد بن عبد الله با حميد الأنصاري، شرح المقدمة الآجرومية، دار الاعتصام للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1424هـ، ص7.

32 ـ ابن أب الزموري، نظم الآجرومية، إعداد عباسي مولاي بلقاسم، ص2.

33 ـابن آجروم، متن الآجرومية، ط1، دار الأصمعي للنشر والتوزيع 1998م، السعودية، ص5.

34 ـم س، ص س.

35 ـم س، ص6.

36 ـيراجع ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مراجعة محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص452 وما بعدها.

37 ـابن أب، نظم الآجرومية، ص5.

38 -يراجع فتحي بيومي حمودة، ما فات الإنصاف من مسائل الخلاف، شركة المروة لصناعة مواد التعبئة والتغليف، السعودية، دط. دت، ص29.

39 -يراجع ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص2: 469.

40 -ابن أب، نظم الآجرومية، ص6.

41 -م س، ص2.

تكون كي حرف جر في ثلاثة مواضع هي:

أ-إذا دخلت كي على ما الاستفهامية نحو: كيفمه؟ أي لمه؟ فما الاستفهامية مجرورة بـ: كي وحذفت ألف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها، وجيء بالهاء للسكت.

ب-إذا دخلت على أن المصدرية: نحو جئت كي أن أتعلم. المصدر المؤول أن أتعلم في محل جر بحرف الجر كي.

جـ-إذا دخلت على ما المصدرية كما في قول الشاعر:

إذا أنتَ لم تنفع فضُرَّ فإنما *** يُراد الفتى كيما يَضرُّ وينفعُ

42-يراجع فتحي بيومي حمودة، ما فات الإنصاف في مسائل الخلاف، ص100.

43 -ابن أب، نظم الآجرومية، ص14.

44 -يراجع ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص1: 302 وما بعدها.

45 -ابن أب، نظم الآجرومية، ص9.

46 -ابن أب، نظم الآجرومية، ص10.

47 -يراجع م س، ص6-8-12-23.

السّمات المنهجيّة في شرح المنظومات النّحويّة

" النفحة الرندية في شرح التحفة الوردية" لابن أبّ المزمري الجزائري أنموذجا

د. عبد الله زيتوني – المدرسة العليا للأساتذة - مستغانم

الملخّص:

يُعدّ محمد بن أبّ المزمّري (ت 1160هـ) من أبرز أعلام الجزائر الذين أسهموا في خدمة العلوم والمعارف، ولاسيما في ميدان الدراسات اللغوية؛ إذ أغنى المكتبة العربية بمؤلفات نفيسة في النحو، من أهمّها كتابه **"النفحة الرندية"** وهو شرح لمنظومة **"التحفة الوردية"**نسبة إلى **ناظمها** الشّاعر ابن الوردي (ت 749هـ).

وتهدف هذه الورقات البحثية إلى إبراز السمات المنهجية التي تميّز بها شرح ابن أبّ المزمّري، وفي طليعتها تبسيط المادة العلمية، واختصار العبارة، ووضوح الشرح بأسلوب تعليمي يتناسب مع متعلمي النّحو المبتدئين، مع توظيف الشواهد والأمثلة التطبيقية تعزيزًا للفهم وتقعيدًا للقواعد.

كما تستعرض الدراسة مصادر محمّد بن أبّ المعتمدة، ومنهجه في تناول القضايا النحوية، وموقع شرحه ضمن مسار الجهود الرامية إلى تقريب النحو وتيسير تعليمه للناشئة.

وتأتي هذه المساهمة في سياق إبراز خصوصية الإنتاج النحوي الجزائري، ودوره في تطوير مناهج الشرح والتعليم، وحفظ اللغة العربية وصيانة هويتها.

الكلمات المفتاحية: محمد بن أبّ المزمّري- النّفحة الرّندية - التّحفة الورديّة - ابن الوردي- شرح المنظومات - المنهج التعليمي – النحو.

1.المقدّمة:

المنظومات النحوية من الوسائل التعليمية التي ابتكرها علماء العربية لتقريب قواعد النحو إلى المتعلّمين، مستفيدين من خصائص الشعر في التلخيص والتيسير وسهولة الحفظ. وقد انتشرت هذه المنظومات في أرجاء العالم الإسلامي، وخصوصًا في المراحل الأولى من التعليم، لما تتيحه من تمثّلٍ للقاعدة النحوية ضمن سياق شعري موجز. بيد أن إيجاز هذه المنظومات كثيرًا ما يُفضي إلى الغموض، ما استدعى الحاجة إلى شروحٍ تُفكّك ألفاظها وتُبسط مقاصدها. وتأتي منظومة التحفة الوردية لابن الوردي (ت 749هـ) في طليعة هذه المتون التي حظيت باهتمام الشارحين، لما تميّزت به من إحكام واختصار. وقد تعدّدت الشروح عليها، وكان من بينها شرح النفحة الرندية لابن أبّ المزمّري التواتي الجزائري، وهو شرح مختصر وُضع لتقريب التحفة إلى المبتدئين، وسلك فيه مؤلفه سبيل التبسيط والوضوح، دون الإخلال بجوهر القاعدة النحوية.

ينطلق هذا البحث من إشكالية محورية: ما السمات المنهجية التي اعتمدها ابن أبّ المزمّري في شرحه على التحفة الورديّة؟ وكيف استطاع الجمع بين وُضوح العبارة ودقة المعنى مع المحافظة على البناء العلمي للنّحو العربي؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، تسعى الدِّراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- التّعريف بالتّحفة الورديّة وشرح النّفحة الرَّنديّة.
- إبراز السِّمات المنهجيَّة اللّغويّة، التّربوية، والتّنظيميّة في الشّرح.
- تحليل أثر هذه السِّمات في تيسير المادة النّحويّة للمتعلّم.
- تقديم نماذج تطبيقية توضّح آليات الشّرح والتعليم.

وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال رصد خصائص الشّرح وتحليل نماذج منه، وربطها بالتّصور التربوي لشرح المتون النحوية المختصرة.

2- الخلفيّة النّظريّة:

1.2- المنظومات النّحويّة وأهميّتها التّعليميّة:

كانَ النَّظم الشّعري في علوم اللغة العربية، ولا سيما في علم النحو، تقليدًا تعليميًا قديمًا وأسلوبًا تربويًا راسخًا، إذ مثّل أداة فعّالة لنقل القواعد النحوية إلى المتعلّمين بأسلوب محبَّب سهل الحفظ. فالمنظومات النّحويّة، وإن تطلبت من الناظم جهدًا كبيرًا ودراية عميقة بعلوم العربية[1]، فإنها صيغت لتقرِّب القاعدة وتسهل استيعابها من خلال أبيات منظومة تجمع بين الفائدة والمتعة.

وقد ظهرت هذه المنظومات منذ القرون الأولى للهجرة، وازدهرت بشكل خاص في القرنين السابع والثامن، حيث أصبحت جزءًا أساسيًا من المناهج التعليمية في المدارس والكتاتيب. فهي تقوم على تلخيص القواعد النحوية وصياغتها في شكل أبيات يسهل استظهارها، مما يجعلها وسيلة تعليمية ناجعة في ترسيخ المعرفة النحوية في أذهان الطلبة.

ومن أشهر هذه المتون: الآجرومية لابن آجروم، ألفية ابن مالك، ملحة الإعراب للحريري، والتّحفة الوردية لابن الوردي. وقد نالت هذه المتون شهرة واسعة، واعتمدها المعلمون في الشرح والتدريس، نظرًا لما تتميز به من وضوح في العبارة، وسلاسة في النظم، ودقّة في عرض القواعد.

2.2- الشُّروح النّحوية ودورها في تفسير المنظومات:

نظرًا لإيجاز هذه المتون، تبرُز الحاجة إلى شُروح تُفسِّر المعاني المبهمَة وتُفصِّل المفاهيم النّحوية المُختصرة، باعتبارها أدوات تعليمية لا غنى عنها لفهم المُتون النّحوية.

يرى حاجي خليفة(ت 1068ه)" أنّ كُلّ مَنْ وضع كتابًا إنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح؛ وإنما احتِيج إلى الشرح لأمور ثلاثة: أولها: إظهار مهارة المُصنّف، فإنه لجودة ذهنه وحُسن عبارته يتكلَّم على معانٍ دقيقة بكلام وجيز، وغيره ليس في مرتبته؛ فيعسرُ عليه فهم بعضها؛ فيحتاج إلى زيادة بسط في العبارة. وثانيها: أن

يُحدث صاحب المتن بعض مقدمات الأقيسة، أو يُهمل ترتيبتها فيغفل عن علل بعض القضايا، فيعمد الشارح إلى ذكر المقدمات المهملة ويبين ما يمكن بيانه في ذلك، ويُرتب القياسات ويعطي علل ما لم يُعطِ المُصنّف. وثالثها: احتمال اللفظ لمعانٍ تأويلية، فيبين الشارح عرض المصنّف وترجيحه"[2].

ومعنى هذا أن الحاجة إلى شرح المصنَّفات لا تعود إلى قصور فيها، بل لأسباب ثلاثة: إظهار مهارة المؤلِّف في التعبير الموجز عن المعاني الدقيقة، وبيان ما أغفله من مقدِّمات أو عِلل في المسائل، وشرح الألفاظ المحتملة لمعانٍ متعددة وتوضيح مراد المؤلِّف منها.

والشّروح نوعان:

- **الشُّروح المطوَّلة:** التي تستفيض في بيان المعاني، تشرح القواعد بمزيد من التفصيل، وتطرح أوجه الخلاف بين العلماء.
- **الشُّروح المختصرة:** التي تراعي الجانب التربوي والاقتصاد في العرض، وتهدف إلى توصيل المعلومة بشكل واضح ومركّز، دون الخوض في التفاصيل أو القضايا الخلافية.

وتعدّ الشروح المختصرة، كشرح النفحة الرندية، من أكثر الأنواع ملاءمة للطلبة في مراحل التأسيس الأولى، حيث تجمع بين التيسير والاحتفاظ بجوهر القاعدة.

وهنا، ينبغي الوقوف عند المفهوم الإجرائي لمصطلح التّيسير، إذ يعرّفه الباحث عبد الرحمن الحاج صالح بأنّه:" تكييف النّحو والصّرف مع المقاييس التي تقتضيها التّربيّة الحديثة عن طريق تبسيط الصّورة التي تُعرض فيها القواعد على المتعلّمين. فعلى هذا ينحصر التيسير في كيفية تعليم النّحو، لا في النّحو ذاته"[3].

ويفهم من هذا الحدّ العملي للتيسير أن يميّز معلّم النحو بين فحوى علم النّحو وطريقة تدريس النّحو، ويتّبع أساليب أكثر فاعلية في تقديم النحو للمتعلمين دون إفراغه من مضمونه الأصيل.

3- التعريف بمتن التحفة الوردية وناظمها:

1.3- منظومة التحفة الورديّة وأهميتها:

هي أرجوزة في النحو والصرف، تعدّ من أبرز المتون التعليمية التي ألّفها ابن الوردي، تتألّف من 153 بيتا شعريّا. وقد جاءت في سياق تيسير القواعد للنشء، على غرار الآجرومية، لكنها اتسمت بجمعها بين الإيجاز والترتيب المنهجي.

2.3- التعريف بناظم التحفة الوردية:

هو أبو حفص عمر بن مظفّر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، زين الدين، المعروف بابن الوردي، المعريّ الحلبي الشافعي، من أبرز أعلام القرن الثامن الهجري، وقد تميز بنسبه الشّريف الذي ينتهي إلى الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وُلد ابن الوردي في معرّة النعمان سنة (691هـ) [4]، في بيت علم وفضل وكرم، وكان لنشأته الصالحة في بيئة علمية أثر بالغ في نبوغه المبكّر وتوجّهه الجادّ نحو التّحصيل، فرحل في طلب العلم، وتلقى علومه على يد كبار مشايخ الشام في عصره، منهم: عبس بن عيسى السرجاوي العليمي (ت 707هـ)، وشهاب الدين أحمد بن محمد المرادي الحنبلي (ت 728هـ)، وهبة الله بن عبد الرحيم البارزي (ت 738هـ)، وغيرهم.

كان ابن الوردي عالما موسوعيا، متميّزا بتنوّع معارفه، وتمكّنه من اللغة والنحو والفقه، والتاريخ، ونُبوغه في الأدب شعرًا ونثرًا، حتى بلغ في ذلك منزلة رفيعة، وجمع بين التأليف والتدريس. وقد تولى التدريس في دمشق، فأقبل عليه الطلبة من داخل الشّام وخارجها ينهلون من معين علمه، وكان من أبرز تلامذته المؤرخ المعروف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ).

كما تولّى منصب القضاء بمنبج في سوريا، والتقى الإمام ابن تيمية، وحضر بعض مجالسه العلمية. وقد توفي ابن الوردي في مدينة حلب بسبب مرض الطاعون، في السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة (749هـ)، وخلّف وراءه إرثًا علميًّا زاخرًا،

امتاز بتنوّع مؤلّفاته وغزارتها، طُبع بعضها، بينما لا يزال البعض الآخر في صورة مخطوطات، ومن أبرز مؤلفاته اللّغويّة[5] نذكر:

- **في النحو:**

- التحفة الوردية :أرجوزة نحوية صرفية في (153) بيتًا، وقد شرحها ابن أبّ في مؤلفه الموسوم بـ"النفحة الرندية في شرح التحفة الوردية – "موضوع هذه الدراسة.
- شرح التحفة الورديّة.
- تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة، وهو شرح لألفية ابن مالك.
- ضوء الدرة على ألفية ابن معطي.
- قصيدة اللباب في علم الإعراب.
- تذكرة الغريب (منظومة).
- اللباب في ملحة الإعراب، وهو شرح على نظم ملحة الإعراب.
- مختصر ملحة الإعراب.

4-التعريف بـ" النفحة الرندية" ومؤلِّفها:

1.4- التّعريف بـ" النّفحة الرّنديّة":

" النفحة الرندية في شرح التحفة الوردية" هو شرح مختصر على منظومة ابن الوردي، ألّفه العالم النّحويّ محمّد بن أبّ المزمّري الجزائري. ويُعد هذا الشرح من الأمثلة الواضحة على المدرسة التربوية الجزائرية في التعامل مع المُتون التعليمية، حيث تم التركيز فيه على اختصار العبارة، ووضوح الشرح دون حشو، وتقديم القاعدة بشكل تدريجي وميسر، وتجنب الخلافات النحوية. ولم يكن هدف الشرح الخوض في تفاصيل الخلاف أو استعراض الآراء، بل تبسيط المادة النحويّة للمتعلمين.

2.4- التّعريف بـ مؤلِّف" النّفحة الرّنديّة" محمد بن أبّ(1094-1160 ه):

هو أبو عبد الله محمد بن أبّ بن أحميد، بن عثمان، بن أبي بكر، المُزَمِّري التواتيّ، وُلد بقرية أولاد الحاج، إحدى القرى التابعة حاليا لبلدية تيمقطن، دائرة أولف، جنوب شرق ولاية أدرار الجزائر.

نشأ محمّد بن أبّ في مسقط رأسه، وبها تلقّى مبادئ تعليمه الأولي، ثم اتّصل بعد ذلك بالشّيخ محمّد الصّالح بن مقداد(ت.ق12ه)، وبعدها انتقل إلى قصر زاوية "كُنته" بمدينة تمنراست، واتّصل بالشّيخ الفقيه عمر بن المصطفى بن عمر الرّقادي (ت.1175ه)، ومكث بالزّاوية طويلا دارسا ومدرِّسا... ثمّ قصد مدينة "تمنطيط"، ثمّ زاوية " تينلان" للتدريس بها طويلا، قبل أن يشدّ رحاله إلى عدّة مدن وأقطار عربيّة وإسلاميّة(مثل مالي، تمبكتو، السودان، المغرب)؛ ليستقر به المطاف أخيرا بمدينة تميمون، وكان طوال كلّ رحلاته داخل الوطن وخارجه حريصا على حُضور حلقات العلماء والاستفادة من علومهم، ما مكنه من تكوين علمي رصين متعدد المشارب، انعكس أثره إيجابا على الحركة العلمية والدينية بالمنطقة، إلى أن وافاه الأجل بتميمون سنة 1160ه[6].

ومن أبرز شيوخه: محمد الصالح بن المقداد، وعمر الكنتي، وأخذ عنهما علم الفقه. وأحمد التوجي، وابن إبراهيم السلجماسي، وأخذ عنهما علم النحو.

ومن أشهر تلاميذه: ابنه ضيف الله(ق12 ه)، وعبد الرحمن بن عمر التنيلاني(ت.1189ه) الذي وصف شيخه ابن أبّ فقال: "حضرت دُروسه في الفقه والنّحو واللّغة والتّفسير، وكان متقنًا مجيدًا فطنًا، يباحث الشُرّاح في مجلسه بأحسن بحث"[7].

لقد خلف ابن أبّ مؤلّفات عديدة متنوعة في اللغة والأدب والفقه، نذكر منها الكتب والمخطوطات اللغوية الآتية:

في النحو والصّرف:

- نظم مقدّمة ابن آجروم(1120ه).

- نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم[8].
- كشف الغموم على مقدّمة ابن آجروم(منظومة ألّفها 1157ه).
- منظومة في أمثلة المتعدّي واللازم من الرّباعي المجرّد.
- روضة النّسرين في مسائل التّمرين (منظومة عرض فيها مسائل التمرين الوارد في شافية ابن الحاجب).
- شرح روضة النّسرين في مسائل التّمرين.
- شرح للمقصور والممدود لابن دريد.
- نظم على معاني بعض حروف الجرّ.
- في إعراب التّسبيح الّذي يقال بعد صلاة التّراويح(قصيدة).
- نيل المراد من لامية ابن المجراد(في نحو الجمل).
- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة(موضوع بحثنا).

في البلاغة والعروض:

- قصيدة في الجناس.
- قصيدة في البديع المقلوب.
- شرح لقصيدة البديع المقلوب.
- مفاتيح البحور(منظومة).
- درر النّحور في فكّ البحور(قصيدة، ألّفها سنة 1116ه).
- أسماء البحور وأوزانها(قصيدة).
- نظم في البحور المهملات ودوائرها.
- أوزان البحور السبعة المهملات(قصيدة).
- روائق الحلل في ذكر ألقاب الزّحاف والعلل (أرجوزة، ألّفها 1126ه).

5- منهج ابن أبَّ في شرح التّحفة الورديّة:

شرح المتون النحوية من أبرز الأساليب التعليمية التي اعتمدها العلماء في تسهيل قواعد اللغة العربية وتقريبها للمتعلمين، وقد برزت في هذا السياق جهود علماء المغرب الإسلامي بوجه خاص، لما اتّسمت به شروحهم من عمق علمي، ووضوح منهجي، وحرص على التبليغ والتعليم. ومن بين هؤلاء العلماء محمد بن أبّ المزمّري الجزائري، الذي قدّم شرحًا نفيسًا على منظومة " التحفة الوردية " لابن الوردي، سمّاه بـ" النفحة الرندية".

ويتميّز هذا الشرح بتنوّع طرائقه التعليمية وتعدّد أدواته المنهجية، حيث جمع بين التبسيط والاختصار، والاستدلال والتحليل، والتأصيل والتمثيل. وقد استند ابن أبّ في شرحه إلى أصول نحوية راسخة، دون أن يُغفل المقاصد التعليمية للمتن، فبرز عمله كمزيج متوازن بين النقل والتحقيق، وبين المحافظة على بنية النظم والانفتاح على آراء النحاة ومذاهبهم.

يندرج هذا البحث ضمن محاولة علمية لرصد " معالم المنهج الذي اعتمده ابن أبّ المزمّري في شرحه"، من خلال تحليل مقدمته، واستقراء بنيته التفسيرية في المتن، ورصد سماته في الخاتمة، مع بيان ما تضمّنه من اختيارات نحوية وتعليلات تعليمية، تعكس رؤيته لعلم النحو وأسلوبه في عرضه وتقريبه.

1.5- منهجه في مقدّمة الشّرح:

استهلّ الشارح كتابه بمقدّمة موجزة، لا تتعدّى الصّفحة الواحدة، لكنها جاءت منسجمة مع التقاليد المنهجية المتّبعة في مؤلفات النحو القديمة، حيث افتتحها بالبسملة، تلتها الصلاة على النبي ﷺ، ثم الحمدلة، وقد صيغت بأسلوب بلاغي يحمل نَفَسًا تعبديّا رفيعًا. وتطرق فيها إلى مضمون الكتاب بعبارة "وبعد"، وهي من العبارات الرائجة في المؤلفات التراثية. ثم عرّف بنفسه بتواضع ظاهر، وصرّح باسمه ونسبه الكامل قائلا: " فيقول العبد الفقير إلى مولاه محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزمّري..." [9]. وأوضح في ختام المقدّمة موضوع كتابه بقوله: "هذا تقييد

مفيد على منظومة الشيخ عمر بن الوردي في النحو، سمّيته بـ " النّفحة الرّندية" في شرح "التحفة الوردية""[10]. وقد أشار إلى غرضه من هذا الشرح، وهو تحقيق النفع، مقرونًا بإخلاص العمل لله تعالى، ما يُبرز البعد الديني والأخلاقي في مشروعه العلمي.

تُبرز هذه المقدّمة اعتماد الشارح منهجًا تقليديًّا يقوم على الوصف والتعليل، ويجمع بين النية التعبدية والهدف التعليمي، ما يضع عمله ضمن سياق المؤلفات النحوية التعليمية في التراث العربي الإسلامي.

2.5- منهجه في متن الشّرح:

اتّبع ابن أبّ المزمّري في متن شرحه على "التحفة الوردية" منهجًا تعليميًا واضحًا، يقوم على شرح المتن بيتا بيتًا، مع تحديد الألفاظ المحورية، وبيان الوظائف الإعرابية، وربط ذلك بالقواعد الكلية للنحو. وقد جمع بين الاختصار والإيضاح، والتعليل والتمثيل، مستندًا إلى شواهد لغوية مدروسة، ومراعياً التدرّج في الطرح. كما حرص على التمييز البصري بين المتن والشرح، وعُني بإبراز المسائل الخلافية دون توسّع جدلي، ما يجعل منهجه أقرب إلى المقاربة التعليمية الميسّرة التي تهدف إلى تقريب النحو وتيسيره للمتعلم.

ويتجلّى هذا المنهج من خلال عدد من العناصر البارزة التي سيُعالجها البحث، كطريقة عرض الأبيات، ونمط الشرح، وأساليب التمثيل والتعليل، وموقع الإعراب في الشرح، ومدى حضور الخلاف النحوي والتوجيه التعليمي.

– التزام ترتيب الأبواب النحويّة المعتمد في النّظم:

سار الشارح محمد بن أبّ المزمري في "النّفحة الرّنديّة" على النهج نفسه الذي التزمه الناظم " ابن الوردي" في منظومته " التحفة الورديّة"، من حيث ترتيب الأبواب النحوية وتدرُّجُها. فقد التزم الترتيب الأصلي لأبواب النظم، التي بلغ عددها اثنين وأربعين (42) بابًا، مثل: باب الكلمات، باب الإعراب، باب المبتدأ والخبر، باب "إنّ" وأخواتها، باب "لا" النافية للجنس، باب "كان" وأخواتها، باب "ما" الحجازية، أفعال المقاربة... وغيرها.

وقد التزم ابن أبّ هذا التدرّج بابًا بابًا، دون أن يُخلّ ببنية النظم أو يُغيّر في ترتيب موضوعاته، وهذا يدلّ على حرصه على شرح التحفة بما يوافق تسلسلها الأصلي، ويُيسّر على المتعلّم الربط بين المتن وشرحه.

- **عرض أبيات النظم وشرحها:**

لا غرو أنّ عرض الأبيات متبوعًا بشرحها التفصيلي من السمات المنهجية الواضحة في شرح ابن أبّ المزمّري؛ إذ يبدأ كلّ باب من أبواب مؤلَّفه بذكر الأبيات المتعلقة به، ثم يشرحها تباعًا، مع إبراز معانيها النّحوية واللغوية، وبيان علاقتها بسياق النظم. ويُرفق شرحه بتعليقات توضّح الإعراب والدّلالة، في إطار منهج يراعي وحدة النصّ ويهدف إلى تبسيط المضمون وتيسيره للمتلقي. ويمتاز هذا الأسلوب بتدرّجه المنطقي الذي يسهم في ترسيخ القواعد في ذهن المتلقّي، ويعكس تصورًا تعليميًا واضحًا لدى الشارح. كما يُبرز حضور البُعد التربوي في الشرح، بوصفه موجّهًا بالأساس إلى طلبة العلم في مراحل التكوين الأولى.

- وضع الكلمة أو الجملة المراد شرحها بين قوسين مكتوبة بخط مائل عريض:

يعتمد الشارح منهجًا واضحًا في تمييز الألفاظ أو العبارات المراد شرحها، حيث يضع الكلمة أو الجملة المستخرجة من البيت الشعري بين قوسين، وبخط مائل عريض أكثر بروزا من الخطّ المستخدم في المتن، وهو ما يُسهّل التفرقة بين النّصّ الأصليّ والشرح المرافق له. وتُعدّ هذه الطريقة منهجًا متّبعًا لديه في جميع الأبواب النحوية.

- إعراب بعض كلمات وتراكيب النظم:

يحرص ابن أبّ المزّمري على تتبّع الألفاظ والتراكيب في منظومة ابن الوردي، فيعرب منها ما يراه ضروريًا لخدمة الهدف التعليمي، معتمدًا في ذلك على موقع الكلمة داخل السياق الشعري. ومن أمثلة ذلك:

- إعرابه كلمة " عُمر" في مطلع التّحفة الورديّة:

قال الفقيرُ عُمرُ ابنُ الورديّ لله شُكري أبداً وحَمدي

فقد بيّن أنّ "(عُمَر) بَدَلٌ من الفقير؛ لأن نعت المعرفة إذا تقدّم عليها أُعرب بحسب العوامل، وأُعربت المعرفة بدلاً، وصار المتبوع تابعاً"[11].

- إعرابه كلمتي " فاءً" و(جوابٌ) في البيت الآتي:

"مَهْمَا" و"إِذْمَا" "أَيْنَ" "مَنْ" ويُعطى "فاءً" جوابٌ لا يصحُّ شرطَا

حيث أوضح أنّ "(ويعطى فاءً) بالنّصب، مفعول " يعطي" الثّاني- (جوابٌ): نائب الفاعل، وهو أوّل مفعولي يُعطى"[12]، في صيغة البناء للمجهول.

إنّ ابن أبّ المزّمري يُعنى بإظهار الجوانب الإعرابية التي تخدم الفهم التعليمي للنص، فيراعي مواطن اللبس أو التقديم والتأخير، ويبيّن وظيفة كل كلمة بحسب السياق النحوي، معتمدًا على قواعد النحو المعروفة.

- ضبط التّعاريف النّحويّة:

أولى ابن أبّ المزّمري اهتمامًا بالغًا بتحديد التّعاريف النّحوية وشرح جلّ المصطلحات الأساسية، ومن ذلك تعريفه الأداة "كمْ" بقوله:"(كم): هذا مبحثها، وهي اسم لعددٍ مُبْهَمِ الجنسِ والمِقْدارِ، وهي على قسمين: استفهامية؛ بمعنى:"أيُّ عددٍ؟"، وخبريّة؛ بمعنى:"عددٌ كثيرٌ". ويَستعْمِلُ الأولى مِمَّنْ يَسْأَلُ عن كمية الشيءِ، ويستَعْمِلُ الثانية مِمَّنْ يُريد الافتخارَ والكَثْرَةَ، وكُلٌّ منهما تفتقرُ إلى تَمييزٍ"[13].

يمثل هذا التعريف نموذجًا دقيقًا لاهتمام ابن أبّ المزّمري بالتمييز الدلالي والوظيفي للأدوات النحوية، حيث لا يكتفي بتقديم التصنيف التقليدي فحسب، بل يوضح الغرض التداولي لكل نوع من أنواع "كم" ويُبرز اشتراكهما في الحاجة إلى وجود تمييز لتحديد المعنى المراد بدقة. وهذا يعكس منهجًا علميًا منهجيًا يسعى إلى ضبط المفاهيم النحوية عبر ربطها بالسياقات التركيبية والدلالية، مما يعزز الفهم النظري والتطبيقي للأداة في اللغة إشارته إلى اشتراك نوعي"كَمْ" في حاجتهما إلى التمييز، وهو تفصيل يدلّ على بُعد تعليمي ومنهجي في العرض.

- **توظيف الأمثلة المختارة لإيضاح القاعدة النّحويّة:**

يعتمد ابن أبّ المزّمري في شرحه التمثيل التوضيحي من خلال أمثلة مختارة بعناية، بعيدة عن التّعقيد، سواء كانت من إبداعه أو منقولة عن شرّاح آخرين أو مستمدّة من كُتب تعليمية، ويهدف من خلال هذا التّوظيف إلى إيضاح القاعدة النّحوية وتيسير فهمها للمتعلم، بدلا من الاقتصار على الشّواهد المعهودة من القرآن الكريم أو الحديث النبوي أو الشّعر العربي.

ونموذج ذلك ما وجدناه في باب "لا" النافية للجنس، عند شرحه قول الناظم:

اِنْصِبْ لِنَفْيِ الجِنْسِ منكورا بـ"لاَ" مُضَافًا اَوْ شَبِيهَهُ متّصلا

فبعد أن شرح قوله: "(منكّرا) أي: اسمًا نكرة، (مضافًا) إلى نكرة"[14]، مثّل لذلك بجملة: "لا صاحبَ برٍّ ممقوتٌ".

ثم انتقل إلى شرح ما تبقّى في عجز البيت قائلا:"(أو شبيهَهُ): وهو الذي ما بعده من تمامه، ويُسمّى " مطوّلا " أو "ممطولا"، أي " ممدودًا"[15]، ومثّل له بجملة: " لاَ قبيحًا فِعْلُهُ مَحْمُودٌ "، مستغنيا بذلك عن الاستشهاد بشاهد ذي مصدر معروف.

والملاحظ أنّ هذين المثالين قد نقلهما محمّد ابن أبّ عن ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين (ت686 ه) في شرحه على ألفية ابن مالك"[16].

- **الإحالة النّصّية على مصادرومراجع الأبواب النحويّة:**

يتّسم شرح محمّد بن أُبّ على " التحفة الوردية" بمنهج علمي رصين في التوثيق والاستدلال، يقوم على الإحالة النصّية المباشرة إلى المصادر النحوية التعليمية من جهة، والتضمين النصّي غير المباشر لكتب نحويّة راسخة في الوسط التعليمي من جهة أخرى. ويُبرز هذا المنهج اتّساع أفق الشارح ووعيه بأهمية التوثيق ودقّة النقل، فضلاً عن التزامه بضوابط التأصيل العلمي في عرض المسائل النحوية. وقد أسهمت هذه الإحالات، بنوعها، في تدعيم الشرح وتوثيقه، كما أتاحَت للمتعلّم فرصًا أوسع

للاطلاع على المدوّنة النحوية التراثية، ومكّنته من التعرّف إلى اتجاهات متنوّعة في معالجة القضايا النّحويّة.

أ-الإحالة النّصّيّة المباشرة:

تظهر هذه الإحالات في مواضع متعدّدة من الشّرح، حيث يستعين ابن أبّ بكتب معروفة كمراجع؛ لتعزيز شرحه وتوثيق معالجاته النحوية، معتمدًا في ذلك على مصادر تعليمية وتأصيلية تُعدّ من الركائز في الدرس النحوي العربي. ومن أمثلة ذلك:

- الإحالة على مطالع المسرّات بجلاء دلائل الخيرات، لمحمد المهدي الفاسي (ت1052ه)؛ وذلك عند شرح مطلع النظم:

قال الفقيرُ عمرُ ابنُ الوردي * لله شكري أبدا وحمدي

يُفصّل ابن أبّ في بيان معنى "الشكر"، ويستعين في ذلك بما نقله من كتاب "مطالع المسرّات"، حيث يقول" الشّكر هو فرح القلب بالمنعم لأجل نعمته، حتى يتعدّى ذلك إلى الجوارح؛ فينطق اللسان بالثناء، وتسخّر الأعضاء بالعمل وترك المخالفة"[17].

وهذا التعريف العميق للشكر يتجاوز الدلالة المعجمية إلى البعد الرّوحي والسلوكي، وهو ما يبيّن اهتمام ابن أبّ بدمج الثقافة الصوفية أو التربوية ضمن شرحه النحوي، ويمنح المتعلم أفقًا معرفيًّا أوسع، ويعطي الشرح طابعًا تكامليًّا بين اللفظ والمعنى.

- الإحالة على "المطالع السّعيدة في شرح الفريدة، لجلال الدّين السيوطي (ت911ه)"؛ في معرض شرح البيت:

وبعدُ؛ فالجاهلُ بالنحو احتُقِرْ * إذْ كلُّ علمٍ فإليه يفتقرْ

إذ توقّف ابن أبّ عند شرح كلمة "يفتقر"، فقال:"(يفتقرْ)؛ أي: فيحتاج، قال السّيوطي– رحمه الله – في شرح ألفيته:" قد اتّفق العلماء على أنّ النّحو محتاج إليه في كلّ فنّ من فنون العلم. انتهى"[18].

وقد تبيّن للباحث بعد البحث أن هذه العبارة لا وجود لها في كتاب" المباهج البهية في شرح الألفية"، بل وردت في كتاب " المطالع السعيدة في شرح الفريدة"، وهو ما يدلّ على اطلاع ابن أبّ على شروح السيوطي المختلفة، وليس على الألفية فقط، وعلى أمانته في النقل من مصدره الحقيقي على الرغم ممّا قد يُوهم به السياق.

- الإحالة على مخطوط "الدُّرر المُضِيَّة في شرح الآجروميّة"، لنور الدِّين أبي الحسن علي المنوفي (ت939هـ)، وذلك عند شرح قول الناظم:

وَ"رُبَّ" صُدِّرَتْ وَجَرَّتْ نَكِرَه * وَبَعْدَ "بَلْط وَ"الْوَاو" و"الفا" مُضْمَرَه

يتوقّف ابن أبّ عند أحد حروف الجر، وهو "رُبَّ"، ويشير إلى قاعدة مهمّة في تصديرها، نقلاً عن شرح نور الدين المنوفي على الآجرومية – دون أن يذكر مؤلّفه بالاسم- الموسوم بالدُّرر المُضيّة، حيث قال: (وَ"رُبَّ" صُدِّرَتْ، قال في "الدُّرَر المُضِيَّة": " ويلزم تصدير "رُبَّ"، فلا تتعلّق إلا بما تأخّر عنها، فموضع المجرور بها نَصْبٌ؛ كما يكون موضع المجرور في قولك: "بِزَيدٍ مررتُ"...)[19]. ثم يستعرض وظيفة "رُبَّ" من حيث دلالتها على التكثير أو التقليل.

وتكشف هذه الإحالة عن سعة اطّلاع ابن أبّ على الشّروح النّحويّة المختصة، لاسيما تلك التي تتناول المبادئ التأسيسية في النحو كشرح الآجرومية، وقدرته على توظيف هذه المعارف في توضيح المعاني التركيبية والوظيفية للّغة، وربط القواعد بالمأثور النّحوي القديم.

- الإحالة على مؤلّف "ملحة الإعراب" أبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت516هـ)، في معرض شرح البيت:

" أَتَوْهُ سَالِمِينَ"، " سَايِلْ وانْتَهِمْ " * " سَأَلْتُمُونِيهَا " تُزادُ في الكَلِمْ

تناول ابن أبّ في هذا الموضع حروف الزيادة في اللغة العربية، وهي عشرة أحرف جمعها النحاة في تراكيب مسجوعة لتيسير حفظها.

وقد أورد الناظم ثلاثة تراكيب تتضمّن هذه الحروف، وعلّق عليها ابن أبّ بقوله[20]:

– (" أَتَوْهُ سَائِلِين"): تركيب من وضع الناظم نفسه(ابن الوردي).

- (" سَايلْ – بالياء – وَانْتَهِمْ "): وهو تركيب من نظم "الحريري"، دون أن يذكر عنوان مؤلَّفه، لكنّه معروف بأنه مأخوذ من " ملحة الإعراب"، وهي منظومة تعليمية شهيرة في النّحو.

– ("سَأَلْتُمُونِيهَا"): وهو مثال شائع في كُتب النّحو، يجمع أيضًا حروف الزيادة.

ويُلاحظ أن ابن أبّ أحال إلى المؤلّف فقط (الحريري) دون تسمية كتابه، ربما لاشتهار منظومته في الأوساط التعليمية النّحويّة، حيث كان مؤلَّفَه "ملحة الإعراب" من المُتون المعتمدة للتعليم في مراحل مبكّرة. ويُحتمل أيضًا أنه تعامل مع هذا المثال على أساس أنّه من الثقافة النحوية العامة التي لا يُشترط فيها التوثيق الدقيق.

وتُظهر هذه الإحالة جزئية مهمّة في منهجه؛ وهي أنه كان يميّز بين ما يحتاج إلى توثيق تفصيلي(كالنقول ذات الطابع المفهومي أو الخلافي)، وبين ما هو من قبيل الأمثلة التداولية أو التعليمية الشائعة، فيُوجز في إحالتها. وهذا يُبرز وعيه بمستوى المتعلم، وقدرته على التمييز بين المواضع التي تتطلب توسعًا توثيقيًّا وتلك التي لا تتطلبه.

– الإحالة على مؤلِّف "شرح شافية ابن الحاجب" رضيّ الدين الإستراباذي (ت686هـ)، وذلك حين شرح البيت:

واخْتِمْ مُؤَنَّثًا ثُلاثيًّا أمِنْ * لَبْسًا بـ" تَا " إذا خَلا منها كـ" سِنْ "

حيث عالج ابن أبّ في هذا الموضع موضوع زيادة تاء التأنيث في تصغير بعض الأسماء الثلاثية المؤنثة التي تخلو من التاء في صورتها الأصلية. وقد شرح القاعدة بوضوح، فقال:

"(واخْتِمْ) اسما (مُؤَنَّثًا ثُلاثيًّا) في الحال؛ كـ"دار"، أو في الأصل كـ"يد"...

(أمِنْ لَبْسًا بـ" تَا "): متعلّق بـ"اخْتِم".

(إذا خَلا مِنْها) أي: من " التّاء"، لفظا؛ كـ " سِنْ "، فتقول في تصغيره: " سُنَيْنَة"، وفي تصغير "دار"؛ " دُوَيْرَة "، وفي تصغير "يد"؛ " يُدَيَّة ".

ثمّ استطرد في بيان الحكمة من زيادة "التاء" في مثل هذه الأسماء عند التصغير، فيحيل على قول رضيّ الدين الإستراباذي في شرح شافية ابن الحاجب، حيث قال:

فإنْ خيف اللّبس لم تلحقه" التّاء"؛ فتقول في نحو"شجر" و"بقر" من أسماء الأجناس:" شُجير" و" بقير"، لئلا يلتبسا بالمفرد، وفي نحو " خمس" و"ستّ" من أسماء العدد المؤنّث؛ " خُمَيس"، و" سُدَيْس"، لئلا يلتبسا بالمذكّر"[21].

وقد أورد ابن أبّ هذا النقل في سياق شرحه؛ لتأكيد أنّ زيادة التاء ليست عشوائية، بل مرتبطة بالوظيفة الدلالية، وتهدف إلى إزالة اللبس بين الجمع والمفرد، أو بين المؤنث والمذكر.

ويُلاحظ أن الإحالة جاءت إلى المؤلِّف فقط (رضي الدِّين الإستراباذي) دُون ذِكر لعنوان كتابه، وهو ما يتماشى مع منهج ابن أبّ في الاعتماد على كتب النحو والصرف التخصصية، لاسيما تلك التي تُعدّ مراجع للمتمكّنين، واهتمامه بتأصيل الأحكام النحوية والصرفية من مصادرها العليا، وعدم الاكتفاء بالمُتون التعليمية. كما تدلّ على حرصه على تعليل القواعد النحوية تعليلًا دلاليًّا وسياقيًّا، وهو جانب يُغفله بعض الشُّراح.

- الإحالة على مؤلّف "شرح المفصّل للزّمخشري" موفق الدين أبي البقاء ابن يعيش(ت623هـ)، حين شرح قول الناظم:

ويرفعون المبتدأ والخبرا وما له صدرُ الكلام صُدِّرا

إذ توقّف ابن أبّ عند مسألة العامل في الخبر في الجملة الاسمية، وهي من المسائل النحوية التي دار فيها خلاف بين النحاة. وقد نقلَ في هذا الموضع رأياً دقيقاً لأحد شُرّاح "المفصَّل للزّمخشري"، أورده موفّق الدّين أبو البقاء ابن يعيش: " الذي

أراه أنَّ العامل في الخبر هو الابتداء وحده، كما كان عاملاً في المبتدأ، إلا أنَّ عمله في المبتدأ بلا واسطة، وعمله في الخبر بواسطة المبتدأ، فالابتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ، وإن لم يكن للمبتدأ أثَرٌ في العمل، إلا أنه كالشرط في عمله، كما لو وضعت ماءً في قدرٍ ووضعتها على النار، فإنَّ النار تُسَخِّنُ الماء، فالتسخين حصل بالنار عند وجود القدر، لا بها، فكذلك هنا"[22].

وقد مثّل ابن يعيش لذلك بالجملتين:" اللَّهُ رَبُّنَا" وَ "مُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيُّنَا"، تأكيدًا على أنّ العامل الحقيقي في الخبر هو الابتداء لا غير. ويُلاحظ أن ابن أبّ نقل هذا النّصّ كما هو، دُون التّعليق عليه مباشرة، وهذا يدلّ على تسليمه بالدّقّة التّحليليّة التي بلغها هذا الشارح، وكذلك على ثقته بالمصادر التخصّصية الأصيلة، وعلى درايته بمواضع الاستشهاد الدقيقة داخل المُتون الكبرى.

ب- التضمين النّصّي وتوثيق الإحالات غير المباشرة:

من الظواهر المنهجية الدقيقة التي برزت في شرح ابن أبّ على "التحفة الوردية" ما يمكن تسميته بـ"التضمين النصي"، أي: إدراج الشارح نصوصًا من متون نحويّة مشهورة ضمن شرحه، دون أن يُحيل إليها صراحةً باسم المؤلّف أو عنوان المصدر. وتُعدّ هذه الممارسة شكلاً من التوثيق غير المباشر، الذي يستند إلى شُيوع المتن في الوسط التعليمي، ويُعوّل فيه الشارح على أن القارئ – طالب العلم غالبًا – يُدرك مصدر الكلام ولو لم يُذكر.

ومن ذلك ما ورد في شرح ابن أبّ عند حديثه عن نون التوكيد:

..... * ..... أو كان أمرا كـ " اعلم "

إنْ كان قابلا لنـون أكّدت * .....

إذ أورد ابن أبّ بيتا من ألفيّة ابن مالك، حيث قال:

" (أو كان أمرا كـ) قولك: " اعلم"... إنْ كان قابلا لنون أكّدت) – بالبناء للفاعل- يعني:" نون التّوكيد"؛ الثّقيلة نحو: "اعلمَنَّ"، والخفيفة نحو:"اعْلَمَنْ".

والأمر إنْ لَمْ يَكُ لِ" النُّونِ" محلّ * فيه هو اسم نحو " صَهْ" وَ"حَيَّهَلْ "[23].

هذا البيت من أحد المتون النحوية الأساسية التي تُدرّس في باب(الكلام وما يتألّف منه)، وتحديدا في توكيد فعل الأمر بالنون، وقد أورده ابن أبّ دون أن ينسبه إلى ابن مالك أو يذكر أنّه من "الخلاصة في النحو"، وهو ما يدل على استبطان المتون النحوية في ذاكرة الشارح، وشيوع "الخلاصة" لابن مالك وذيوعها في الوسط التعليمي بشكل لا يحتاج معه إلى توثيق صريح، فضلا عن اعتماد التّضمين بدل الإحالة كوسيلة من وسائل دعم الشرح وتوسيع دلالته.

إنّ التضمين النصّي في هذا السياق، لا يُعدّ خللاً توثيقيًا، بل هو سمة من سمات الكتابة العلميّة التّقليديّة، خاصة في المؤلفات التعليميّة، حيث يدل على ثقة الشّارح بوعي القارئ وافتراض إلمامه بالمتون المقرّرة كألفية ابن مالك، ويُحقق تكثيفًا معرفيًا بتوظيف الشّارح بيتا موجزا محكما يُغني عن الشرح المطوّل للقاعدة. كما يُسهم في ربط الشرح بالمتن المرجعي دون الحاجة إلى الهوامش، ويعزّز موثوقيته باستناده إلى قواعد راسخة في أمّات المتون.

- الاختصار والإيجاز:

إنّ القراءة الدقيقة لشرح ابن الوردي على تحفته، ومقارنته بشرح ابن أبّ المزمّري، تكشف عن قدرٍ كبير من التماثل، وربما التطابق، في عدد من الأمثلة والشواهد، ما يدعم القول بأنّ شرح المزمّري لا يعدو أن يكون اختصارًا لشرح ابن الوردي نفسه. بل إنّ ابن أبّ يصرّح في مواضع عديدة باعتماده عليه، حيث يقول على سبيل المثال: « قال الناظم في شرحه:" وقولي: «لا شبه زائد» تنبيه على توهين قول من يختار ما أشبه الزائد وإن لم يكن زائداً؛ فيقول في "جُحمَرِش" : "جُحيرِش"؛ لأنّ "الميم" من الحروف الزوائد في غيره" انتهى. ثم قال المزّمري: وربّ البيت أعلم بما فيه.

ويُفهم من هذا التّعليق أنّ ابن أبّ قد وقف على شرح ابن الوردي ووعاه، بل صار كمن أطلع على مقاصد الناظم ومآربه، فلا يميل في تفسيره ذات اليمين أو الشمال،

بل يلتزم ما أراده الشارح الأصلي ونواه. وشرح ابن الوردي لتحفته سمته الاختصار المفرط، وقد صرّح ابن أبّ نفسه بذلك حين قال معلّقا على فعل المدح " حبّذا": " لكنَّ المختار أنَّ فاعل "حبّ" هو " ذا"، وإنّما لم يُنَبِّه الناظم عليه لما أُولِعَ به من فَرْطِ الاختصار في منظومته هذه –كما ترى.–"[24].

وقد عمد ابن أبّ إلى تلخيص الشرح المختصر ومزجه بنظم ابن الوردي، محاكياً عباراته وأمثلته في غير موضع، مع حذف ما رأى أنه لا يناسب المقام أو لا يخدم غرضه في الاختصار. وحرص على تجنّب الإطناب، فجاء شرحه موجزًا مختصرًا، وقد صرّح بذلك في عدد من الأبواب النحوية، منها في باب الإعراب:"(المعرب) شيئان: أحدهما (اسم متمكّن) في الاسمية؛ وهو الذي سَلِمَ من شَبَهِ الحرف. وثانيهما (ما ضارعه)، أي: الفعل الذي ضارع الاسم المتمكن، أي: شابهه فيما هو مبيَّنٌ في غير هذا المختصر"[25].

- تيسير الخطاب النحوي ووضوحه في الشّرح:

من أبرز السمات التعليمية التي اتّصف بها هذا الشرح سهولة العبارة ووضوحها، فقد حرص الشارح على استخدام تراكيب وألفاظ واضحة، خالية من التعقيد، تيسّر على القارئ – لا سيما المبتدئ – فهم المقصود دون الحاجة الملحّة إلى الرجوع إلى المعاجم أو التفاسير المتخصصة، إلا في حالات نادرة. وقد كان الشارح يتنبّه إلى مواضع الغموض أو الغرابة في بعض الكلمات، فيبادر إلى توضيحها، وذلك عن طريق شرح معناها، أو باستعمال ألفاظ تفسيرية مألوفة، أو اللجوء إلى الضبط بالحروف لرفع أي التباس، وذلك في عدة مسائل نحويّة قد تعرّض لها ، منها:

- مسألة اقتران خبر الفعل (كاد) بـ"أن"، إذ استشهد بقول الشّاعر:

فما اجتمعَ الهِلباجُ في بطنِ حُرَّة معَ التَّمرِ إلاّ كادَ أنْ يتكلَّما

ثم بيَّن معنى كلمة (الهلباجُ)، فقال: الهِلباجُ - بالكسر: اللّبن الخاثِر[26].

- وعند شرح قول الناظم:

فاغْنَ بهذي "التُّحْفَةِ الوَرْدِيَّةِ" في مائةٍ ونِصْفِها مَحْوِيَّةِ

قال ابن أبّ: "التُّحْفَة، أي: العطيّة، وهي بضمّ التاء، مع سكون الحاء وفتحها"[27].

وينمّ هذا الأسلوب عن وعي تربوي وتعليمي، يُظهر إدراك الشارح لحاجات الفئة المستهدفة، وهم غالبًا من المتعلمين المبتدئين. ولذلك جاءت عباراته محكمة من حيث سلامة التركيب ووضوح الدلالة، بما ينسجم مع هدفه في خدمة المتعلم وتمكينه من استيعاب القواعد النحوية بأسلوب سهل ومباشر.

- توظيف الأصول النّحويّة والقواعد الكلّيّة:

يتّسم شرح ابن أبّ المزمّري على التّحفة الورديّة باستحضار واضح للقواعد الكلية وأصول النحو، وهو ما يدلّ على تمسّكه بالمنهج الأصولي في عرض المسائل النحوية. ويظهر ذلك من خلال استعماله المتكرّر لعبارات تشير إلى "الأصل"، في سياق تقرير الأحكام أو تقييدها، ومن ذلك:

- **في باب "ما لا ينصرف"**، حين تناول إعراب الاسم المنصرف وغير المنصرف، قال: "أمّا رفعه ونصبه فبالضّمّ والفتح؛ على الأصل"[28]، مشيرًا بذلك إلى أن رفع الاسم ونصبه على ما هو مألوف في المعربات، أمّا جرّه بالفتحة – في حالة عدم انصرافه – فهو خارج عن هذا الأصل.
- **وفي باب المبتدأ والخبر**، قرّر القاعدة المعهودة نحويّا التي تنظّم الترتيب التركيبي لعنصري الجملة الاسميّة، قائلا: " الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر"[29].
- **وفي باب الإعراب**، عند شرحه بيت الناظم:

فَارْفَعْ بِضَمٍّ وَانْصِبَنْ فَتْحًا وَجُرْ بِكَسْرَةٍ وَاجْزِمْ سُكُونًا كَ" لَيْزُرْ".

قال ابن أبّ المزمّري موضّحا:"(فارْفَعْ بِضَمٍّ، وانْصِبَنْ فَتْحًا)- أي: بِفَتْحٍ- (وَجُرْ بِكَسْرَةٍ وَاجْزِمْ سُكُونًا)- أي: بسكونٍ- أصالةً في الجميع؛ لأنَّ الأصلَ في الرفعِ والنّصبِ والجرِّ والجزمِ أن يكون بالضمةِ والفتحةِ والكسرةِ والسّكونِ"[30].

وهذا التوكيد على "الأصالة" في العلامات الإعرابية يُعدّ تلميحًا مباشرًا إلى أن ما يخالفها هو فرع أو شاذّ أو مقيس على غيره، وهو ما يعكس التزام الشّارح بمنهج يميّز بين الأصول النّحويّة والمواضع الخارجة عنها.

- إيراد التّعليل في شرح الأحكام النّحويّة:

يعتمد ابن أبّ المزّمري في شرحه تُحفة ابن الوردي على أسلوب التعليل؛ لتوضيح الأحكام النحوية وتثبيتها في ذهن المتلقي. ومن أمثلة ذلك ما أورده في مسألة حذف حرف النداء، حيث بيّن عدم جواز حذفه في بعض المواضع معلّلا ذلك بقوله: "... ولا يجوز حذفه من المستغاث ولا المنْدوب؛ لأنّهما يُطلب فيهما مَدُّ الصوت، والحذف يُنافيه. ولا اسمُ الجلالة إذا لم يُعَوَّض في آخره "ميمًا" مشدّدة. ولا الضمير المخاطب؛ لأنّ الحذف معه يُفَوِّتُ الدّلالة على النّداء".

هذا الأسلوب يُبرز عناية الشّارح بالجانب التعليمي، ويُسهِم في ترسيخ القاعدة من خلال بيان علّتها، لا الاكتفاء بسردها مجرَّدة.

- الاهتمام بلغات العرب ونسبتها إلى قبائلها:

أولى ابن أبّ المزمّري في شرحه على التحفة الوردية اهتمامًا خاصًّا بلغات العرب المتعددة، وظهر ذلك بجلاء في تتبّعه للّغات الواردة في بعض المصطلحات النحوية والكلمات المستخدمة في المتن، حيث عرضها بدقة وحرص على ضبطها وتوثيقها :

- في باب "إنّ وأخواتها"، إذ بعد ذكر قول الناظم :

لِـ"إِنَّ"، "أَنَّ"، "لَيْتَ"، "لَكِنَّ"، "لَعَلَّ" "كَأَنَّ" نَصْبٌ ثُمَّ رَفْعٌ، وَلْيَقُلْ

" لَعلَّ" " علَّ " وَ" لَعَنَّ" " عَنَّا " " لَغَنَّ " " غَنَّ " و" لَأَنَّ" " أَنَّ"

"رَعَنَّ" مَعْ " رَغَنَّ " تِلْكَ عَشْرُو .....

أورد ابن أبّ المزمّري في تعقيبه سردًا لِلُّغات الواردة في "لعلّ"، فقال:" (وليقل) في لغات " لَعَلَّ": عَلَّ، ولعنَّ،

وعَنَّ، ولعنَّ، وغَنَّ، ولَأنَّ، وأَنَّ... رَعَنَّ مع رغنَّ" (تلك) لغات (عَشْرو) في " لعلَّ "[31]، مبيّنًا أنها عشر لغات تدور كلها على معنى "لعلّ".

ومن أبرز المواضع التي يتّضح فيها هذا النهج ما يلي:

- في باب "أفعال المقاربة "، الّذي ورد فيه قول النّاظم:

يُرَجَّحُ اقترانُ "أوشكت"، "عَسَى" بـ"أنْ"، وفي "كادَ"، "كَرَبْتُ" عُكِسَا

وَإِنْ تَلِ الأَوَّلَتَانِ مُظْهَرَا جَرِّدْهُمَا أَوْ بِهِمَا ارْفَعْ مُضْمَرَا

بيّن ابن أبّ مراده في البيت الثاني بقوله:"(وإن تَلِ) الكلمتان (الأَوَّلَتانِ)، انظر هذه اللفظة – يعني: "أوشك" و"عسى"– اسماً (مُظْهَرًا جَرِّدْهُمَا)، أي: فجرّدْهُما من الضمير العائد عليه، واجعلهما مستندتين إلى "أن يفعل"، مُكتفىً به.

(أو بهما ارفع مضمَرا) يكون هو الاسم، و(أن يفعل) هو الخبر.

فقل على التجريد – وهو لغة الحجاز –: "الزيدان عسى – أو: أوشكا – أن يقوما"، و"الزيدون عسى – أو: أوشكوا – أن يقوموا".

وعلى الإضمار – وهو لغة تميم –: " الزيدان عَسَيَا – أو: أوشكا – أن يقوما"، و"الزيدون عَسَوْا – أو: أوشكوا – أن يقوموا"[32].

- في باب " حروف الجرّ" ذكر ضمنها " لعلَّ " و" متى"، وقال: " و(لعلَّ)- في لغة بني عُقيل. قال شاعرهم:

..... لعلَّ أبي المغوارِ مِنْكَ قَرِيب

و(متى)- في لغة هُذَيل-؛ بمعنى: "مِنْ"؛ كقولهم: "أخرجَها متى كُمِّهِ"؛ أي: منه"[33].

يظهر في شرح ابن أُبَّ المزمّري نمطٌ مزدوج في التّعامل مع لغات العرب: ففي بعض المواضع يسرد اللغات المرتبطة بكلمة دون الإشارة إلى القبائل، بينما في مواضع أخرى (مثل "عسى" و"لعلّ" و"متى") ينسبها صراحة إلى قبائل مثل بني عقيل وهذيل، أو إلى لغتين معروفتين مثل لغة الحجاز ولغة تميم. هذا المزيج بين التذكير التناظري

للغات من دون نسبة، والتوثيق القبلي حين يكون واضحًا، يعكس منهجًا علميًا واعيًا يغلب فيه التنوع اللغوي كعنصر مفسِّر، دون الانحصار بلغة شائعة واحدة فحسب.

- اتجاه ابن أبّ المصطلحي في شرحه وموقفه من مذاهب النّحاة وآرائهم:

يعكس شرح ابن أبّ المزمري على منظومة "التحفة الوردية" توجهًا اصطلاحيًا منفتحًا يميل إلى مصطلحات المدرسة البصرية، مع استمرار استخدام مصطلحات كوفية في مواضع معينة، وهذا يدل على وعي اصطلاحي مرن بعيد عن التعصب. ويتعدى اهتمامه الجانب الاصطلاحي إلى موقف موضوعي من المذاهب النحوية، حيث يعرض آراء المدارس البصرية والكوفية بإنصاف، ويرجح أو يضعف أقوالا بناءً على الدليل، وهذا مؤشّر على استقلاليته الفكرية وقدرته على التحليل العلمي المتوازن.

إنّ منهج الشّارح يجمع بين الدقة الاصطلاحية، والحياد المنهجي، والجرأة النقدية؛ ليصوغ شرحًا تحليليًا نقديًا يتجاوز النقل الحرفي، مع توظيف مناسب للمصطلحات بحسب السياق العلمي دون التقيد بالمذهب.

ومن أبرز المصطلحات الكوفية التي وظّفها ابن أبّ المزمري في "النفحة الرندية" نجد:

- **النّعت:** ويُقابله عند البصريين مصطلح " الصّفة"، قال ابن أبَّ:" فالنّعت؛ ويُراد به الوصف والصّفة"[34].
- **" لا " التبرئة":** هو ما يُعرف في اصطلاح البصريين بـ"لا النافية للجنس"، وقد ورد في شرحه قول الناظم: "لا" التي لنفي الجنس... " أي: هذا مبحثها، وتسمّى"لا" التبرئة"[35].
- **ما لم يُسمَّ فاعله:** هو مقابل "نائب الفاعل" في المصطلح البصري. وقد قال ابن أبّ في بيانه صيغة البناء للمجهول: " لفعل ما لم يُسمَّ فاعله؛ نحو: فُعِل... يُفْعَل" – بضمّ الأوّل فيهما مع كسر ما قبل الآخر في الماضي، وفتحه في المضارع؛ كـ" ضُرِبَ"، " يُضْرَبُ "[36].

- **نزع الخافض:** وهو مصطلح يُرادف ما يعرف عند البصريين بـ"الحذف والإيصال"، وقد استعمله في أثناء شرحه عبارة الناظم (ما استثنت "إلا" موجَبًا)، حيث قال: " منصوب بنزع الخافض، أي: مِنْ مُوجَبِ، أي: كلامٍ مُوجَبٍ – بفتح الجيم؛ أي: مُثبت لم يتقدَّمه نفي ولا شبهه؛ من نهي أو استفهام"[37].

إنّ استخدام ابن أبّ هذه المصطلحات الكوفية في شرحه لا يُعدّ تراجعًا منه عن المنهج البصري، بل يدل على انفتاحه المنهجي وقدرته على توظيف المصطلح المناسب بحسب المقام العلمي.

أمّا في ما يتعلق بموقفه من الخلافات المذهبية النحوية، فقد اتسم شرح ابن أبّ المزمري في "التحفة الوردية" بالاعتدال والموضوعية، إذ لم ينتصر لمذهب نحوي معين، وإنما كان يعرض آراء المدرستين البصرية والكوفية بتوازن، ويرجح قولا دون آخر بناءً على الدليل والحجة.

ومن أبرز الأمثلة على تأييده بعض مواقف المذهب البصري:

- قوله بأصالة المصدر في الاشتقاق، أي أنّ المصدر أصلٌ للفعل، حيث علّق على قول الناظم:

وتنصبُ المصدر وَهْوَ الأصلي بالفعل أو بالوصف أو بالمِثْلِ

بقوله:"(وتنصبُ المصدر- وَهْوَ الأصلي) بالنّسبة إلى اشتقاق الفعل والوصف منه على الصّحيح، وهو مذهب أكثر البصريين"[38]، مشيرًا بذلك إلى أن المصدر هو الأصل من حيث الاشتقاق.

- قوله إن المصدر الظاهر إذا ورد علّة لحدث، أي لفعل، فإنه يُنصب بالفعل مع تقدير حرف العلّة، على اعتباره مفعولا لأجله[39].

في موضع آخر، كان ابن أبّ المزمري ينقل آراء المذهبين دون ترجيح دائم، كما في شرحه لعمل "ما" الحجازية في عمل "ليس"، حيث يشترط ألا تليها "إنْ" الزائدة، ويشرح بيت الناظم:

وفي الحجاز "ما " كـ " ليس" مع بقا نفي وترتيب بلا " إنْ " مُطْلقَا

قائلا: "(بلا " إنْ ") سواء جعلنا " إنْ " بعد " ما " زائدة كافّة – كما عند البصريين – أو نافية مؤكّدة – كما عند الكوفيين. وهذا معنى قوله: (مُطلقا)..."[40].

ويتبيّن من هذا الطرح أن ابن أبّ المزْمِري عرض الأقوال النحوية عرضًا متوازنًا، وحرص على الإنصاف العلمي دون الميل إلى أحد المذهبين إلا بدليل، وهو ما يكشف عن منهج تحليلي منضبط يتجاوز التعصّب المذهبي إلى الاستناد إلى قوة الحجة وصحة المسلك العلمي.

كما كان ابن أبّ المزمري لا يكتفي بنقل آراء العلماء فحسب، بل يتجرأ على نقدها وتصويبها. ومن الأمثلة على ذلك نقده لرأي الأخفش في باب التصغير عند شرحه قول الناظم:

وفي الخماسي حذفُ خَامِسٍ قُبِلْ لا شِبْهَ زَائِدٍ وَجَا " سُفَيْرِجَلْ "

فقد نقل قول الأخفش في تصغير "سفرجل"، ثمّ ضعّف مذهبه فقال: "(وَجَا "سُفَيْرِجَلْ")، وروى الأخفش: "سُفَيْرِجَل" من غير حذف، وهو ضعيف"[41].

هذه النقد يُظهر جرأته العلمية وقدرته على التصويب البناء، تأكيد لاستقلاليته الفكرية وتميزه بمنهج تحليلي دقيق يقوم على استقراء الأدلة وتقييم الآراء، وليس مجرد النقل أو التقليد.

- موقف ابن أبَّ المُزْمِري من السَّماع في الدرس النحوي:

يُعَدّ السّماع من أهمّ الأسس التي بُني عليها النحو العربي منذ نشأته، إذ هو الوسيلة التي حفظت لنا صفاء اللغة وفصاحتها كما نطق بها العرب الأقحاح، قبل أن تختلط الألسنة وتفشو العجمة. وهو المصدر الأساس الذي اعتمد عليه النحاة في استنباط القواعد وتقعيد اللغة.

ويُقصد بالسّماع: "ما ثبت من كلام مَن يُوثَقُ بفصاحته، فيشمل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم، وكلام نبيّه محمد ﷺ ، وكلام العرب الفصحاء قبل بعثته، وفي

زمنه، وبعده إلى أن فَسدت الألسنة بكثرة المولَّدين، نظماً ونثراً"[42]. فهذه الأنواع الثلاثة – كما أشار إليها السيوطي – لا بُدّ أن يُتحقَّق فيها شرط الثُّبوت؛ لتُعَدَّ حُجَّةً في الاستشهاد النحوي.

ويُشكّل السَّماع عند الشيخ المُزْمِري ركيزةً أساسيةً من ركائز الدرس النحوي، وقد تجلّى ذلك بوضوح في المصادر التي استعان بها في الاستشهاد اللغوي، حيث استدلّ به على صحة الأحكام وتعزيز القواعد الّتي تبنّاها في شرحه وتحليله.

ويمكن إيجاز موقفه من السماع اللغوي في النقاط التالية:

1. **الاستشهاد بالقرآن الكريم:**

إنّ القرآن الكريم هو كلام الله عزّ وجل، وقد جاء بأسلوب بياني معجز، تميّز بفصاحته وبلاغته، وتفرّد بنظامه اللغوي الذي لا يُضاهى؛ فلا يوجد في العربية نصّ أفصح أو أبلغ أو أسمى بياناً من القرآن الكريم[43].

وقد اعتمد ابن أبّ في استدلالاته النحوية على آياتٍ كثيرة من القرآن الكريم، مستشهداً بها لتقوية ما يذهب إليه من آراء في شرح مختلف المسائل النحوية، حتى إنّ الناظر في مؤلّفه لا يكاد يجد مسألةً إلا ويجد معها شاهداً قرآنياً أو أكثر يوضح من خلاله المقصود.

ومن بين الآيات القرآنية التي استشهد بها في مباحثه النحوية نذكر ما يلي:

- استشهاده على جواز حذف حرف النداء اعتماداً على تضمين المنادى معنى الخطاب[44]، بقوله تعالى:

" يُوسف أعرض عن هذا "[45]، " ربّ اغفر لي"[46]، "أيّها المرسلون"[47]، " أن أدّوا إليَّ عباد الله"[48].

- استشهاده على أفعال المدح والذم، ومنها الفعل "نِعْمَ "[49] بقوله تعالى:" نِعمَ العبد"[50]، " ولنعم دار المتقين"[51].".

- استشهاده على مسألة إعمال المضاف والمجرّد[52]؛ إذ مثّل لإعمال المضاف بقوله تعالى: " ولولا دفاع الله النّاس بعضهم ببعض"[53]، ومثّل لإعمال المجرّد بقوله تعالى: " أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما"[54].

2. **التحفّظ على الاستشهاد بالحديث النبوي:**

عند إطلاق لفظ "الحديث الشريف" في اصطلاح المحدثين، يُراد به ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، وقد يُراد به ما أُضيف إلى صحابيّ أو تابعيّ، إلا أنّ الغالب أن يُقيَّد إذا أُريد به غير النبي ﷺ[55].

أمّا في اصطلاح النحاة، فإن المراد بالحديث الشريف هو قول الرسول الكريم ﷺ دون غيره، وذلك؛ لأن القول هو مادة النحو، ومنبع الاستدلال، وموضع الأحكام، ولذلك عُدَّ الحديث الشّريف أوثق مصدر سماعيّ يحتجّ به في إثبات القواعد النحوية، إذ "يأتي في الاحتجاج بعد القرآن الكريم وقبل كلام العرب من شعر ونثر، لما فيه من الفصاحة النّبويّة، وصحّة اللّفظ ودقّة المعنى، وما بُذِل فيه من التّحرّي في الرّواية، والتّشدّد في التّدوين"[56]. كما تُؤخذ أيضا أقوال الصحابة والتابعين متى ثبتت روايتها من طريق المحدثين.

وعلى الرغم من أهمية الحديث الشريف في مجال الاستشهاد النحوي، فإنّه يتبيّن من خلال استقراء مؤلَّف ابن أبّ المزمّري في "النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة " أنّه سلك في شرحه منهج جمهور النحاة المتحفّظين في التعامل مع الحديث الشريف، إذ قلّل من الاعتماد عليه في تقرير القواعد النحوية، واكتفى بالاستشهاد به في موضعين اثنين فقط:

- أوّلهما؛ في باب المفعول له، حيث تقضي قاعدته العامّة بأنّ المصدر الظاهر إذا جاء علّة لحدث شاركه في الزمن والفاعل، فإنه يُنصب مفعولا لأجله، نحو: قام زيد إجلالا لعمرو، وقصدتك ابتغاء معروفك[57].

أما إذا ذُكِرت العلّة ولم تستوفِ الشروط، فلابدّ من جرّ المفعول له بحرف تعليل، كاللام أو ما يقوم مقامها من حروف الجر الأخرى كـ"الباء" و"من" و"في"[58]،

ومن أمثلة ذلك: " يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصّواعق"[59]، "والأرض وضعها للأنام"[60]، " إنّ امرأة دخلت النّار في هرّة "[61].

- وثانيهما؛ في باب الحال، عند مجيء صاحبها نكرة بلا مسوّغ[62]، كما في الحديث: " صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاكٍ، فَصَلَّى جَالِسًا وَصَلَّى وَرَاءَهُ رِجَالٌ قِيَامًا"[63].

ويُلاحظ أنّ ابن أبّ المزمّري أغفل في استشهاده بالحديثين الشريفين ذِكرَ سندهما ورواتهما عن النبيّ ﷺ ، كما لم يعتنِ بتخريجهما. ويبدو أن الحضور المحدود للحديث النبوي في شرحه يُعبّر عن نوع من التحفّظ في جعله مصدرًا أساسًا للاستشهاد، وهو ما يعكس حرصه على الاقتصار على الأحاديث الثابتة صحةً وقوةً في الرواية، أو ربما يدلّ على ميله إلى تقديم القرآن الكريم وكلام العرب الفصحاء على غيرهما من مصادر الاستشهاد، التزامًا بمنهج نحوي تقليدي يغلّب المأثور اللغوي على ما سواه.

3. **الاستشهاد بالشّعر العربي**:

الاستشهاد بكلام العرب من الوسائل الرئيسة التي اعتمدها علماء اللغة في ضبط ألفاظ السماع وتقويم الروايات، خصوصًا في ميادين تتقاطع فيها اللغة والنقل، كالرواية الحديثية والقراءات القرآنية. وقد لجأ العلماء إلى شعر العرب ونثرهم لتفسير ما يُستغرب من الألفاظ، مستندين إلى كونه مرجعية لغوية تبيّن ما وافق سنن العربية وما شذّ عنها. والمقصود بكلام العرب هنا ما ثبتت نسبته إلى طبقات الفصاحة، وبخاصة ما كان قبل الإسلام، إذ يُعدّ حجة لغوية يُستنار بها في مواطن الغموض والاضطراب في المتون المروية. ويُوضّح ذلك ما قرّره آل اللّغة، من أن "العرب الذين يُوثَق بعربيتهم، ويُستشهَد بكلامهم - هم عربُ الأمصار إلى نهاية القرن الثاني، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرّابع"[64].

وقد احتلّ الاحتجاج بالشعر عند ابن أبّ المزمري منزلة تلي منزلة الاستشهاد بالقرآن الكريم، وكان في ذلك قريبًا من منهج أغلب النحاة في التعامل مع الشواهد؛

إذ يورد الشاهد الشعري أحيانًا مع نسبته إلى قائله، وأحيانًا دون ذكر القائل، كما يظهر ذلك في مواضع عديدة من شرحه على التحفة الوردية.

والشّاهد الشّعريّ الوحيد الذي نسبه ابن أبّ إلى قائله، هو ما ذكره ضمن قاعدة الاستثناء التي بيّنها بقوله:"... أنّ الوجه الأتمّ حسنا النّصب للمستثنى السّابق على المستثنى منه في غير الإيجاب، وهو النفي وشبهه؛ نحو:"ما قام إلا زيدا أحدٌ"... وقد يأتي فيه غير النّصب على الاستثناء، بأن يُفَرَّغ العامل له، ويُجعلَ المستثنى منه بدل كلّ منه، كقول قول حسّان بن ثابت– رضي الله عنه-:

لأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً * إذا لم يكن إلاّ النَّبيّون شافِعُ "[65]

ومن الشّواهد الشّعريّة التي لم ينسبها إلى قائلها نذكر ما يلي:

- يُحشَرُ الناسُ لا بنينَ ولا آ بَاءَ إلاّ وقد عنتْهم شُؤونُ

واستشهد به ابن أبّ على بيان أنّ الياء المكسور ما قبلها في جمع المذكر السالم أو الملحق به هي علامة نصب له، كما في لفظ "بنينَ".

- لا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ منغَّصَةً لَذَّاتُهُ بادِّكار الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ

واستشهد به الشّارح على جواز توسيط خبر " كان وأخواتها" بينها وبين اسمها[66].

- كما أورد ابن أبّ البيتين الآتيين في باب (الممنوع من الصرف) في سياق شرحه عبارة (وفي العكس اخْتُلِفَ) من قول النّاظم ابن الوردي:

ولاضطرارٍ صرفُ غيرُ المنصرف وقصر ممدود وفي العكس اخْتُلِفَ

وعلّق قائلا: "المراد بالعكس منعُ المصروف ومَدُّ المقصور للضرورة، والكوفيّون على جواز ذلك"[67]:

أمّا البيت الأوّل:

- وما كانَ حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفوقانِ مِرْداسَ في مَجْمَعِ

فقد استشهد به للدلالة على أنّ الشّاعر منع "مرداس" من الصرف، مع أنه في الأصل اسم مصروف، وذلك من باب الضرورة الشعرية.

وأمّا الثّاني:

- سَيُغنيني الذي أَغْناكَ عني فلا فَقْرٌ يَدومُ ولا غِناءُ

فقد استدلّ به ابن أبَّ على أنّ الشّاعر قد مدّ المقصور (غنى) إلى "غِناء"، وهو تغيير مخالف للقياس، لجأ إليه الشاعر للوفاء بمتطلبات الوزن العروضي، وهو ما يُعد من ضرورات الشعر كذلك.

وبهذا يتجلّى اعتماد ابن أبّ على الشاهد الشعري في تحليل الظواهر النحوية والصرفية، حتى وإن لم يُحدد دائمًا قائلي الأبيات، ما يعكس انخراطه في المنهج النحوي التقليدي القائم على الاحتجاج بالشعر العربي.

- مقارنة في مسالك الشّرح بين ابن أبّ في (النفحة الرندية) والناظم في "شرح التحفة الوردية":

تُبرز مقارنة مسالك الشرح بين ابن أبّ المزمّري في " النفحة الرندية " والناظم ابن الوردي في شرح " التحفة الوردية" اختلافًا واضحًا في أسلوب المعالجة. فبينما يميل ابن أبّ إلى الاختصار والتركيز على التطبيق العملي، يحرص ابن الوردي على التمهيد التعريفي والتفصيل التأصيلي للمفاهيم. ويهدف هذا المبحث إلى إبراز هذه الفروق في منهجيتهما لشرح النص النحوي، مع بيان أثرها على فهم المتلقي.

أ- غياب تعريف المبتدأ والخبر و أنواعهما في شرح ابن أبّ مقارنة بشرح الناظم:

يُلاحظ في شرح ابن أبّ المزمّري على "التحفة الوردية" غياب تعريف واضح للمبتدأ والخبر، إلى جانب إغفال بيان أنواعهما، ممّا يُضعف تصوّر المتلقي للمفهوم النحوي في هذا الباب. ويتجلّى هذا الإغفال في تعامله مع بيت الناظم:

ويرفعون المبتدأ والخبرا وما له صدرُ الكلام صُدِّرا

فقد اكتفى ابن أبّ في شرحه ببيان الإعراب والمعنى الإجمالي دون أن يُعرّف المبتدأ أو الخبر أو يُبيّن أنواعهما، إذ قال: "(المبتدأ والخبر): هذا مبحثهما. (ويرفعون) أي: العرب. (المبتدأ) بأمر معنويّ؛ وهو " الابتداء"؛ الذي هو الاهتمام بالاسم وجعله أوّلا ليخبَر عنه. (والخبرا) بالمبتدأ؛ لأنّه طالب له[68].

بينما نجد الناظم ابن الوردي، في شرحه لمنظومته، قدّم تعريفًا نحويًا دقيقًا وشاملا، حيث قال:" المبتدأ والخبر مرفوعان. فالمبتدأ هو الاسم، ولو بتأويلٍ، المجرَّدُ عن العوامل اللفظية غير المزيدة، مخبراً عنه، أو وصفاً رافعاً لمكتفى به، نحو: زيدٌ قائم، و(أن تصوموا خيرٌ لكم) [69]، و(أقائمٌ الزيدان؟).

وقولي: المُجَرَّدُ من العوامل اللفظية، مُخْرِجٌ للاسم في باب (إنّ وكان) والمفعول الأول في باب (ظنَّ)، وغير المزيدة، مدخلٌ لنحو: بحسبك زيدٌ، و(ما من إلهٍ إلا الله) [70]، مما هو مبتدأ جُرّ بحرف زائد.

وخبر المبتدأ هو ما تحصل به الفائدة مع المبتدأ"[71].

ويكشف هذا التباين عن اختلاف منهجي بين الشارحَيْن؛ إذ يعمد ابن أبّ المزمّري إلى معالجة القضايا النحوية معالجة تحليلية تطبيقية، دون التمهيد لها بتعريفات اصطلاحية، ولعلّ ذلك راجع إلى طبيعة منهجه القائم على مزج المتن بالشرح، مما لا يتيح مجالا للاستطراد. في المقابل، يلتزم ابن الوردي بمنهج تأصيلي يُعنى بضبط المفاهيم منذ مدخل الباب النحوي، بما يتيح للمتعلّم تأسيسًا معرفيًا واضحًا يساعده على فهم بنية القاعدة واستيعاب أصولها.

ب- إغفال التّصريح بأنواع التّنوين في شرح ابن أبّ وذكرها في شرح الناظم:

التّنوين من الظّواهر النّحوية المهمّة، وقد قسّمه النحاة إلى أربعة أنواع: التمكين، والمقابلة، والتنكير، والعوض. غير أنّ ابن أبّ المزمّري، في شرحه التحفة الوردية، اكتفى بالتعريف العام للتنوين وذكر أمثلة تمثّل أنواعه، دون التصريح بأسمائها أو شرح وظائفها، حيث قال: "(فالاسم): يتميّز(بالتّنوين)؛ وهو نونٌ ساكنةٌ تلحقُ آخر الاسمِ لفظًا وتسقطُ خطًّا، كـ"زيدٌ"، و"هنداتٌ"، و"إِيهٍ"، و"حينئذٍ""[72].

فهو، وإن أورد أمثلة تمثّل أنواع التنوين الأربعة، إلا أنّه لم يفصل بينها اصطلاحًا، خلافًا لابن الوردي الذي صرّح بها في شرحه، فقال:" فمن خواصّ الاسم التّنوين: وهو نون ساكنة تلحق الآخر لفظا، وتسقطُ خطًّا. والمراد تنوين الأمكنية[73] كزيدٍ، وتنوين التّنكير كسيبويهِ وسيبويهٍ آخر، وتنوين المقابلة كمسلماتٍ، وتنوين العوض كحينئذٍ"[74].

ويكشف هذا الإغفال عن سمة منهجية لدى ابن أبّ المزمّري، تتمثّل في الميل إلى الاختصار والاكتفاء بالتمثيل، ربما انسجامًا مع طبيعة المتن التعليمي أو لعدّ مبحث التنوين من الموضوعات المتقدّمة التي لا تقتضي التفصيل في مقام التلقين الأوّلي. وذلك على خلاف الناظم ابن الوردي، الذي اتّجه في شرحه لمنظومته إلى الاستيفاء التأصيلي للمفاهيم النحوية، إرساءً لقاعدة معرفية واضحة لدى المتعلّم.

ج- الاستدراك على المصنِّف ابن الوردي في شرح تحفته:

عمد ابن أبّ المزمري إلى استدراك ما أهمله ابن الوردي أو اعتذر عن تفصيله في شرح تحفته الوردية، مخالفًا بذلك منهج المصنّف في بعض المواضع.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك؛ استيفاؤه الحديث عن حروف الجرّ الواردة في النظم، حيث بسط القول فيها جميعًا، وبيّن معانيها، ومنها مثلا:" "مِن": وهو لابتداء الغاية، و"إلى" لانتهائها؛ نحو قوله: " سبحان الّذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا"[75]. و"في": للظّرفيّة؛ نحو: " غُلِبَتِ الرّوم في أدنى الأرض"[76]. و"عن" للمجاوزة؛ نحو: رميت عن القوس. و" على": للاستعلاء"[77].

بينما اقتصر ابن الوردي في شرحه على بعض حروف الجرّ دون تفصيل لمعانيها مبرّرا ذلك بقوله: " "هذه الحروف كلها تشترك في اختصاصها بالأسماء، والدخول عليها لمعانٍ في غيرها، وتعديد معانيها والكلام على تفصيل ذلك لا يحتمله هذا المختصر، وإنما أتكلم على ما لا بُدّ منه"[78].

ويُبرز هذا الاستدراك مدى عناية ابن أبّ المزمري بالتفصيل النّحويّ في بعض الأبواب النحوية، وحرصه على إتمام ما تركه المصنّف، حتى في المواضع التي اعتذر فيها عن الشرح لضيق المقام.

د- مخالفة المصنِّف ابن الوردي في ترجيحاته:

خالف ابن أبّ المزمري المصنّف في بعض ما رجّحه من آراء نحوية، ومن ذلك ترجيحه نصب تمييز "كم" الخبرية إذا كان مفردًا فقط، خلافًا لما ذهب إليه ابن الوردي من جواز نصبه ولو كان جمعًا.

فقد قال ابن الوردي في شرح تحفته: "(جَرَّهُ انتخب) إشارة إلى مجيئه غير مجرور، نعم، "تميم" تُجري الخبرية مجرى الاستفاهمية، يجعلون "كم" بمنزلة عدد منوّن كثلاثة أثوابا فينصبون مميّزها وإن كان جمعا"[79].

بينما قال ابن أبّ المزمري: " وفُهِمَ من قوله " انتخب" أنّه قد يأتي غير مجرور؛ نعم، قيل: إنّ تميما تجيز نصب تمييز الخبرية إذا كان مفردا"[80].

ويتّضح من ذلك أن ابن أبّ اختار قصر النّصب على المفرد، مخالفًا بذلك المصنّف الذي أجاز النصب للمفرد والجمع معًا، وهو ما يُبرز استقلاله بالرأي الترجيحي في بعض المسائل النّحويّة.

3.5- منهج ابن أبّ في خاتمة شرح التحفة الورديّة:

اختتم الشارح كتابه بمجموعة من العبارات التي تُعبّر عن تقيّده بما درج عليه كثير من العلماء في خاتمة مؤلفاتهم، حيث:

استفتح الخاتمة بالحوقلة بقوله: "ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم"81.

أردفها بالصلاة والسلام على النبي ﷺ بقوله: "وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد، عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون"82.

تضمّنت الخاتمة الترضية عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم، فقال: "ورضي الله تعالى عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وختم مدوّنته بالحمدلة، قائلاً: "والحمد لله رب العالمين"83، وهي آخر عبارة وردت في الكتاب.

ويُلاحظ أنّ الشارح لم يُدرج في خاتمته أي عبارة تُشير إلى تاريخ الفراغ من تأليف شرح " التحفة الرندية " على منظومة "التحفة الوردية"، على خلاف ما جرت عليه عادة المؤلفين.

خاتمة:

يتّضح من خلال تحليل كتاب" النّفحة الرّنديّة" أنّ مؤلّفه " محمّد بن أبّ المزمّري" اعتمد في شرحه منظومة " التحفة الوردية " منهجًا علميًا متينًا، يتسم بالوضوح والتوازن، ويراعي الجانبين التّعليمي والمنهجي معًا. فقد جاء شرحه قريبا من فهم المتعلمين، ومراعيا احتياجاتهم، كفيلا بتحقيق النفع للدّارس، سواء كان مبتدئًا أو متوسطًا في علم النحو.

من أبرز السِّمات التي ميّزت هذا الشرح:

1- تبسيط القواعد النّحوية مع المحافظة على الجوهر العلمي للمادّة، إذ لجأ إلى الاختصار المدروس، مستعينًا بشرح ابن الوردي، مع إضافات واضحة تعكس بصمته الخاصة.

2- التّركيز على التعليل وربط القواعد بالأصول النّحوية، من دون انحياز مذهبي، بل بتقديم الآراء بأسلوب موضوعي، وبتوظيف نقدي هادئ ومتزن.

3- الاعتماد على المصادر السماعية كالقرآن الكريم والشعر العربي، والاقتصار على الحديث النبوي في أضيق الحدود، وهذا يعكس انتقاءً دقيقًا للأدلة المناسبة للأبواب النّحويّة.

4- التحلّي بروح علمية نقديّة، حيث لم يكتفِ الشّارح بالنّقل، بل ناقش الآراء وأبدى ملاحظاته حين اقتضى الأمر، وفي هذا دلالة على وعي عميق بالمادة النحوية وبمنهج شرحها.

وعليه، فإن شرح " النفحة النّردية" على " التحفة الورديّة" يعدّ إضافة علمية قيّمة، تستحق مزيدًا من البحث والتحقيق، لما تحمله من دلائل على اجتهاد علماء الجزائر، في خدمة علوم العربية وتطويرها.

الإحالات:

[1]ينظر: المنظومة النّحويّة: دراسة تحليلية، ممدوح عبد الرحمن، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 2000م، ص284.

[2]- كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط.د.ت، المجلد الأوّل، ص36-37.

[3]- أثر اللّسانيّات في النّهوض بمستوى مدرّسي اللّغة العربيّة، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلّة اللّسانيّات، الجزائر، العدد: 4، 1973-1974م، ص22-23.

[4]- ينظر: شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، ابن العماد شهاب الدّين أبو الفلاح عبد الحيّ، تح: عبد القادر الأرناؤُوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1992م، المجلد: 8، ص275-276.

[5]- ينظر: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدّين الزّركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م، ج 5، ص67.

[6]- ينظر: الموسوعة الجزائريّة، الأعلام، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، د.ط، د.ت، المجلّد الأوّل، ص70.

[7]- قطف الزّهرات من أخبار علماء التّوات، محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومه، الجزائر، د.ط، 2002م، ص116-117.

[8]- نُظِمَ سنة(1144ه)، ثم شرحه محمد باي بلعالم وسمّاه " الرحيم المختوم على نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم".

[9]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة (منظومة ابن الوردي في النّحو)، محمّد بن أبَّ المزمّري الجزائري، تح: كريم بن عسو، دار الخزانة الجزائرية للتراث، الجزائر، ط1، 2021م، ص47.

[10]- المصدر نفسه، ص47.

[11]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص48.

[12]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص163.

[13]- المصدر نفسه، ص155.

[14]- المصدر نفسه، ص69.

[15]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص69.

[16]- ينظر: شرح ابن النّاظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص134.

[17]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص48.

[18]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص49، و المطالع السّعيدة في شرح الفريدة في النّحو والّصرف والخطّ، جلال الدِّين السيوطي، تح، نبهان ياسين حسين، الجامعة المستنصرية، ط1، 1977، ج1، ص74.

[19]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص110، ومخطوط "الدُّرر المُضِيَّة في شرح الآجروميّة"، نور الدِّين أبي الحسن علي المنوفي، يراجع موقع كتاب بديا: https://ia801209.us.archive.org/18/items/mishref_gmail_114_20150831/4796.pdf

[20]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص168، وملحة الإعراب، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ط، 1345هـ، ص33.

[21]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص164-165، وشرح شافية ابن الحاجب، رضي الدِّين الاستراباذي، تح: محمد محيي الدّين عبد الحميد وآخران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م، ج1، ص238.

[22]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص63، وشرح المفصّل للزّمخشري، موفّق الدّين أبو البقاء ابن يعيش، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ج1، ص224.

[23]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص52، والألفيّة في النّحو لابن مالك، تح، عبد المحسن محمّد القاسم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2018م، ص22.

[24]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص120.

[25]- المصدر نفسه، ص54-55.

[26]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص77-78.

[27]- المصدر نفسه، ص49.

[28]- ينظر: المصدر نفسه، ص60.

[29]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص64.

[30]- ينظر: المصدر نفسه، ص55.

[31]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص66.

[32]- ينظر: المصدر نفسه، ص78.

[33]- ينظر: المصدر نفسه، ص109.

[34]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص122.

[35]- المصدر نفسه، ص69.

[36]- المصدر نفسه، ص86.

[37]- المصدر نفسه، ص100.

[38]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص90.

[39]- ينظر: المصدر نفسه، ص93.

[40]- ينظر: المصدر نفسه، ص76.

[41]- ينظر: المصدر نفسه، ص167.

[42]- الاقتراح في أصول النّحو، جلال الدّين السيوطي، ضبط وتعليق: عبد الحكيم عطيّة، دار البيروني، عمّان، الأردن، ط2، 2006م، ص39.

[43]- ينظر: نظرية اللغة العربية: تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، عبد الملك مرتاض، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2012م، ص214.

[44]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص131.

[45]- يوسف: 29.

[46]- نوح: 28.

[47]- الحجر: 57.

[48]- الدّخان: 18.

[49]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص119.

[50]- ص: 30.

[51]- النحل: 28.

[52]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص91.

[53]- البقرة: 249.

[54]- البلد: 15.

[55]- ينظر: معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة أضواء السّلف، السعوديّة، ط1، 1999م، ص131، والكلّيّات، معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، أبو البقاء أيوب الكفوي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، ص370.

[56]- النّحاة والحديث النّبوي، حسن موسى الشّاعر، مطابع دار الشّعب، سوريا، ط1، 1980م، ص45.

[57]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص93-94.

[58]- ينظر: المصدر نفسه، ص94.

[59]- البقرة: 19.

[60]- الرحمن: 10.

[61]- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2002م، (الحديث رقم 2365)، ج1، ص569.

[62]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص105.

[63]- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، (الحديث رقم 688)، ص122.

[64]- اللغة والنّحو بين القديم والحديث، عبّاس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1966م، ج1، ص129.

[65]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص102.

[66]- ينظر: النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص73-74.

[67]- ينظر: المصدر نفسه، ص151-152.

[68]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص63.

[69]- البقرة: 184.

[70]- آل عمران: 62.

[71]- شرح التّحفة الوردية، ابن الوردي، تح: عبد الله علي الشّلال، ص139-140.

[72]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص51.

[73]- ويسمّى أيضا: تنوين التمكين، وتنوين الصّرف ينظر: المعجم المفصّل في علوم اللّغة (الألسنيّات)، محمد التونجي، وراجي الأسمر، مراجعة: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ج1، ص208.

[74]- شرح التّحفة الوردية، ابن الوردي، تح: عبد الله علي الشّلال، ص112-113.

[75]- الإسراء: 01.

[76]- الرّوم: 03.

[77]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص108.

[78]- شرح التّحفة الوردية، ابن الوردي،ص242.

[79]- المصدر نفسه، ص358.

[80]- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة، ص156.

[81]- المصدر نفسه، ص175.

[82]- المصدر نفسه، ص175.

[83]- المصدر نفسه، ص175.

المصادروالمراجع:

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أوّلا- الكتب:

1- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدّين الزّركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م.

2- الاقتراح في أصول النّحو، جلال الدّين السيوطي، ضبط وتعليق: عبد الحكيم عطيّة، دار البيروني، عمّان، الأردن، ط2، 2006م.

3- الألفيّة في النّحو لابن مالك، تح، عبد المحسن محمّد القاسم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2018م.

4- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، ابن العماد شهاب الدّين أبو الفلاح عبد الحيّ، تح: عبد القادر الأرناؤُوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1992م.

5- شرح ابن النّاظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

6- شرح التّحفة الوردية، ابن الوردي، تح: عبد الله علي الشّلال، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، د.ط، 1989م.

7- شرح المفصّل للزّمخشري، موفّق الدّين أبو البقاء ابن يعيش، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

8- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدِّين الاستراباذي، تح: محمد محيي الدّين عبد الحميد وآخران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م.

9- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2002م.

10- قطف الزّهرات من أخبار علماء التّوات، محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومه، الجزائر، د.ط، 2002م.

11- كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط.د.ت.

12- الكلّيّات، معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، أبو البقاء أيوب الكفوي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998م.

13- اللغة والنّحو بين القديم والحديث، عبّاس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1966م.
14- المطالع السّعيدة في شرح الفريدة في النّحو والّصرف والخطّ، جلال الدِّين السيوطي، تح، نهان ياسين حسين، الجامعة المستنصرية، ط1، 1977م.
15- المعجم المفصّل في علوم اللّغة (الألسنيّات)، محمد التونجي، وراجي الأسمر، مراجعة: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
16- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة أضواء السّلف، السعوديّة، ط1، 1999م.
17- ملحة الإعراب، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ط، 1345هـ.
18- المنظومة النّحويّة: دراسة تحليلية، ممدوح عبد الرحمن، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 2000م.
19- نظرية اللغة العربية: تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، عبد الملك مرتاض، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2012م.
20- الموسوعة الجزائريّة، الأعلام، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، د.ط، د.ت.
21- النّحاة والحديث النّبوي، حسن موسى الشّاعر، مطابع دار الشّعب، سوريا، ط1، 1980م.
22- النّفحة الرّنديّة في شرح التّحفة الورديّة (منظومة ابن الوردي في النّحو)، محمّد بن أبَّ المزمّري الجزائري، تح: كريم بن عسو، دار الخزانة الجزائرية للتراث، ط1، 2021م.

ثانيا- الدوريات ومو اقع الأنترنيت:

23- أثر اللّسانيّات في النّهوض بمستوى مدرّسي اللّغة العربيّة، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلّة اللّسانيّات، الجزائر، العدد: 4، 1973-1974م.
24- الدُّرر المُضِيَّة في شرح الآجروميّة، نور الدِّين أبي الحسن علي المنوفي، مخطوط بموقع كتاب بديا:
https://ia801209.us.archive.org/18/items/mishref_gmail_114_20150831/4796.pdf

قراءة في كتاب الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب: لأبي عبد الله بن قاسم الرصاع (ت 894هـ).

أ.د/ عبد الكريم عوفي -جامعة باتنة 1

المقدمة:

الحمد لله الذي منَّ علينا بالهدى والنعم، وعلَّمنا مالم نكن نعلم، وأُصلِّي وأُسلِّم على النبي المصطفى محمدٍ بن عبد الله، أفصحِ العرب لسانا وأبلغِهم حجةً، وعلى آله وصحبِه الطاهرين.

عرفت مدينة تلمسان خلال القرن التاسع الهجري حركة علمية متميزة، بحكم كونها واحدة من كبريات الحواضر العلمية في العالم الإسلامي، وقد نبغ فيها أعلام في شتى فنون المعرفة الإنسانية، كالمقري، والرصاع، والونشريسي، والسنوسي، والتنسي، وابن خلدون، والمرازيق، والعفيف، والقلصادي، وأبي العباس التلمساني، وهؤلاء يمثلون قامات سامقة في العلم والفكر، بفضل تميز نتاجهم الغزير بمناهج دقيقة، وطرق في التناول والاحتجاج، ولذلك نجد اليوم مكتبات وخزائن العلم في الشرق والغرب ملأى بآثارهم الفكرية (مخطوطات ومطبوعات).

وفي هذا السياق تأتي هذه الورقة البحثية لتقف عند واحد من هؤلاء الأعلام، وهو الرصاع أبو عبد الله بن قاسم الرصاع (ت 894هـ)، وذلك من خلال أثره (الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب)، وهو شرح رديف لكتاب المغني لابن هشام، الذي أثار حركة لغوية واسعة.

وصلنا من هذا الكتاب النفيس المتميز في منهجه، وتحليل قضاياه المختلفة، وما أسند به موقفه من المصنف ابن هشام، وأقوال وآراء المفسرين، والنحاة، والمعربين، والفقهاء، والبلاغيين، والأصوليين، واللغويين، والمناطقة، ثلاث نسخ خطية، تحتفظ بها

مكتبة الزاوية الحمزاوية في المغرب، ودار الكتب المصرية في القاهرة، والمكتبة الأحمدية بتونس، وهي متفاوة فيما بينها من حيث اكتمالها، ونقصانها، وتعرضها لعاديات الزمن.

وقد خدم الكتاب عدد من طلبة العلم في جامعة أم القرى بكلية اللغة العربية، وكلية البنات بالرياض، فقد حُقِّق في أربعة رسائل علمية، ثنتان منها دكتوراه، كل واحدة منهما في جزأين والثنتان الأخريان ماجستير. [1] ومما يُحمد في هذا التحقيق هو أن ثلاث رسائل منها ؛ الثنتان الأوليان "دكتوراه "، والثالثة "ماجستير " أشرف عليها زميلنا الأستاذ الدكتور عياد بن عيد الثبيتي، أحد المحققين النحويين المتميزين في المملكة العربية السعودية، وهو أحد الرجال الذين شُغلوا بالتراث في الغرب الإسلامي، تنقل إلى أماكنه ونقب عنه في الزوايا والمكتبات ، وجمع منه مئات المخطوطات ، حقق منها الكثير، ومكن طلبة العلم مما جمعه، فهو يكاد يشكل مدرسة متميزة في تحقيق تراث العدوتين، بل هو أحد المتخصصين في التراث النحوي والفقهي المالكي المغاربي .

فمن هو الرصاع؟، وما موضوع كتابه الجمع الغريب؟، وما منهجه في تناول قضاياه؟، وما طبيعة المصادر التي اتكأ عليها في تأليفه؟ وما موقفه من ابن هشام والعلماء الآخرين؟ وما قيمته العلمية؟ وهل يمكن التعويل عليه في رسم معالم درسنا اللساني المعاصر؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تتطلب سفرا أو سفرين، لأن الكتاب نفسه وقع في ستة أسفار، ولذلك سأكتفي بومضات سريعة نتعرف من خلالها على الكتاب وما انما ز به في مجاله المنهجي والمعرفي.

الكلمات المفتاحية: مغني اللبيب، الجمع الغريب، ابن هشام، الرصاع.

المدخل: من هو الرصاع؟ وما صلته بمغني اللبيب لابن هشام الأنصاري؟

حدثنا الرصاع في فهرسته عن نسبه ومولده ونشأته فقال: " يقول عبيد الله بن قاسم الأنصاري نسبا، التلمساني مولدا، التونسي نشأة ومنزلا وقراءة " [2]. فهو من مواليد تلمسان، تلقى تعليمه على يد شيوخ أجلاء ذكر بعضهم في فهرسته، منهم أحمد بن يحسن، وأبوعلي بن مخلوف، وأبو مدين شعيب وابن مرزوق، والعقباني،

والسنوسي، وأبركان، والبُرزُلي، والبسيلي، والبحيري، والقلشاني، والسلامي، والصباغ، والماكري، والعبدوسي، والغرياني، والركراكي، والخوارزمي، والبطرني، والقسنطيني، والزنجاري، والرملي، والقلعي والمصمودي، والبلنسي، والغرناطي، وغيرهم.

قال الرصاع: " لمَّا بلغ السِّنّ مني سنَّ من يعقل منَّ الله علي برجل من العُبَّاد من ساكن العُبَّاد[3] مقر ولي الله العارف بالله سيدي أبي مدين نفع الله به ورضي عنه ...قرأت عليه ابتداء كتاب الله تعالى ومبادئ ما تتوقف عليه القراءة، ثم سافر المؤدب وخلا المكتب ..."[4].

وقد أفاض بعض من حقق آثاره في الحديث عن حياته العلمية، فقدموا ترجمة وافيه شملت الجوانب المختلفة لحياته، والمقام لا يسمح بالحديث عنها الآن، وإنما أشير إلى أن الرجل خلف لنا آثارا علمية متميزة في مناهجها ومضامينها الفكرية، لقي بعضها عناية وخدمة من قبل جمع من الباحثين والدارسين، لعل أبرزها فهرسته الذي حققه محمد العنابي، والهداية الكافية (شرح حدود ابن عرفة) بتحقيق صديقنا محمد أبو الأجفان- رحمه الله -، والطاهر المعموري، والجمع الغريب الذي أخصه بهذه الكلمة، ومؤلفاته وصلت إلينا تحتفظ بأصولها الخطية عدد من المكتبات، في تونس والمغرب، باستثناء كتاب في التفسير ذكره في الجمع الغريب، ولم يُعرف شيء عن مكان وجوده.[5]

عاش الرصاع في فترة زمنية اعتنى فيها أولو الأمر بالحياة الثقافية والعلمية، وإنشاء المكتبات واستقطاب العلماء، وقد كان لهذا النشاط أثر على صاحبنا وشيوخه وتلاميذه، ولذلك تعد هذه الفترة الزمنية من أزهى عصور الثقافة التلمسانية، لأن المدينة كانت عرفت نشاطا علميا متميزا قبل ذلك، بفضل ذلك الركام المعرفي الذي تشكل على مر الأعصر، أنتجه رجال العلم الذين تعاقبوا على المنطقة.

المطلب الأول: موضوع الكتاب ومنهجه

1- موضوع الكتاب:

موضوع كتاب الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب، ترتيب وتحليل الشواهده القرآنية، التي وردت في مغني اللبيب لجمال الدين بن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، فهو

رديف لكتاب المغني الذي ذاع صيته في الآفاق، وأثار حركة لغوية ونحوية واسعة.

وقد قال عنه عبد الرحمن بن خلدون: "ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر، منسوب إلى جمال الدين ابن هشام من علمائها، استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة. وتكلم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها وسماه بالمغني في الإعراب. وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها، فوقفنا منه على عِلم جَمٍّ يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة "[6].

قال ابن هشام عن كتابه المغني: " فدونك كتاباً تُشد الرِّحال فيما دونه، وتقف عند فحول الرجال ولا يعدونه، إذ كان الوضع في هذا الغرض لم تسمح به قريحة بمثله، ولم يَنسِج ناسجٌ على منواله " [7].

فالمغني له حظوة لدى جمهور علماء العربية، إذْ أنزلوه منزلة رفيعة لما امتاز به عن غيره من مؤلفاته ومؤلفات العلماء الآخرين في موضوعه وطريقة تناول مادته، ولذلك أقدم عليه العلماء وطلاب العلم يتدارسونه، ويشرحونه، ومنهم الرصاع الذي نظر فيه ورتب آي الذكر الواردة فيه، وأعمل النظر فيما قاله الشيخ ابن هشام، فكان هذا السفر الجديد الذي جمع فيه ما لم يسبقه إليه غيره، إنه كتاب متميز في منهجه وتحليل مضمونه، عرض فيه جملة من المسائل والقضايا النحوية، أسندها بجملة من أقوال وآراء المفسرين، والنحاة، والمعربين، والفقهاء، والبلاغيين، والأصوليين، واللغويين، والمناطقة .

فلنقرأ ما قاله الرصاع وهو يحدثنا عن موضوع الكتاب: " أما بعد حمد الله، فإني لمَّا كنت في القديم مولعا بالنظر في كتاب الشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين عبد الله بن هشام، قدَّس الله روحه وبرَّد ضريحه، فختمته مرارا، واعتكفت عليه ليلا ونهارا؛ لاشتهار فضله وعلمه، وتلقِّي الأمَّة له بالتعظيم " [8].

إن هذه الأهمية التي امتاز بها المغني جعلت الرصاع يقدم على تدارس جانب من جوانبه ، وهو شواهده من القرآ ن الكريم ؛ ترتيبا، وتحليلا ونقدا، وإضافة ، مع إعمال

النظر فيها وكشف ما تنطوي عليه من معان وأعاريب ودلالات، في ضوء ما قاله العلماء، و قد أشار إلى الصعوبة التي تواجه من يتصدى لعمل علمي لحُمته القرآن الكريم، لذلك وجدناه يودع مقدمته جملة من الملاحظات التربوية والتعليمية التي ينبغي لطالب العلم أن يتوخاها ويأخذ بها في حياته العلمية، إنها توجيهات من مرب قدير، تنبئ عن فكر راق وخلق حسن لعالم كفء، وصاحب لطائف حكيمة، وذهن وقَّاد، ومحقق متمرّسٍ.

2- **منهج الكتاب**:

حدثنا الرصاع في مقدمة الجمع الغريب عن منهجه في تناول آيات المغني، فذكر جملة من الضوابط التي سار عليها، أبان عنها بعض محققيه، منها على سبيل المثال لا الحصر:[9]

1- ترتيب آيات المغني حسب ورودها في السور القرآنية، مبتدئا بسورة الفاتحة إلى سورة الناس. قال: " ولقد كنت عام أحد وأربعين أو ما قاربه أخذت آيات الشيخ – رحمه الله – فجردتها وجمعتها فكانت تسهل علي في النظر في مواضع التفسير، فهممت أن أرتبها على حسب التلاوة وأذكر كلَّ سورة وما فيها مما وقع له – رحمه الله –" [10].

لقد راعى الرصاع في ترتيب الآيات القرآنية ذكر اسم السورة، ثم الاستهلال بقوله:" وقال الفقير إلى ربه "، ثم يذكر الآية فموضع ورودها في المغني، فالشرح والتحليل والمناقشة، مع الاستشهاد والتدليل على صحة ما يذهب إليه، ويختم بالإشارة إلى آخر آية في السورة، ثم الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- العناية بتوثيق النصوص المدروسة، ودعمها بالحجج وأقوال العلماء والشواهد، ويدل على هذا المنهج الدقيق قوله: " ولعمري إني عُمت بحرا وليس لي دراية بالعوم، ومع هذا فتطاولت نفسي بفضولها إلى نظر كُتب التفسير والمعربين، وأذكر مع كل آية ما يليق بها من الأبحاث العربية ..."[11] .

3- العودة إلى علوم العربية ومباحث الشريعة الإسلامية للإفادة منها في خدمة كتابه الجمع، لأنها شديدة التعالق، ولذلك قال: " ولا يعترض معترض علي في إدخال بعض مسائل ضرورية من علم البيان وغيره.. لأن كتابه [12] وضعه لإعانة المفسِّر، ولا يستغني

المفسِّر عن أمور ضرورية من البيان وغيره " [13].

4- تقديم جملة من التنبيهات والفوائد البيانية في نهاية الآية بعد عرض آراء العلماء في حوار فكري يقيمه بين تلك الآراء؛ مناقشا، ومنتصرا، ومعترضا، ومخالفا، وقد ألمح إلى هذا المسلك في مقدمته عندما قال : " وإن تفضَّلت ببعض مايفتح الله فلا أبخل به، إلا أني خِفت الطُّول والمَلَلَ في أكثر الأماكن، فحذفت الكلام وربما أنبِّه على بعض كلام المعرِب إذا كان محلَّ نظر " [14] .

5- اهتمامه بالقراءات القرآنية وأقوال المعربين والمفسِّرين، والفقهاء، والأصوليين، والمناطقة، والبلاغيين، واللغويين، وقد جاء كتاب الجمع موشى بأقوال العلماء والشواهد على اختلاف أنواعها.

6- تجنبه الاستطراد والتكرار، إلا ما دعت إليه الضرورة بحكم اتفاق الآراء والمتشابهات، ولذلك نجده يؤكد على هذا الأمر في مواضع كثيرة، كما في قوله : " قدَّمنا ما يُفهم به في البسملة، وتقدَّم أن الشيخ العقباني اختار أن (الحمد لله) إنشاء لا خبر، وانظر آخر الفاتحة من كلامنا، وقد قدَّمنا بما يناسب ذكره هنا " . [15] وقد يعبر عن ذلك بعبارات مثل " وقد تقدَّم ذلك في سورة ...، أو وسيأتي الحديث عنه في سورة "، وكقوله :" قلت: تقدَّم ذلك مرارا فلا نعيده"[16]، وكقوله:"قلت :ما أشار إليه في الموضع الأول قد استوفيناه في مواضع، والموضع الثاني يظهر من قوله .فانظره "[17].

7- استعماله لوازم لغوية يوضح بها كلامه، كقوله: (قلت، وقال الفقير، وقال الشيخ، وقوله، وقول القائل، وقيل، فإن قلت، والجواب، فأجاب، وقد وقع، تنبيه، فائدة، والصواب)، وهي لوازم تساعد القارئ على تبع الأقوال التي يعرضها، وكأني به يقيم حوارا بين أشخاص النص الذين يعرض آراءهم ويناقشهم، وفي طليعتهم شيخه ابن هشام.

8- حرصه على توثيق نقوله من ابن هشام أو غيره من العلماء، فهو يسند نصوصه ويعزوها لأصحابها ويتوخى الأمانة العلمية إلى أبعد حد، سواء كانت نصوصه مقتبسة بالحرف أو مختصرة أو مستفادة معنى، أو بأي وجه من وجوه الأخذ، وهذا الملحظ يكاد

يكون مطردا في الكتاب.

المطلب الثاني: مصادره وشواهده

تتميز بعض الكتب عن غيرها بما يوشيها مصنفوها بها من مصادر ومراجع، ونقول، وذلك النقاش الذي يديرونه حول من يتخذون أقوالهم سندا لهم في القضايا المختلفة؛ انتصار ا، أو اعتراضا، أو استدراكا، أو تصويبا، أو مخالفة، أ وغير ذلك من أوجه الاحتجاج العقلي.

وكتاب الجمع الغريب للرصاع إذا نظرنا إليه من هذه الزاوية نجده يحفل بكل هذه العناصر، ولذلك لا نجانب الحقيقة إذا قلنا: إن الجمع الغريب كتاب متميز في موضوعه ومنهجه، وموشى بالكتب والأقوال والشواهد، ولا يخفى على قارئه أن مادة الكتاب تقوم أصلا على الشواهد القرآنية، فهو من هذه الناحية يقوم على أصل من الأصول النحوية وهو السماع، أي: كلام العرب؛ شعره ونثره. فمصدره الأول القرآن الكريم.

وقد رصَّع الرصاع كتابه بالمعارف المتعلقة بعلوم العربية والشريعة وما تفرع عنهما، للوصول إلى الإبانة عن المعاني المستهدفة من النظر في شواهد المغني بعد إعادة ترتيبها، ولا أرى ضرورة للاستدلال بنصوص منها هنا، لأن أي نص من الجمع الغريب لا يخلو من آية، أو قول من أقوال العلماء.

ويأتي بعد القرآن الكريم الحديث النبوي الشريف، إذ تبع الرصاع شيخه ابن هشام في الاستدلال به على استعمال مادة لغوية، أو إثبات قاعدة نحوية، ومعلوم أن الحديث النبوي كان محل خلاف بين العلماء في الاستشهاد به في تقعيد القواعد، والرصاع سار على نهج شيخه، فقد ناقش أحاديث ابن هشام، وأتى بأحاديث أخرى، وكانت الغاية من توظيفها بيان مارآه أنه بحاجة إلى تجلية، كأن يقوي به رأيا قاله شيخه، أو يعترض به، أو يعقب به، أو يخالف به، والنص التالي يوضح موقفه من الاستدلال به .

"وأما قوله : (ويؤيده الحديث إلى آخره ...) فنقول : الظاهر أن هذا دليل لشيئين : لمذهب الكوفيين، ولكونه يُقدَّر مؤخَّرًا، وبيان الدليل : أنه إذا كان أفصح العرب صلى الله عليه وسلم، فقد نطق به مؤخَّرًا مع كونه فعلا، فالأصل في جميع المقدرات أن تكون

كذلك طردا للباب، وهو دليل ظاهر، إلاَّ أنْ يُقال : قد نطق عليه السلام بأحد الجائزين ؛ هذا إن جوزنا الاستدلال في مثل هذا المعنى بالحديث، فإن كثيرا من الناس منع ذلك، لجواز نقل الحديث بالمعنى ، ولعل هذا سبب قول الشيخ (ويؤيده)، ولم يقل والدليل على ذلك – والله أعلم – ولاسيما والشيخ في موضع صرَّح بأنه لا يُستدل بالحديث لجواز ما ذكرنا .

وقد كتب في ذلك الدماميني سؤالا وأجابه ابن خلدون، وحاصل جوابه: أنه يجوز بأحد ثلاثة أوجه:

- إما تلقي الأمة بالقبول للمنقول .....[بياض] قرائن على أنه من كلامه عليه السلام.

- أو لغلبة الظن أنه من قوله، وهذا كافٍ.

- أو إذا دون الحديث فلا يجوز نقله بالمعنى على ما نص عليه ابن الصلاح، انظره في الجهة العاشرة، وفيه نظر لا يخفى "[18] .

وللشعر أيضا حظور بارز في الجمع الغريب، إذ أن ابن هشام تبلغ شواهد مغنيه نيفا ومائتي شاهدا، كانت محل اهتمام الرصاع في بيان ما يعرضه، وكان أيضا يستدل لها بشواهد من عنده، ولذا نجد –كما قلت – الشاهد الشعري حاضرا في ثنايا الجمع الغريب، وقد تعدد ت أوجه الاستشهاد عنده، كما كانت عند شيخه ابن هشام، فقد وظفاها لتوجيه بعض الأوجه البلاغية، أو لتأييد مذهب نحوي، أو لاستعمال لغوي، مع العناية بالروايات الواردة في البيت الشعري إن وُجدت، والملاحظ على الرصاع في إيراده شواهد الشعر التي استدل بها ابن هشام عدم إتمام البيت الذي يعقب عليه، ففي الغالب يكتفي بذكر صدره أو عجزه أو قطعة منه ويقول : "البيت . انظره "، ولاسيما في الجزئين الأخيرين.

وسأكتفي بالتمثيل بالمقطع التالي: " قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَه،قَالَ أَعْلَمُ﴾[البقرة: 259] قلت: ذكرها الشيخ – رحمه الله – فيما يحتاج إلى الربط، فقال:"العاملان في باب التنازع، لابد من ارتباطهما، ثم قرر الارتباط بما هو معلوم، وذكر آياتٍ ليس هنا محلها،

ثم قال: ولذلك بطل قول الكوفيين أن من التنازع قول امرئ القيس:

..... كفاني ولم أطلُب قليلا من المال

فرجحوا به مذهبهم على إعمال الأول، ثم قال : والصواب أنه ليس من التنازع، لاختلاف الطلب، فإن (كفاني) طالبٌ للقليل، والآخر طالبٌ للملك دل عليه السياق، والمعنى: إذ لواتَّحد الطلب فسد المعنى، قال : لأن التنازع يُوجب التعاطف، فتكون الجملة الثانية معطوفة على الأولى فحينئذ يكون القليل مثبتا منفيا، أما إثباته فلأنَّه داخل في حيّز المتنازع المفهوم من (لو)، وقوله أولا :

ولو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ .....

وإذا امتنع النفي جاء الإثبات، وأما النفي فظاهر ولا يصح استئناف،لأنه لا يحصُل الارتباط في التنازع ..."[19]. وعلى هذا النحو راح يناقش المسألة مستعرضا آراء النحاة، كابن الحاجب، والفارسي، والكوفيين، والبصريين، والدماميني، والكسائي، وسيبويه، والفراء. وذلك في خمس صفحات.

وكانت الأمثال أقل شواهده التي استدل بها في الجمع الغريب.

أما مصادره من العلماء الذين استدل بأقوالهم، فهم كُثر ؛ منهم النحاة، والمعربون، والمفسرون، والقراء، واللغويون ، والمعجميون، والبلاغيون، والفقهاء، والأصوليون، والمناطقة، فممن ترددت أسماؤهم وتواترت : سيبويه، والخليل، والأخفش، وابن جني، وأبو علي الفارسي، وابن عرفة، وأبو حيان، وابن الحاجب، وابن عصفور، وابن المنيّر، وابن مالك، وابن عطية، وابن عبد السلام، وابن الصائغ، والأبذي، وابن مرزوق، والسمين الحلبي، وأبو البقاء ، والصفاقصي، والتفتازاني، والقرافي، والجوهري، والدماميني، والفخر الرازي، والزمخشري، والشاطبي، والسبكي، وابن مرزوق، والباقلاني ، والعقباني، والقلشاني، والمرسي ، والسكاكي، والفراء، والجرجاني، وغيرهم .

أما كتب هؤلاء العلماء وغيرهم أيضا، فمنها ماصرح بالنقل منها، ومنها ما لم يصرح بها، وهذا القسم كثير، كشفت عنها نوال الصالح في دراستها للقسم الأول من الكتاب [20]، ومنها على سبيل المثال لا الحصر : الكتاب، والدر المصون، والخصائص، وأمالي ابن

الحاجب، والتبيان للعكبري، والإيضاح للقزويني، وأمالي ابن الشجري، والبحر المحيط، وتلخيص المفتاح للقزويني، وإعراب القرآن للنحاس، وتحفة الغريب للدماميني، والجنى الداني، ودلائل الإعجاز، وشرح الجزولية للأبذي، وشرح التسهيل لابن مالك، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور، وشرح كافية ابن الحاجب للأسترابادي، والكشاف، والمحرر الوجيز، ومعاني الفراء، ومعاني الأخفش، والمنصف من الكلام على مغني اللبيب للشُّمنّي، ونتائج الفكر للسهيلي .

المطلب الثالث: موقفه من ابن هشام والعلماء الآخرين:

إن اللافت في الجمع الغريب تنوع مصادره؛ من الكتب وأقوال العلماء، وشواهده، وكثرتها، وتعدد المجالات المعرفية لتلك المصادر، وتتجلى هذه السمة في النص عامة، فلا تقرأ نصا فيه إلا وأنت واجد فيه زخما من أسماء الأعلام وأقوالهم، ممن اتكأ عليهم في شرح الشواهد.

ومن أبرز ما يلحظه القارئ أيضا في الجمع الغريب هو ذلك الحشد الكبير من الخلافات النحوية ؛ بصرية، وكوفية، وبغدادية، ومغاربية ، إذ تكاد تلك الخلافات تكون سمة بارزة في النص بأجمعه، إن لم نقل مطردة فيه، فما من مسألة يناقشها إلا وحضوره الذهني يتجلى فيما يعرضه من آراء ومواقف، وكأنك تقرأ كتابا في الخلافات النحوية، إنك تجده يقيم حوارا ونقاشا بين تلك الآراء، ومذاهب العلماء ؛ منتصرا، ومخالفا، ومعترضا، ومستدركا، ومصححا، وموجها ، كل ذلك في أدب جَمٍّ، وحوار راقٍ، بعيد عن التجريح والنيل ممن يناقشهم، ومع كثرة نقوده واعتراضاته فإن شيخه ابن هشام كان في المقام الأسنى، حتى وإن خالفه .

وقد أدركت هذا الاتجاه عنده الدكتورة نوال الصالح محققة السفرين الأولين منه عندما قالت : " ...فهو بغيته ومطلبه، فأخذه بروح الباحث المتأمل الفطن، فاستنطق أسراره وغاص في بحره فأخرج بدائع دره بشخصية مستقلة متميزة، فلم يكن ذلك التابع، وإنما وقف موقف الوسط ، حاور ابن هشام، وحاور نصوص كتاب المغني، فاعترض وأيَّد وخالف ووافق، واستحضر نصوص علماء عنوا بكتاب المغني ؛ تأييدا أو مخالفة، فناقشهم فيما أخذوه وكان على رأسهم الدماميني، كما أسلفنا قبل، ومن بعده

ابن الصائغ الذي كان مولعا بانتقاد ابن هشام، والرصاع في مخالفاته كان يتحلى بالأدب الرفيع ، ولطالما حاول الدفاع عن ابن هشام ، وطلب المسوغ لما ذهب إليه في أغلب الأحيان، وما خالفه فيه كان يعرضه بأسلوب بعيد عن الإقذاع والاستنقاص، أو كان خلافه عن طريق نقل معارضة عالم آخر اعترض عليه، بما قال حرصا منه على الاحتفاظ بحق ابن هشام وإجلاله...، [فالرصاع يعبر عن مواقفه من شيخه والعلماء الآخرين بعبارات ترددت كثيرا في الكتاب، يصدرها موقفه أو يعقب بها مثل]وكون الزمخشري لم يذكر غيره ليس مما يقع الترجيح به، وكون المفسِّر الذي لم يقصد الإعراب يقدِّر فعلا ليس مما يقع به الترجيح، لأنه يتعرض في الغالب إلى المعنى وبيانه، لا إلى الصناعة النحوية، شرط صحيح ، وما أشار إليه من الترجيح بالآية حسن ، قلت : أذكره في الآية هو الظاهر، وجوزوا فيها أن تكون للمصاحبة، وهو بعيد، قلت: هذه الأوجه أكثرها فيه ضعف، والصواب الوجه الأخير، وهو الذي اختاره أبو حيان، بل يقال : إنه لا محيد عنه، لخفته، على أن الدماميني ناقش الشيخ في الغاية المذكورة في لفطة، وهي مناقشة ضعيفة ".[21]

ولأن الكتاب يقع في ستة أسفار، والمسائل التي يناقشها نصوصها طويلة، فإنه يتعذّر التمثيل بنصوص لمواقفه المختلفة من ابن هشام والعلماء الآخرين، ولذلك رأيت الا كتفاء بالنص الآتي، لتحقيقه الغاية المطلوبة.

قال الرصاع: "قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾[مريم : 69].

[الأول]: في (أيّ) لما أن تكلم على أقسامها فقال : "وموصولة نحو: ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾.التقدير:لنترعن من كل شيعة الذي هو أشد، قاله سيبويه، وخالفه الكوفيون وجماعة من البصريين ؛ لأنهم يرون أن "أياً" الموصولة معربة أبدًا كالشرطية والاستفهامية، قال الزجاج : ما تبين لي أن سيبويه أخطأ إلا في موضعين هذا أحدهما ؛ فإنه يسلم أنها تعرب إذا أفردت فكيف يقول ببنائها إذا أضيفت؟، وقال الجرمي : "خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت / الخندق إلى مكة أحدًا يقول: (لأَضرِبنَّ أيُّهم قَائم) بالضم"، انتهى .وزعم هؤلاء أنها في الآية استفهامية، وأنها مبتدأ، وأشد خبر، ثم

اختلفوا في مفعول "نترع"، فقال الخليل :محذوف، والتقدير: (لننزعن الذين يقال فيهم أيُّهم أشد). وقال يونس :الجملة، وعلقت " نترع"عن العمل كما في : ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾[الكهف: 12]، وقا (الكسائي والأخفش) :كل (شيعة) ، و"من "زائدة، وجملة الاستفهام مستأنفة، وذلك على قولهما في زيادة "من " في الإيجاب .ويرد أقوالهم أن التعليق مختص بأفعال القلوب، وأنه لا يجوز (لأَ ضرِبنَّ الْفَاسقُ) بالرفع بتقدير الْفَاسقُ، وأنه لم يثبت زيادة "من " في الإيجاب وقول الشاعر:

إذَا مالقيتَ بني مالكٍ فسلِّم على أَيُّهمْ أفضلُ

يروى بضم "أيُّ" وحرف الجر لا يعلَّق، ولا يجوز حذف المجرور ودخول الجار على معمول صلته ولا يستأنف ما بعد الجار.

وجوز الزمخشري وجماعة كونها موصولة مع أن الضمة إعراب؛ فقدروا متعلق الترع من كل شيعة، وكأنه قال :لنترعن بعض كل شيعة، ثم قدر أنه سئل عن هذا البعض، فقيل: هو الذي (أشد)، ثم حذف المبتدآن المكتنفان للموصول، وفيه تعسف ظاهر، ولا أعلمهم استعملوا "أَيّاً"الموصولة مبتدأ وسيأتي بيان ذلك عن ثعلب.

وزعم ابن الطراوة أن " أيّاً "مقطوعة عن الإضافة، فلذلك بُنيت وأن" هم أشد " مبتدأ وخبر، وهذا باطل برسم الضمير متصلا ب"أي "وبالإجماع على أنها إذا لم تضف كانت معربة.

وزعم ثعلب أن" أيّاً "لا تكون موصولة أصلاً، وقال :لم يسمع (أيُّهم هو فَاضلٌ جاءَني) بتقدير: الَّذي هو فَاضلٌ جاءَني، انتهى.

الموضع الثاني :في آخر الجمل التي لا محل لها، في جملة الصلة، لما بين أن الموصول الاسمي في محل نصب أو رفع، وصلته لا محل لها، وما نقل عن بعضهم أنه كان يلقن أصحابه أن الموصول وصلته في موضع كذا محتجاً بأنهما كالكلمة الواحدة، فليس بصحيح بدليل ظهور الإعراب في نفس الموصول، فذكر آيات ذكرناها في محلها وأمثلة، قال " :وبدليل قراءة النصب في الموضع الثالث :في الجمل التي لها محل، لما أن تكلم على الجملة المعلقة، وقسمها إلى أقسام، منها:

أن تكون الجملة في موضع نصب على المفعول الصريح، قال بعد " :وليس من الباب الآية خلافاً ليونس، لأن" ننزع "ليس بفعل قلبي، بل" أيّ "موصولة لا استفهامية، وهي المفعول، والضمة بناء لا إعراب، و"أشد "خبر ل"هو " محذوفاً والجملة صلة .

الموضع الرابع: في الأشياء التي تحتاج إلى رابط، لما أن ذكر من ذلك الموصول، وأن رابطه إما مذكور أو مقدر مثل الآية.

الموضع الخامس :في السادس عشر من الجهة السادسة قال" :ومن الوهم قول ابن الطراوة في الآية إنَّ (هم) مبتدأ، و(أشد) خبر، و(أيّ)مبنية، وهذا مخالف للرسم ولإجماع النحويين.

الموضع السادس :ذكرها في الجهة الثامنة :أن يحمل الكلام على شيء وفي ذلك الموضع ما يدفعه، فعدد مسائل، ثم قال" :الثالث :قول ابن الطراوة في "أيُّهم أشد "مبتدأ وخبر، و"أي " مضافة لمحذوف، ويدفعه رسم" أيهم "متصلة، وأن" أ يّاً "إذا لم تضف أعربت باتفاق .

الموضع السابع :في خاتمة الجهات، لما أن ذكر أول شروط الحذف، وأن الدليل لا بد منه، فمنع حذف العائد في (جاء الذي هو في الدار) بخلافه في الآية) .

قال الفقير إلى ربه:"أَي " اسم من الأسماء، والأصل فيها الإعراب، ثم عارض معارض وهو الشبه بالحرف، فحقها البناء لكن عارض هذا المانع من الإعراب لزومها الإضافة فألغي، فلهذا أعربت الشرطية والاستفهامية والموصولة إذا لم يجتمع فيها حذف صدر الصلة والإضافة.

فقال سيبويه :إذا وقع الأمران فالبناء لأنها بعدت عن حال أخواتها بحذف أحد جزئي الابتداء فغيروها تغييرًا ثانياً لأن التغيير يأنس بالتغيير، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه ابن عصفور في قوله :أو خرج عن نظائره .

وقيل :إنما بنيت لأن الشيء إذا فارق أخواته لعارض فهو شديد التروع إليها فبِأدنى سبب يرجع إليها، وهي قد فارقت أخواتها الموصولة في البناء إذا لم يحذف صدر الصلة فبأدنى سبب رجعت إلى البناء، وبنيت على الحركة لأن لها أصلاً في الإعراب والتمكن،

وكانت الحركة ضمة لشبهها ب"قَبلُ "و"بعد "لأنها حذف منها بعض ما يوضح الكلام ويبينه.

قلت :هكذا قيل، ولا يخفى ضعف هذا الكلام ولولا البيت الذي استدل به سيبويه لكان قول غيره أصح.

قول الشيخ :ويرد أقوالهم .. الخ [قلت :هذا محل التراع فإن المخالف لا يقول بالاختصاص بل قد وقع للشيخ في مواضع منها ما ذكره في النظر البصري.

قوله : وأنه لا يجوز لأمرين .. الخ].

قلت :إنما لا يجوز لأنه لا يجوز حذف الموصول وبقاء صلته فضلاً عن إبقاء بعض الصلة، وهذا الرد وقع لسيبويه، وفرق بعضهم بأن الباقي في الآية بعد الحذف جملة، والباقي في الذي الزم مفرد.

قلت :ولا يخفى ضعفه على منصف.

قوله :وإن لم يثبت ... الخ .قلت :هذه المسألة أيضاً فيها خلاف، وقد استدل من قال بالجواز بقوله: (قَد كَانَ من مطَرٍ) وغير ذلك، والبيت أقوى ما يستدل به فهو دخول في باب فيه نزاع.

قوله :وجوز الزمخشري .. الخ.

قلت :قال الدماميني" : لم يقع في كلام الكشاف ما يقتضي أن الضمة إعرا . "ثم أتى بنص الزمخشري.

ولا شك أن الزمخشري لم ينص على ذلك إلا أن سياق كلامه يدل كما قال الشيخ قطعاً، وتأمل نصه .وما أشار إليه الشيخ أن فيه تكلفاً كذلك ذكر المعرب.

وقال المختصر :بل هو وجه حسن، وإضمار المبتدأ كثير .

قلت :لا يخلو بالإنصاف من تكلف فإنه لا نظير له في كلام العرب.

قوله : ولا أعلمهم .. . الخ.

فإن قلت :قد أحال ذلك على كلام ثعلب ففي ضمن ذلك أن كلام ثعلب ودليله صحيح، وقد قال بقوله بعض النحويين أيضاً، وإذا صح دليل ثعلب فيلزم إنكار(أي) الموصولة مع أن الشيخ. قائل بها وبصحته.

قلت: لا يلزم ذلك، بل الشيخ إنما أنكر كون (أي)الموصولة مبتدأ، وكلام ثعلب يدل على ذلك نعم يلزم أن يكون كلام ثعلب ليس بدليل صحيح لأنه يلزم منه أن تكون الدعوى عامة ودليلها خاص، وهو لا يصح عند أحد، فتأمله.

قوله :وزعم ابن الطراوة . .. الخ .قلت :هذا بعينه هو الذي ذكرنا عنه في الموضع الثاني، والشيخ كثيرًا ما يستدل بخط المصحف، وقد تقدم البحث معه مرارًا، وأن خط المصحف سنة تتبع، وربما ذكر الشيخ ذلك في بعض المواضع نبهنا عليها.

وما أشار إليه في الموضع الثاني حسن إلا أن في بعض أمثلته نظرًا فتأمل كلامه، وقد يورد عليه أن الإعراب أيضاً ظهر في الصلة في قولنا :(جاءَ الْقَائِم) فإن كان ظهور الإعراب يدل على المحل فيلزم أن تكون الصلة لها محل بدليل ما ذكرنا سيما وقد قيل: إن أصل الإعراب أن يكون في آخر الصلة، فتأمله.

والموضع الثالث :هو غير مذهب الإمام .والموضع الرابع :كذلك، وحذف هذا العائد خارج عن النظير.

والموضع الخامس :تقدم ما فيه وأن كلام الشيخ اختلف في المسألة .والسادس :مثله . وما أشار إليه في الموضع السابع جلي لأن الدليل موجود في "أيّ " بخلاف الَّذي فإن الظرف بعدها يصلح للصلة. والله أعلم." [22]

وعلى هذا النسق جاءت نصوص الرصاع مرصعة بالأقوال والتوجيهات، فانظر معي كم عالما ورد في النص؟ لقد ذكر فيه أربعة عشر عالما، بعضهم تردد اسمه أكثر من مرتين، فممن ذكر: سيبويه، الزجاج، الجرمي، الخليل، يونس، الكسائي، الأخفش، الزمخشري، ثعلب، ابن الطراوة، ابن عصفور، الدماميني، ابن هشام، البصريون، الكوفيون، الإجماع. واستحضاره هؤلاء العلماء لمناقشة مسائل الكتاب دليل قوة حضوره الذهني، ودقة تتبعه، وحسن استخلاص النتائج، وقد وضُح من النص أيضا أنه

لا يكتفي بالنقل والتوصيف بل كان يناقش ويعارض ويستدرك ويضيف وينتصر ويصوب، فالكل عنده سواء في المواقف التي تصدر عنه.

وللرصاع ردود ووقفات مع العلماء الذين أفاد منهم ، كسيبويه في الكتاب ، والزمخشري في الكشاف ، والصفاقصي في المجيد في إعراب القرآن، والسبكي في عروس الأفراح ، وأبو علي الفارسي في التعليقة والإيضاح ، وأبو حيان في البحر، والسمين الحلبي في الدر المصون، وابن عطية في المحرر الوجيز، وابن مالك في التسهيل وشرح الكافية، وابن مرزوق في انتهاز الفرصة، وابن المنيّر في حاشية الكشاف، وأبو البقاء في التبيان، والتفتازاني في المطول في شرح تلخيص المفتاح، وابن عصفور في شرح المقرب، وشرح جمل الزجاجي، والدماميني في تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب، والشاطبي في حرز الأماني، والفخر الرازي في المحصول في علم الأصول، والقرافي في الفروق، وغير هؤلاء كثيرون ممن ناقش آراءهم، وكما أسلفت فإن أي نص من نصوص الجمع الغريب يقدم زخما من المناقشات، وثراء في الردود والاعتراضات والموافقات، وهو ما أفصح عنه النص السابق.

المطلب الرابع: قيمة كتاب الجمع الغريب

إن ما ذُكر حول موضوع الكتاب ومنهجه ومصادره وشواهده، وحوارات، ومناقشات أقامها الرصاع حول القضايا التي درسها من خلال إعادة ترتيب الشواهد القرآنية في المغني وتحليلها ونقدها، يشكل الملامح الرئيسة للقيمة العلمية التي تميز الجمع الغريب، وهذا ما يمكن إيجازه في الملاحظات الآتية :[23]

1- الجمع الغريب كتاب متميز في موضوعه وهو ترتيب الشاهد القرآني في مغني اللبيب، الذي لم يسبقه أحد في دراسة شواهده .[24]

2- الكتاب موسوعة علمية، من حيث غناها بالمادة العلمية التي أودعها فيها صاحبها، إذ اشتمل على علوم العربية والشريعة بأفرعها المختلفة؛ من نحو، وصرف، ومعان، وأعاريب، وبلاغة، وبيان، وفقه، وأصول، ومنطق، وقراءات، وتفسير، وحديث.

3- احتفاظ الجمع الغريب بكم من النصوص والأقوال لعلماء ينتمون إلى عصور

مختلفة، وفيه من النصوص ما لا نجده في غيره، لأن أصولها مازالت خطية، أو أنها مفقودة[25] .

4- الكتاب سجل حافل بالخلافات النحوية، وهو يعكس عناية علماء الغرب الإسلامي بالخلافات النحوية وأثرها في التفكير النحوي.

5- كتاب الجمع الغريب أقامه صاحبه على جملة من الحوارات والنقاشات العلمية، بين الرصاع وابن هشام من جهة، وبين الرصاع والعلماء الآخرين من جهة ثانية، اتسمت في جملتها بالتناول العلمي الجاد، والبعيد عن الإثارة والتجريح.

6- إبانة الكتاب عن شخصية الرصاع المتميزة بالفطنة والذكاء، وحضورها القوي في معالجة نصوص الكتاب، واستقلالها في الرأي، وقوة الحجة والتعليل عنده.

7- الكتاب من أوفى الدراسات والشروح التي أُقيمت حول المغني، لتميز صاحبه بالقدرة على العرض، والتحليل، والمناقشة، والاعتراض، والانتصار، والاستدراك، والمخالفة، والاستدلال، والإضافة، والاستنتاج.

8- تجاوز الرصاع مجاله المعرفي اللغوي إلى مجالات علمية أوسع، مكَّنته من خدمة غرضه من تأليف الكتاب، وبذلك أضفى عليه مسحة الشمولية في تنوع عناصر المعرفة، وهذا ما عهد ناه عند قد مائنا الموسوعيين في مصنفاتهم.

9- ابتعاد الرصاع في الكتاب عن المذهبية المقيتة، والتحرر من العصبية، رغم كثرة مصادره وأصحاب المذاهب الفكرية الذين استفتاهم في قضايا الكتاب .

10- وأخيرا أكرر مقولة محقق القسم الثالث من الجمع الغريب جمعان السيالي، وهي أن " كتاب الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب واحة غناء، وارفة الضلال، تضم مباحث وآراء نحوية، وصرفية، وبلاغية، ومسائل فقهية، وآراء صوفية ومنطقية، ومباحث في علم القراءات القرآنية، ولا غرابة في ذلك، فهو دراسة تتعلق بالقرآن الكريم الذي نشأت وترعرعت في ظله الدراسات العربية والمباحث الإسلامية، وغرابته تأتي من سبقه إلى هذا المنهج "[26].

الخاتمة:

في ختام هذه القراءة لكتاب الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب استئذنكم في تقديم جملة من المقترحات لزملائي الأساتذة والباحثين، وأبنائي الطلبة والطالبات في الجامعات الجزائرية عامة، ومراكز البحث على اختلاف اهتماماتها العلمية، لأجل التقرب أكثر من تراثنا الذي خلفه سلفنا الصالح عبر الأعصر المختلفة، والذي يغطي حيزا كبيرا من رفوف المكتبات الوطنية والعالمية، فهؤلاء الأعلام أفادت الأمة من نتاجهم المعرفي والفكري في الفترات الزمنية المتعاقبة، وأفاد منه العلماء والباحثون في أوطان خارجية، ولكن الكثير من أبنائنا اليوم يجهلون تلك الجهود الطيبة التي بذلوها، ونحمد الله أن أوعية العلم التقليدية والحديثة حفظت لنا هذا النتاج العلمي، الذي تغص به رفوف المكتبات والخزائن العالمية .

فالبحث والتنقيب في مكتبات المراكز العلمية المختلفة؛ داخل البلدان العربية والمغاربية وخارجها هو السبيل المعين لنا للوقوف على تراث هؤلاء العلماء في شتى صوره، وذلك يتم عن طريق استنطاق كتب الفهارس، والمشيخات، والبيبليوغرافيا، والتراجم، والطبقات، والتردد على المكتبات والمراكز البحثية التي توجد فيها كنوز هذا تراثنا الفكري؛ مخطوطه ومطبوعه، وذلك لأجل :

1- القيام بمسح شامل لأوعية العلم المختلفة ؛ قديمة كانت أم حديثة، لاستخراج أسماء أعلامنا منها، وإنجاز ترجمات جديدة لهم منقحة ومزيدة ؛ تُصحَّح فيها أسماؤهم وألقابهم وكناهم، وتاريخ ولادتهم ووفاتهم، ويُدوَّن فيها كل ما يتعلق بأُسَرهم، ونشأتهم وتعلُّمهم، وشيوخهم، وتلاميذهم، ورحلاتهم، ونتاجهم الفكري على اختلاف أنواعه، وتصحيح أيضا أسماء مصنفاتهم، وتحقيق نسبتها إليهم، وأثرهم في الحياة العلمية والنشاط الاجتماعي والثقافي والسياسي والديني واللغوي، واجتهاداتهم، ومواقفهم العامة والخاصة، كل علَمٍ حسب طبيعة حياته .

2- إنجاز معاجم خاص بهؤلاء الأعلام، حسب الحقول المعرفية والفنية التي نبغوا فيها، لتكون في متناول الطلبة والباحثين.

3- وعلى غرار العمل السابق يُنجز عمل آخر، وهو استخراج آثارهم وتصنيفها في فهارس بيبليوغرافية، تُوزَّع فيه تلك الآثار على الحقول المعرفية والفنية التي تنتمي إليها (فقه، تفسير، أصول، قراءات، حديث، لغة، أدب، تاريخ، تراجم، سيرة، فلك، طب، رياضة، فلسفة، منطق، تفسير، جغرافية، رحلات، تصوف،...إلخ)، وفي هذا العمل يتم بيان حال آثار هؤلاء العلماء، من حيث كونها مخطوطة، أو مطبوعة، أو مفقودة، وتوثيقها من المظان التي أشارت إليها، وأماكن وجود أصولها الخطية أو مصورات منها (جامعات، مراكز بحثية، متاحف، زوايا، مكتبات عامة أو خاصة، أقراص مليزرة، أفلام، شرائط تسجيلية، مواقع إلكترونية، وغير ذلك من الأوعية التي حفظتها)، وكذا الدور التي نشرتها، ونتوقع أن يكون هذا التصنيف عاملا محفزا للباحثين وطلبة العلم في الإقبال على هذا التراث لبحثه ودرسه واستخراج درره التي تميزه عن غيره .

4- توجيه الطلبة والطالبات في أقسام الدراسات العليا، والباحثين المتخصصين إلى العناية بتحقيق ودراسة المخطوطات التي طواها النسيان لظروف عديدة، وإقامة دراسات أكاديمية حول ما طُبع منها، أو تحقيق مالم يُحقق منها، لأن في إحيائها ودراستها بعثا لفكر أعلامها الذين أنتجوها وساهموا بها في خدمة العلم والفكر والثقافة والحضارة.

وهذه المرحلة من أخطر المراحل التي نحتاج إلى تحقيقها، لأن هذه الكنوز من آثار هؤلاء العلماء تؤرّخ لثقافتنا، وتعكس جهود أسلافنا، ومساهمتهم في خدمة الفكر والحضارة والعلم، كما أن إخراجها من أقبيتها ودهاليزها ورفوف المكتبات والخزانات والمتاحف يمنع تلفها ويحميها من عاديات الزمن التي أتت عليها قرونا من الزمن، ولاسيما تلك التي توجد في زوايانا ومكتباتنا الخاصة عند العامة ؛ ممن ينظرون إليها على أنها من الممتلكات الموروثة التي لا ينبغي لأحد الاقتراب منها، و لا يعرف أصحابها طرق حفظها وصيانتها، فتتعرض للموات كلما مرَّت السنون، وقد تغيب نهائيا كما غاب منتجوها .

5- الاتصال بالجامعات ومراكز البحث التي توجد فيها هذه الآثار، سواء أكانت أصولا خطية، أم مصورات، أم أفلاما، أم مطبوعات – داخل الوطن أوخارجه - لاستنساخ نسخ منها بأي وسيلة من وسائل التقنية الحديثة، كاستعمال الرقمنة والذكاء

الاصطناعي، وجمعها في مراكز علمية متخصصة، أو جامعية، لتكون في متناول الطلبة والباحثين.

6- بعد هذه الخطوات تأتي عملية أخرى، لا تقل عن سابقاتها، وهي التعريف بهؤلاء العلماء وتراثهم، ودورهم في النتاج الفكري والمعرفة وبناء الحضارة الإنسانية، وذلك عن طريق إقامة ندوات وملتقيات ومؤتمرات ؛ دورية ووطنية ودولية، في الجامعات ومراكز البحث، يشارك فيها العلماء والباحثون والطلبة ؛ من داخل الوطن وخارجه، وبهذا نتيح لأبنائنا وبناتنا، والأجيال المتعاقبة إمكانية التواصل مع هذا التراث المتنوع والمتميز، والإفادة منه، لأنه خير ما يجلي الأوجه الثقافية والحضارية والفكرية التي ساهمت بها بلادنا في البناء الفكري والحضاري العالمي عبر الحقب الزمنية المتعاقبة .

7- تصحيح بعض الأوهام، والأغاليط، والتحريفات، ورفع اللبس، عما لحق بهؤلاء الأعلام في أسمائهم ومصنفاتهم وحياتهم وأفكارهم ومواقفهم، التي نجدها في كتب التراجم وبعض الدراسات الحديثة التي تصدت لدراسة مؤلفاتهم أو تحقيقها، فقد وقع بعض الدارسين ؛ قديما وحديثا في هذا الأمر، ولاسيما عند إخواننا المشارقة عامة، ممن عُنوا بتراث هؤلاء الأعلام وغيرهم، إذْ وقفت في أثناء إعداد أحد أبحاثي على أوهام وأخطاء، وقعت في بعض الترجمات التي تضمنتها الرسائل العلمية والكتب المحققة والدراسات البحثية، فقد وجدت أن بعضهم كتب عن أعلام من تلمسان ونسبهم إلى بلدان أخرى غير الجزائر، بل كتب بعضهم أن تلمسان تقع في البلد الفلاني وليس في الجزائر، وقد كتب أحد محققي الجمع الغريب للرصاع أن مدينة تلمسان مدينة مشهورة في ولاية وهران بالمغرب، ونسب بعضهم الآخر كتابا من تأليف عالم تلمساني إلى عالم آخر من إقليم بعيد بينه وبين الجزائر بحار وآلاف الأميال، وهذا الأمر لا يخص الجزائر فقط، بل يشمل البلدان المغاربية عامة، فهذا أستاذنا الدكتور حسن الوراكلي -رحمه الله - وقف على بعض هذه الأوهام، وصحح في بعض آثاره شيئا منها، وهذا الأمر نجده عند إخواننا في مصر والشام والخليج عامة، و الدقة العلمية والموضوعية التي تتطلبها الأبحاث الأكاديمية يُفترض ألا تسمح بوقوع هذه الأوهام والتخليط.

8- إن هذه المقترحات لا تستطيع أن تقوم بها جهة واحدة، فهي تحتاج إلى تعاون مؤسسات حكومية وخاصة، كوزارات: التعليم العالي، والثقافة، والسياحة، والأوقاف

والشؤون الدينية، ووزارة الخارجية ممثلة في ملحقاتها الثقافية في الخارج، وغيرها من المؤسسات ذات الطابع الثقافي والعلمي، كمراكز البحث الوطنية، والخزانات العامة والخاصة، والمتاحف الوطنية، والزوايا، والمكتبات الوطنية، ودور النشر والطباعة، على أن يسندها ويمدها بالتخطيط والدعم الفكري رجال العلم والأساتذة، على اختلاف اهتماماتهم العلمية والبحثية، فالكل معني بلم شتات تراثنا وإحيائه، فهو في حاجة إلى حملة علمية شاملة يقوم بها أبناء الوطن عامة، لأن هذا التراث هو المرآة العاكسة لحياتنا الثقافية والفكرية التي تنامت وتطورت عبر الأعصر المختلفة، حتى تشكلت خصوصيتها وأصبحت معلما بارزا في الفكر البشري عامة .

وإنصافا لذوي الفضل أقول : إن ما قام به أقطاب العلم في بعض بلداننا العربية من جهود في خدمة جزء من هذا التراث ؛ تعريفا وجمعا وحفظا وفهرسة ورقمنة وتحقيقا ودراسة ونشرا، يشكل خطوة متميزة في تحقيق المقترحات المتقدمة، لكن تنوع تراثنا وغزارته، وامتداده زمانا ومكانا يجعلنا نطمح إلى المزيد، فإلى هؤلاء الجهابذة من أمثال ابن أبي شنب، وأبي القاسم سعد الله، والكتاني، والمنوني، والفاسي، والجراري، وابن عاشور، وأبي الأجفان، و بن منصور، وحسن الوراكلي وغيرهم كثيرون ممن لا يسمح المجال بذكرهم تحية إجلال وإكبار لما قدموه من جهود علمية في سبيل تعبيد الطريق للأجيال اللاحقة وللدارسين داخل بلدانهم وخارجها.

9- وإذاكان الرصاع الذي تحدثت عنه في هذه الورقة، يعد من جهابذة أعلام الحركة العلمية التي عرفتها الجزائر عبر مسيرتها التاريخية، وبالذات في القرن التاسع الهجري، وله إسهامات متميزة تنبئ عنها مؤلفاته المختلفة، ومنها كتابه الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب، الذي تضمن في ثناياه قضايا ومسائل، وأقوال وآراء المفسرين، والنحاة، والمعربين، والفقهاء، والبلاغيين، والأصوليين، واللغويين، والمناطقة، وحشدٍ كبير من الخلافات النحوية ؛ بصرية، وكوفية، وبغدادية، ومغاربية، فالرجل جدير بأن يعول عليه في رسم معالم درسنا اللساني المعاصر، وذ لك لسلامة منهجه، وطريقة تحليله ونقده القضايا التي عالجها في كتابه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإحالات:

(1) ينظر: بياناتها في قائمة المراجع والمصادر.

(2) فهرست الرصاع، ص8. وعن ترجمته ينظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، ص151، تراجم المؤلفين التونسيين 252/2، وشجرة النور الزكية 259/1، والضوء اللامع 287/8، ونيل الابتهاج، ص560.

(3) العُبَّادُ اسم رباط لمجموعة منشآ ت خيرية في تلمسان، حي من الأحياء العتيقة في مدينة تلمسان، كان يؤمها العلماء والزهاد، وهي من أشهر المزارات الدينية في الجزائر.

(4) فهرسة الرصاع، ص 14.

(5) ينظر: مقدمة الجمع الغريب لنوال الصالح 30/1. ولمعرفة المزيد عن شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وحياته العلمية ينظر فهرست الرصاع، والكتب التي ترجمت لحياته.

(6) المقدمة، ص 738.

(7) مغني اللبيب، ص 11.

(8) الجمع الغريب، بتحقيق نوال الصالح 3/1 .

(9) ينظر بشأن منهجه: الجمع الغريب بتحقيق نوال الصالح 4/1، ومقدمة جمعان السيالي للجمع الغريب، ص35ومابعدها.

(10) الجمع الغريب، تحقيق نوال الصالح 4/1.

(11) السابق.

(12) يعني : المغني.

(13) الجمع الغريب تحقيق نوال الصالح 5/1 .

(14) السابق. وعن تنبيهاته وفوائده ينظر على سبيل المثال: الجمع الغريب :104/1، 186، 148/2، 318، 359، 188/3، 339/5.

(15) الجمع الغريب تحقيق نوال الصالح 50/1. وينظر الجمع الغريب تحقيق جمعان السيالي 637/4.

(16) الجمع الغريب تحقيق أحمد السفياني 276/6. وينظر أيضا 303/6، 376.

(17) الجمع الغريب، تحقيق جمعان السيالي225/5.

(18) الجمع الغريب، تحقيق نوال الصالح 19/1، 20.

(19) الجمع الغريب، تحقيق نوال الصالح 457/2-462.

(20) ينظر : مقدمة نوال الصالح للجمع الغريب 68/1.

(21) مقدمة الجمع الغريب، لنوال الصالح 93/1 وما بعدها، وينظر أيضا الجمع الغريب بتحقيق جمعان السيالين، ص 710 وما بعدها، وقد اطرد هذا المنهج عنده في ثنايا أسفار الجمع الغريب عامة.

(22) الجمع الغريب، تحقيق البركاتي 154/6-158. أنبه القارئ إلى أنني جردت النص من هوامش التحقيق لطولها، وذلك طلبا للخفة.

(23) هذه الملاحظات التي أذكرها حول قيمة كتاب الجمع الغريب سبق لبعض محققيه التنبيه إلى بعضها، وهي كثيرة في الكتاب، ولأهميتها أحببت الإشارة إليها، ولهؤلاء فضل السبق علي. ينظر: الجمع الغريب، مقدمة المحققة نوال الصالح 120/1، ومقدمة الجمع الغريب للسيالي، ص56.

(24) ينظر : مقدمة جمعان السيالي للجمع الغريب، ص 56.

(25) الجمع الغريب، مقدمة المحققة نوال الصالح 120/1.

(26) مقدمة جمعان السيالي للجمع الغريب، ص 37.

المراجع والمصادر:

1. تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1994م.
2. الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب، أبو عبد الله قاسم بن الرصاع، تحقيق ودراسة: نوال بنت أحمد الصالح، رسالة دكتوراه، القسم الأول، مقدمة لكلية التربية بالرياض.
3. الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب، أبو عبد الله قاسم بن الرصاع، تحقيق ودراسة: جمعان بن بنيوس بن جمعان السيالي، رسالة دكتوراه، القسم الثاني، مقدمة لكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1425هـ.
4. الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب، أبو عبد الله قاسم بن الرصاع، تحقيق ودراسة: أحمد بن مصلح فايز البركاتي، رسالة ماجستير القسم الثالث، مقدمة لكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1430هـ.
5. الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب، أبو عبد الله قاسم بن الرصاع، تحقيق ودراسة: أحمد بن وضيف بن سعود السفياني، رسالة ماجستير القسم الرابع، مقدمة لكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1429هـ.
6. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
7. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس السخاوي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
8. فهرست الرصاع: أبو عبد الله محمد الرصاع ، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة تونس، د.ت.
9. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط:3، 1403هـ/ 1983م.
10. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط:1، 1412هـ /1992م.
11. المقدمة: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط:11، 1413هـ.
12. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، التنبكتي : إشراف: عبد الهرامة، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، الطبعة الأولى، 1398هـ / 1898م .

شرح السمرقندية للحسين الشريف الورتلاني
قراءة في المنهج والأبعاد

أ.د. محمد زمري - جامعة تلمسان-

الملخص:

نالت " الرسالة السمرقندية في الاستعارات لأبي القاسم السمرقندي" شهرة واسعة لدى علماء اللغة العربية، وانتشر متنها في الحواضر الثقافية الإسلامية، وكثّف علماؤها جهودهم لفهمها وإزالة غموضها، وانبروا ينشرون تآليف عنها، فنسجوا حواشي وتقييدات وشروحا لفكّ رموزها وإدراك مقاصدها.

ويظهر أنّ هذه الرسالة لقيت عناية من علماء الجزائر؛ من أمثال (الحسين الشريف الورتلاني) . أحد أعلام القرن الثاني عشر الهجري . الذي أنجز شرحا وافيا لها، اتّبع فيه منهجا يلائم وقتئذ الغاية التعليمية المنشودة، فتناول المصطلحات البيانية تناولا دقيقا، راعى فيه حدود المفاهيم وتداخلها، وسعى إلى إزالة الغموض عن بعض القضايا الشائكة والمعقّدة في آن معا، كما أنّه تنبّه إلى مقتضى حال الفهم؛ فتراه يطيل في بعض المواطن، ويسهب في شرح الشواهد الواردة في السمرقندية، ويقدّم شواهد أخرى إذا تطلّب الوضع ذلك، إضافة إلى حرصه الشديد على بيان الدلالات المعجمية للمفردات وجمال التراكيب، دون إغفال آراء العلماء في المسائل الخلافية، ولاسيما ما تعلّق بمفاهيم المجاز والاستعارات التصريحية والمكنية والتخييلية.

والحق إنّ ما ورد في هذا الشرح يحثّنا على طرح جملة من التساؤلات، تتعلّق بالبعد التعليمي فيها، ودور التربية الصوفية في التلقين واكتساب المعرفة، وبالكيفيات الحسية لإدراك البعد الجمالي للأساليب البيانية، وبأهمية المصطلح

ودوره في إدراك قضايا البلاغة، أضف إلى ذلك دور علماء الجزائر القدامى في إثراء الدرس البلاغي بخاصة واللساني بعامة.

مقدمة:

تميّزت الحركة الثقافية في الجزائر أوان العهد العثماني بانتشار التعليم والتأليف في المجالات العلمية المختلفة، إذ تردّد الكثير من المتعلمين على المدارس والمساجد والزوايا، كما أنّ العلاقات الثقافية بين أقطار المشرق والمغرب كانت مزدهرة، ولاسيما إذا علمنا أنّ الحجّ كان العامل الأساس والأهم في تعزيز هذا التواصل، الذي رسم خريطة أوجه التفاعل المعرفي المتمثّل في التنقّل للقراءة والإقراء، وفي تسجيل المشاهدات الرحلية، والمشاركة في النشاط الثقافي القائم على التأثير والتأثّر.

ولعلّ علماء الجزائر كانت وجهتهم بشكل لافت للانتباه إلى الأقطار الإسلامية، وخاصة القدس ومصر والشام والعراق والجزيرة العربية، إذ كانوا يتلقّون العلوم ويتفاعلون مع العلماء، ويأخذون منهم الإجازات، ثم يعودون إلى أوطانهم ، فينتدبون أنفسهم للتعليم والإقراء والتأليف، ويشير (د. أبو القاسم سعد الله)[1] إلى أنّ الجزائريين في العهد العثماني اعتنوا كثيرا بالنحو كبيرهم وصغيرهم، وتركوا نتاجا طيّبا، كما أنّهم حفظوا المتون في شتّى الميادين؛ حتى أصبحوا لا يعانون مشقّة، وأدّى ذلك إلى بروز علماء عظماء من أمثال (الأخضري وابن حمادوش ويحيى الشاوي وعبد الكريم الفكون والورتلاني) وغيرهم كثر، فألّفوا كتبا في العلوم النقلية والعقلية والحساب والتصوّف والمنطق وعلم الفلك.

ويحسن الذكر أنّ عنايتهم بالشروح كانت ذات فائدة كبيرة للمتعلّمين الذين وجدوا صعوبة في استيعاب المتون، فما من عالم إلا وقدّم شروحا للتسهيل والتبسيط؛ ومن هؤلاء (الحسين الورتلاني) الذي وجد في " الرسالة السمرقندية في الاستعارات " وسيلة للتعريف بها، والتوسّع في مظانها، ولذا سنحاول الإجابة عن أسباب اهتمامه بهذه الرسالة على المستويين التعليمي والمعرفي.

- **التعريف بالمصنِّف والشارح:**

. **المصنِّف:** هو أبو القاسم بن أبي بكر الليثي السمرقندي[2] عاش في القرن التاسع

الهجري الخامس عشر الميلادي، وعلى الرغم من شهرته رسالته في ساحة الثقافية العربية والإسلامية، فإنّ الأخبار عن ولادته ونشأته وسائر تفاصيل حياته شحيحة جدا، إذ لا تكاد كتب التراجم تذكر عنه شيئا ما عدا أنّه « عاش في العصر المملوكي، وكان قارئا وعالما بفقه الحنفية، وكان أديبا مشاركا في العلوم، ومن مؤلّفاته " الرسالة السمرقندية في الاستعارات " و "شرح الاستعارات السمرقندية " و " بلوغ الأرب في تحقيق استعارات العرب " و " حاشية على شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني " و " كتاب المجاز " و " حاشية على شرح المطوّل للتفتازاني " " الرسالة الترشيحية " و " حاشية على أنوار التنزيل " و " مستخلص الحقائق في شرح كنز الدقائق ". وكانت وفاته على الأرجح عام 888 هـ.1483 م، وقيل توفي عام 907 هـ.1502 م. »[3]

الشارح[4]: صرّح الشارح بنفسه في شرحه السمرقندية بأنّه « أبو عبد الله الحسين بن محمد السعيد ... الشريف بن علي البكاري الورتلاني دارا ومنشأ البجائي نسبا »[5] فهو ينتمي من جهة أبيه إلى أسرة عربية، ومن جهة أمّه إلى عائلة أمقران الذين كانوا فرسانا وحكّاما، عاش في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي؛ ولد عام 1125 هـ/ 1713م وتوفي سنة 1193 هـ/ 1779 م. حفظ القرآن في سنّ مبكّرة، وأخذ عن أبيه مبادئ العربية، ولما بلغ سنّ البلوغ وُاح يتنقّل ما بين الزوايا لنهل العلوم والمعارف، « فنال حظا من اللغة والأدب والتصوّف والتاريخ والعلوم الشرعية والتوحيد والحساب، وتألّق نجمه حتى غدا من علماء المنطقة البارزين، وصار شيخ زاوية ورأس الطريقة الشاذلية، وتفرّغ للتدريس في بجاية وغيرها، وتخرّج على يديه عدد كبير من التلاميذ الذين تولّوا بعده وظائف دينية سامية. »[6].

ويظهر أن رغبة الورتلاني (ويروى الورثلاني) الجامحة في اكتساب العلوم والمعارف حرّضته على التوجه نحو مصر والأخذ من علمائها من أمثال (الصعيدي وخليل الأزهري وعمر الطحاوي والزياني وابن شعيب الكردي) وغيرهم، وأجازوه في العلوم العقلية والنقلية.

وتعدّ رحلته الحجازية مسردا لحياته ومواقفه وأفكاره، ومن خلال ذلك نجمل الحديث عن مسيرته، إذ حجّ مرات عديدة، وكان يجمع بين الظاهر والباطن مع غلبة الروح الصوفية على الروح الفقهية، وأدّى انغماسه في التصوّف إلى الاهتمام

بالتوحيد وإنكار علم الكلام؛ الذي رأى فيه الانحراف الفكري والاعتقادي، ولذا تحامل على (الزمخشري) قائلا: « إنّه وقع في انحراف في كثير من المسائل الاعتقادية حتى عدّ من أكابر القدرية ومن رؤسائهم »[7].ودلّت نزعته الصوفية على منع الغناء والإنشاد على عامة الناس لما فيه من فساد الاختلاط، وأباحهما للمتصوّفة ذوي أهل الوله وأصحاب الحضرة الصوفية.

وكانت حملته شديدة على أهل عصره الذين أهملوا التاريخ إهمالا كبيرا؛ حتى عدّ ذلك عيبا على جبينهم، ودعاهم إلى الإقبال على هذا العلم، الذي يفيد الإنسان ويوسّع معارفه وينمّي ثقافته، ويحيطه بأحوال الناس والأمم، ويقرّب إلى أنظارهم المشاهدات ويهذب أخلاقهم، ولذا وضع رحلته في هذا المجال.

ولا يمكن الإنكار أنّه كان مع علماء عصره .من أمثال (الفكون وابن حمادوش وأحمد بن عمار) وغيرهم . روّادا ومرآة للحياة الثقافية آنذاك، وتشهد له إنجازاته العلمية ومؤلّفاته[8] الغزيرة، نذكر منها ما يلي:

(تشطير بردة البوصيري) و (حاشية على شرح الكتاني المراكشي على صغرى السنوسي) و(الرحلة الحجازية) و (رسالة في الألغاز) و (شرح أرجوزة ابن زكري) و (شرح شوارق الأنوار في تحرير معاني الأفكار) و (شرح القصيدة القدسية لعبد الرحمن الأخضري) و (شرح على مقدمة السنوسي الصغرى) و (شرح على وسطى السنوسي) و(المدائح النبوية) و(شرح السمرقندي المسمّاة " الجواهر المنثورات في تحقيق معاني رسالة الاستعارات "). وحرصا منّي على الإشادة بعلماء الجزائر أشير إلى أنّهم أولوا عناية فائقة بالتراث العربي الإسلامي، وأحد الشواهد على ذلك هو أنّ الشيخ عبد الرزاق الأشرف قاضي محكمة نقاوس بقنسطية آنذاك قام عام 1905 بنشر الرسالة السمرقندية وترجمتها إلى اللغة الفرنسية.

- **وصف المخطوط:**

حالة المخطوطة جيّدة تقع فيما يزيد على ستين صفحة، مكتوبة بخط مغربي يغلب عليه اللون الأسود ويقلّ فيه اللون الأحمر، وكان الفراغ من تأليفها عام 1165 هـ / 1752 م، وتمّ نسخها على يد محمد الموهوب[9] بن البشير بن لحبيب عام 1301 هـ/ 1884 م. وقياس الورقة 26x20 ومقاس النص 19x 12

وكانت بداية المخطوطة: (بعد البسملة والصلاة على الرسول عليه السلام: " قال الشيخ الإمام القدوة الرباني الجامع بين الحقيقة والشريعة وما دقّ وجلّ، ومن لطيف الإفهام ودرره، بادي المعاني أبو عبد الله سيد الحسين الشريف الورتلاني، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته: الحمد لله الذي جعل البلاغة منطبعة في صدور الرجال "). وكانت نهايتها (وقد جمعته في نهار واحد على الاصفرار يوم الثلاثاء 26 خلت من جمادى الأولى لتاريخ 1165 هـ وهو القرن الثاني عشر).

- **المرجعية البلاغية والصوفية:**

إنّ المادة العلمية التي اعتمدها (الورتلاني) في شرحه بنيت على محورين كبيرين، أحدهما يتعلّق بالمصنّفات البلاغية والمعجمية ذات الصلة الوطيدة بشرحه، والثاني التآليف الصوفية الداعمة لبعض القضايا التي تتطلّب التوضيح. فالمحور الأوّل دلّ على أنّ الشارح انتقى أمهات كتب البلاغة وشروحها، فأفاد من الشيخ (عبد القاهر الجرجاني. 471 هـ) من كتابيه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " لأنّه رأى فيهما تأصيل مباحث البلاغة المتعلّقة بالبيان والمعاني والبديع، وقدّم القول الفصل في مسألة النظم. كما أشار إلى (الزمخشري. 538 هـ) وعدّ كتابه " الكشاف " ممارسة تطبيقية لما جاء به عبد القاهر الجرجاني، وأضاف أمورا حصّلها اللاحقون له. وأمّا (السكاكي 662 هـ) صاحب " مفتاح العلوم " فقد رأى فيه المُعين على استيعاب التعريفات والمصطلحات المتعلّقة بعلم البيان. وفي المستوى ذاته من الاهتمام تجلّى أثر (الخطيب القزويني. 739 هـ) صاحب " التلخيص " و " الإيضاح " في كثير من المواطن؛ إذ كان ينتصر له في بعض المواقف.

والحقّ إنّ الورتلاني صرّح في بداية شرحه اعتماده كليا على ما جاء به (سعد الدين التفتازاني. 792 هـ) في كتابيه " المختصر شرح تلخيص المفتاح " و " المطوّل " إذ اقتفى أثره في عدد غير قليل من التفاصيل البيانية حول الاستعارة ومسميات أقسامها، أضف إلى ذلك استعانته بـ (الملاوي. 1181 هـ) صاحب " شرح الاستعارات ". وأما الجانب المعجمي فقد اقتصر رجوعه على " تاج اللغة وصحاح العربية " (للجوهري. 393 هـ) و " القاموس المحيط " (للفيروزآبادي. 817 هـ).

ويتعلّق المحور الثاني بالمرجعية الصوفية التي تشي من البداية أن الشارح كان منغمسا في الطريقة الشاذلية؛ ممّا مكّنه من إدراج المرجعية الصوفية في شرحه، ولاسيما حينما يكون في وضعية التوجيه والتنبيه والإرشاد، مقتفيا أقوال وآثار المتصوّفة من أمثال (الجنيد البغدادي . 298 هـ) الذي جمع بين الفقه والتصوّف والتوحيد. وكان (الجزولي . 870 هـ) صاحب " دلائل الخيرات " حاضرا في سرد الأحاديث النبوية .

وحثّه نزعته الصوفية الشاذلية إلى الاقتباس ممّا جاء به (ابن عطاء الله السكندري) صاحب " لطائف المنن " أضف إلى ذلك احتفاءه بكتاب " المواهب اللدنية بالنح المحمدية " (لأحمد القسطلاني . 923 هـ) الذي أخذ منه أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأخلاقه وصفاته وسيرته، والغرض من ذلك إصرار الشارح على الاهتمام بالتاريخ والسير.وهناك مصنفات ثانوية لم يكن لها حضور كبير في شرحه، مثل: " نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول " (للترمذي) و " صدق المودّة في شرح البردة " (للمرزوقي) و "كتاب الشفا " (للقاضي عياض) و "كتاب شعب الإيمان " (لعبد الجليل القصري الأندلسي).

ويحسن القول: إنّ كلّ تلك الكتب والمصنفات كانت ذات فائدة بالغة الأهمية في شرحه، ولكنّ السؤال الذي يظل عالقا في الأذهان هو " لماذا لم يعتمد على ما جاء به علماء الجزائر السابقين عليه والمعاصرين له؟.

- **الدلالة المعجمية والاصطلاحية:**

اللغة ظاهرة لسانية اجتماعية يتواضع عليها أفراد المجتمع؛ بغية التعبير والتواصل وبلوغ الغرض، فهي مُشكَّلة من أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية نابعة من الممارسة اللغوية، وتنتج عن ذلك أصناف من الدلالات، فهي عند الهنود[10] ما يُعنى به المدلول العام مثل (شخص)، وما يدلّ على الكيفية مثل (طويل)، وما يدلّ على حدث مثل (جاء)، وما يدلّ على ذات مثل (عمر). وقسّمها الأصوليون[11] إلى دلالة اللفظ ودلالة المنطوق ودلالة المفهوم.

وأشار الدكتور (تمام حسان) إلى أنّ علم البيان يصلح أن يكون مجالا خصبا لدراسة الدلالة المعجمية نظريا وعمليا يسمّى « علم المعجم؛ أمّا نظريا فإنّ هذا

العلم يمكن أن يشرح كيفية وضع الكلمة ... ويشرح الدلالات الاستعمالية للكلمة ما بين الحقيقة والمجاز. وعمليا يتطرّق إلى الصلة بين المعجم وبين علم الأصوات، ثم إلى الصلة بينه وبين نظام الإملاء، وبينه وبين علمي الصرف والنحو. »[12].

ويظهر أنّ هذه الفروق لم تغب عن ذهن (الورتلاني) في أثناء شرحه السمرقندية؛ لأنّ قناعته تجلّت في تسهيل إفهام السياق للمتعلّمين المبتدئين تبدأ من شرح دلالة المفردة معجميا لإنجاح العملية التعليمية، ومن دونه يصعب إدراك المعنى العام واستيعاب المغزى من السياق.

وبرزت تلك القناعة في أنّ الدلالة تتنوّع وتتعدّد؛ فتكون طبيعية أو لغوية أو شرعية أو عرفية أو عامة، مع مراعاة البنائين الصرفي والنحوي، ففي بعض الأحايين كان يميل إلى ذكر الكلمة ووزنها، وفي بعضها الآخر يذكر الدلالة الوضعية الاصطلاحية سواء أكانت شرعية أم عرفية؛ ومن الأمثلة المعجمية والاصطلاحية الواردة في الشرح نذكر بعضها، وهي كما يلي :

- الدلالة بلاغيا: المعنى القائم له بالذات. (المخطوطة ص 52)
- الدلالة نحويا: صفة تابعة للمنعوت كيفما كان. (المخطوطة ص 52)
- الدلالة الاصطلاحية: توافق العلماء في أيّ عصر من الأعصار على أمر أو قولا أو فعلا (المخطوطة ص 26).
- الدلالة اللغوية: وضع اللفظ ليدلّ على المدلول بنفسه لا بالقرينة. (المخطوطة ص 27).
- كلمة " مخالب " جمع مَخلب على وزن مَفْعَل، ومخاليب جمع مِخلب. (المخطوطة ص46)
- كلمة " لِبد " على وزن فِعَل، جمع لِبدة وهي شعر الأسد المتلبّد على رقبته. (المخطوطة ص 50).
- كلمة الحمد: (دلالتها اللغوية): هي الوصف الجميل على جهة التعظيم. (ودلالتها الشرعية) هي فعل ينبئ عن تعظيم المنعِم بسبب كونه منعِما. (المخطوطة ص 5).
- كلمة الشكر: (دلالتها اللغوية) الاعتراف. (ودلالتها الاصطلاحية): هي صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه لأجل ما خلق له. (المخطوطة ص 6)

- أحيانا كان يكتفي بالشرح اللغوي كما هو الشأن في البيت الآتي: **هواي مع الركب اليماني مُصَعَّدُ & جُنيب وجتماني بمكة موثق**
- اليماني: مفرد يمانيون منسوب إلى اليمن، والأصل يمني؛ حذفت منه ياء النسبة وعوّض عنها بالألف على غير قياس.
- مُصعَّد: مبعد وذاهب في الأرض.
- الجنيب: المستتبع.
- جثماني: شخص مقيّد. (المخطوطة ص 56)

ويفهم من كلّ ما ورد أنّ الغاية التعليمية التي أرادها (الورتلاني) هي تنبيه المتعلّمين والمتلقّين أنّ الدلالة ليست واحدة وإنما هي متنوّعة ومتعدّدة، والسياق البياني هو الذي يحدّد تلك الدلالة.

- **التناول البياني .(مفاهيم بيانية وإدراكية)**

تعدّ المفاهيم الفكرية والمعرفية خلفية أساسية للشارح؛ فهي إحدى منطلقاته لاستيعاب الظاهرة المدروسة، ولا شكّ أنّ (الورتلاني) كانت له مفاهيم بيانية وفكرية اعتمدها في شرحه لبلوغ قصده الذي هو التوضيح وتعميق الإدراك، ومن ذلك مثلا:

- **القرينة**: هي الأداة المانعة إرادة المعنى الحقيقي، قد تكون حالية في الجملة الاسمية وقد تكون لفظية في الجملة الفعلية, (المخطوطة ص 26)
- المعنيان الأصلي والمناسب: المعنى الأصلي هو ما وقع في الحقيقة، والمعنى المناسب هو المنقول. (المخطوطة ص 27)
- **الكيفيات الإدراكية الحسية**[13]: وهي في نظره تتعلّق بالكيفيات الحسية المختصّة بالأجسام المدركة بالحواس الطبيعية، ومن شدّة اهتمامه بها عمل جاهدا على تحديد موضع كلّ حاسة في الجسم، فحاسة البصر مرتّبة في العصبتين المجوّفتين اللتين تلتقيان فتفترقان إلى العينين. وتقع حاسة السمع في العصب المفروش على باطنْي الصماخين، والصوت يحصل بالتموّج المعلول للقرع المقروع الذي هو إحساس عنيف ؛ والقلع الذي هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع. وتعدّ حاسة الذوق قوة منبتة في العصب المفروش على

جرم اللسان، كما أنّ حاسة الشم قوة مرتّبة في زائدتي مقدّم الدماغ الشبيهين بحلمتي الثدي، وأمّا حاسة اللمس فهي قوة سارية في البدن.

ومن جانب الإدراك فالبصر يدرك الأشكال والألوان والمسطّحات والحركات والمظاهر الخِلقية المرئية، وبالسمع تدرك الأصوات الضعيفة والقوية؛ ويختلف الصوت بحسب المقاومة. وبالذوق تدرك الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة. وتدرك بحاسة الشم الروائح. وأمّا حاسة اللمس فتدرك بها الملموسات من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والصلابة والخفّة والثقل والجفاف واللزوجة والأهشاش واللطافة والكثافة وغير ذلك.

- الكيفيات الفعلية النفسانية[14]: وهي مختصّة بذي الأنفس؛ ومنها:

. الذكاء الذي هو شدة قوّة النفس معدّة لاكتساب الأداء والعلم وإدراك المفسّر بحصول صورة الشيء عند العقل.

. الغضب: هو النفس القائمة على إرادة الانتقام.

. الحِلم: أن تكون النفس بطيئة بحيث لا يحرّكها الغضب بسهولة ولا تضطرب عند إصابة المكروه.وتعدّ سائر الغرائز ملكة تصوّر عنها صفات ذاتية، مثل: الكرم والقدرة والشجاعة.

ثم أشار من جهة أخرى إلى أنّ المدرك عقليا قد يكون وصفا إضافيا متمثّلا في هيئة مقدّرة في الذات، بل تكون معنى بين شيئين كإزالة الحجاب في تشبيه الحجّة بالشمس، فإنّها ليست هيئة مقرّرة في نفس الحجّة والشمس ولا في ذات الحجّة.

- **أقسام الاستعارة:**

يحتّم علينا هذا العنصر ضرورة الالتزام بنص الشرح من دون الدخول في التفاصيل الجزئية المعروفة لدى دارس

البلاغة؛ لأنّ غرضنا من ذلك بيان خلاصة محتوى الشرح الذي يصبو منه تمكين المتعلّمين والمتلّقين آنذاك من استيعاب الموضوع المستهدف وفهم مبادئها الأولية، ولذا سنحاول استخلاص تعريفات أقسام الاستعارة، إذ بعد حديثه عن المجاز المفرد الموزّع على المجاز المرسل الذي لا يقيّد بعلاقة واحدة القائمة على غير المشابهة، وعلى

الاستعارة القائمة على المشابهة، وهي في نظره . حسب متن السمرقندية . مقسّمة إلى ستة أقسام[15] متقابلة، وهي كما يلي:

- ❖ الاستعارة الأصلية تقابلها الاستعارة التبعية.
- ❖ الاستعارة التصريحية تقابلها الاستعارة المكنية
- ❖ الاستعارة التحقيقية تقابلها الاستعارة التخييلية.

- الاستعارة الأصلية: تكون في اسم الجنس حقيقة؛ وهو الدال على نفس الذات الصالحة بأن يصدق على كثير من اعتبار وصف من الأوصاف في الموضع الأصلي، (كأسد) إذا استعير (للرجل الشجاع) و(القتل) إذا استعير (للضرب الشديد).
- الاستعارة التبعية: إذا كان المستعار مشتقّا . وهو الفعل واسم الفاعل واسم المفعول... . أو حرفا كاستعارة لام التعليل للام العاقبة؛ نحو قوله تعالى ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً ﴾[16]
- الاستعارة التصريحية: وهي التي وقع فيها التصريح بالمستعار أي المشبّه به وحذف المستعار له أي المشبّه.
- الاستعارة المكنية: سميت مكنية لكونها لم يصرّح فيها بالمستعار؛ وهو المشبّه به مع ذكر أحد لوازمه.
- الاستعارة التحقيقية: هي كون المستعار له . المشبه . محقّقا حسّا؛ بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم؛ كما في نقل (الأسد واستعماله في (الرجل الشجاع) بحيث يمكن أن ينصّ عليه أو يشار إليه إشارة حسنة كما في قوله « لدى أسد شاكي السلاح» أي رجل شجاع.
- الاستعارة التخييلية: هي كون المستعار له . المشبه . ليس محقّقا حسا ولا عقلا؛ بأن يكون أمرا وهميا، فمثلا (مخالب المنية نشِبت بفلان) فقد استعير للمشبّه لفظ المخالب وهو أحوال التعدّي واغتيال الناس في قبض أرواحهم أمر متخيّل في الذهن.

وفي مواطن أخرى ذكر بعض التقسيمات الفرعية وفق ما نصّت عليه الرسالة السمرقندية، وقدّمها في شرحه مرتّبة حسب أفضلية المبالغة،وجمال التعبير، وحسن أدائه و جودة تصويره ؛ بادئا بالترشيحية فالتجريدية فالمطلقة.

- **المسائل الخلافية:**

تضمّن شرح (الورتلاني) طرح بعض المسائل الخلافية التي جرت بين علماء البلاغة، ذلك أنّ اختلاف المذاهب الفكرية والكلامية والمعرفية أدّى إلى تعدّد وجهات النظر في عدّة قضايا رآها الشارح تستحقّ الذكر وضرورية لتوسيع آفاق المتعلّمين والمتلّقين، ومن تلك القضايا المثارة نذكر ما يلي:

- **مفهوم الكناية**[17]: ذهب (السكاكي) إلى أنْ لا علاقة لها بالاستعارة، وهي حقيقة مستعملة فيما وضعت له. بينما رأى (السلف والخطيب أنّها تحتمل الحقيقة والمجاز؛ فقد تكون مستعملة في غير ما وضعت له، وقد تستعمل فيما وضعت له. ورجّح (الشارح) الرأي الأخير مشيرا إلى أنّ بعض الشارحين وضع الكناية وسطا بين الحقيقة والمجاز.
- **الإضمار في النفس**[18]: طرح مثالا " أنشبت المنية أظفارها " مبيّنا الخلاف الواقع بين العلماء، (فالسكاكي) أنكر الاستعارة بالكناية، ورأى أنّ المنية يراد بها " السّبُع " بادّعاء السبعية لها، وأنكر أن يكون شيئا آخر غير السبع بقرينة إضافة الأظفار؛ فصرّح بالتشبيه لتكون استعارة في الأظفار من غير استعارة بالكناية. وخالفه (الخطيب) مبيّنا أنّ التشبيه مضمر في نفس المتكلّم وهو ملاحظ في نفس اللفظ، وحينئذ لا وجه لتسميتها استعارة بل هي تسمية خالية عن المناسبة، والتشبيه هو فعل من أفعال النفس؛ وهو خفي فيها، ولفظ المشبّه مستعمل في معناه الحقيقي. بينما ذهب (السلف) إلى أنّه تمّ حذف " الأسد " أو " السبع " المضمر في النفس المشار إليه بالأظفار لعلاقة المشابهة، وهي الجرأة والتعدّي، وبالتالي فهي عندهم استعارة مكنية. وأما (الورتلاني) فقد مال إلى المذهب الأخير وعدّها استعارة مكنية.
- **الاستعارة المكنية والتخييلية**[19]: أورد الشارح رأي (الزمخشري) الذي جوّز كون اللفظ لازم المشبّه به استعارة تحقيقية لما يلائم المشبّه، وأفاد أنّ الاستعارة المكنية لا يجب أن تكون تخييلية بل تظلّ تحقيقية. وأمّا (السلف والخطيب والورتلاني) فقد حكموا بعدم انفكاك الاستعارة المكنية عن التخييلية، وحاصله أنّ قرينة المكنية لا تكون إلا تخييلية.

- **المجاز المركّب والاستعارة**[20]: حصر (السلف والخطيب) المجاز المركّب في الاستعارة، لكن (سعد الدين التفازاني والشارح) اعترضا ذلك بحجة أنّ الواضع كما وضع المفردات لمعانيها بحسب الشخص؛ كذلك وضع المركّبات لمعانيها بحسب النوع، فإذا استعمل المركّب بعلاقة المشابهة وإلا فغير استعارة.
- **مناظرة بين (السعد) و(الشريف الجرجاني)**[21]: إذ سعي الشارح إلى تفتتيح الأذهان وإحاطتها بالمعرفة البلاغية فأورد مناظرة أثيرت في أحد المجالس حول مسألة: هل تكون الاستعارة التبعية تمثيلية؟ ذهب (الشريف الجرجاني) بالإيجاب اعتمادا على ما جاء في حواشي الكشّاف بما ذكر في عبارة << على هدى >> بأنّه شبّه حالة نسبتهم إلى الهدى بحال الاستعلاء؛ فوقعت الاستعارة في الحرف وبالتالي في تبعية. لكنّ (السعد) منع ذلك مدّعيا أنّ التمثيل لا يكون إلاّ مركّبا. وبعد عرض المسألة على محكّم معتزلي انتصر للسيد الشريف الجرجاني.

- **الأبعاد التعليمية والأخلاقية:**

❖ **البعد التعليمي:**

ينطوي كلّ أثر على أبعاد ذات فائدة كبيرة كمّا وكيفا وعمقا، ذلك أنّ محتوى العمل يتطلّب تحقيق الغرض التعليمي الذي يتوخّاه المؤلّف. ولا شكّ ههنا أنّ (الورتلاني) صرّح في البداية أنّ شرحه هذا أنجزه في المقام الأوّل على ما يليق ويصلح لإعانة الطلبة المبتدئين بخاصة والمتلقّين بعامة، ولبلوغ الهدف اتّبع المنهجية الآتية:

_ مخالفة الطريقة المألوفة لدى غالبية الشارحين في صياغة شروحهم؛ والتي لا تخرج عن ذكر العبارة الواردة في المتن كما هي مع وضع علامة مميّزة لها، ثم الشروع في الشرح والتعليل، وتجلّت تلك المخالفة في أنّه مزج العبارة الواردة في المتن مع كلامه،حتى إنّ القارئ لا يتسطيع التميز بينهما إلا بعد بذل الجهد والوقت، نظرا للتداخل بين الأسلوبين.

_ توخّي تسهيل الشرح والبعد عن التعقيد والتجريد، والحرص على التبسيط والإفهام.

_ الاعتماد على ما يصلح به المرام في الترتيب والتنبيه والإفادة.

_ الإطالة في شرح الشواهد والأمثلة، واعتماد التكرار بصيغ مختلفة، وذلك باستخدام مجموعة من المفردات التفسيرية مثل " أي " و "تنبيه " و "الحاصل " و "لمّا علمت " و " الظاهر " و " حينئذ " و " خلاصة الكلام ".

_ كشف بعض الدقائق الواردة في المتن، وإضافة شروح عليها .

_ حثّته مقولة (أجود الشرح أقصده) على السعي إلى جعل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف غرضا ساميا يجب أن يتحقّق، لأنّ العلوم اللغوية والشرعية تروم فهم القرآن والحديث للمعرفة والعبادة والإفادة.

_ توظيف الشرح في تمكين المتعلمين من امتلاك ثروة لغوية واصطلاحية واسعة؛ لإثراء مدركاتهم الاستيعابية، وإغناء أذواقهم الجمالية لأساليب الاستعارات ومواطن بيانها.

_ إثراء النص المشروح بالشواهد المأخوذة بكثرة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأمثلة المألوفة الواردة في كتب البلاغيين، مع التقليل من الشواهد الشعرية، وأحيانا كان يقترح أمثلة من عنده.

_ استخدام الاستطراد والإسهاب فيه كان ضرورة تعليمية ملحّة، ذلك أنّ الانتقال من الموضوع الأساس إلى تناول قضايا أخرى جانبية، بغية تحقيق الإفادة المتعلّقة بتوسيع آفاق المتلقّي، وإتمام المعارف الداعمة لاستيعاب مسائل البيان؛ ففي حديثه . مثلا . عن الاستعارة المكنية طرق موضوع التشبيه بأنواعه وألوانه ليحيط الطالب به، ويسهّل عليه إدراك الاستعارة القائمة على المشابهة.

_ يتضمّن شرحه عناية بالإدراك الجمالي وتربية الذوق الأدبي من خلال طرحه المستويين؛ الأوّل الإدراك الحسي القائم على الكيفيات الجسمانية، التي تسمح بتصوّر الأوصاف المحسوسة. والثاني إدراك الكيفيات النفسانية التي تتعدّى الحواس الظاهرة إلى فهم الصور المجرّدة المحسّنة للتعبير البياني . وكلّ ذلك جعل الورتلاني يهتمّ فهم الصور عبر المستويين الحسي والعقلي.

❖ البعد الأخلاقي الصوفي:

إنّ الحياة التي عاشها الورتلاني منذ صغره إلى وفاته قامت على الزهد والكفاف والتصوّف وحب العلم، والترحال في أرجاء الأرض؛ ليكتسب المعارف الواسعة في شتّى

المجالات. ولعلّ هذا المبتغى عزّز في لطائف قلبه حبّ الفضائل والقيم الأخلاقية السامية.

وكانت قناعته ثابتة في أنّ العلم والأخلاق عنصران متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، وأنّ تقديم العلوم والمعارف من دون تربية أخلاقية لا يحقّق الرسالة التعليمية؛ ولذا نثر في صفحات شرحه توجيهات ونصائح وتنبيهات نستخلص منها ما يلي:

_ الإصرار على أنّ التعليم لا ينحصر في تقديم الخبر والمعرفة، بل لا بدّ من ملازمة التربية الأخلاقية والدينية والصوفية ليصير مكتملا وعائدا بالنفع على الأجيال المتعلّمة.

_ أطال في شرحه عن التربية الدينية التي يصقلها حفظ القرآن الكريم ويعزّزها الحديث النبوي الشريف، وفي هذا المجال قدّم في شرحه كلاما كثيرا عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم وفصاحته وجودة كلامه وأخلاقه الحسنة، كما أشار إلى أهمية الاستخارة وذكر نصّها ليحفظها المتعلّمون.

_ إخلاص المريد المتعلّم إلى شيخه بالطاعة والتبجيل والعكوف على خدمته، وعدم رفع الصوت أو التعنيف في حضرته؛ إذ قال « يجب على المريد العكوف والخدمة لشيخه وإن حصلت له رياسة أكثر منه، وليس له أن يقول لماذا فعلت ذا أو قلت ذا عنفا؛ لأنّ من قال ذلك لشيخه لا يفلح أبدا، وأيضا فإنّ علامة دخول التلميذ في قلبه هو باب الله الأعظم، ومن لم يدخل منه فلا دخول له أصلا ... »[22]

_ وازن أخلاقيا وتربويا بين أب الولادة وأب الرعاية؛ فذكر أنّ ولد الصلب يرث من والده الإرث الفاني، وولد القلب يرث من شيخه الحياة الباقية والسعادة السرمدية التي لا شقاوة بعدها، ودعا الإنسان أن يتيّقظ لشكر هذه النعمة العظيمة. ولتأكيد مذهبه استشهد بأقوال المتصوّفة من أمثال (القشيري) و(القاضي زكريا) وغيرهما.

_ أثار مسألة الكذب والاستعارة وهي قضية شائكة في النقد العربي القديم، وكان مكمن الخلاف بين النقاد وعلماء البلاغة، لأنّها جوهرية وتتعلّق بالإبداع وبعلاقة المبدع بالصدق وبالواقع وبالمتلقّي، وقد شاعت آنذاك مقولتا (أعذب الشعر

أصدقه) و (أعذب الشعر أكذبه)، فقد جمعتا بين المبدأين الفني والأخلاقي؛ أيمكن الحكم على الصورة الاستعارية بالجمال من جهة الصدق الأخلاقي أو من جهة المبالغة الفنية التي تكسب المتعة والفائدة؟

تحسن الإشارة إلى أنّ مقوله الصدق والكذب في الإبداع الأدبي ارتبطت بالفكر الفلسفي الذي طرح استفهامات عديدة منها: أيمكن الربط بين الفن والأخلاق؟ وهل وظيفة الأدب فنية أو أخلاقية؟ ونظرا لأهميتها فقد تناولها النقاد القدامى في إطار (الصدق والكذب) هل الشاعر مطالب بأن يكون صادقا في شعره ولا يخرج عن الحقيقة؟ وهل يمكنه أن يكون مغاليا ومبالغا دون مراعاة حدود الحقيقة؟

يتجلّى من مواقف النقاد وآرائهم أنّهم انقسموا مذهبين؛ أحدهما مذهب الصدق، والآخر مذهب الغلو، (فالأصمعي 216 ه) مثلا لمّا تناول شعر لبيد فإنّه فصل بين الشعر والأخلاق، وعدّ بعض قصائده تمجّد المعاني الأخلاقية السامية لكنها في آن معا (رحى بزر)[23] لا تحقّق حمال التعبير ولا المتعة الفنية.

(وابن طباطبا . 296 ه) غلّب الوظيفة الأخلاقية ودعا إلى نقل الحقيقة كما هي بصدق العبارة التي إذا « توافقت حالاتها تضاعف حسن موقعها عند مستمعها؛ سيما إذا أبدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس يكشف المعاني المختلجة فيها، والتصريح بما كان يكتم فيها الاعتراف بالحق في جميعها.»[24].

وفي مقابل ذلك لم ينكر الفريق الآخر الغلوّ، ولم ينظر إليه نظرة أخلاقية، بل وجد فيه ضرورة فنية تحقّق الجمال، فهذا (قدامة بن جعفر . 327 ه) يرى أن الشاعر ليس مطالبا بأن يكون صادقا في التعبير عن معنى من المعاني، وإنّما ينبغي أن يسلك مسلك الغلوّ الذي ذهب إليه السابقون العارفون بخبايا الشعر قديما، ثمّ قدّم مسوّغا لمفهوم الغلوّ قائلا: « إنّ الغلوّ عندي أجود المذهبين؛ وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما، وقد بلغني عن بعضهم أنّه قال " أحسن الشعر أكذبه "... وإنّ من ذهب إلى الغلوّ إنّا أراد به المبالغة والغلوّ بما يخرج عن الموجود ويدخل في المعدوم؛ فإنّما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت... والمبالغة والتمثيل لا حقيقة الشيء.»[25].

يحسن القول ههنا إنّ (الورتلاني) فصل في الأمر، ونفى الكذب الأخلاقي عن الاستعارة، ذاهبا إلى أنّها تفارقه لكونها تتضمّن الادّعاء قائلا: « وإذا علمت أنّ الاستعارة فيها الادّعاء عملت أنّها تفارق الكذب، ذلك أنّ البناء على التأويل في دعوى دخول المشبّه في جنس المشبّه به بأن يجعل أفراد المشبّه به قسمين: متعارف وغير متعارف، ولا تأويل في الكذب بنصب القرينة على إرادة خلاف الظاهر في الاستعارة، كما عرفت أنّه لا بدّ للمجاز من قرينة مانعة عن إرادة المعنى الحقيقي الموضوع له بخلاف الكذب.»[26]

ويقترب هذا الرأي من تحليل (عبد القاهر الجرجاني 471 هـ) لهذه المسألة؛ إذ ذهب إلى أنّ مقولة (خير الشعر أصدقه) تدلّ على ترك الإغراق والبالغة والتجوّز، وأنّ مقولة (خير الشعر أكذبه) تدلّ على الصنعة واتّساع مجالها وتنوّع خيالها، ويجد المبدع فيها سبيلا فسيحا لاختراع الصور من معدن لا ينتهي.[27]

- **خاتمة:**

يعدّ (الورتلاني) من الأعلام القدامى البارزين في الحقل الثقافي في الجزائر أوان العهد العثماني؛ الذي يحتاج إلى جهود كبيرة لكشف مخبوءاته الثقافية والعلمية في شتّى المجالات، ولاسيما المخطوطات التي تحوي كنوزا ثمينة تفيد الدارسين، وتزيل عمّا خفي من تاريخ الجزائر الثقافي؛ الذي حاول روّاده المعاصرون. من أمثال العالمين (أبي القاسم سعد الله) و(عبد الحميد حاجيات) وغيرهما. إبراز معالمه والغوص في مكامن أعماقه.

ولعلّ المخطوطة التي بين أيدينا تضيء ارتباط المجتمع الجزائري آنذاك باللغة العربية وعلومها، ومشاركة علمائها في إثراء الثقافة العربية الإسلامية، والتأليف والتصنيف ونظم المتون وتقديم الشروح والحواشي في معارفها لبلوغ الرسالة التعليمة.

والحق إنّ شرح (الورتلاني) للسمرقندية يندرج في ذلك الإطار، إذ حرص على إغناء المتعلّم والمتلقّي بثروة لغوية واسعة تمكّنه من الفهم والاستيعاب، وتجعله يحصّل معرفة واسعة بالأساليب البلاغية لتسهيل فهم مغزى الآيات القرآنية وتذوّق النصوص الأدبية.وحثّته الرغبة في توسيع المعارف على إثارة المسائل الخلافية بين

العلماء؛ بغية التعريف بهم وبمذاهبهم في التأويل البياني. وكان سعيه من هذا الشرح حثيثا لتحقيق البعد التعليمي الذي توخّى منه التسهيل مع التقليل من ذكر الشواهد والمذاهب، والإكثار من تكرار الصيغ التوضيحية والأدوات التفسيرية، والعمل على تنمية الذوق الجمالي.

ويتجّلى من بداية كلامه حرصه الشديد على القيم الأخلاقية والتربية الصوفية التي تعدّ في نظره أساسية في بناء الإنسان، وتنمية مهاراته ولاسيما السلوك الصوفي؛ الذي وجد فيه الوسيلة الفاعلة في تمتين العلاقة بين المعلّم والمتعلّم، والأداة الناجعة في توسيع الإدراك وتحصيل العلوم، وتنشئة الجيل على المثل الأخلاقية وحب العلم.

الإحالات:

[1]ينظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 ص52

[2] ينظر معجم المطبوعات العربية والمعربة، إلياس سركيس، ص: 1044

[3] رسالة الاستعارات لأبي القاسم السمرقندي .دراسة وتحليل .د. بان الراوي، ص5

[4] اعتمدنا في التعريف به على ما جاء به (د. أبو القاسم سعد الله)

[5] مخطوطة شرح السمرقندية ورقة 4

[6] تاريخ الجزائر الثقافي، د. أبو القاسم سعد الله، 408/2

[7] مخطوطة شرح السمرقندية ورقة 44

[8] ينظر تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي 133/2 وتاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، ص: 100 .155 .256 ... ومعجم المطبوعات العربية والمعربة إلياس سركيس 1915/2.

[9] ينظر فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أو لحبيب الخاصة، إعداد:جمال الدين مشهد، ص: 11

[10] ينظر علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص: 18

[11] ينظر المرجع نفسه، ص: 20

[12] اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 319

[13] المخطوطة، ص: 41

[14] المصدر نفسه، ص: 42 .43

[15] المصدر نفسه من ص: 33 إلى ص: 49

[16] سورة القصص، آية 8

[17] المصدر نفسه، ص: 27

[18] المصدر نفسه، ص: 45

[19] المصدر نفسه، ص: 49

[20] المصدر نفسه، ص: 58

[21] المصدر نفسه، ص: 59

[22] المصدر نفسه، ص: 44

[23] ينظر تاريخ النقد العربي عند العرب، د. إحسان عبّاس، ص: 50

[24] عيار الشعر، ص: 22

[25] نقد الشعر، ص: 94

[26] المصدر نفسه، ص: 45

[27] ينظر أسرا البلاغة، ص: 237

▪ المصادر والمراجع:

➢ **المخطوطات:**

- شرح السمرقندية للورتلاني

➢ المطبوعات:

- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني . 471 هـ، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/1988.
- إظهار صدق المودة في شرح البردة، لابن مرزوق الحفيد، دراسة وتحقيق، أ. الطاهر بن علي، رسالة دكتوراه، ج.تلمسان 2014.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني . 739 هـ، تح: إبراهيم شمس الدين،، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/2002.
- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله،، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. غحسان عبّاس، دار الثقافة بيروت، ط4/1983.
- تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي الديي، مطبعة بيير فونتانة الجزائر، 1906.
- تلخيص المفتاح، الخطيب القزويني 739هـ مكتبة المدينة للطباعة والنشر باكستان، ط1/2016هـ
- جامع الشروح والحواشي، عبد الله الجبشي، دار المنهاج للدراسات بيروت، ط1/2017.
- الجوهر المكنون في صَدَف الثلاثة الفنون، الشيخ عبد الرحمن بن صغير الأخضري، تح: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي السعودية،ن ط1/2010.
- حاشية العلامة مصطفى لعروسي على نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني سرح الرسالة القشيرية، للشيخ زكريا محمد الأنصاري . 626 هـ، تح: الشيخ عبد الوارث محمود علي، دار الكتب العلمية بيروت، ط2/2007.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط3/1976.

- رسالة الاستعارات لأبي القاسم الليثي السمرقندي، دراسة وتحليل، د. بان الراوي، جامعة بغداد 2019.
- الرسالة السمرقندية في الاستعارات وتليها ترجمتها إلى اللغة الفرنساوية. الشيخ عبد الرزاق الأشرف قاضي محكمة نقاوس قسنطينة، مطبعة فونتانة الشرقية الجزائر، 1905.
- شرح العصام على الرسالة السمرقندية، تح: مصطفى شيخ مصطفى، المكتبة الهاشمية بيروت، ط2015/2.
- علم الدلالة، د. أحمد عمر المختار، عالم الكتب القاهرة، ط1998/5.
- عيار الشعر، ابن طباطبا. 296 هـ، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية بيروت، ط2005/2.
- الصحاح للجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين بيروت، ط1990/4.
- فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب الخاصة، إعداد: أ. جمال الدين مشهد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن 2004
- القاموس المحيط للفيروزآبادي. 817 هـ، تح: محمد نهيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2005/8.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري. 537 هـ، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، ط2009/3.
- لطائف المنن، ابن عطاء الله السكندري، تح: عبد الحليم محمود، دار المغارف القاهرة، ط2006/3.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة المغرب، 1994.
- المختصر شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني . 792 هـ، تح: عجاج عودة برغش، دار التقوى دمشق، ط2021/1.
- المطوّل، ي سعد الدين التفتازاني . 792 هـ، تح: ذ. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، 2001.

- معجم المطبوعات العربية والمعربة، إلياس سركيس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ج2 ص: 1915.
- مفتاح العلوم السكاكي . 626 هـ، تحك نهيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1987/2.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد القسطلاني 923 هـ، تح: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي بيروت، ط2004/2.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر . 327 هـ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت.
- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، احكيم الترمذي .285 هـ، تح: توفيق أحمد تكلة، دار النوادر.